



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

دور القبائل اليمينية في نشأة التشيع والمعارضة الشيعية
من تمصير الكوفة الى وقعة عين الوردة 17هـ . 65هـ / 638م . 648م

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ الاسلامي الوسيط

اشراف الأستاذ الدكتور:

مزهودي مسعود

اعداد الطالب:

العابد عبد الحميد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
علي عشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
مسعود مزهودي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
عيسى بن الذيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مناقشا
عاشور منصورية	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1	مناقشا
باديس اوكيل	أستاذ محاضر أ	جامعة أكلي البويرة	مناقشا
مغنية غرداين	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية 1442هـ / 1443هـ . 2021/2022م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

دور القبائل اليمينية في نشأة التشيع والمعارضة الشيعية
من تمصير الكوفة الى وقعة عين الوردة 17هـ . 65هـ / 638م . 648م

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ الاسلامي الوسيط

اشراف الأستاذ الدكتور:

مزهودي مسعود

اعداد الطالب:

العابد عبد الحميد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
علي عشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
مسعود مزهودي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
عيسى بن الذيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مناقشا
عاشور منصورية	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1	مناقشا
باديس اوكيل	أستاذ محاضر أ	جامعة أكلي البويرة	مناقشا
مغنية غرداين	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية 1442هـ / 1443هـ . 2022/2021م

{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ { [الزمر: 9]

شكر وامتنان:

لا يكتمل هذا العمل من دون الاعتراف بفضل استاذي المشرف؛ الأستاذ الدكتور مسعود مزهودي، من خلال توجيهاته السديدة ومناقشاته القيمة التي أغنى بها الأطروحة. والامتنان له على سعة صدره وصبره وبصيرته السديدة، راجيا من الله أن يكافأه بما صبر وأخلص وعلم

الاهداء:

الى أيمن وأحمد خليل ريجانتي في الدنيا...

فهرس المحتوى

الفهرس العام

الإهداء

الفهارس

المقدمة: أ

الفصل الأول: استقرار القبائل اليمينية في الكوفة ومساهمة عناصرها في الثورة على عثمان 17 هـ . 34 هـ /
638 م . 654 م 1

1 . القبائل اليمينية الكوفية من مضاربها باليمن الى مستقرها بالكوفة: 8

أ . القبائل اليمينية في مضاربها الأولى 8

همدان: 12

مذحج: 18

كندة: 22

طبيء: 36

ب . استيطان القبائل اليمينية في الكوفة: 41

1 . تمصير الكوفة: 41

الدوافع التاريخية لتمصير الكوفة: 41

2 . الخارطة الاثنية والجغرافية للقبائل اليمينية في الكوفة: 46

3 . أهم القبائل اليمينية في الكوفة: 46

همدان: 46

مذحج: 49

كندة: 52

54 حمير:
54 طيء:
56 2. دور العناصر اليمنية في الاحتجاج على عثمان وقتله:
56 أ. نشاط حركة المعارضة في الكوفة ودور العناصر اليمنية فيها:
69 ب. قائمة بأهم الشخصيات الناشطة في الفتنة ونسبة العناصر اليمنية فيها:
76 الفصل الثاني: مساهمة القبائل اليمنية في نشأة التشيع السياسي في عهد علي (35-41هـ/655-661م):
76 1. خلافة علي من البيعة الى الاغتيال:
76 ملايسات بيعة علي في المدينة ودلالاتها:
80 انتقال عاصمة الخلافة من المدينة الى الكوفة:
82 صراع علي مع معارضيه: معركة الجمل وصفين
99 أثر الانشقاق الخارجي في تشكيل شيعة علي:
105 المواجهة بين علي والخوارج في موقعة النهروان:
126 اغتيال علي:
137 2. الأدوار التي لعبتها القبائل اليمنية في موقعي الجمل وصفين:
142 همدان:
146 مذحج:
153 حمير:

- 158..... كندة:
- 160..... طيبى:
- الفصل الثالث: مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي: مقتل علي الى
مقتل حجر بن عدي (40هـ . 51هـ / 661م . 667م):
- 167..... 1 . سياسة معاوية ودورها في انشطار القبائل اليمنية الشيعية في الكوفة:
- 167..... أ . الظروف التي قادت الحسن بن علي الى التنازل عن الخلافة:
- 175..... ب . الانتصار الأموي ونتائجه السياسية على الكوفة:
- 178..... ج . سياسة معاوية في اختيار الولاة والعمال على الكوفة؛ نموذج المغيرة بن شعبة وزياد:
- 191..... د . أشرف الكوفة واعيانها:
- 193..... قائمة بأهم أشرف الكوفة:
- 205..... 2 . المساهمة اليمنية في حركة حجر بن عدي ومقتله:
- 205..... أ . حركة حجر بن عدي وموقف الأشرف منها:
- 216..... ب . انحياز اشرف الكوفة الى السلطة الأموية في تعاملها مع حجر واصحابه:
- 226..... د . الحضور اليمني في حركة حجر بن عدي:
- 237..... هـ . ملاحظات حول تفكك وحدة الموقف السياسي للقبيلة اليمنية في الكوفة
- الفصل الرابع: مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي: من ثورة الحسين
الى ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي (61هـ . 69هـ / 680م . 688م)
- 243..... 1 . الدور اليمني في ثورة الحسين:
- 243..... أ . ولاية العهد ليزيد: مقدمات واشكالات:

- 249..... ب . خروج الحسين ومقتله:
- 265..... ج . أهم العناصر اليمينية التي شاركت في ثورة الحسين:
- 274..... 2 . ثورة التوابين؛ من مقتل الحسين الى وقعة عين الوردة ومساهمة اليمينية فيها: 65هـ . 684م:
- 274..... أ . حركة التوابين من الثورة الى الاستشهاد.....
- 285..... ب . المضمون الأيديولوجي لثورة التوابين:.....
- 289..... ج . الشخصيات الوارد ذكرها في معركة عين الوردة ونسبة العناصر اليمينية فيها:.....
- 290..... 3 . دور العناصر اليمينية في ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي 65هـ . 69هـ / 684م . 688م:
- 290..... 1 . المختار بن ابي عبيد الثقفي: من الثورة الى الهزيمة.....
- 294..... أ . حركة المختار في الكوفة:.....
- 300..... ب . الصراع بين المختار وأشراف الكوفة:.....
- 302..... ج . المواجهة بين المختار وعبيد الله بن زياد على نهر الخازر:
- 303..... د . موقعة المذار ونهاية حركة المختار:.....
- 304..... هـ . موقعة حروراء ومقتل المختار.....
- 305..... و . علاقة المختار بابن الحنفية.....
- 308..... 2 . التركيبة الاثنية في ثورة المختار ودولته وموقع اليميين فيها.....
- 308..... أ . العناصر اليمينية في حركة المختار:
- 309..... من الأزدي:.....
- 310..... من خثعم:.....

- 310.....: من بجيلة
- 311.....: من همدان
- 313.....: من شبام
- 313.....: من جشم
- 313.....: من مذحج
- 315.....: من كندة
- 316.....: من قضاة
- 318.....: ب . العناصر العدنانية في ثورة المختار:
- 320.....: ج . غير العرب في جيش المختار:
- 326.....: الخاتمة:
- 343.....: قائمة المصادر:

المختصرات:

ص: صفحة

ط: طبعة

ج: جزء

م: مجلد

ع: عدد

ت: تحقيق

ط ت: دون تاريخ

د م: دون مكان النشر

تر: ترجمة

Ibid: نفس المرجع

مقدمة

مقدمة:

استغرقت الفترة من بداية حركة الفتوحات الى غاية قيام السلطة الأموية المروانية خمسين سنة من تاريخ الإسلام الباكر وهي فترة ليست طويلة في عمر الدول والمجتمعات وتواريخ الأديان، لكنها كانت متوترة وحادة وحاسمة وشديدة التكثيف بحيث صاغت مصير الإسلام والجماعة المسلمة على كل الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تشكل جميعها داخل رحم الدين الإسلامي. نصف قرن من النشاط الديني والسياسي والعسكري عرف تحولات جذرية مست البنى العتيقة للنظام الاجتماعي العربي العام الذي ظل راسخا لقرون مديدة في مجالات جغرافية محددة وأوضاع اقتصادية ثابتة عدا بعض المحاولات التي ظلت محدودة بسقف الجغرافيا وطبيعة التواريخ القبلية. وأخذت الروح العربية من انشغالاتها الثقافية المحدودة بالمواريث الدينية والانثروبولوجية التقليدية المنحصرة بالجزيرة العربية الى فضاء جديد رحب كان تعبيرا عن إرادة الهية . إنسانية في ملمة شتات الانسان العربي الرازح تحت هيمنة الروح القبلية والذي يكاد يكون منعزلا عن حركة التاريخ العام العالمي آنذاك واحضاره الى مهمة صناعة التاريخ وتغييره.

ان الحضور الكثيف للعناصر اليمينية المساندة لعلي خاصة في الكوفة التي احتضنت دولة علي او في الأحداث التي توالى منذ بيعته في المدينة الى غايته سقوطه قتيلا ينافس أي حضور آخر؛ خاصة في الطور الأخيرة من حياته لما انفض عنه كثير من مؤيديه بعد واقعة التحكيم واجهاض الانتصار الذي كان قاب قوسين او أدنى. هذه الكثافة اليمينية المستقرة في الكوفة التي تجمعت عبر سنوات عديدة ربطت مصيرها التاريخي بمصير القضية العلوية وراهنّت على شخصية الامام وأحقّيته وجدارته؛ فاندرج تأييدها له ضمن القوى الاجتماعية الأخرى التي كانت تتبغى من وراء دعمها لعلي العودة الى مبدأ المساواة الاجتماعي في وجه الارستقراطية القرشية ونوازعها التفضيلية. لكن الإخفاق الذي انتهت اليه بمقتل علي وتنازل الحسن عن حقه في الخلافة جعلها تتجرع مرارة الانكسار وتتوجس ما تأتي به الأيام المثقلات التي يرسم تفاصيلها الكتلة القرشية الشامية المنتصرة على رأسها معاوية بن ابي سفيان المعتصم في دمشق قلعتة الحصينة فחסرت الكوفة مكانتها كعاصمة للخلافة الإسلامية وضاعت على يمنية الكوفة منزلتهم كجند مختار للخليفة وفقد أنصار التسوية في العطفية والعدل في القضية مشروعه.

والواقع أن الارتباط الملاحظ بين يمنية الكوفة والتشيع كان ارتباطا أسسته العلاقة الخاصة بين علي وأشراف القبائل اليمينية التي ساندته والتي اختارت أن تلتف حوله لما كان الخيار مفتوحا على عدة إمكانات، وفي هذا الصدد يجدر بنا التمييز بين القبائل اليمينية التي تواجدت في الكوفة؛ وبين القبائل اليمينية الأخرى التي التزمت بالإسلام في زمن الردة وهاجرت الى الشام ضمن الجيوش الفاتحة واستقرت بها، يضاف اليها القبائل اليمينية التي كانت مستقرة هناك منذ أمد بعيد؛ وقد اختارت يمنية الشام ان تقف الى صف معاوية الذي كان أميرا على بلاد

الشام مدة طويلة استطاع خلالها أن يعقد أواصر المودة والتضامن مع أشرفهم وساداتهم. وبذلك فقد ظل يمينوا الشام احدى القوى المهمة المشكلة لعصبية الحكم الأموي وزاد في توطيدها زواج معاوية من ميسون الكلبيبة أم يزيد؛ ربما حتى يحد من أي إمكانية لتوافق او تنسيق يميني . يميني بين يمنية العراق ويمينية الشام الذي قد يعصف بالمكاسب القرشية الأموية. وبالتالي فان الذي ظل يفرق بين يمنية العراق ويمينية الشام هو خصوصية الوضع الاجتماعي والمراتبية التي كرسها نظام العطاء لذلك فان المصالح التي كانت تحرك يمنية العراق لم تكن ذاتها التي كانت تحرك نظراءهم في الشام. ورغم الفشل الذي صاحب تجربة علي التاريخية في سبيل الحصول على الخلافة الكاملة على أمة الاسلام والاختناق الذي منيت به محاولة الحسن والحسين من بعده؛ الا أن الغالبية من يمنية الكوفية . خاصة الفئات الشعبية المهمشة . استمروا في دعمهم للقضية العلوية وبذلوا في سبيلها دماءهم واموالهم، وكان جلهم في الصفوف الأولى للحركات التي انطلقت من الكوفة في العهد الأموي الباكر مثل ثورة التوابين وثورة المختار الثقفي والتي استمدت زخمها من المظلومية التاريخية لآل البيت والأمل في عدالة تامة ومساواة بين جميع المسلمين.

في هذا السياق يأتي هذا البحث لاستكشاف دور يمنية الكوفة في بلورة التشيع في عهد علي ثم دوره في المعارضة التي قامت في وجه الأمويين عند توليهم الخلافة من ثورة الحسين الى غاية ثورة المختار الثقفي . مع ضرورة التنبيه الى أن مهمة البحث ليست في استقصاء الظاهرة اليمينية في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية عامة وانما أغراضه محدودة بيمينية الكوفة ودورهم في الولادة التاريخية للتشيع السياسي ومدى مساهمتهم في التعبير عن الوجدانية الشيعية التي كانت أرضية لظهور التشيع الديني. لذلك فقد صغت عنوان البحث كالتالي:

دور القبائل اليمينية في نشأة التشيع والمعارضة الشيعية: من تمصير الكوفة الى وقعة عين الوردة 17هـ . 65هـ / 638م . 685م

وقد رأيت أن هذه المهمة الاستقصائية لا تصل الى هدفها بدون الإجابة عن الأسئلة التالية:

- . ما هي الظروف التاريخية التي قادت القبائل اليمينية الى الاستيطان في الكوفة؟
- . ما هي الخصوصية الديموغرافية للكوفة وأوضاع سكانها المادية؟
- . لماذا انبثقت المعارضة التي قامت في وجه عثمان من الأمصار، وأي دور لليمنية فيها؟
- . ما هي خصوصية الكوفة حتى تكون عاصمة للمعارضة بداية من عهد عثمان الى غاية العهد الأموي؟ لماذا اختار علي الكوفة تحديداً؟
- . ما هي خلفية الروابط التي جمعت بين علي وبين الكوفة؟
- . ماذا يعني التشيع في عهد علي؟
- . هل استمرت الكتلة اليمينية الشيعية في الكوفة على موقفها في العهد الأموي؟

- . ما هي الظروف التي تحول فيها التشيع من الطابع السياسي الى الصفة الدينية؟
 - . ماذا بقي من التشيع بعد مقتل علي وماهي التحولات التي طرأت عليه؟
 - . أي تأثير لمقتل حجر على يمن الكوفة وعلى التشيع؟
 - . ماذا يعني التشيع في عهد معاوية ويزيد؟
 - . ما هي علاقة يمنية الكوفة بثورة التوابين والمختار الثقفي في وجه السلطة الأموية؟
- أسباب اختيار الموضوع:**

. لا يتحقق الفهم التام لتاريخ صدر الإسلام من دون استيعاب لحراك القبائل العربية الجنوبية والشمالية في اطار الإسلام وحركته التاريخية؛ الأمر الذي يقود الى مزيد من فهم الطبيعة السوسولوجية للمجتمعات العربية المسلمة في صدر الإسلام وطبيعة الرهانات التي كان يدور الصراع حولها وتقوم التحالفات العشائرية من أجل تحصيلها وعلاقة كل ذلك بالسلطة فهما وممارسة

. ان بحث الادوار التي لعبتها القبائل اليمنية وعناصرها في صياغة تاريخ صدر الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ضرورة لا بد منها لأجل مزيد من الفهم لتلك الحقبة، وفيما يخص التشيع فان أي عمل في تاريخ البدايات الأولى للمنظومة الشيعية لا يراعي التأثيرات اليمنية يعتبر عمل قاصر.

. ان أحد أهداف الكتابة التاريخية لهذه الفترة المفصلية من تاريخ الإسلام هي الوظيفة التحريرية التي تمتلكها الكتابة التاريخية الحققة للخروج من أزمت الخلاف الأيديولوجي الذي عصف بالأمة الإسلامية وظل يعصف بها لقرون طويلة وكان من أسباب الانهيار الذي شهده العالم الإسلامي بعد القرن الخامس الهجري. حيث لا مفر من الاعتراف بضرورة حل الإشكالات التاريخية العالقة وفك الارتباط بالقطاعات السيئة من تاريخنا.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث النهائية في أربعة فصول؛ حيث خصصت **الفصل الأول** لدراسة الظروف التي مكنت لبعض القبائل اليمنية من استيطان الكوفة ومشاركتها في الحياة السياسية التي أخذ يعج بها هذا المصر الحيوي والتي انتهت الى مقتل الخليفة عثمان. وقد قسمت هذا الفصل الى مبحثين كبيرين:

1 . القبائل اليمنية الكوفية من مضاربها باليمن الى مستقرها بالكوفة: وفيه درست القبائل التالية: همدان ومدحج وكندة وحمير وطيب في مواطنها الأولى قبل دخولها في الإسلام ومشاركتها في الفتوحات الإسلامية، ثم درست ذات القبائل في الكوفة حيث استقرت إثر نجاح الفتوح في العراق وفارس، الأمر الذي قادني الى دراسة تمصير الكوفة والحشيات التي قادت الخليفة عمر الى التفكير في انشائها، كذلك تطرقت الى الأساليب التي بواسطتها مشروع التوطين والمجالات الجغرافية التي نالتها كل قبيلة من هذه القبائل. أما المبحث الثاني فقد وضعته لبحث:

2. دور العناصر اليمينية في الاحتجاج على عثمان وقتله: وفيه درست الظروف السياسية والاقتصادية التي أججت المعارضة في الكوفة على واليها سعيد بن العاص ثم تطور الحركة الى احتجاج قوي ضد الخليفة ذاته، وقد ركزت في هذا السياق على أهمية المهجرات العربية اليمينية المتأخرة الى الكوفة التي تزامنت مع تباطؤ في حركة الفتوح وبروز الكتلة الأموية القرشبية كقوة سلطوية تمكنت من فرض ذاتها في المجالين السياسي والاقتصادي؛ الأمر الذي زاد في وتائر الاعتراض والاحتجاج. اما القسم الثاني من هذا الجزء فقد جعلته للسياق التاريخي الذي قاد في النهاية الى مقتل عثمان ودور العناصر اليمينية الكوفية والمصرية فيه.

اما الفصل الثاني فقد وضعته في بحث: **مساهمة القبائل اليمينية في نشأة التشيع السياسي في عهد علي**، وقد جاء هذا الفصل في مبحثين كبيرين: الأول دار حول تاريخ خلافة علي من بيعته الى اغتياله: وفيه تناولت ملبسات بيعته في المدينة وطبيعة القوى التي بايعته اختيارا ثم بحثت قضية انتقال عاصمة الخلافة من المدينة الى الكوفة ودلالاتها حيث لم تعد المدينة عاصمة للخلافة العربية الإسلامية وقد تم ذلك في سياق صراع علي مع القوى السياسية التي عارضته ولم تسلم له بالخلافة، وقد انتهت القوة الأولى بقيادة عائشة وطلحة والزبير في معركة الجمل، اما القوة الثانية فهي الكتلة القرشبية. الشامية بقيادة معاوية بن ابي سفيان وأهل الشام وقد انتهى نزاعهما الى وقعة صفين التي كاد علي ان ينتصر فيها لولا خدعة رفع المصاحف، وقد بحثت في هذا الجزء تأثير ما جرى في صفين على بعض أتباع علي الذين قرروا أن ينشقوا عنه في مجموعات سميت بالخوارج؛ ومن ثمة اضطرار علي الى قتالهم بضغظ من بعض الفصائل القوية في معسكره؛ الأمر الذي فل في حده وقاده في النهاية الى ان يخر صريعا بسيف رجل منهم.

أما المبحث الثاني فقد وضعته لدراسة دور القبائل اليمينية في نصرته علي ونشأة التشيع السياسي، وفيه تطرقت الى مساهمة كل من قبيلة همدان ومذحج وحمير وكندة وطبىء في نصرته علي والالتفاف حوله.

أما الفصل الثالث فقد خصصته لبحث **مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي من عام الجماعة الى مقتل حجر بن عدي**: وهي مرحلة هامة وتأسيسية من مراحل تاريخ صدر الإسلام وتحول مفهوم السلطة وممارستها، كذلك تجذ أهميتها في كونها شهدت الظروف التاريخية التي تبلورت فيها فصائل المعارضة الخارجية والشيعية للحكم الأموي. وقد تطرقت في المبحث الأول من هذا الفصل الى سياسة معاوية ودورها في انشطار القبائل اليمينية الشيعية في الكوفة وما يقتضيه هذا الاستقصاء من ضرورة استيضاح الظروف التي قادت الحسن بن علي الى التنازل عن الخلافة؛ الأمر الذي يعني انتصار معسكر الشام على معسكر العراق، ومن ثمة قمت بالبحث في نتائج هذا الانتصار السياسية على أهل الكوفة؛ خاصة القبائل التي استمرت في اخلاصها لعلي وأبنائه، ثم قمت بالبحث في سياسة معاوية في اختيار الولاة والعمال على الكوفة؛ نموذج المغيرة بن

شعبة وزياى وسياساتهما إزاء أهلها. ثم عاجلت موضوع أشرف الكوفة وتلون ولاءاتهم السياسية نظرا لدورهم الهام في تأطير قبائلهم وحصولهم على صيغة وفاق حذر بينهم وبين السلطة الأموية، وقد عملت في هذا الصدد على وضعهم في قائمة منفصلة حتى يسهل استيعابهم. أما المبحث الثاني فقد خصصته لدراسة حركة حجر بن عدي في الكوفة وظروفها والحيثيات التي انتهت بمقتله، ودور أشرف الكوفة في تسهيل الأمر على زياد بن أبيه؛ مع ما تعنيه هذه النهاية الدموية من تحول في فهم السلطة وممارستها من طرف الأمويين وأحلافهم، ثم عاجلت موضوع حضور العناصر اليمينية في قضية حجر من الناحيتين: ناحية مشاركة بعضهم فيها، وناحية خذلان أغلبهم له والدلالات السياسية والاجتماعية لهذا الخور. ومن ثمة مررت مرورا سريعا على مجموعة الولاة الذين تعاقبوا على الكوفة في المدة بين مقتل حجر ومقتل الحسين. ثم سجلت جملة ملاحظات يخرج بها المتأمل من قضية حجر بن عدي ونهايته المأساوية التي كانت تعد سابقة في تاريخ الاسلام ودلالاتها على تفكك وحدة الموقف السياسي للقبيلة اليمينية في الكوفة.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لبحث مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي؛ من ثورة الحسين الى ثورة المختار الثقفي: ويغطي هذا الفصل الفترة من خلافة يزيد الى غاية قيام دولة عبد الملك بن مروان وهي فترة شديدة الحرج بحيث وصفتها بعض الدراسات بالفتنة الثانية نظرا لاهتزاز شرعية الخلافة ثم للفراغ الذي حدث في بيت الخلافة وقيام المتنازعين عليها بعد موت يزيد بن معاوية.

وقد جاء في ثلاثة مباحث كبرى عاجلت في أولها الدور اليمني في ثورة الحسين وقد اقتضى وضع خروج الحسين في السياق التاريخي العام لأزمة الخلافة اثر تولية يزيد وقيام المعارضة ضده، ثم استعرضت المراسلات التي تمت بينه وبين الناشطين السياسيين الكوفيين من شيعته التي جعلته يقرر الانتقال الى الكوفة لقيادة المعارضة من هناك ومن ثمة سردت بصورة مختصرة تفاصيل معركته مع القوة العسكرية التي أرسلها عبيد الله بن زياد ثم مقتله، ثم تناولت أهم العناصر اليمينية التي يرد ذكرها في حيثيات ثورة الحسين منسوبة الى قبائلها وقد جاءت كالتالي: همدان وبجيلة ومراد ومذحج والأزد. ولمزيد من الوضوح وإثراء للبحث فقد تطرقت الى أهم المشاركين في ثورة الحسين من العناصر المضربة. ثم تناولت في المبحث الثاني ثورة التوابين بقيادة سليمان بن الصرد الخزاعي ودور العناصر اليمينية فيها، وهي الفئات التي أخرجها عذاب الضمير الى طلب التوبة بقتال عبيد الله بن زياد بوصفه قاتلا رئيسيا للحسين حيث التقى الجيشان في عين الوردة ومقتل جل التوابين، ثم عاجلت المضمون الأيديولوجي لثورة التوابين من خلال النظر في خطاباتهم وتحليل محتوياتها، ومن ثمة فقد عاجلت أهم الشخصيات اليمينية التي ورد ذكرها في ثنايا هذه الحركة. واستكمالا لقضية التوابين فقد رأيت أنه من الضروري التعرض الى ثورة المختار الثقفي ودور العناصر اليمينية فيها؛ نظرا لأنها تتمتع بتاريخية لقضية الحسين واستكمالا لحركة التوابين؛ خاصة وأن جل الذين نجوا من عين الوردة

انخرطوا فيها مباشرة ثم نظرا لأهميتها في المسار الشيعي عموما في تلك الفترة. وقد سردت في هذا المبحث تاريخ المختار وحركته الى غاية مقتله على يد مصعب بن الزبير والتقلبات السياسية التي خاضها المختار حتى وصل الى قيادة الفصائل الشيعية الكوفية بدعوى انه مكلف من قبل محمد بن الحنفية بإقامة الامامة، وقد ناقشت طبيعة العلاقة بين المختار وابن الحنفية ثم عاجلت الحضور غير العربي الكثيف في ثورة المختار بوصفه ظاهرة سياسية واجتماعية جديدة ستكون مقدمة لما سيحدث في الدعوة العباسية. ثم قمت ببحث مساهمة العناصر اليمينية في ثورة المختار ودولته من القبائل التالية: الأزدي وهمدان ومدحج وكندة وقضاة، ولمزيد من استكشاف الطبيعة الاثنية لحركة المختار فقد فضلت أن أبحث دور العناصر العدنانية في ثورة المختار. وفي الأخير وضعت خاتمة جمعت فيها النتائج التي توصل اليها البحث بخصوص مساهمة يمنية الكوفة التاريخية في ظهور التشيع السياسي ثم الديني ودورها في حركة المعارضة التي قامت في وجه السلطة الأموية حتى قيام دولة المروانيين.

المناهج:

بما أن البحث غوص في عمق التاريخ فان المنهج التاريخي هو الذي يتسيد المناهج في هذا الصدد بطبيعته الاستردادية. كما جرى الاستعانة بالمنهج الفيلولوجي في مهمة قراءة النصوص وتبيان معانيها وتحديد أسماء الأماكن الجغرافية والأعلام والقبائل وضبط رسمها الصحيح ومتابعة المسارات الجغرافية لحركة القبائل ومجريات المعارك، إضافة الى ذلك استعنت بالمنهج المقارن في المواطن التي تكون فيها المقارنات ضرورية؛ خاصة في ظل طبيعة الموضوع العام بالصراع والتنافس بين القوى السياسية والعسكرية المختلفة وطبيعة القوى ذاتها التي يطغى عليها الجانب الاثني والعددي. وفي هذا الصدد لا مناص من استعمال الأدوات الإحصائية من اجل استيضاح المقارنات في المواضيع التي اقتضتها.

نقد المصادر والمراجع:

لقد افاضت مصادرنا في كثير من التفاصيل التاريخية وجزئيات الأحداث والوقائع التي تخص تلك الفترة البكرة من تاريخ الإسلام؛ خاصة الطبري في تاريخه والبلاذري في انسابه وابن سعد في طبقاته وابن عساكر في تاريخ دمشق والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد والأصبهاني في أغانيه وابن عبد ربه في عقده الفريد وغيرهم. لكن الباحث في المصادر التي انبثقت عنها الأفكار والمعتقدات، والينايع التي غذت كل تلك النحل والمذاهب والآراء والتصورات التي كانت تتشكل وتتطور ويعلن عنها في خضم النزاعات التاريخية تلك؛ لا يكاد يعثر على ما يرضيه. فالجتمتع العام لدار الإسلام التي تربعت عليها السيادة العربية الإسلامية تركيب معقد من الامم والشعوب والقبائل والاديان والملل والنحل والطوائف وأشبه الديانات ومختلف الثقافات وشتى المذاهب. ثقافات منها ما هو قديم ضارب في التاريخ راسخ في تربته يستند الى تجربة تاريخية غنية كالثقافة الفارسية والهندية واليونانية والرومانية والسريانية الآرامية

وغيرها؛ ومنها ما هو شديد المحلية والخصوصية والانغلاق لا يكاد يعرفه الا ذوهه، وقد تعرضت جميعها للاختراق الإسلامي سواء من الناحية السياسية والعسكرية والإدارية او من الناحية الدينية والثقافية؛ بحيث أعاد الإسلام صياغتها بالقدر الذي اثرت هذه كلها في صياغة ما يصح أن نصفه بالثقافة الإسلامية بالمعنى الواسع لمفهوم الثقافة. فمصادرها تكاد تلتزم الصمت إزاء ما جرى، فلا نكاد نعثر على مدونة تاريخية تحملت عبء تقصي تفاصيل مجريات التبادل الثقافي بين جميع مكونات دار الاسلام وطبيعة ما كان يحدث على الأرض بين الناس المختلفين في يوميات تشاركهم تفاصيل الحياة اليومية وحواراتهم ونقاشاتهم ومناظراتهم؛ لأنه لا يعقل أن تكون الثقافة الإسلامية بكل ما فيها انبثق فجأة من العدم وتشكل خارج التاريخ.

لقد جمع الطبري والبلاذري وابن سعد وغيرهم روايات إخبارية منقولة عن الرواة الذين جمعوا في العهد الأموي أخبار الفترة التأسيسية من تاريخ الإسلام. روايات هي استعادة من الذاكرة لمجريات الأمور التي حدثت باكراً وتم استذكارها في مراحل تالية وفي ظل ظروف وسياقات هي من نتائج التاريخ الأول. أولئك الرواة كانوا متحذرين في قبائلهم وتحيزاتهم وإرادة حفظ امجاد عشائريهم. صاغوا اخبارهم عن شهود عيان وغير شهود؛ لكنها اخبار متأتية من وجهات نظر محددة وخاصة رغم دعواها الموضوعية. اخبار وليست تاريخاً لأنها لم تصل الى مستوى الكتابة التاريخية ولعلنا لم نبلغ هذا المستوى من الحرفية في تدوين تاريخنا في الحضارة الإسلامية. حيث ما صار سرديات تاريخية ظل أقرب الى عملية إعادة صياغة الروايات والخبار في سرد متسلسل، أما إعادة النظر في كل شيء واجراء الاستقصاءات الجذرية فأمر لم يتم. لأن الناس ظلوا يعيشون على مفاعيل ذلك التاريخ ويتحددون به ويصوغون هوياتهم وماهياتهم التاريخية والثقافية بناء عليه. لم تجر قطيعة تاريخية حقيقية مع الماضي ذاك. وظل مفهوم الامة متأسسا عليه فلم يحدث أن فكر الناس في إعادة النظر في تأسيسية اجتماعهم وأطهرهم الأيديولوجية التي تحمله. فظلت المجتمعات المسلمة في وعي ذاتها اتصالاً تاريخياً مع للحظات التأسيسية الباكراً التي انشغل البحث بها. ولولا الاستعمار الذي جرح التواصلية تلك وخلق قطائع صغيرة رغم أن الذي حدث هو أن مقاومته بالذات تمت بواصلة استعادة الاستمرارية تلك تحت مظلة الحفاظ على الهوية.

ان الكتابة التاريخية ظلت مسقوفة بالروايات كأنها ليست الا عملية انتقاء من بين الروايات لا إعادة قراءة وإعادة سرد وإعادة تفكر ومن ثمة إعادة كتابة القصة وبناء التاريخ. وهي بالتالي ظلت محصورة في الحدود التي قدمتها الأخبار والروايات فما ذكرته الروايات تم ذكره وما أهملته لم يجر استقصاء جاد بشأنه. لم تجري مساءلة الرواية والخبر وماهية الرواية والاخبار ووظائفهما ودورهما الاجتماعي بوصفهما التقني والأيديولوجي أيضاً لأن الرواية تعني فيما تعني أيديولوجيا التبرير والحفاظ على الذاكرة.

كتب التاريخ:

. **الفتنة ووقعة الجمل** لسيف بن عمر الأسدي التميمي ت 228 هـ من أصحاب السير. كوفي الأصل. وكتابه من بين مصادر تاريخ الإسلام الباكر الأساسية، وهو عمدة لكل من كتب في تلك المرحلة، وقد اعتمدت عليه في بحث القضايا التي تعلق بالناقشات التي جرت في الكوفة بين ولائها وبين المعترضين على سياسات عثمان والكتلة القرشية التي كانت تسانده وقد استفدت منه في حصر أسماء الشخصيات اليمنية التي كان لها دور محوري في وقائع الفتنة. كذلك عرضه للظروف التي تم فيها مقتل عثمان واستخلاف علي وما انجر عنه من أحداث عاصفة، وإيراده الشخصيات اليمنية التي وقفت الى جنب علي في المدينة بعيد مقتل عثمان وفي أحداث الجمل.

. **وقعة صفين** لنصر بن مزاحم المنقري التميمي ت 212هـ: يعتبر واحداً من اخباري الكوفة المهمين، وكتابه أحد مصادر البحث الأساسية في الأحداث المصيرية التي حدثت في الفترة بين مقتل عثمان ومقتل علي، والأحداث التي وقعت في الطريق من الكوفة إلى صفين. وفيما يخص معركة صفين وما أحاط بها من مراسلات واستشارات ونقاشات داخل جيش علي والمناورات التي حدثت بين علي ومعاوية يعتبر مصدراً أساسياً، إضافة إلى الروايات الكثيرة التي أدرجها في تضعيف كتابه. كما تضمن معلومات دقيقة عن التشكيلات العسكرية لجيشي العراق والشام وطبيعتها الاثنية ورهانات كلا المعسكرين. وبعض الأخبار المهمة عن الأمور التي كانت تجري خارج ميدان المعركة. وأخبار التحكيم وما صاحبه من اختلافات في معسكر علي والخلاف حول تعيين الحكّمين، ومعاهدة صلح صفين، وتمرد الجماعات التي صارت خوارج على علي واضطراره إلى قتالها. كما استفدت منه معلوماته عن دور القبائل اليمنية والنزارية التي كانت إلى صف علي؛ وخاصة قبيلة همدان ومذحج وربيعة ومساهمة أبنائها في معركة صفين وموقعة النهروان التي جرت بين علي والخوارج. وفهرس القتلى بين الطرفين. وقد تنوعت مصادر نصر الإخبارية بين رواية سنة وشيعة وبين رواية المدينة والكوفة مثل: الأصبغ بن نُبّاته، والشعبي، ومحمد بن إسحاق.

. **تاريخ الرسل والملوك** لمحمد بن جرير الطبري: يعتبر سيد مؤرخي الإسلام وعمدة كل من كتب في تاريخ الإسلام في قرونه الثلاثة الأولى، وكتابه من المصادر الأساسية في تاريخ صدر الإسلام والدولتين الأموية والعباسية، وقد عمد إلى جمع ما تفرق في نصوص الاخباريين ووضعه في كتابه فحفظ لنا بذلك كثير من النصوص المفقودة، إضافة إلى التنوع الكبير في مصادره وطرق اخباره وأسانيدها. وفيما يخص فترة البحث فإنه يعتبر المصدر الأول الأساسي إلى جنب أنساب الأشراف للبلاذري حيث غطى جل الأخبار والوقائع التاريخية التي عرفت تلك الفترة الهامة. وقد استمد الطبري أخباره من طرق مختلفة فجمع بذلك بين روايات الاخباريين المدنيين والكوفيين واخباري الشام من دون أن يقحم انتماءاته الأيديولوجية السنية في عملية التدوين ومن دون التدخل في تشويه الروايات. لكن الذي يؤخذ على الطبري هو اغفاله القضايا الاجتماعية والثقافية واقتصاده في عرض النقاشات الكلامية التي كانت تجري بين القوى السياسية الفاعلة في تلك الحقبة، كما أن كتابه كاد أن يخلو من استعراض التطورات التي حدثت داخل القبائل اليمنية بعد مقتل علي والتحويلات التي وقعت في صفوفها حيال موقفها من

السلطة الأموية؛ الأمر الذي اضطررت الى استنتاجه من سياق الأحداث واستخلاصه من بين تضاعيف سرد الروايات.

. أنساب الأشراف وفتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت 279هـ: يعتبر الكتابان من المصادر الأساسية في كل بحث يجري حول تاريخ الإسلام في القرون الثلاثة الأولى تماماً كالطبري، وكتاب الأنساب رغم أنه يحسب في كتب الأنساب إلا أنه في الحقيقة كتاب تاريخي بامتياز؛ لأن البلاذري لم يكتف بعرض سلاسل النسب للشخصيات التي تناولها وإنما قام بالتأريخ للتجربة التاريخية العربية قبل الإسلام وبعده وجاء بأخبار وروايات لا نعتز عليها عند الطبري فضلاً عن غيره، وذلك لتنوع مصادره وتعددتها، وقد اعتمد كثيراً على روايات الواقدي وأبي مخنف والمدائني وهيثم بن عدي ومحمد بن إسحاق كما اعتمد على محمد بن سعد الكاتب، وعباس بن هشام الكلبي، وهشام بن عمار الدمشقي، وعمرو بن محمد الناقد، وأبي عبيد قاسم بن سلام، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وعبدالله بن صالح العجلي، وزبير بن بكار بن هيثم، وحسين بن علي بن أسود، وأبي خيثمة زهير بن حرب وغيرهم. وفيما يخص أنساب القبائل والعشائر فقد احتوى أنساب الأشراف على أنساب قريش وقبائل مضر وكنانة وهذيل وبنو تميم وقيس بن عيلان وبنو سليم وثقيف وتاريخ بدايات الإسلام والسيرة النبوية وتاريخ إسلام قبائل مضر. أما طريقتة في كتابة التاريخ في أنساب الأشراف فإنه كان يعتمد الى التعدد في ايراد الروايات التي تخص حادثة معينة مع ذكر سندها، والتي لا يورد سندها يقدمها بصيغة قالوا او يذكر مصدره إذا كان ناقلاً من كتاب. وقد اعتمدت على البلاذري في أنساب الأشراف في كافة القضايا التي عاجلها البحث من حروب الردة وموقف القبائل اليمنية من الإسلام في خلافة ابي بكر ومشاركتها في الفتوحات على عهد عمر، كذلك تمصير الكوفة وظروف تقسيم المدينة على القبائل اليمنية والعدنانية، ومواقع القبائل اليمنية داخلها والتطورات السياسية التي حدثت فيها وادوار العناصر اليمنية في الثورة على عثمان ثم مقتله، وكافة الأحداث التي وقعت في فترة خلافة علي ودور القبائل اليمنية فيها، والظروف التي قادت الى انتصار معاوية وقيام الدولة الأموية ومقتل حجر بن عدي وثورة الحسين وثورة التوابين الى غاية ثورة المختار الثقفي كما اعتمدته في تحديد أنساب القبائل اليمنية والنزارية وضبط سلاسلها. لكن الذي يؤخذ على البلاذري في موضوع البحث هي ذاتها المؤاخذة على الطبري وهو اهمال متابعة التطورات التي حدثت داخل القبائل اليمنية بعد مقتل علي وتصعد كتلة ولاءها لعلي بواسطة أشرافها واعيانها الذين اختار بعضهم تحويل ولاءهم الى بني امية، كما يؤخذ عليه اغفاله للحياة الاقتصادية وطرق توزيع الثروة المادية وهو الموضوع الذي كان يثير تشنج مختلف القبائل اليمنية وغيرها وبسببه كانت تقوم الثورات والتمردات. اما فتوح البلدان فقد جرى الانتفاع به في تتبع حركة الردة فتوح بلاد الشام ومصر والعراق وفارس في عهد الخلفاء الراشدين وانساب القبائل اليمنية وبعض التفاصيل حول الأوضاع الاقتصادية والجغرافية للمدن والبلدان. وطبيعة التشكيل العسكري والاثني للجيوش الفاتحة وأسماء القادة والأمراء والفضاة، وتمصير الأمصار

هجرة القبائل العربية اليها. وفيما يخص موضوع البحث فقد جاءت أهميته في باب هجرة القبائل اليمنية ودورها في الفتوحات الإسلامية والشام والعراق، وعن إقامتهم في الكوفة وطرق توطينهم فيها وتقسيم المدينة بين العشائر العربية.

وقد حرص البلاذري في كتابة على بط الروايات بأسانيدھا التاريخ هي جمع الروايات مع سندھا، وخاصةً فتح المدن مع ملاحظة وقت وقوعھا. وقد اعتمد في أغلب رواياته على ما بلغه من اخباري الكوفة والبصرة والمدينة والشام مثل: عباس بن هشام الكلبي، وحسين بن الأسود الكوفي، وعلي بن محمد المدائني، وأبي عبيد قاسم بن سلام وأبي عبيدة مَعَمَر بن مُثَنَّى ومحمد بن سعد الكاتب، وعمرو بن محمد الناقد، وأبي حفص الدمشقي، وهشام بن عمار الدمشقي. كما لا تخلو مسانيد رواياته من رواة مجهولين.

. التاريخ لأحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ت 284هـ: وتضمن الكتاب تسجيلًا عامًا لتاريخ الأنبياء والأمم السريانية والبابلية والهندية واليونانية والرومية والفارسية والصينية والقبطية والحبشية، والقبائل العربية قبل الإسلام في اليمن والحيرة والشام، وأديان العرب وأيامهم. كما تضمن أخبارًا مهمة حول أنساب القبائل اليمنية، وتاريخ عصر الخلفاء الراشدين وخاصة عثمان وعلي. وكتاب اليعقوبي مختصر إذا قارناه بالطبري والبلاذري لكن أهميته تأتي من جهة انفراده ببعض الروايات التي جرى الانتفاع بها في البحث وخاصة منها الذي تعلق ببعض التفاصيل المتعلقة بمعركة الجمل والعلاقة بين عائشة وعلي، كذا جرت الاستفادة منه في بعض المعلومات حول العناصر اليمنية التي كانت مع علي مثل مالك الأشتر. وبعض الأخبار التي جاءت في سياق ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة.

. التاريخ لخليفة بن الخياط ت 240 هـ: ويعتبر خليفة محدث ونسابة وإخباري، وقد اعتمدت عليه في كتابه، وكتابه التاريخ من بين المصادر التي اعتمدت عليها كثيرًا في هذا البحث، وهو رغم اختصاره وصغر حجمه بالمقارنة مع الطبري والبلاذري إلا أنه احتوى بعض التفاصيل المهمة حول خلافة علي والخلفية الاثنية للقبائل التي ساندته وطريقة تشكيله للجيش وتنظيمه للقطعات العسكرية القبلية في معركة صفين وطبيعة المشكلات التي اعترضته أيام خلافته في الكوفة، كما احتوى معلومات تفصيلية حول الانتماءات القبلية للرجال الذين ساندوا الحسين، وقد استخلصت منه العناصر اليمنية التي قتلت معه. كما جرت الاستعانة به في حصر أسماء الرجال الذين شاركوا مع المختار الثقفي ثورته في الكوفة.

. تاريخ ابي زرعة الدمشقي ت 280 هـ: وقد وضعه أبو زرعة في تاريخ بلاد الشام خصوصًا وافتتحه بذكر جانب من السيرة النبوية الشريفة، ثم أخبار الخلفاء الراشدين، ثم نبذة عن القضاء في فلسطين ومرو وبعض وقائع الشام، ثم ذكر من مات من الصحابة والتابعين فيها. ورغم أهميته المصدرية بوصفه من الكتب المتقدمة إلا أنه يؤخذ عليه طريقته عرضه للمعلومات حيث جاءت متناثرة لا رابط بينها على طريقة المحدثين في ذكر أسانيد الأخبار. وهذا

يصعب على الباحث مهمة متابعة السرد، وأهميته في البحث جاءت من أخباره عن تفاصيل كثيرة تخص المعسكر الشامي بقيادة معاوية بن أبي سفيان؛ سواء في صراعه مع علي أو بعد قيام الدولة الأموية.

. **الأخبار الطوال** لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري توفي قبل 290هـ: ويعتبر مصنف في التاريخ العام وقد احتوى على غرار يعقوبي والمسعودي على تراجم الأنبياء والملوك، أمثال ملوك: فارس والروم واليمن. وقد تميز كتابه باهتمام ملحوظ بتاريخ الساسانيين، وفتح فارس، الشيء الذي ربما ينم عن أصوله الفارسية. وقد اعتمد أبو حنيفة على مجموعة من الاخباريين المعروفين مثل: عُبيد بن شريّة، والشعبي، وكيس النمرى، وهيثم بن عدي. والواقع أن الاستفادة من تاريخ أبي حنيفة انحصرت في الأحداث التاريخية دون الأنساب وحركة القبائل وأخبارها مثل: قادة حرب الجمل وصفين، والتشكيلة العسكرية التي دخل بها علي ومعاوية المعركة، وولادة علي، والأحداث التي وقعت في أيام خلافته وثورة المختار ودور الموالي فيها.

. **مروج الذهب ومعادن الجوهر** لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 346هـ): وقد اعتمدت عليه في بحثي: مع كتابه الآخر **التنبيه والإشراف**، وان كان اعتمادي على اعتمادي على المروج أكثر وأهمية المسعودي في تاريخ الإسلام تأتي من اهتمامه بالقضايا الثقافية والكلامية ومجالس الخلفاء ومسماواتهم، وإيراده أخبارا لا توجد في الكتب الأخرى، وقد أورد معلومات مهمة تخص سياسة علي المالية ودورها في تفرق بعض كبار الصحابة عنه وأخبارا تفصيلية في قضية التحكيم وتفصيل مقتل الحسين وحركة المختار الثقفي.

. **مقاتل الطالبين** لأبي الفرج الأصبهاني ت 356هـ: وقد اعتمدت على كليهما: وفيما يخص كتاب المقاتل فقد اعتمد الأصبهاني فيه على روايات نصر بن مزارح، وأبي مخنف، وعوانة بن الحكم، وأبي إسحاق السبيعي وكذلك الشعبي، كما اعتمد على ابن سعد، ومحمد بن عمر الواقدي. وقد احتوى الكتاب على مجموعة تراجم للأعيان المقتولين من آل أبي طالب تتراوح بين الطول والقصر. ورغم الاقتصاد الذي جاء في أخباره إلا أنني استفدت منه في الوقائع المتعلقة بخلافة علي وما جرى فيها وخلافة الحسن بن علي وثورة الحسين بن علي وسفارة مسلم بن عقيل ومقتله في الكوفة، ومواقف أشرف الكوفة من ثورة الحسين ومقتله وبعض الخبر التي تخص ثورة التوابين.

. **تاريخ دمشق** لعلي بن الحسن المعروف بابن عساكر ت 571هـ: كتابه يعد من أهم مصادر تاريخ الإسلام وقد اعتمدته في مواضع كثيرة من البحث، ورغم أن موضوعه الأساسي يدور حول دمشق إلا أنه ترجم لجل الشخصيات المشهورة التي دخلت دمشق، وقدم في ترجماته أخبارا كثيرة وتفصيل مهمة؛ رغم أن طريقتة في سرد الروايات وانشغاله بسلاسل السند الطويلة تشوش على الباحث سهولة متابعة أي شخصية يترجم لها. وهو مصدر أساسي في كل ما يتعلق ببني أمية ودولتهم ورجلهم وقاداتهم. كما توسع في إيراد تفاصيل ثمينة في الصراع بين علي

ومعاوية ومقتل حجر بن عدي وثورة الحسين ومقتله. ويوجد لدى ابن عساكر في ترجمة الشخصيات السياسية والعسكرية والدينية ما لا يوجد عند غيره.

كتب الأنساب:

. نسب معد واليمن الكبير لهشام بن محمد بن السائب الكلبي توفي بين 204 و206هـ: يعتبر ابن الكلبي رائداً في تدوين أنساب القبائل العربية يمينها ومضريها ويعتبر كتابه مصدراً ثميناً لشجرة أنساب قبائل العرب. وقد احتوى نسب قريش وبني هاشم وربيعه والقبائل القحطانية: كندة وطبي ومدحج، وهمدان وحمير وخولان وختعم وبجيلة وكندة، وأزد، وقضاعه. وفي سياق سرده للأنساب فإن ابن الكلبي ضمن كتابه أخباراً تاريخية مهمة خاصة في مجال تاريخ القبائل ومواطنها الجغرافية وعلاقاتها ببعضها في الجاهلية والإسلام، كما ساق تفاصيل حول مشاركة القبائل اليمنية في الفتوح ومجالات استقرارها وهي معلومات موجزة لكنها ثمينة، إضافة إلى ذلك فقد جمع ابن الكلبي أخباراً متفرقة عن الثورات الشيعية مثل: وقعة كربلاء، وثورة التوابين، وحركة المختار الثقفي، من دون اتساع.

. نسب عدنان وقحطان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت 285هـ: وهو كتاب صغير وموجز لكنه تضمن عرضاً للأنساب العربية يتميز بالوضوح والدقة، وقد استفدت منه في استيضاح كثير من مشكلات النسب التي أثارها كتاب ابن الكلبي الواسع.

. جمهرة أنساب العرب لابن حزم ت 456هـ: وهو من الكتب المهمة في علم أنساب العرب، وقد جمع فيه بين الدقة والتوسع في متابعة شجرة الأنساب وتفرعاتها وتحركات القبائل العربية وتنقلاتها، ولم ييخل ابن حزم في سياق رصده للأنساب بإيراد كثير من التفاصيل التاريخية المتعلقة بصدر الإسلام والدولة الأموية

. الأنساب لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت 506هـ: وهو كتاب فريد في بابه لا نعثر على طريقته كثيراً في كتب النسب، وهو يعمل مثل قاموس للأنساب المشهورة، وقد صنفها بالترتيب الأبائى على نسبة الرجل، وفائدته كبيرة في تسهيل الوصول إلى نسب الشخصيات التي وردت في البحث. ووظيفته في البحث لم تتعد هذه الخدمة لأنه يكاد يخلو من أي فوائد تاريخية.

كتب الطبقات:

. الطبقات الكبرى لمحمد بن منيع المشهور بابن سعد ت 230هـ: يعرف ابن سعد بأنه كاتب الواقدي، وكتابه من أجل الكتب وأوفاهها في تراجم القرنين الأولين من تاريخ الإسلام وقد بوبه حسب الأمصار، وقد جمعه من طرق عدة واعتمد فيه على رواية وإخباريين من الحجاز مثل: موسى بن عقبة الأسدي ومحمد بن إسحاق وأبي معشر المدني ومحمد بن عمر الواقدي، ومن العراق مثل: عامر بن شراحيل الشعبي ووكيع بن الجراح وهشام بن محمد الكلبي، وهيثم بن عدي وأبي الحسن المدائني. وتكاد تكون كل رواياته مسندة ولا يكاد يوجد فيها المجهول. وقد

أورد ابن سعد أخبارا كثيرة دقيقة ومفصلة خاصة عند ترجمته للخلفاء الراشدين وكبار الصحابة، إضافة إلى فائدته في تقرير أنساب الشخصيات التي ترجم لها وتفصيله في موضوع إسلام القبائل اليمنية. وهو جليل الفائدة في بيان التحولات التي حدثت للمجتمع العربي بعد الفتوحات وتدوين الدواوين والمشكلات التي أخذت تعرفها الأمصار وتفاصيل مقتل عثمان وخلافة علي ووقعة الجمل، كما تضمن معلومات مهمة عن حركة الخوارج في بدايتها والصراع بين علي ومعاوية ومقتل حجر بن عدي ووقعة الحرة، وبعض التفاصيل التي تخص ثورة التوابين في ترجمة سليمان بن صرد الخزاعي وحركة المختار الثقفي التي وردت في ترجمة محمد بن الحنفية وعبدالله بن مطيع العدوي. ويلاحظ على ابن سعد تقصيره في ترجمة بعض الشخصيات المهمة مثل الحسن والحسين ابني علي وأشخاص مؤثرين مثل مالك الأشتر.

. **وفيات الأعيان** لأحمد بن محمد بن خلكان ت 681 هـ: وهو من المصادر المهمة في ترجمة أعلام التاريخ الإسلامي، وتراجمه تتباين في الطول والقصر والأهمية التوثيقية، لكن يغطي على تقصيره أحيانا في تراجمه التزامه بالوضوح والدقة

. **سير اعلام النبلاء** لشمس الدين الذهبي ت 748 هـ: وهو كتاب يدل عليه عنوانه ترجم فيه الذهبي لكثير من أعلام العرب والمسلمين في شتى اختصاصاتهم، وقد اعتمدت عليه في كثير من الترجمات، كما لا يفوت الذهبي فرصة ادراج كثير من الأخبار التاريخية التي يقتضيها حال من يترجم لهم. لكن الذي يؤخذ عليه عادة هو الإيجاز والاختصار.

كتب الجغرافيا:

. **البلدان** لأحمد بن أبي يعقوب المشهور باليعقوبي ت 283 هـ: يعتبر كتابه هذا من أقدم المصادر الجغرافية العربية. وقد قام فيه بوصف بلدان كثيرة كإيران وتركستان وأفغانستان وحكام خراسان وسجستان والعراق وجزيرة العرب والهند والصين وبيزنطية ومصر وأفريقيا. كما تضمن معلومات مهمة عن المسافات والمنازل والجغرافيا الطبيعية والاقتصادية لأشهر المدن مثل: عراق العجم وفارس وكرمان وسجستان وخراسان، وما وراء النهر والعراق واليمن والحجاز والشام ومصر وشمال أفريقيا وآسيا الصغرى وأرمينيا. وفيما يخص الجغرافيا اليمنية فإن اليعقوبي لم يتوسع في تفصيل أجزائها ولم يتعمق في أخباره عن سكان اليمن ومخالفاتها؛ بحيث جاءت معلوماته مختصرة جدا لكنها مفيدة.

. **صفة جزيرة العرب** للحسن بن أحمد الهمداني ت 334 هـ: يعتبر الهمداني أحد علماء اليمن في علوم الدين والنسب والجغرافيا وقد جاء كتابه هذا محيطة بجغرافية جزيرة العرب دقيقا في تقصيه الجغرافيا اليمنية تحديدا ووصف ما اشتملت عليه تامة ونجد وحضرموت وحمير ومذحج والسروات وغيرها، كما تضمن معلومات جغرافية دقيقة

عن مدن عدن وصنعاء وبلاد همدان والقلاع اليمنية وأسواق اليمن، والعمارات والبنىات والآثار القديمة والحفريات والقصور والهضاب والنباتات والأثمار والعيون والمعادن، وهي الأماكن التي كانت تستوطنها القبائل والأسر في تاريخها البعيد.

. **معجم البلدان** لياقوت الحموي ت 626 هـ: هو الموسوعة الجغرافية الشهيرة التي لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ العالم الإسلامي نظراً لما اشتمل عليه من تفصيل دقيق لأسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران وغيرها. ولم يكتف ياقوت في مواضع كثيرة بتسجيل البيانات الجغرافية والطبوغرافية للمكان الذي يكتب عنه وإنما كان يشفعها بمعلومات تاريخية تفصيلية في بعض الأحيان بحيث يكاد أن يكون كتاباً في الجغرافية التاريخية، وتضاعفت فائدته بكون مفرداته مرتبة على حروف المعجم على طريقة القواميس اللغوية مما يسهل على الباحث مهمة العثور على ما يطلبه. ورغم أهميته واستيعابه فإنه يؤخذ على الحموي كونه لم يتوسع كثيراً في تسجيله للأماكن والمناطق غير المشهورة، وهذا يتضح عند البحث في مواطن القبائل اليمنية وظروف انتقالها.

كتب الحديث:

. **الموطأ** لإمام مالك بن أنس 179 هـ: يعتبر الموطأ من أقدم المدونات الحديثية الرصينة وقد بوبه الامام مالك على أبواب الفقه بحيث امتازت مادة كتابه بالترتيب الموضوعي المتميز. ورغم انشغاله الفقهي إلا أن فائدته في البحث جاءت من قيمته التوثيقية لما عرف عن مصنفه من تدقيق وحرص في التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها.

. **المصنف** لأبي بكر بن أبي شيبة ت 235 هـ: رغم أن الكتاب موضوع في الحديث النبوي إلا أنه اشتمل على مجموعة مهمة من الأخبار والروايات التاريخية التي انتفعت بها في هذا البحث خاصة في الأحداث التي عرفتها الحقبة الراشدة، كما استفدت منه عند توثيقي للشخصيات الواردة في البحث، إضافة الى الأحاديث النبوية التي سقتها في مواضعها، ثم الأهمية الثانية للكتاب تأتي من قيمته التوثيقية بوصفه أحد علماء الحديث البارعين في الجرح والتعديل.

. **المسند** لأحمد بن حنبل ت 241 هـ: يعتبر المسند مدونة موسوعية جامعة لكل ما استحسنته الامام أحمد من حديث النبوي في مختلف الموضوعات الفقهية التشريعية والأخلاقية والوعظية، ورغم اختصاصه في الحديث إلا أنه اشتمل على كثير من الروايات والآثار التي لها علاقة بأحداث الفتنة خصوصاً ووجهة النظر السنوية في الموضوعات التي تخص السلطة وشرعيتها وموقف الناس منها.

. السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت 275هـ: وهو كتاب كبير في الحديث النبوي اشتمل على عدد كبير من أحاديث النبي وصحابته وتابعيهم، وأهميته في البحث جاءت من خلال الأحاديث التي وضعها في مباحث السيرة والفتن والفرق.

. السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي ت 458 هـ: من الكتب المهمة في علم الحديث وأحوال النبي، إضافة إلى قيمته التوثيقية فقد انتفعت به في سرد بعض الأحاديث التي اقتضاها المقام.

كتب الأدب واللغة:

. الأغاني لأبي فرج الأصبهاني: وهو كتاب أثير لغط كبير حوله وحول مصداقيته التاريخية واغلب من تكلم فيه لم يفهم حقه ويبدو أن عنوانه أحد أسباب عزوف من عزف عنه لأن من يتصفح يرى أهميته، والحقيقة أنه تضمن أخبارا مفصلة في أمور كثيرة خاصة حول الأنساب وأيام العرب ونشاط القبائل في الجاهلية والإسلام وأخبار بعض الشخصيات المهمة في البحث من الأشعث بن قيس الكندي وعمرو بن معدي كرب مما لا يوجد في غيره ووقائع جرت في الكوفة لها صلة بموضوعنا مثل قضية حجر بن عدي التي توسع فيها أبو الفرج برصانة المؤرخين؛ الأمر الذي يتكشف عند مقارنته مع ما أورده الطبري والبلاذري وابن عساكر.

. الكامل في اللغة والأدب للمبرد: وهو كتاب في اللغة والنحو والأدب لكن مؤلفه بما عرف عنه من علم غزير وتوسع في الرواية أورد فيه أخبار دقيقة حول الخوارج خصوصا بحيث يكاد يكون من أهم المصادر حول حركتهم وتطورها، كما تضمن أخبار تفصيلية تخص حركة التوابين وثورة المختار، إضافة إلى مساهمته اللغوية في ضبط كثير من أسماء الأعلام والمواقع وألفاظ اللغة التي ترد في بعض الروايات.

. العقد الفريد لأبن عبد ربه: يعتبر من الكتب الجامعة التي تفوق مضامينها ما صنف لأجله ككتاب الأغاني، وقد حرص مصنفه على أن يضمه كثيرا من فنون المعرفة فشحنه بالتاريخ والأنساب وعرض فيه مسامرات الخلفاء ومحاورات العلماء وغيرهم، وقد انتفعت به في تبيان الأنساب العربية يمينها وعدنانيتها نظرا للوضوح والسلاسة التي تميز بها، كما جرى الاستئناس برواياته في مواضع كثيرة.

كتب الخراج والأموال:

. الخراج لأبي يوسف القاضي ت 182 هـ: يعتبر من أقدم المصنفات التي وصلتنا عن شؤون الحكم العربي الإسلامي، وهو عمدة لكل المصنفات في شؤون الإدارة الإسلامية وأحكامها. وأهميته تأتي من توثيقه الباكر للظروف التي انبثقت عنها الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب خاصة، وشؤون الخراج والعطاء وأحكام

الأرض المفتوحة والتشريعات المتعلقة بكل ذلك، الأمر الذي يقتضي سرد كثير من الأخبار التاريخية التي انتفعت بها في هذا البحث.

. **الأموال** لابن زنجويه النسائي ت 251 هـ: وهو كتاب حول صنوف الأموال التي تليها الأئمة للرعية، وأصولها في الكتاب والسنة، إضافة الى إيراده جملة من الآثار حول آداب التناصح بين الراعي والرعية، وفضل أئمة العدل، ووجوب السمع والطاعة على الرعية، وعدم الخروج على ولاة الأمر، ووجوب توقيهم. وهو مفيد في الأخبار التي ساقها حول نوعية أموال دولة الخلافة الراشدة واجتهادات عمر وعلي فيها، إضافة الى بعض الأخبار التاريخية التي تأتي خلال السرد.

المصادر الشيعية:

كما اعتمدت على جملة من المصادر الشيعية في الحديث والتاريخ وفهارس الرجال أهمها:
. **الكتاب** لسليم بن قيس الهلالي ت 76 هـ: وهو أحد مصنفات الشيعة الأولى التي تضمنت أخبارا مهمة تتعلق بآل البيت، وإذا صحت نسبته الى صاحبه فانه يعتبر وثيقة تاريخية شديدة الأهمية من رجل عرف علي وأبنائه وعاصر الأحداث التي تعرض لها البحث. والحقيقة أننا لا نستطيع أن نجزم بصحة نسبة الكتاب الى سليم بن قيس الهلالي بسبب تعذر طرق الاثبات والتحقق لأن أقدم النسخ الموجودة منه تعود للقرون الرابع والخامس والسادس الهجرية. وقد اعتمدته لغرض إيراد وجهة نظر الشيعة في قضايا تاريخ صدر الإسلام وتاريخهم الخاص.

. **النصرة في حرب البصرة** لأبي عبد الله بن محمد المشهور بالشيخ المفيد ت 413 هـ: يعتبر الشيخ المفيد من أعيان علماء الشيعة وفقهائهم ومحدثهم، وقد اهتم في هذا الكتاب بسرد تاريخ خلاف علي مع عائشة وطلحة والزبير الذي قاد الى معركة الجمل ونتائج ذلك الصدام. وقد اعتمد في سرده كثيرا على الواقدي ولم يشحنه بالغرائب التي توجد عند غيره.

. **رجال الطوسي** لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت 460 هـ: وهو كتاب في رواة الأحاديث والأخبار والآثار النبوية وأخبار آل البيت، صنفه الطوسي على طريقة علماء الحديث جامعا فيه عدد كبير من الرواة بدون أن يتوسع في إيراد الروايات، فهو بهذا يشبه الفهارس. وقد اعتمدته أحيانا في ضبط بعض الأسماء التي المشكلة.

. **مقتل أمير المؤمنين** لحرز الشاطري العسكري ت 1111 هـ: وقد تضمن اخبار كثيرة حول ما عرف بظلامه فاطمة الزهراء وقضية فدك والظروف التي قادت الى مقتل علي وتفصيل العملية، كما تضمن الكتاب كثيرا من المرثي التي قيلت في علي والتي تعتبر سوابق لظاهرة المرثي التي قيلت في آل البيت عموما والحسين خصوصا.

. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار لمحمد باقر المجلسي ت 1111هـ: وهو أحد الموسوعات الجامعة للحديث والآثار والأخبار المنسوبة إلى النبي وآل بيته وأئمتهم، ويعتبر من مصنفات الشيعة المهمة. وقد اشتمل الكتاب من جزئه السابع إلى الثاني عشر على تواريخ الإمام علي وأبنائه وأحفاده بطريقة مفصلة مستوعبة لكل ما جرى. ورغم نبرته المتعصبة وطابعه الأيديولوجي السجالي إلا أنه مفيد في عرض وجهة نظر علماء الشيعة ومؤرخيهم لأحداث فترة موضوع الدراسة.

المراجع:

وقد استخدمت جملة من المراجع العربية والمعربة لا بصفتها الوثائقية لأنها تستقي من ذات المصادر التي استقيت منها وإنما استعنت بها لأهميتها في دراسة بعض القضايا التي أثارها البحث ولسوخ قدم مصنفها في قضايا تاريخ صدر الإسلام ولفائدها في تفصي وجهات نظر المؤرخين المحدثين حول تلك الأحداث. ولعل أهمها:

. الكوفة للدكتور هشام جعيط: وهو كتاب فريد في باب لم يصنف مثله في بحث تاريخ المدينة وجغرافيتها وطوبوغرافيتها وخطط القبائل فيها والتحويلات التي طرأت عليها، وقد أبان فيه الدكتور جعيط عن معرفة تامة بمصادر التاريخ الإسلامي والدراسات العربية والأجنبية حول تاريخ صدر الإسلام عموماً والكوفة خصوصاً. كما أظهر مقدرة كبيرة في قراءة النصوص والروايات والاستفادة منها في إعادة بعث الكوفة من ركام التاريخ. وكانت دراسته لتمصير الكوفة وتوزيع القبائل فيها والطرق التي تم بها البناء والتقسيم ذات فائدة كبيرة للبحث.

. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية للدكتور محمد عبد الحي محمد شعبان: وهو كتاب موجز إلى حد ما لكنه غني بالتحليلات الدقيقة التي ساقها المؤلف في بحثه قضايا كثيرة مثل طبيعة الفتوحات الإسلامية ودوافعها وتركيبية القبيلة للجيوش العربية الإسلامية ودوافع تمصير الأمصار والخصوصية الاجتماعية لكل مصر منها وأثر كل ذلك على الأحداث التي عرفتتها الأمة الإسلامية وجذور المشكلات التي عرفتتها الخلافة الراشدة.

. الكوفة وأهلها للدكتور صالح أحمد العلي: وهو كتاب جامع في كل ما يتعلق بالكوفة في صدر الإسلام. لم يضعه الدكتور صالح بطريقة السرد التاريخي وإنما على طريقة الموسوعات فاشتمل على موضوعات عديدة وأهميته تأتي في سرده للظروف التي تم فيها تمصير الكوفة وحيثيات التمصير والقبائل العربية شماليها وجنوبيها التي استوطنتها وخطط هذه القبائل والولاة الذين تعاقبوا عليها.

. تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والآثرية لكاسم الجنابي: وهو كتاب شديد الفائدة في موضوعه، وقد وضعه الجنابي كأنه تنمة وتوسيعاً لعمل ماسينيون المشهور، وقد استعنت به في القضايا المتعلقة بتمصير الكوفة وتنزيل القبائل فيها، والغالب عليه الطابع الجغرافي والطوبوغرافي دون التوسع في القضايا التاريخية.

. حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة ليوست خليف: رغم أن موضوع الدراسة يدور حول الشعر وأغراضه الا أن المؤلف قدم له بدراسة مستفيضة عن تاريخ الكوفة وشؤونها والأحداث التي وقعت فيها والنشاط السياسي لساكنتها.

. أمراء الكوفة وحكامها لمحمد علي الخليفة: وهو كتب جامع في سرده للأمرء الذين تعاقبوا على الكوفة وسياتهم تجاه أهلها منذ تمصيرها الى غاية الدولة العباسية. وقد ضمن المصنف كتابه جملة من المباحث في تاريخ العلم والمعرفة في الكوفة والبدايات الأولى لتدوين اللغة والشعر والنحو والخط، لذلك فانه من المراجع المفيدة في بابه.

. الإسلام والسلطان والملك للدكتور أيمن إبراهيم: وهو دراسة وافية حول التطورات التي شهدتها المجتمع العربي الإسلامي وسلطة الخلافة منذ تأسيس الأمة الإسلامية في المدينة الى غاية موت معاوية، وقد قام المؤلف بدراسة أهم الإشكالات التاريخية التي أفرزتها حركة الفتوحات وتداعياتها على السلطة والمجتمع، كما عالج أثرها في التنظيم الاجتماعي للقبائل العربية في الأمصار والإدارة وعلاقة كل ذلك بالتوترات التي عرفت هذه الحقبة. وهي دراسة شديدة الأهمية ورغم عمقها وحديثها الا أنها لم تنل حظها من الاهتمام والتنويه. وقد انتفعت بها في محاولتي فهم المحركات العميقة للحراك السياسي الذي عرفته حقبة عمر وعثمان وعلي.

. السلطة والمعارضة في الإسلام لزهير هواري: وهي أطروحة دكتوراه تناولت أهم قضايا السياسة والاجتماع العربي الإسلامي من سنة 11هـ الى غاية 132هـ، مر فيها الباحث بأهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها حقبة موضوع الدراسة، وهو عمل نستطيع ان نعتبره مكملًا لعمل الدكتور أيمن إبراهيم من جهة أنه استكمل البحث في الفترة التي توقف دونها، ومن جهة أنه جاء مشحونًا بالأحداث والوقائع التي عزف عن ايرادها الدكتور أيمن. ورغم أهمية هذه الدراسة الا أنها جاءت متعجلة. ربما. بسبب طول الفترة التي مسحتها الدراسة، وقد انتفعت بها في مواضع كثيرة خاصة فترة الخلافة الراشدة وبدايات الحكم الأموي، لكنها تكاد تخلو من أي مساهمة بخصوص إشكالية بحثي الرئيسية.

. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي للدكتور عبد العزيز الدوري: وهي دراسة رغم انها موجزة بالنظر الى الفترة التي غطتها؛ الا أن أهميتها تكمن في الجهد التنظيري الذي بذله المؤلف في محاولته تفسير التحولات الكبرى التي عرفت دار الإسلام، وقد انتفع به البحث في تفسيره للأحداث التي وقعت في فترة الخلافة الراشدة، وفي وجهة نظره حول طبيعة الصراع الذي اندلع في الأمصار ضد عثمان والأمويين من حوله، كذا رهانات التي ذر قرن النزاع حولها بين أنصار علي وأنصار معاوية.

. العصبية القبلية لإحسان النص: وهو دراسة مهمة في موضوع العصبية القبلية وآثارها في الحياة السياسية والاجتماعية في تاريخ صدر الإسلام خصوصًا. وقد انتفعت به في دراسة استيطان القبائل العربية في الكوفة وأثر

النزاعات القبلية في تحريك تاريخ صدر الإسلام، والطرق التي كان يستعين بها ولاة الدولة الأموية في ترويض القبائل والسيطرة عليها.

. الكيسانية في الأدب والتاريخ للدكتورة وداد القاضي: وهي دراسة جامعة مانعة في القضايا المتعلقة بالكيسانية وتطورها منذ ظهورها في عصر المختار الثقفي، واهمية الدراسة بالنسبة لبحثي جاءت في مساهمة الدكتورة وداد التاريخية لحركة المختار الثقفي وبحثها في طبيعة العلاقة بينه وبين محمد بن الحنفية وسردها المختصر الواضح لتاريخ ثورة المختار ودولته.

. سلسلة القبائل العربية لعلي الكوراني العاملي: وهي سلسلة من الدراسات حول بعض القبائل العربية اليمينية والمضرية التي استوطنت العراق وصاغت تاريخه. وقد استعنت بها في ضبط أنساب بعض القبائل ودور اليمينية منها في نصره علي تحديدا.

أهم المراجع المعربة:

. دور القبائل اليمينية في الدفاع عن اهل البيت في القرن الأول الهجري لأصغر منتظر القائم: وهو كتاب دون في الأصل باللغة الفارسية ثم عربته الأستاذة نجاة العماد وقد تناول فيه المصنف الدور الذي اضطلعت به قبائل اليمن في مساندة آل البيت والدفاع عن حقوقهم طيلة القرن الأول الهجري. والكتاب رغم أنه يتقاطع مع موضوع البحث إلا أن وظيفته الأيديولوجية بوصفه من المصنفات التي تأتي لغرض خدمة مذهب محدد تخرجه من دائرة الأعمال الأكاديمية الحرة وتجعله يفتقر الى الحد المطلوب من الموضوعية، وهذا لا يعني تقليلا من جهد المؤلف وعمطا لحقه.

. خطط الكوفة وشرح خريطتها للويس ماسينيون: وهي دراسة موجزة للمستشرق الفرنسي المعروف، وتأتي أهميتها من كونها احدى الدراسات الحديثة الجادة والمبكرة في موضوع الكوفة وقبائلها، وصارت بذلك عملا كلاسيكيا اعتمد عليه كل من درس الكوفة وجغرافيتها وخلفيات أهلها السياسية. وقد عرف عن ماسينيون اطلاعه الواسع والعميق في المصادر الإسلامية التي كان يصل إليها بواسطة شبكة علاقاته الكبيرة في العالم الإسلامي.

. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام الى سقوط الدولة الأموية ليوليوس فلهوزن: ويعتبر فلهاوزن من البحاثة الألمان الذين اشتهروا في ميدان دراسات الكتاب المقدس والتاريخ الإسلامي، ومصنفه هذا وضعه في تاريخ صدر الإسلام الى غاية سقوط الدولة الأموية وهو مكتوب بسرد رصين يدل على احاطة المؤلف بتفاصيل هذه الحقبة. وقد انتفعت بطريقته في سرد الوقائع والأحداث التي تأتي مشوشة في المصادر.

المشاكل التي تعرض لها البحث:

لعل أهم المشكلات التي صادفتني في مشوار البحث هي صعوبة استيعاب الأنساب الغريبة في تداخلها وتشابه أسمائها؛ ناهيك عن الاختلافات التي تقع في مصادر النسب حول أصول القبائل وشجرتها الاثنية وطول سلسلة الآباء والأجداد في مصدر وقصرها في مصدر آخر. قد صرفت وقتنا في محاولة استيعاب ما يتطلبه البحث منها. كذا ندرة الأعمال التي تناولت هذا الموضوع وسطحية جل الأعمال التي اقتربت منه وأغلبها كان عبارة عن مقالات ودراسات سريعة.

وفي الأخير لا يسعني الا ان أسوق شكري الى كل من آزرني في بحثي وخصوصا الأساتذة: سيف بقاص واحمد بن خيرة ومحمد حركات، والى موظفي المكتبة الوطنية بتونس.

الفصل الأول

استقرار القبائل اليمينية في الكوفة ومساهمة عناصرها في الثورة على عثمان 17هـ
. 34هـ / 638م . 654م

الفصل الأول: استقرار القبائل اليمنية في الكوفة ومساهمة عناصرها في الثورة على عثمان 17هـ . 34هـ / 638م . 654م

منذ البدايات الأولى للدعوة المحمدية كان الإسلام محل نظر ورهانات من قبل القوى القبلية المجاورة لمكة والقوى الأخرى التي كان رؤساؤها وتجارها يقدون على البيت العتيق لشتى الأغراض خاصة في الفترة التي كان النبي يعرض فيها نفسه على القبائل يبحث عن يتبنى الدين الجديد بعد أن تأكد رفض القيادات القرشية له¹. ولم يغب عن نظر النابحين منهم خطورة الإسلام وأهميته حيث حفظت لنا بعض الروايات على نزرها أصداء ذلك وظل بعض رؤساء القبائل مترددا بين المغامرة في الدخول في الدين الجديد وبين البقاء على الولاء لقريش التي كان بيدها مفتاح التجارة العربية آنذاك. لكن أنصار المدينة حسموا الأمور بمبادرتهم التاريخية وعرضوا على النبي وأصحابه القدوم عليهم. لا نملك معطيات كافية تحيط بالوضع التاريخية الحقيقية التي كانت تمر بها يثرب التي دفعت رجالا مهمين من الاوس والخزرج الى مثل هذا الاقتراح مع ما يؤديه من فتح جبهة صراع مع قبيلة قريش التي كانت تعتبر حليفا لهم. لكن تجارب تاريخية مشابهة حدثت في تاريخ الإسلام تجعلنا نتحسس طموحا كان يساور قيادات يثرب في لعب دور مهم على ساحة العرب فكانت صفقتهم صفقة ريحة.

انتقل النبي الى يثرب التي صارت المدينة باسم جديد يشير الى بداية عهد جديد وانتقل معه أصحابه الذين أسلموا في مكة وهم المهاجرون وسيتمسى مسلمو المدينة بالأنصار تحت رقابة عيون القيادات القبلية التي لم تتلاقى مصالحها مع مشروع النبي وتحت أنظار الجماعات اليهودية المرتابة؛ ومن ثمة سارع هؤلاء الرافضين لوجود النبي وأصحابه الى توثيق علاقاتهم مع قريش مراهنين على قوة رجالها ومكانتها بين العرب وأخذ تاريخ المواجهة بين النبي واعدائه منعطفًا جذريا منذ معركة بدر حيث انفتح الصراع على خيار القتال الذي استمر حتى تم للجماعة الإسلامية فتح مكة وإخضاع قريش ومن جاورها للإسلام.

هذه المقدمة ضرورية لأجل استعادة الجذور الأولى التي قامت عليه الدولة الإسلامية فيما بعد ولأجل فهم ما الذي عناه الدين الجديد للعرب الموصوفين بالوثنيين حتى قبله من قبله منهم ورفضه من رفضه؛ خاصة اهل الشرف والرئاسة

¹ قال علي: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان عالماً بأنساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة، فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من ربيعة. ..يا هذا إنك قد سألنا أي مسألة شئت فلم نكنمك شيئاً فأخبرنا من أنت. فقال أبو بكر: من قريش: فقال: يخ بخ. أهل الشرف والرياسة فأخبرني من أي قريش أنت. قال: من بني تميم بن مرة. قال: أئمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان له مجمع. قال أبو بكر: لا. قال: أئمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر:

عمرو العلي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عحاف

قال أبو بكر: لا. قال: أئمنكم شيبه الحمد الذي كان وجهه يضيء في الليلة الداجية مطعم الظير. قال: لا. قال: أئمن المضيفين بالناس أنت. قال: لا. قال: أئمن أهل الرفادة أنت. قال: لا. قال: أئمن أهل السقاية أنت. قال: لا. قال: أئمن أهل الحجابة أنت. قال: لا. قال: أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشرف قريش. عمر بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1432هـ، ص132.

منهم فيبدو أن الأمر كان أكبر من مجرد قضايا الاعتقاد في الأصنام من عدمها وإنما ما عنته الأصنام على صعيد بناء السیادات والرئاسات داخل قبائلها مما يعني أن منظومة الجاهلية السياسية والاقتصادية كانت محكومة ومعززة بالصنم وان الأصنام كانت تدخل في صميم بنية النظام الجاهلي كنظام للحياة العربية يعطي لرئيس العشيرة والكاهن والسوق والكعبات قوتها الاجتماعية ومن ثمة سلطتها؛ خاصة بعد إيلاف قريش الذي ربط جزيرة العرب من جنوبها إلى شمالها بأواصر المصلحة التجارية التي وجدت فيه كثير من العشائر العربية متنفسها الاقتصادي وتحولت فيه قريش إلى قبيلة الإله لمساهمتها الأساسية في بناء هذا الحلف¹ لأن قريش لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم وبذی الجحاز وسوق عكاظ وفي الأشهر الحرم، لا تبرح دارها ولا تتجاوز حرمة الحرم للتحمس في دينهم والحب لحرمهم والإلف لبيتهم ولقيامهم لجمع من دخل مكة بما يصلحهم، وكانوا بواد غير ذي زرع، فكان أول من خرج إلى الشام ووفد إلى الملوك وأبعد في السفر ومر بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله؛ هاشم بن عبد مناف، وكانت له رحلتان: رحلة في الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم من ملوك الحبشة ورحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم وكان يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين: إحداهما أن ذؤبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات وطلاب الطوائف كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم، والخصلة الأخرى أن أناسا من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدرا كبنی طيء وختعم وقضاعة وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له²؛ الأمر الذي يتجلى في المعاني الرمزية لعدد الأصنام التي كانت تحيط بالكعبة حيث كان كل صنم يمثل قبيلته هناك. كان هذا النظام يرضي القوى المنتفذة المستفيدة لكنه لم يكن نظاما يرضي أحلام من يتطلع إلى أن تخرج الجزيرة العربية من الدور التاريخي الهامشي إلى

¹ ومعنى الإيلاف: إنما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الريح، ويحمل لهم متاعا مع متاعه، ويسوق إليهم إبلا مع إبلة ليكفيهم متونة الأسفار، ويكفي قريشا متونة الأعداء، فكان ذلك صلاحا للفرقتين؛ إذ كان المقيم راجعا والمسافر محفوظا. فأخصبت قريش وأتاهما خير الشام واليمن والحبشة وحسنت حالها وطاب عيشها. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 116.

ومن شرفها أنها كانت لقاحا لا تدين لدين الملوك ولم يؤد أهلها إتاوة ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان، تخرج إليها ملوك حمير وكندة وغسان ولحم فيدينون للحمس من قريش ويرون تعظيمهم والافتداء بآثارهم مفروضا وشرفا عندهم عظيما، وكان أهله أمنين يغزون الناس ولا يغزون ويسبون ولا يسبون ولم تسب قرشيّة قط فتوطأ قهرا ولا بجبال عليها السهام، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء فقال بعضهم:

أبو دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أجاوبا

أبو عبد الله شهاب الدين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، 1995م، ج5، ص 183. قال الأصفهاني في كتاب أفعال في الأمثال: "وساد الأربعة من أولاد عبد مناف: هاشم وعبد شمس ونوفل والطلب بعده، ولم يسقط لهم نجم، وجبر الله بهم قريشاً فقيل: "أقرش من المجرين"؛ لأنهم كانوا سببا في جبر قريش، والتقرش: التجمع، وذلك بالإيلاف الذي صنعوه، وفدوا على الملوك بتحائرتهم، فأخذوا منهم لقريش العضم، فأخذ لهم هاشم جبلا من ملوك الشام حتى احتلفوا بذلك السبب إلى أرض الشام وأطراف الروم، وأخذ لهم عبد شمس جبلا من النجاشي حتى احتلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نوفل جبلا من ملك الفرس حتى احتلفوا بذلك السبب إلى أرض العراق وبلاد فارس، وأخذ لهم المطلب جبلا من حمير حتى احتلفوا بذلك السبب إلى بلاد اليمن وقيل فيهم: "أوفد من المجرين" لكثرة وفادتهم على الملوك. قال صاحب الكمائم: كانت قريش قد انقطعت عند البيت، وكانت العرب التي حولها تتمهم من الخروج في طلب المعاش، ولم يكن لهم عيش إلا ما يأتي الموسم أيام الحج. فلما نشأ بنو عبد مناف المذكورون أخذوا العرب بالسياسة والمهاداة إلى أن انقادوا لهم، وفتحوا الطريق لسفارهم حيث شاءوا، فاخترعوا الإيلاف الذي ذكره الله عز وجل، فقال: "الإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف" (السورة)، وقد تقدم في تاريخ خزاعة مدح مطرود الخزاعي لهم بذلك." ابن سعيد المغربي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ت نصرت عبد الرحمن، د ط، مكتبة الأقصى، الأردن، د ت، ص 328.

² الثعالبي، المصدر السابق، ص 116

أن تتنفس في التاريخ لذلك كثيرا ما كان النبي . حتى في أحلك الأوقات . يتذرع بالوعد والأمل بامتلاك كنوز كسرى وقيصر¹ .

عجلت المواجهات التي ظلت تحدث بين النبي وقريش وحلفائها في انتشار صيت النبي وأصحابه في اصقاع الجزيرة العربية، وإثر كل انتصار كان يحققه على قريش كانت الدعوة تنتشر وتلقى آذانا بين مؤمن بالدين الجديد وبين متطلع يبحث عن موقع في المعادلة الجديدة، وهكذا بدا الناس يدخلون في الدين جماعات ووحدا. وعبر مخاض الصراع الذي خاضه النبي وأصحابه أخذت الدولة الإسلامية تتشكل وتتضح معالمها ومن خلال الغزوات التي بدأت تستهدف خارج الجزيرة العربية أخذ يتبلور أفق جديد دل على تطلعات وطموحات بعيدة أظهرت النبي كقائد يختلف عن طينة الأنبياء الآخرين وأن رسالته الدينية تضم انبعاتا تاريخيا لمجموعات بشرية لم تغلح في لم شعنها وجمع متفرقها وأخذ الأذكيا من العرب يرون الوعد كما راوا أيضا الطريقة والنموذج؛ الأمر الذي تظهره دعاوى النبوة التي أخذت تظهر في أماكن متفرقة من جزيرة العرب على اثر وفاة النبي طمعا في ميراثه السياسي . لقد التقطوا الرؤيا السياسية لكنهم افتقدوا الايمان .

توفي النبي قبل ان يتم مشروعه؛ خاصة وأنه لم يمت حتى شهد بدايات المتنبئين كمسيلمة والأسود العنسي ولم يقدر له إتمام ما بدأه من استهداف الأطراف الشمالية للجزيرة العربية بواسطة جيش أسامة محررا إياها من الهيمنة الرومية، ولم تدخل اعراب الجزيرة العربية الإسلام كما يتمناه النبي من قومه أو دخل جلهم الإسلام لكنهم لم يؤمنوا بعد، لكنه استطاع ان يري خاصة أصحابه ما كان يراه، وبناء على ذلك الوعد تصرفوا بعد موته. وكان فتح مكة علامة انتصار المنظومة الجديدة، أما من الناحية العملية فان الأوضاع داخل الجزيرة لن تعود كما كانت ومن يبحث عن موضع قدم في ذلك الفضاء لن يتأتى له خارج المنظومة الإسلامية، لن يمر خارج رسول الله وأصحابه، من ثمة غدا الإسلام قدرا لمن يبتغي الهدى أو يبتغي السلطة. لقد انبثق الى وجود الجزيرة نظام جديد ألغى النظام القديم وبالتالي ألغى تراتبياته وسيادته وسلطاته، وأن مقولة الإسلام يجب ما قبله لا تنحصر في المعنى الديني المتعلق بالسماء فقط وانما جب ما قبله على جميع المستويات والأصعدة. لقد حول النبي المدينة الى عاصمة حقيقية بواسطة مبدأ الهجرة حيث كان قدوم المؤمنين الجدد الى المدينة أمرا لازما الا لمن كان يمتلك اذنا شرعيا أي مبررا مقنعا مما يعني من الناحية السوسولوجية أن المدينة كانت مختبرا حقيقيا لمشروع التوحيد، والمجتمع الذي تشكل فيها كان عينة عملية لما كان يريد النبي توسيعه وتعميمه؛ أي أن تتحول الجزيرة العربية وما جاورها مدينة واحدة . وهذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون . أن يتحول قاطنوا الجزيرة الى المدينة

¹ وفي الحديث عن عبد الله بن حوالة قال: كنا عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فشكوا إليه الفقر والعري وقلة الشيء فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أبشروا فوالله لانا من كثرة الشيء أخوف عليكم من قلته، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح أرض فارس وأرض الروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة: جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن وحتى يعطى الرجل مائة دينار فيسخطها، قال ابن حوالة: فقلت يا رسول الله من يستطيع الشام وفيه الروم ذات القرون؟ فقال، صلى الله عليه وسلم: والله ليستخلفنكم الله فيها حتى تظن العصابة منهم البيض قمصهم الخلوقة أفضأهم قياما على الرجل الأسود ما أمرهم به فعلوا، وإن بما اليوم رجلا لأنتم اليوم أحقر في أعينهم من القردان في أعجاز الإبل، قال ابن حوالة: قلت اختر لي يا رسول الله إن أدركني ذلك، فقال: اختر لك الشام فإنها صفوة الله من بلاده وإليها يجي صفوته من عباده يا أهل الإسلام فعليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض الشام فمن أبي فليلحق يمينه وليسق بعذره فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 314.

حتى اذا ضاقت بهم يعودون الى مراتبهم بشرا آخرين أو يصنعون في مواطنهم ما صنع النبي في المدينة تتحول المدينة الى نموذج معيار للتمدن.

تحقق الانقلاب الشامل ليشمل كل المرجعيات فلا سيادة لسيد على قومه دون إقرار النبي وخلفائه ولا نشاط يتم دون العودة الاستثنائية لسلطان النبي وخلفائه وذلك هو معنى الدولة التي تجمع وتوحد وتنظم ومن ثمة تصنع التاريخ؛ كان واقعا لم تشأ السلطات التقليدية قبوله فجاءت الردة محاولة أخيرة بادرت اليها القوى التقليدية في محاولة منها لاستعادة سلطانها القديم وفي بعضها الآخر عبرت عن طموح بعض القيادات التي فهمت مغزى مشروع النبي سياسيا ولم تستوعب جوهر رسالته الأخلاقية الدينية بمعناها الإيماني أي أنها ادركت المغزى السياسي للإسلام دون المعنى المعاملاتي لكنها في محاولتها اختراع الرموز عجزت عن ابداع نص كالقرآن¹. وبمزمجتها اللاحقة انطفأ كل أمل في بعث ماضي الجاهلية وانخرط الجميع في طور جديد، وأصبح الإسلام أمرا واقعا ودولته هي الدولة التي لا مناص من التسليم بها بل المسارعة الى اعلان الولاء لها كما تبينه الوفود التي تسارعت الى المدينة تبسط ندمها واعتذاراتها أمام الخليفة ابي بكر وتطلب الصفح والمغفرة وتعد بالولاء والنصرة². من دخل أولا في الإسلام سيصير أولا ومن أتى آخرا سيظل آخرا ومن الذي سيرفض هذه المعادلة سيعمل على اثاره الفتنة في أزمنة لاحقة.

لقد انبثقت الدولة الإسلامية الرسمية في سياق المعارك والفتوح في خلافة عمر على قاعدتها الاجتماعية التي مثلها العرب وبواسطة الإسلام كإيديولوجيا، وسارع عمر الى تصفية الجزيرة العربية من بقايا الديانات الأخرى تحت شعار: لا يبقى في جزيرة العرب دينان³، رغم ان الإسلام ينص على حرية الدين وضمان حقوق اهل الذمة، مما يدل على أهمية الرهان السياسي في مثل هذه القرارات حيث كانت الظروف تحتم على الأمير مراعاة أقصى ما يستطيع من التجانس الأيديولوجي بقاعدته الاجتماعية التي هي ذاتها جنده وعسكره حتى يتم منجزه التاريخي. فالعرب مادة الإسلام ولا ينبغي للعربي ان لا يكون مسلما وجزيرة العرب مجالها الجغرافي فلا ينبغي أن يتوطنها غير مسلم⁴.

¹ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ يُقَالُ لَهُ: قَيْسُ بْنُ نَشِيْبَةَ فَسَمِعَ كَلَامَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَابَهُ وَوَعَى ذَلِكَ كَلَهُ، وَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ بَنِي سَلِيمٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ تَرْجُمَةَ الرُّومِ وَهَيْئَةَ فَارِسٍ وَأَشْعَارَ الْعَرَبِ، وَكَهَانَةَ الْكُهَّانِ وَكَلَامَ مَقَاوِلِ حَمِيرٍ، فَمَا يَشْبَهُ كَلَامَ مُحَمَّدٍ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمْ، فَاطِيعُونِي وَخَذُوا بِنَصِيحَتِكُمْ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ عَامَ الْفَتْحِ خَرَجْتُ بَنُو سَلِيمٍ، فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدِيدٍ وَهُمْ سَبْعُ مِائَةٍ. وَيُقَالُ كَانُوا أَلْفًا وَفِيهِمْ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَانَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَأَسْلَمُوا وَقَالُوا اجْعَلْنَا فِي مَقْدَمَتِكَ. أَبُو الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِ بْنِ كَثِيرٍ، **الْبِدَايَةُ وَالنَّهْيَاةُ**، ت. علي شيري، د ط، دار احياء التراث العربي، 1988م، ج5، ص107.

² وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التبحر. أبو الحسن علي بن الحسين، المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ت أسعد داغر، د ط، دار الهجرة، قم، 1409هـ، ج2، ص299.

³ مالك بن انس الأصبهاني، **الموطأ**، ت محمد مصطفى الأعظمي، ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، 2004م، ج1، ص257. جاء في رواية عبد الرزاق الصنعاني الحديث بالنص التالي: عن معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب: «أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع خبير إلى اليهود على أن يعملوا فيها، ولهم شطرها» قال: فمضى على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وصدر من خلافة عمر، ثم أخبر عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: في وجهه الذي مات فيه: «لا يجتمع بأرض الحجاز أو بأرض العرب دينان»، ففحص عن ذلك حتى وجد عليه الثبوت، فقال: من كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأت به، وإلا فإني مجليكم قال: فأجلاهم. أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني، **المصنف**، ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، 1403هـ، ج4، ص125.

⁴ عن معمر، عن قتادة، أن عمر بن الخطاب، حين طعن قال: أوصي الخليفة من بعدي خيرا، وأوصيه بالمهاجرين خيرا، أن يعرف حقوقهم، وأن ينزلهم على منازلهم، وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل خيرا، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئتهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فأنهم ردة الإسلام، وغيظ العدو، وبيت المال، ولا يرفع فضل صدقاتهم إلا بطيب

لم يعد للعرب في جزيرتهم مفر من الإسلام بما أن المرتدين قوتلوا حتى فاقوا إلى أمر الله، ومن لم يسلم قبل ذلك ولم يقاتل لم يجد مناصا من الالتحاق بركب السابقين، تحول الإسلام قدرا عربيا لا يجد عربي في الجزيرة قدرة على العيش خارجة¹؛ ولما تحققت انتصارات المسلمين في العراق والشام وتتابعت عوائدها صار الإسلام قدرا اقتصاديا أصبح عزا للعرب كما تصف الروايات. لقد فتح أفقا وحيدا وعظيما للعناصر العربية التي ظلت مشغولة بتفاهاتها وصراعاتها على سقط العيش فحول قواها الحيوية باتجاه التاريخ لذلك لم تجد بقية العشائر مناصا من الالتحاق بمن سبقها. لقد جب الإسلام ما قبله وأعاد تنظيم الحياة العربية بمجملها على أصول وقواعد جديدة وضمن قيم جديدة فزعزع النظام القديم الذي تأسست عليه الحياة في مرحلة الجاهلية وغير في شروط السيادة والسلطة والوجاهة؛ رفع أقواما وخفض آخرين وقدم رجالا كانوا نكرات وأخر آخرين كانوا سادة، وفرض منظومته القيمية التي تعززت مصداقيتها بانتصاره عليهم ثم على الروم وفارس. هذه الملابسات التاريخية هي التي وقفت خلف ظهور التشيع بوصفه . بداية . حركة التغاف عسكري سياسي إلى جانب الامام علي ثم تطور بعد ذلك في ظل ظروف أخرى إلى اتجاه عقدي وفكري سياسي.

لقد اختلف المؤرخون في تحديد الدوافع التي حركت جيوش المسلمين العرب لخوض مغامرة الفتوح ولم يسلم نقاشهم من التحيز بحسبان المسألة من القضايا التي خضعت للتوجهات الأيديولوجية. وهذه طبيعة كل النقاشات التي يكون الدين وتاريخه ورجاله موضوعها؛ حيث ينزلق البحث عادة من الاستهداف الموضوعي للحقيقة إلى اشكال من التبريرات والمراوغات بغية التملص من مواجهة ما لا بد من مواجهته. في هذا القطاع من التحريات تحضر الانتماءات ذات الطبيعة العاطفية بقوة وتجعل محاولة القبض على الحقيقة محاولة مرهقة. لكن الذي لا شك فيه أن المغامرة أسفرت عن نجاحات مذهلة وصفها أحد رجالات الفرس بأنها قدر مقدور لا مناص من تجنبه وقضاء استحقتة سياساتهم الرديئة. واستولت جيوش العرب المسلمين على الميراث الساساني والبيزنطي في المنطقة العربية ابتداء؛ ثم ما جاورها من البلاد حتى السند شرقا والأندلس غربا في عهد بني امية. لقد كانت اكتساحا تاما مسح السلطات القديمة وأقام بدلا عنها سلطة العرب المسلمين. وفيما كانت الجيوش والألوية تتقدم باسم الله فارضة على الشعوب والحكومات منطقتها وشروطها؛ كان لتقدمها عوائده المادية التي ظلت تتنامى وتتضاعف مع كل انتصار تم تحقيقه منذ حروب الردة. فلم يكن للانتصارات التي كان يحرزها النبي داخل الجزيرة العربية عوائد مادية مهمة بقدر ما كانت فوائدها سياسية واستراتيجية بالدرجة الأولى؛ ولم يعرف المسلمون في حياة النبي ذلك الدفع من الأموال الثابتة والمنقولة التي تحثي حثيا أو تكال كيلا على حد تعبير

أنفسهم، وأوصيه بأعراب البادية، فأغم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن تؤخذ صدقاتهم من حواشي أموالهم، وترد على فقرائهم، وأوصيه بأهل الذمة خيرا، ألا يكلفهم إلا طاقتهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن يفى لهم بعهدهم. معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، الجامع، ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، 1403هـ، ج11، ص109

¹ تأمل الحديث الوارد في مسند الشافعي: أخبرنا: إبراهيم بن أبي يحيى، عن عبد الله بن دينار، عن سعد الفلجحة مولى عمر رضي الله عنه أو ابن سعد الفلجحة أن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: ما نصارى العرب بأهل كتاب وما يحل لنا ذبائهم وما أنا بتاركهم حتى يسلموا أو أضرب أعناقهم. محمد بن ادريس الشافعي، المسند، ت محمد عابد السندي، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1951م، ج2، ص175

عمر¹. سواء كانت الغنيمة هدفا قصده المسلمون لما تأهبوا للخروج أو جاءت عرضا فان الثابت أنها تحققت وتحولت أمرا واقعا وتحولت أساسا انتظمت عليه الحياة الاجتماعية العربية الإسلامية بعد ذلك. جاءت الغنائم كنعمة حلت على المسلمين بعد مرارة الشظف والمسغبة وستتحول فيما يأتي من الأيام الى شوكة أدمت الكيان الموحد وزرعت داخله بذور الانقسام والشتات².

عقب نجاح الفتوح في الشام والعراق وبعد ان جبي عمر الخراج بادر الى فرض العطاء، ونظمه على أساس معيار القرابة من رسول الله والسابقة في الإسلام وجعل من الغزوات الأولى مرجعا للسابقة ففرق بين من شهد بدرا ومن لم يشهدها ثم من هاجر الى المدينة قبل فتح مكة ثم من أسلم زمن الفتح. وتوالى التقسيم شاملا من شهد الأيام ثم القادسية ثم من ردف بعدها وهكذا. لقد اختلفت الروايات في بعض تفاصيل هذه القسمة ومقادير المال التي أخذها مستحقوها لكن المعيار العام الذي انبنى عليه التصنيف والتوزيع كان هذا. فبدأ بزوجات النبي على رأسهن عائشة ثم فرض لعلي ومن بعده لبني هاشم ممن شهد بدرا نصيبا واحدا وتابع قرابة النبي الأقرب فالأقرب ثم ثنى بالأنصار فبدأ بقوم سعد بن معاذ الأشهلي من أوس وقرابته وانتهى الى بقية من احصاهم الديوان بترتيبهم حسب سابقتهم في الإسلام وتابع عمله شاملا حتى أبناءهم وغلمانهم وحلفاءهم³.

من الواضح ان قرار الترتيب والتفاضل في العطاء كان اجتهادا من عمر ابتدر به مخالفا سنة أبي بكر الذي كان يرى التسوية فيه بين جميع المسلمين فاحتج عمر على من ذكره بصنيع ابي بكر بقوله: لا أجعل من قاتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمن قاتل معه. ومن ثمة فقد صارت للقيمة الدينية وتاريخها معاويا ماديا ماليا؛ الأمر الذي يدل على حدوث ارتباط غريب بين الديني والدنيوي؛ فالأسبق والأقدم تدينا والأسرع الى خدمة الدين صار هو الأغنى والأثرى والأفضل دنيويا. كان اجتهادا من عمر وجد من بين صحابة النبي من انتقده واستهجنه⁴. لكن يبدو أن سياقات الاحداث التي انخرط فيها المجتمع الإسلامي وما نتج عنها سياسيا أقحمته في خيارات وقرارات سيكون لها تبعاتها في المدى القريب والبعيد. لأن الانتقال السريع الذي تحول به المجتمع العربي من حالة الخمول التاريخي الى الاستخلاف على

¹ قدم على عمر من البحرين. قال أبو هريرة: فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس. قال: هل تدري ما تقول. قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم. قال: ماذا تقول. قال قلت: مائة ألف. مائة ألف. مائة ألف. مائة ألف. حتى عدت خمسا. قال: إنك ناعس فارجع إلى أهلك فم إذا أصبحت فأني. فقال أبو هريرة: فعدوت إليه. فقال: ماذا جئت به. قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم. قال عمر: أطيب. قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك. فقال للناس: إنه قد قدم علينا مال كثير فإن شئتم أن نعد لكم عددا وإن شئتم أن نكيله لكم كيلا. ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي، الطبقات الكبرى، ت محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م. عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: قال عمر بن الخطاب: لأزيدنهم ما زاد المال، لأعدنهم لهم عدا، فإن أعيان كلته لهم كيلا، فإن أعيان حسوته بغير حساب. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البأذري، أنساب الأشراف، ت سهيل زكار وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1996م، ج10، ص353

² زهير هوارى، السلطة والمعارضة في الإسلام، بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م، ص149

³ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص230. 232. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ، ج3، ص613. 615

⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص225. أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الأحكام السلطانية، د ط، دار الحديث، القاهرة، د ت، ص299. أبو يعلى محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء، ت محمد حامد الفقي، الأحكام السلطانية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص238. ابن إبراهيم، الإسلام والسلطان والملك، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، 1998م، ص207. 210. زهير هوارى، المرجع السابق، ص165

مقدرات الامبراطوريتين والتصرف في الثروة العالمية كان أشبه بطفرة لم يقدر لها أن تتحقق بتأني وببطء وبالتالي لم تأخذ حقها من النضج التاريخي ولم يكن هضمها واستيعابها سهلاً؛ الأمر الذي ستتضح تداعياته في سنين قليلة. لم يجد عمر معقولة في المساواة بين من ناصر الدين ومن عاداه وبين الضحية وجلادها وبين من أسلم إيماناً واحتساباً ومن أسلم خوفاً ورهبة ثم رغبة بعد ذلك فبني توزيع الثروة على هذا المنظور. على أن بعض الروايات تشير إلى أن عمر قد ساورته الشكوك حول صواب منحاه وتمنى لو أنه اتبع سياسة أبي بكر في ذلك¹.

ما بين الردة والأيام تبدو الحرب خاطفة وإيقاعها متوتر لاهث حيث انخرطت القيادات الإسلامية في ورشة تدبير وتخطيط من أجل اكتساح الأقاليم المجاورة للجزيرة العربية وانتزاعها من قبضة أعدائها مستغلة الضعف الذي ناء بالامبراطوريتين بعد أن أنهكهما النزاع المرير. في الوقت الذي حسمت القيادة في المدينة قرارها بالدخول في مغامرة الفتوح تغير تاريخ الإسلام إلى الأبد وذلك لأن الجسد الاجتماعي للإسلام الذي كانت نواته مقيمة في المدينة ومكة والطائف وما جاورها وبعض المناطق في الجزيرة العربية سيتحول إلى خارجها إلى الأقاليم المجاورة للجزيرة العربية التي ستأخذ مسمى الأمصار مما يعني أن القوة الديموغرافية التي تصنع السياسة وتوجهها ستكون خارج العاصمة الرسمية للدولة الإسلامية وسيقلص نفوذ المدينة تدريجياً كلما استتب الاستقرار في الأمصار؛ حتى تنفلت منها القيادة السياسية تماماً عندما تركها علي متجهاً إلى الكوفة ليتمكن من إدارة صراعه مع منافئيه. إن استقرار الفاتحين خارج المدينة بل خارج الجزيرة العربية كان ناتجاً من نتائج الفتوح لكننا لا نملك معلومات دقيقة عما كان يدور بخلد القيادة الإسلامية في المدينة بشأن المستقبل الاستيطاني للجموع التي غادرت مزارعها وتحولت برمتها إلى مجالات جغرافية بعيدة وغريبة؛ إذ إن من بين خصوصيات الفتوح الإسلامية أن الجند الذي خاضها لم يكن مجرد عناصر مقاتلة محترفة مأجورة حال الامبراطوريات والدول التقليدية، وإنما كانت الرعية هي ذاتها الجند وكان معسكر المقاتلين يتحول بسرعة إلى مجتمعاً شبه مستقر في حال هداً الحراك العسكري. فخروج المقاتلين بعوائلهم وذرائعهم يبدو أشبه بهجرة مقصودة، على الأقل تكشف عن أنهم كانوا يتوقعون أن غيبتهم عن مواطنهم ستطول. نضع هذا الفرض في ظل غياب تفاصيل ما كان يدور لدى قيادة المدينة في هذا الشأن، لأن الروايات المتوفرة لدينا فيما يخص هذه المسألة ليست كافية لرفع اللبس. ففي ظل روح المسؤولية العالية التي اتسم بها خلفاء النبي أبي بكر وعمر والتي تجلت في تفاصيل تسييرهما للأمر لا نتوقع أنهما بادرا إلى قلع قبائل بأكملها من مضاربها ومن نظم حياتها القديمة ودفعاً بها إلى فضاء المجهول إلا إذا كانا يملكان معطيات كافية تمنحهما

¹ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: والله لئن بقيت إلى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم رجالاً واحداً. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص229. ج10، ص351

الطمأنينة، وهذه المعطيات تكاد تكون مفقودة فيما بين أيدينا من المصادر؛ لذلك ظل تاريخ تلك الفترة محل غموض وتشويش كبيرين¹.

لقد وفرت الانتصارات التي حققتها الحملات الإسلامية في بلاد العراق والشام للقيادة في المدينة عناء الاريك الذي كان سيحصل لو منيت بالفشل؛ فانفتح بذلك فضاء تاريخي جديد وامكانيات جديدة للقبائل المهاجرة التي استقرت في الأمصار وفق ترتيبات خطوية منظمة، على أنه منذ البدايات كان الاختلاف بين الاقليمين الشامي والعراقي واضحا من حيث طرق معالجة وضع المقاتلة والمهاجرين فيهما وكيفيات التوطين والإسكان، وذلك يعود لأسباب مناخية وديموغرافية تخص الإقليمين؛ اذ وجد المقاتلون الذين اشتغلوا على منطقة الشام بعد جلاء البيزنطيين أنفسهم في بلاد جاهزة للاستقرار بسبب فرار كثير من النبلاء وكبار الموظفين والأثرياء وكثير من الرعايا الى بيزنطة وغيرها وتركوا دورهم وأملاكهم شاغرة، أما في منطقة العراق فقد حدث خلاف ذلك حيث فضل الدهاقين من ملاك الأراضي والفلاحين البقاء مرتبطين بأراضيهم تحت سلطة الحكم العربي الإسلامي، كما كانت الظروف المناخية سببا في رفض المقاتلة الاستقرار في بعض المدن العراقية لوخامتها؛ إضافة الى أن استراتيجية الفتوح فيما بين الشام والعراق اختلفت بسبب ضيق المجال الشامي القابل للفتح على عكس الامتداد الجغرافي في العراق المفتوح على أقاليم واسعة وامكانيات مالية كبيرة؛ الدافع الذي أغرى القيادة في المدينة بالاستمرار في الإبقاء على الجاهزية العسكرية مرتفعة لدى جندها في العراق، والحيلولة دون وقوع عناصر الجيش في اغراءات الاستقرار والتوطين المفضيان الى الدعة والخمول².

على ضوء هذه الظروف صار لزاما على عمر وقادته التفكير في خيارات توطينية بديلة تستجيب للمخططات المرصودة للمقاتلين في الجبهة العراقية وقادهم البحث عن شروط جغرافية ومناخية ملائمة الى العثور على موقع الكوفة التي ستصير المصر العروبي بامتياز بالنظر الى خصائصها الجغرافية وطبيعة العناصر العربية التي سكنتها.

1. القبائل اليمينية الكوفية من مضاربها باليمن الى مستقرها بالكوفة:

أ. القبائل اليمينية في مضاربها الأولى

تستند أهمية القبائل اليمينية في تاريخ الإسلام الباكر سواء في العراق أو الشام الى مساهمتها في صياغة ملامح الدولة والمجتمع الإسلاميين؛ خاصة في الفترة التاريخية التي تلت حركة الردة وانخراط العرب كافة في الإسلام حيث أغنى الميراث الثقافي اليمني القديم تجربة المجتمع الإسلامي في مختلف الأمصار؛ على اعتبار السبق والعراقة التي حظيت بها العناصر

¹ فالج حسين، بحث في نشأة الدولة العربية الإسلامية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010م، صص 106 . 108. عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م، صص 15 . 17.

² محمد عبد الحفي محمد شعبان، صدر الإسلام والدولة الأموية، د ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، صص 50 . 58.

اليمنية في مضمار التمدن والحضارة وتجذرها في تقاليد الملك¹، فقد شهد تاريخ اليمن ممالك ودول تترس أهلها في ظلها بالحياة المدنية واشكال من التنظيم الاجتماعي واعتناء بأنماط الحياة الحضرية؛ وذلك لأن الممالك التي قامت في جنوبي شبه الجزيرة كانت أكثر ثباتاً واستقراراً وأقل اعتماداً على الظروف العارضة من الإمارات والممالك الشمالية؛ فضلاً عن الكيانات البدوية العشائرية في الوسط. فبينما كانت الإمارات الشمالية تقوم في المناطق الصحراوية وتعتمد أساساً على تجارة العبور التي تعتمد على الموقع التجاري وعلى التوازن الدولي بين القوى الكبيرة المتصارعة في شرقي شبه الجزيرة وغربيها؛ وهو أمر ظل مرهوناً للموازنات السياسية الكبرى، في حين نجد أن الأساس الذي قامت عليه ممالك الجنوب يختلف عن ذلك اختلافاً جذرياً، فقد عرفت هذه الممالك الجنوبية مساحات ممتدة من الأراضي الخصبة وقدراً كافياً ومنتظماً من الأمطار الموسمية الغزيرة، فضمن ذلك لها قاعدة اقتصادية زراعية مستمرة حتى أن مزارعيها لم يكونوا يكتفون بالأراضي السهلية في زراعتهم وإنما عمدوا إلى المدرجات التي يسوونها على جوانب الجبال واستخدموها في الزرع²، كما توفرت لنشاطها التجاري بعض من شروط الاستقرار والديمومة؛ فلم تكن تجارتهم مثل نظيرتها في الشمال مجرد تجارة عبورية تعتمد على بقاء الخطوط التجارية وتحتل إذا أصاب هذه الخطوط أي تغيير أو تعديل في مسارها، وإنما هي تجارة أصلية، كان الجزء الأكبر من مقوماتها وموادها الأولية متوفر في البلاد، وإلى جانب هذا فموقع هذه الممالك في جنوبي الجزيرة كان يجعلها بالضرورة على نقطة الانطلاق من بداية أية طريق برية نحو الشمال، كما أعطاها موقعها عند ملتقى البحر الأحمر والمحيط الهندي ميزة مضاعفة في مجال الخطوط التجارية، فالخطان البري والبحري موجودان، وإذا انتعش أحدهما على حساب الآخر فإن هذا لا يدفع بها خارج الدورة الاقتصادية³. لكن الممالك في اليمن فقدت قوتها السياسية منذ مطلع القرن السادس الميلادي إذ عصفت بها رياح السياسة الدولية التي كان يمسك زمامها الأكاسرة والقيصرة لأمر تتعلق بالتجارة وانتهى بها المطاف إلى الخضوع للحبشة على إثر التوجيهات التي أرسلها قيصر الروم إلى الأحباش النصرانيين⁴، فانتهت بذلك سلطة الحميريين زمناً حتى نهض سيف بن ذي يزن واستعان بكسرى لدحر الأحباش، فأجابه إلى طلبه وأرسل معه جيشاً على رأسه قائده وهرز طمعا في الضغط على الدولة البيزنطية المتحالفة مع الحبشة؛ فتحقق له ذلك وملك سيف على اليمن لصالح الفرس، وأباد العناصر الحبشية التي بقيت هناك بوحشية لكنه ارتكب خطأ حياته باتخاذ بعضاً منهم حرساً فانتهى صريعاً بيدهم، فزالت دولة الحميريين تماماً⁵. وقد استطاع اليمنيون خاصة الحميريون منهم في أيام عزهم أن ينشئوا أو يدعموا كيانات سياسية في شمالي الجزيرة العربية اعتماداً على قبائل يمنية قحطانية نازحة هناك كلخم وغسان وكندة، وهمنا هذه الأخيرة لأن مجال نفوذها امتد إلى داخل الجزيرة العربية. لقد قامت دويلة كندة شمالي

¹ جورجى زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، مطبعة الهلال، مصر، 1922م، ص ص 165 . 166.

² لطفى عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ط2، دار المعرفة الجامعية، دت، ص 354.

³ لطفى عبد الوهاب، المرجع نفسه، ص 355.

⁴ فككور سحاب، أيلاف قریش، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، ص 8.

⁵ جورجى زيدان، المرجع السابق، ص ص 127 . 131. حسين بن علي الويسى، اليمن الكبرى، ط2، مكتبة الارشاد، صنعاء، 1991م، ج1، ص 231.

نجد بين دولتي الغساسنة والمناذرة تحت اماره حجر بن عمرو آكل المرار الذي نصبه حسان بن تبع الحميري، فكانت تدين بولائها للحميريين باليمن وبلغ سلطانتها حتى اليمامة، ووصل ملكها الحارث بن حجر الى الاستيلاء على الحيرة في عهد قباز الفارسي على حساب المنذر بن ماء السماء لكن عهدها لم يطل فقد تضععت بمجرد انحسار النفوذ الحميري ووقوع اليمن بيد الحبشة ولم يبق من ملوكها غير معدي كرب على قيس عيلان وأمراء صغار لهم سيادة على بعض القبائل ورثوها عن آبائهم وربما حكم الواحد منهم بلدا أو واديا وأشهر فروعهم في المناطق التالية: دومة الجندل، البحرين، نجران، غمر ذي كندة وكل منها دويلة صغيرة قائمة بذاتها حتى جاء الإسلام فأزالها. في الوقت الذي ظلت فيه القبائل العربية الأخرى في قلب الجزيرة وشمالها سارحة داخل جغرافيتها الصعبة أو ماكثة في قرى بدوية رافضة أن تتحول الى شكل الدولة، وتفتخر بأنها لقاح لا تخضع لملك ولا تمد الطاعة لسلطان¹.

وفي الوقت الذي ظهر فيه الإسلام كانت غالبية سكان بلاد اليمن قد انتظمت اجتماعيا في أربعة اتحادات قبلية كبرى هي: حمير، مذحج، كندة، همدان، وما خلاها كان تبعا لها بالولاء والحلف، ويتألف تجمع قبائل مذحج من ثلاث قبائل هي عنس، مراد، الحداء، وتعيش في المناطق الشرقية من اليمن، أما قبائل حمير فقد سكنت المناطق الجبلية الجنوبية والهضاب الوسطى، أما همدان تتكون من حاشد وبكيل. وقد شاع لدى المؤرخين تسمية هذه القبائل بالعرب العاربة الباقية تميزا لها عن العرب القديمة البائدة، والقحطانية نسبة الى قحطان في مقابل العرب المستعربة وهم المعديون الذين ينحدرون من ولد معد بن عدنان بن أد، وينسبون أنفسهم الى إسماعيل بن إبراهيم وغالبيتهم سكان نجد والحجاز وشمال الجزيرة العربية. وتجد هذه التفرقة مرجعيتها القديمة في مرويات العهد القديم الذي ورد فيه ذكر قحطان، في حين أن في نصوص القرآن ما يشير الى الأصل الواحد لمجموع القبائل العربية التي خاطبها النص بقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ الحج، الآية 78.

لا نستطيع ان نستوعب طبيعة الأدوار التاريخية التي لعبها عرب اليمن في الكوفة ومن ثمة في تاريخ الإسلام في تلك الفترات المفصلية في تاريخ الإسلام دون تفصيل يطال حياتهم السابقة عن الإسلام في مضاربهم ببلاد اليمن لأنها صاغت كثيرا من خصوصيتهم التي أضفوها على الإسلام تاريخا وثقافة. ولذلك سنتطرق إليها بما يناسب شروط هذه الدراسة.

المجال الجغرافي لليمن:

نجد من العسير تقصي المواطن الأولى التي صدرت عنها القبائل العربية اليمنية في رحلتها أيام الفتوح ناحية الشمال واستيطانها في المدن والأمصار الحديثة وانتشارها في كافة الأرض المفتوحة بسبب أن المصادر كثيرا ما تخلط بين الأوضاع

¹ ومن الأزدي الأنصار، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر، وهم أعز الناس أنفسا، وأشرفهم همما؛ لم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ج 3، ص 288. ثم يصدر الناس عنها إلى سوقين. أحدهما: رابية بمحرموت والأخرى عكاظ في أعلى نجد وعكاظ قريب من عرفات فأما الرابية فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة لأنها لم تكن أرض مملكة وكان من عزّ فيها بزّ صاحبه، فكانت قريش تتخفّر ببني آكل المرار من كندة، وسائر الناس بال مسروق بن وائل الحضرمي، فكانت مكرمة لأهل البيتين، وفضل أحدهما على الآخر كفضل قريش على سائر الناس، فكان يأخذ إليها بعض الناس وبعضهم إلى عكاظ، وكانتا تقومان بيوم واحد في التصف من ذي القعدة. أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ، ص 385.

القديمة لقبائل اليمن ومواقع استقرارهم مع ما جد بعد ذلك في التاريخ الذي تلا ظهور الإسلام والانقلاب الشامل الذي حققه في حياة القبائل العربية، وجملة التحولات العميقة التي أحدثتها في ديموغرافيات انتشار القبائل في بلاد اليمن وفي البلدان التي استوطنوها بعد ذلك. لأن كثيراً من القبائل كانت ترحل برمتها تاركة أراضيها باليمن لتحل فيها قبائل أخرى؛ فيما كانت قبائل أخرى تترك أجزاء منها في مواطنها الأولى. والحقيقة أن حراك القبائل تلك وانقلاعها من أوطانها والتأثير الذي خلفه رحيلها لم يلق حقه من الدراسة؛ نظراً لأهميته في فهم تاريخ ذلك الجزء من ديار الإسلام في العصر الوسيط والأجزاء الأخرى التي تم الرحيل إليها واستيطانها. والواقع أن مثل هذه تكاد تكون متعذرة للاضطراب في الأخبار الموثوقة في مصادر التاريخ وكتب الجغرافيا، والخلط عند التعرض إلى القبائل ومواقع استقرارها بين تواريخ عدة؛ ما كان سبق تاريخ الإسلام وما تلاه بعد ذلك، ناهيك عن تقدير المسافات والمراحل والأوصاف الطبوغرافية للمواقع، والأمر كذلك فيما يخص أنساب تلك القبائل والروابط الدموية فيما بينها؛ لأن عملية التنسيب ذاتها خضعت في تدوينها وتسجيلها لضغط التاريخ ولتأثير المراحل التاريخية التي مر بها تاريخ تلك القبائل؛ خاصة في الأوقات الحرجة من تاريخ الإسلام في عهوده الباكرة؛ لما انبثقت إجراءات تنظيم القبائل وتدوينها في سياق تنظيم ديوان العطاء الذي جاء ليخدم عمليات توزيع المخصصات المالية وكيفيات منح العوائد المادية لأصحابها بحسب أقدميتهم ودرجة بلائهم في الفتوح.

تقع اليمن على طول المحيط الهندي، ويحدها البحر الأحمر من الغرب، والحجاز من الشمال، وفيها التهائم والنجد. وقيل أن حدّ اليمن من وراء تثليث¹ وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر² وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجد، واليمن تجمع ذلك كله. قال الحسن بن أحمد ابن يعقوب الهمداني اليمني: سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعا إلى المغرب، يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خطّ يأخذ من حدود عمان ويبرين³ إلى حد ما بين اليمن واليمامة فيلى حدود الحجرية وتثليث وكشبة وجرش ومنحدرا في السراة إلى شعف عنز⁴، إلى تھامة إلى أم جحدم⁵ إلى البحر إلى جبل يقال له كرملة بالقرب من حمضة وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تھامة⁶. أما القلقشندي فيرى أن اليمن تشكل قطعة من جزيرة العرب، يحدها من الغرب بحر القلزم، ومن الجنوب بحر الهند، ومن الشرق بحر فارس، ومن الشمال حدود مكة، حيث الموضع المعروف بطلحة الملك⁷، وما على سمت ذلك إلى بحر فارس، وهكذا كان اليمن لا يقتصر على الجنوب الغربي لشبه جزيرة

¹ تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص15.

² الشَّحْرُ: الشجرة الشط الضيق، والشحر الشط: وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص327.

³ يَبْرِين: قيل: هو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة يعتبر من أصقاع البحرين. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص427.

⁴ عَنَز: موضع بناحية نجد بين اليمامة وضرية. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص161.

⁵ أم جحدم: اسم موضع باليمن، وقال ابن الخائك: أم جحدم في آخر حدود اليمن من جهة تھامة، وهي قرية بين كنانة والأزد. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص250.

⁶ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص447.

⁷ طَلْحَةُ الْمَلِك: اسم واد باليمن. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص38.

العرب فحسب، ولكنه يشمل كل دويلات جنوب شبه الجزيرة العربية، كسبأ وأوسان وحضرموت وعمان وغيرها¹. وتعرف اليمن بمخاليقها؛ وهي كورها. ولكل مخلاف منها اسم يعرف به، وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمّرتَه فغلب عليه اسمها. ويذهب بعض الجغرافيين العرب القدامى إلى أن كلمة المخلاف ترجع إلى أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً وكثروا فيها لم يسعهم المقام في موضع واحد، فجمعوا رأيهم على أن يسيروا في نواحي اليمن ليختار كل بني أب موضعا يعمرونه ويسكنونه. وكانوا إذا ساروا إلى ناحية واختارها بعضهم تخلف بها عن سائر القبائل وسمّاها باسم أبي تلك القبيلة المتخلفة فيها، فسمّوها مخلافاً لتخلف بعضهم عن بعض فيها، ألا تراهم سمّوها مخلاف زبيد، ومخلاف سنحان، ومخلاف همدان، لا بدّ من إضافته إلى قبيلة². (راجع الملحق رقم 1)

وأما سبب تسميتها باليمن، فذلك أمر ما يزال موضع خلاف، فهناك من يذهب إلى أن ذلك إنما كان نسبة إلى أول من قطنها من العرب، الذي قال له والده قحطان أنت أيمن ولدي، أو لأنها تقع إلى يمين الكعبة، بينما يتجه فريق ثالث إلى أن السبب إنما كان في طبيعة البلاد نفسها، فهي بلاد اليمن والخير والبركة، على أن رأياً رابعاً يذهب إلى أنها سميت بذلك لتيامن العرب إليها، أو لأن الناس قد كثروا بمكة فلم تحملهم فانصرفت بنو يمن إلى اليمن، وهي أيمن الأرض فسميت بذلك، وأخيراً فهناك من يرجح أنها سميت اليمن من كلمة "يمنات" الواردة في نص يرجع إلى أيام الملك "شمر يهرعش". غير أن كل تلك الآراء لم تقل شيئاً عن الاسم الذي كان يطلق عليها قبل أن تسمى باليمن³.

. همدان:

همدان إحدى أهم قبائل اليمن. تقع ديارها شمالي صنعاء⁴. وجاء عند ياقوت الحموي أن: ديار همدان وأشعر وكندة وخولان مفترشة في أعراض اليمن، وفي أضعافها مخاليف وزروع، وبها بواد وقرى مشتملة على بعض تهامة وبعض نجد اليمن في شرقي تهامة⁵. وتتصل بلاد همدان من شماله الغربي بأرض حمير⁶. ويبدو أن تاريخ همدان كان ضاربا في القدم؛ حيث تزعم الأسطورة ان الشياطين بنت لذي تبّع ملك همدان حين زوّج سليمان ببليقيس قصورا وأبنية⁷. وتوزع الهمدانيون في اليمن على أماكن عدة. وقامت بينهم وبين جيرانهم من القبائل الأخرى علاقات تراوحت بين الود والعداوة؛ على أن أشهر ما عرفوا به في تاريخهم القديم خبرتهم التاريخية بالتعمير والبناء والملوكية، واستمرت هذه

¹ أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، صحح الأعشى في صناعة الإنشاء، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص 5، ج 4. 5. بيومي محمد مهرا، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط2، دار المعرفة العلمية، بيروت، د ت، ص 86.

² ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 37. جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 171.

³ بيومي مهرا، دراسات في تاريخ العرب، المرجع السابق، ص 87.

⁴ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 265. عمر بن رضا كحالة الدمشقي، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط 7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ج 3، ص 1224.

⁵ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 265.

⁶ أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني، صفة جزيرة العرب، د ط، مطبعة بريل - ليدن، 1884م، ص 209.

⁷ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 235.

الشهرة بعد الإسلام: سئل الشعبي عن اليمن فقال: سيف اليمن قضاة، وهامتها همدان، وسنامها مذحج، وريحانها كندة، ولكل قوم قريش، وقريش اليمن الأنصار¹. ولعل أشهر الأماكن التي استوطنوها هي مدينة صنعاء. تعتبر صنعاء أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها؛ وكان اسمها في الجاهلية أزال ويسمى أهل الشام القصبة². يقال إنها أول مدينة بنيت في اليمن وهي من أعظم مدنها، وهي كرسي ملوك اليمن في العصور القديمة. ويقال أنها كانت دار ملك التبابعة³، وليس في بلاد اليمن أقدم منها عمارة، ولا أوسع منها قطرا. وبها تلّ عظيم يعرف بغمدان، كان قصرا ينزله ملوكها، وهو أحد البيوت السبعة التي بنيت على اسم الكواكب السبعة، بناه الصّحّاح على اسم الزهرة، وكانت الأمم تحجّه فهدمه عثمان فصار تلاً عظيماً⁴. وبصنعاء كان غمدان مسكن سيف بن ذي يزن الحميري. ومخلاف البون وفيه ريذة، وبها البئر المعطّلة والقصر المشيد التي ذكر الله تبارك وتعالى، ومخلاف خيوان، ومخلاف نجدى خولان ذي سحيم وغوريتها وفيها ريام النار التي كان يعدها أهل اليمن. وقرية مأرب، وبمأرب قصر سليمان والقشيب قصر بلقيس. والسدّ وهو العرم. كما قطنوا يحصب⁵ وأزحَب⁶ وبكيل⁷ والحنق⁸ وبراقش⁹ وبيت زود¹⁰ وبيت لعوة¹¹ وتلفم¹² وثنين:

¹ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ت وداد القاضي، دار صادر بيروت، 1988م، ج 9، ص 96.

² الهمداني، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص 55.

³ وكانت التبابعة ثلاثة، أولهم: شمر أبو كرب الذي غزا الصين، وأحرب مدينة سمرقند، والثاني تبع أسعد الذي ذبح للبيت الحرام الذبايح، وعلق عليه باب ذهب، والثالث تبع بن ملكيكرب، ولم يسم غير هؤلاء الثلاثة من ملوك اليمن تبعاً. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص 46. هناك من قال إنهم سبعون تبعاً واستشهد بقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت أو النعمان بن بشير الأنصاريين

لنا من بني قحطان سبعون تبعاً أفرت لها بالخروج منها الأعاجم

وقول من قال أقل من ذلك وأكثر والسبب الذي به سمو التبابعة ومن قال ان هذه السمة لم يكن يستحقها منهم الا من ملك اليمن وحضرموت واجتمعت له طاعتهم. أبو الحسن على بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، د ط، دار الصاوي، القاهرة، ص 157.

⁴ القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج 5، ص 37. 38. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 2، ص 229. الهمداني، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص 55. جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 174. ج 6، ص 221.

⁵ مدينة ظفار وقصرها ريدان، وطفار كانت تنزل ملوك اليمن. أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة، المسالك والممالك، د ط، دار صادر، بيروت، 1989م، ص 136. 140. بتصرف
⁶ من قولهم بلد رحب أي واسع، وأرض رحبة، وهذا أرحب من هذا أي أوسع. وأرحب: مخلاف باليمن سمي بقبيلة كبيرة من همدان، واسم أرحب مرّة بن دعام ابن مالك بن معاوية بن صعّب بن دومان بن بكيل ابن حشم بن خيوان بن نوف بن همدان، وإليه تنسب الإبل الأرحبية، وقيل: أرحب بلد على ساحل البحر، بينه وبين ظفار نحو عشرة فراسخ. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 144.

⁷ مخلاف بكيل من مخاليف اليمن، يضاف إلى بكيل ابن حشم بن خيوان بن نوف بن همدان، ومن بطون بكيل ثور، واسمه زيد بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل، وأرحب واسمه مرّة، ومرهبة. وعميرة وذو الشاؤل بطون بنو دعام بن مالك ابن معاوية بن صعّب بن دومان بن بكيل، كل هؤلاء بطون في بكيل، ومن بلاد بكيل يتناع السم الذي يقتل به الملوك، وفي بلاد بكيل وحاشد أقوام معروفون بأخاذهم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر نفسه، ج 1، ص 475. 476.

⁸ أرض من جبال بين الفلج وبحران، يسكنها أخلاط من همدان ونجد بن زيد وغيرهم من اليمانية. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج 2، ص 39.

⁹ واد باليمن شحير، وكذلك هيلان، كانا للأمم السالفة؛ قاله أبو حنيفة. براقش وهيلان مدينتان عاديتان باليمن، خربتا. قال القتيبي: حدثني أبو حاتم عن الأصمغ قال: حدّثنا أبو عمرو بن العلاء قال: بنيت سلحين، مدينة باليمن، في سبعين أو ثمانين سنة وبنيت براقش ومعين بغسالة أيديهم، فلا يرى لسلحين أثر ولا عين. وبراقيش: قصر من قصور همدان، بأسفل جوف أرحب، في أصل جبل هيلان. وهي ومعين متقابلتان، ومعين خراب. أبو عبيد عبد الله البكري، معجم ما استعجم المصدر السابق، ج 1، ص 237.

¹⁰ منسوب إلى زيد ابن سيف بن عمرو بن السبيع بن السبيع بن مالك بن حشم بن حاشد من همدان. وهو قصر في ظاهر همدان. وحير تقول في زيد زود. البكري، معجم ما استعجم، المصدر نفسه، ج 1، ص 289.

¹¹ قصر من موطن الظواهر، إلى جنب خم، في ديار همدان؛ نسب إلى لعوة بن مالك بن معاوية بن رمان ابن بكيل من همدان. البكري، المصدر السابق، ج 1، ص 290.

¹² وهو قصر مقابل لقصر ناعط، وهما بريذة، وريذة سرة بلاد همدان. وهناك قصور كثيرة: المكعب ويعوق وغيرها وجاء في التفسير أنّ قصر تلثم هو الذي عنى الله تعالى بقوله: «وبئر معطّلة، وقصر مشيد». وبئر تلثم ليس باليمن أغزر منها بحرا، ولا أعذب ماء، ولا أحلى حلاوة، ولا أصحّ صحّة؛ ورثما أسنت البون جميعا مع بلد الصيد، وعدموا المياه، فرجعوا جميعا إلى هذه البئر، فلا تزداد على المنح إلا جاما. البكري، المصدر نفسه، ج 1، ص 318. 319.

جبل من جبال البون، في سرّة بلاد همدان، وعلى رأسه قصر ناعط، وهو أفضل قصور اليمن بعد غمدان¹. ويريدان² وعصام: قصر بشرقي ناعط، في بلاد همدان من اليمن³. ومدّر: بلد في ديار همدان باليمن، وهي أكثر بلد همدان قصورا بعد ناعط⁴. وقصر يشيع⁵ وخمر⁶. ورتام⁷ والرّضراض⁸.

واستوطن الهمدانيون نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وبها كان خبر الأخدود؛ وإليها تنسب كعبة نجران بناها عبد المدان بن الريان الحرثي مضاهاة للكعبة. وكانت بيعة بها أساقفة مقيمون، منهم السيد والعاقب اللذين جاءا إلى النبيّ عليه السلام في أصحابهما، ودعاهم إلى المباهلة، وبقوا بها حتى أجلاهم عمر عنها⁹. وكان أهل نجران قبل انبثاث النصرانية فيهم على دين العرب يعبدون نخلة لهم عظيمة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كلّ ثوب حسن وجدوه وحليّ النساء¹⁰. كما استوطنوا كحلان وهي قلعة من عمل صنعاء على القرب منها¹¹ وصعدة وهي على ستين فرسخا من صنعاء. وحيوان وهي صقع معروف باليمن، وهي بلاد تشتمل على قرى ومزارع ومياه، معمورة بأهلها، وبها أصناف من قبائل اليمن¹². وجرش. ومأرب¹. وحضرموت وهي ناحية من نواحي اليمن، وأعمالها أعمال عريضة، ذات شجر ونخل ومزارع². وكان بحضرموت الصّدْف³ وفرقة من همدان. (راجع الملحق رقم 1 و3)

¹ البكري، المصدر نفسه، ج1، ص346.

² بلد باليمن أيضا، قال الهمداني: هو قصر الملكة بظفار. قال: وريدة: هي سرّة بلد همدان. وريدة قصر ناعط، في رأس جبل ثنين، وهو من جبال البون. البكري، المصدر نفسه، ج2، ص687.

³ البكري، المصدر نفسه، ج3، ص946.

⁴ البكري، المصدر نفسه، ج4، ص1200.

⁵ قصر بدمار همدان من اليمن، ينسب إلى يشيع بن رثام بن تحقان من دان. وإلى رثام نسب محمّد رثام، الذي كانوا يحجونه. البكري، المصدر نفسه، ج4، ص1396.

⁶ وهي بلد باليمن في ديار همدان، وبه ولد أسعد أبو كرب تبع الأكبر، في أحواله من همدان؛ قال بعض الكهنة الذين بشّروا به الرّائش: مولده في قرى ظواهر همدان، بتلك التي اسمها خر؛ وسمي هذا الموضع بخمر بن دومان بن بكيل بن جشم. البكري، المصدر نفسه، ج2، ص510.

⁷ مخاليف من مخاليف اليمن، يأتي ذكره في رسم رمع. وقال أبو نصر عن الأصمعي: هي مدينة من مدائن حمير، تحلّ فيها قبيلة أودة. وقال الهمداني: كان رثام بيتا لهما، يحج إليه العرب، وتعتظمه، وقد بقي منه شيء قائم. قال: وسمي برثام بن تحقان بن تبع بن زيد بن عمرو بن همدان. قال: وهو على رأس جبل أتوة؛ سمي بذلك من إتيان الناس له. وهو في حدّ ذيبان من مشرق همدان. قال: وكان يسمع منه كلام، فلمّا أتى تبع بالحريرين اليهوديين، قال له: إن المتكلم فيه شيطان يفتن الناس، فحلّ بيننا وبينه، فقال: شأنكما به، فاستخرجنا منه كلبا أسود، فذبحناه وهما البيت، فيما يزعم أهل اليمن. البكري، المصدر نفسه، ج2، ص620.

⁸ لفظ الرّضراض من الحصباء: أرض في ديار نهم، من همدان، وفيه معدن فضّة. البكري، المصدر نفسه، ج2، ص655.

⁹ القطيعي، المصدر السابق، ج3، ص1359. 1360. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص126. عن جابر قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، لأخرجنّ اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما، قال: فأخرجهم عمر، رضي الله عنه. وعن سالم بن أبي الجعد قال: جاء أهل نجران إلى عليّ، رضي الله عنه، فقالوا: شفاعتك بلسانك وكتابك بيدك، أخرجنا عمر من أرضنا فردّها إلينا صنعية، فقال: يا ويلكم إن كان عمر رشيد الأمر فلا أغيّر شيئا صنعه! فكان الأعمش يقول: لو كان في نفسه عليه شيء لا اغتنم هذا. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص269.

¹⁰ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص266. وفيما يخص كعبة نجران فقد أورد البكري جملة معطيات لا نكاد نجدها عند غيره:

دير نجران: وهو المسمى كعبة نجران، كان لآل عبد المدان بن الدّيان، سادة بني الحارث بن كعب. وكان بنوه مرتعا مستوى الأضلاع والأفطار، مرتفعا من الأرض، يصعد إليه بدرجة، على مثال بناء الكعبة، فكانوا يحجونه هم وطوائف من العرب، ممن حلّ الأشهر الحرم، ولا يحجّون الكعبة، وتحجّه خنم قاطبة. وكانوا أهل ثلاثة بيوتات يتبارون في البيع وزنها: آل المنذر بالحيرة، وعسّان بالشّام، وبنو الحارث بن كعب بنجران؛ ويعتمدون بنائها المواضع الكثيرة الشجر والرياض والمياه؛ وكانوا يجعلون في حيطانها وسقوفها الفسافس والذهب؛ وكان على ذلك بنو الحارث، إلى أن أتى الله بالإسلام. البكري، المصدر السابق، ج2، ص603.

¹¹ القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج5، ص38.39.

¹² قال المهلب: وهي طرف منازل بني الصّحّاك من بني يعفر من بقايا التبابعة؛ وماؤها من السماء. القلقشندي، المصدر نفسه، ص39.

تفرغ عن همدان بطنان عظيمان هما: حاشد وبكيل لكل منهما فروع عديدة وكان الصراع بين الفرعين الكبيرين كثيرا ما يحرك تاريخ هذه القبيلة⁴. وكانت العلاقة بين بطون همدان والقبائل المجاورة لها على معهود الحياة القبلية؛ تتخللها التآلف مدة والتدابير والتناظر مدة ويتم ذلك لأسباب متنوعة تدور كلها حول الصراع على مصادر الحياة. فقد حدثت معارك عديدة بين أرحب أحد بطون همدان وزيد بطن من مذحج كان من نتيجتها أسر عمرو بن معد يكرب الزبيدي فمن عليه أحد رؤساء فأطلقه. كذلك وقعت منازعات بين أرحب وبين بني الحارث بن كعب. ولعل أشهر وقعة من هذا النوع هي وقعة الرزم حيث نزلت مراد في منطقة الجوف فتكتلت همدان وقامت بإخراجها.

لم يكن الصراع يلف كل العلاقات بين همدان ومحيطها؛ إذ كانت تتعقد أحيانا أواصر التصاهر والتكافل بينها وبين غيرها من القبائل؛ كالمصاهرة التي وقعت بين الأجدع بن مالك الهمداني وعمرو بن معد يكرب الزبيدي. في الاخبار ما يدل على وجود علاقات بين همدان وحمير كالتالي يدل عليها النص التالي: عن شيخ من همدان قال: بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع بهدايا فمكثت حولا لا أصل إليه، ثم أشرف إشرافه من كوة له فخر من حول القصر سجدا. ثم رأته بعد، وقد هاجر إلى حمص، يشتري اللحم بدرهم، ويسمطه خلف دابته. وهو القائل:

أف للنديا إذا كانت كذا أنا منها في عناء وأذى

إن صفا عيش أمرئ في صباحها جرعته ممسيا كأس القذى

ولقد كنت إذا ما قيل من أنعم الناس معاشا قيل ذا⁵

وكانت الضرورة تستدعي هذه القبائل الى الالف ضد خطر بعينه يتهدد جميعهم مثلما حدث بين همدان ومذحج ضد بني تغلب. وعلى غرار مذحج كان لهمدان علاقة صدامية في غالب الأحيان بينها وبين خولان؛ وتعتبر خولان من أهم بطون قبيلة قضاة الكبيرة. كما كان النزاع يطبع علاقات همدان مع القبائل غير اليمنية كقبيلة تغلب وقيس عيلان. ولأهمية موقعها الجغرافي فان همدان تعرضت للغزو الحبشي الذي الجأها الى ان تعتصم بجبل حقل جهران حتى دخل الفرس بجيشهم لصد الحبشة عن التوغل في البلاد. فوجد الهمدانيون أنفسهم في مواجهة الفرس، لولا أن الفرس الذين عن لهم

¹ وهي مدينة على ثلاث مراحل من صنعاء، وهي في آخر جبال حضرموت، ويقال لها مدينة سبأ، تسمية لها باسم بانها، وبما كان السد. وكانت قاعدة التبابعة. فهي مشرق صنعاء وصنعاء مغربا وبينهما مسافة يومين للمفرد. الهمداني، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص 25.

² القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ص 40.

³ هي قبيلة من حمير تنسب الى الصدف بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن العوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أنس بن الهيمسع بن حمير بن سبأ. أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني الروزي، الأنساب، ت عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد 1962م، ج8، ص286.

⁴ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ت ناجي حسن، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1988م، ج2، ص509.

⁵ حار الله الزنجشيري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412م، ج1، ص447.

الاستقرار في المنطقة فضلوا ان يسلكوا سياسة التعاون والاندماج¹. وقد توطدت أواصر العلاقة بينهما لما قررا ان يواجهها سويا قبيلة مذحج التي طمع زعيمها عمرو بن معد يكرب في ان يسيطر على منطقة الجوف.

استمرت الأوضاع في اليمن واطرافها على ما هي عليه حتى ظهر الإسلام ففرض بانتصاره اوضاعا جديدة في المنطقة ترتبت حسب مواقف القبائل العربية منه. وكانت همدان من القبائل التي رغب النبي في استمالتها الى الاسلام نظرا لأهميتها وقدرتها على ترسيخه في اليمن. وتذهب بعض الروايات الى ان اسلام همدان كاد ان يتحقق في زمن أبكر؛ في الفترة التي كان النبي لا يزال بمكة يحاول العثور على سند يقبل دعوته ويحميها. جاء في بعضها أن: قيس بن مالك ابن سعد بن لأي الأرحي قدم على النبي وهو بمكة فقال: يا رسول الله أتيتك لأؤمن بك وأنصرك. فقال النبي: مرحبا بك. أتأخذوني بما في يا معشر همدان. قال: نعم بأبي أنت وأمي، قال: فاذهب إلى قومك فإن فعلوا فارجع أذهب معك. فخرج قيس إلى قومه فأسلموا واغتسلوا في جوف المحورة وتوجهوا إلى القبلة. ثم خرج بإسلامهم إلى النبي فقال: قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك. فقال النبي: نعم وافد القوم قيس. وقال: وفيت وفي الله بك. ومسح بناصيته². وكتب عهده على قومه همدان أحورها وغربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا وأن لهم ذمة الله وذمة رسوله ما أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة. قال هشام: أحورها يعني: قدم وآل ذي مران وآل ذي لعوة وأذواء همدان. وغربها: أرحب. ونهم. وشاكر. ووادعة. ويام. ومرهبة. ودالان. وخارف. وعذر. وحجور. وجاء في خبر آخر أن النبي: عرض نفسه بالموسم على قبائل العرب فمر به رجل من أرحب يقال له عبد الله بن قيس ابن أم غزال فقال: هل عند قومك من منعة قال: نعم. فعرض عليه الإسلام فأسلم. ثم إنه خاف أن يخفره قومه فوعده الحج من قابل ثم وجه الهمداني يريد قومه فقتله رجل من بني زبيد يقال له ذباب. ثم إن فتية من أرحب قتلوا ذبابا الزبيدي بعد الله بن قيس. وتتضمن هذه الروايات أسبقية تاريخية في اعتناق همدان للإسلام لا نجد سندا لقبولها او رفضها لأن الرواية الرسمية المشهورة تنص على ان اسلامهم جاء في سياق دخول اليمن جملة في الإسلام وقدمهم على النبي في السنة التي عرفت بعام الوفود. وقد أورد ابن حجر العسقلاني رواية تنص على أن عدد من وفد على النبي نائبا عن الهمدانيين قرابة مائة وعشرين نفسا منهم: مالك بن نمط، أبو ثور، وهو ذو المشعار، ومالك بن أيفع السلماني، وعميرة بن مالك الخارفين وغيرهم³.

وقد ارتبط اسلام همدان منذ البداية بشخصية علي؛ اذ تروي الأخبار ان النبي أرسل إليهم خالد بن الوليد فأقام عندهم زمنا يستميلهم الى الاسلام فلم يفلح فبعث عليا فتمكن من اقتناعهم؛ فأسلموا جميعها على يديه. وأقام بين ظهرانينهم قرابة سنتي الثامنة والتاسعة الهجريتين يعلمهم الدين الجديد. وقد لخص ابن خلدون الحراك الهمداني في الإسلام

¹ كل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس بعربي يسموهم الأبناء، هكذا ذكره ابو حاتم محمد بن حبان البستي، وقال ابو على الغساني: الأباوي منسوب الى الأبناء وهم قوم يكونون باليمن من ولد الفرس الذين وجههم كسرى مع سيف بن ذي يزن الى ملك الحبشة باليمن فغلبوا الحبشة وأقاموا باليمن فولدهم يقال لهم الأبناء. السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص100.

² ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي، الطبقات الكبرى، ت محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1990م، ج1، ص256.

³ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج5، ص559.

في نصه الذي جاء فيه ما يلي: ولما جاء الله بالإسلام افترق كثير من همدان في ممالكه، وبقي منهم من بقي باليمن، وكانوا شيعة لعليّ كرم الله وجهه ورضي عنه عند ما شجر بين الصحابة¹.

ولما وقعت ردة من ارتد من العرب عقب وفاة النبي ثبت جل سادة همدان على الإسلام. لكن بعضاً من رجالها اغراه ما رأى من استفحالها وعزم بعضهم على التحلل من الإسلام والعودة الى ما كانوا عليه. وقد بذل عامر بن شهر الهمداني² الذي كان أحد عمال النبي على اليمن جهداً كبيراً في التصدي لحركة الأسود العنسي ومنعه من ان يصل بنفوذه الى مضارب همدان³. ولما همّ بعض همدان بالردّة وتكلم سفهاؤهم بما كرهه حلمانؤهم قام فيهم عبد الله بن مالك الأرحبي، وكان من أصحاب النبي، له هجرة وفضل في دينه، فاجتمعت إليه همدان، فقال: يا معشر همدان، إنكم لم تعبدوا محمداً، إنما عبدتم ربّ محمد، وهو الحي الذي لا يموت، غير أنكم أطعتم رسوله بطاعة الله. واعلموا أنه استنقذكم من النار، ولم يكن الله ليجمع أصحابه على ضلالة⁴. ثم قام مران بن ذي عمير بن أبي مران الهمداني وكان من ملوك همدان فقال: يا معشر همدان، إنكم لم تقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقاتلكم، فأصبتكم بذلك الحظ، ولبستم به العافية، ولم يعمّمكم بلعنة تفضح أوائلكم، وتقطع دابركم، وقد سبقكم قوم إلى الإسلام، وسبقتم قوماً، فإن تمسكتم لحقتم من سبقكم، وإن أضعتموه لحقكم من سبقتموه، فأجابوه إلى ما أحب⁵. ثم خرج وفد همدان ببيعتهم الى ابي بكر فدخلوا عليه، فوقف عبد الله بن سلمة خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم لم تصابوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله

¹ أورد الطبري الخبر التالي: بعث رسول الله خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه، فأقام عليه ستة أشهر لا يجيونه إلى شيء، فبعث النبي ص علي بن أبي طالب، وأمره أن يقفل خالداً ومن معه، فإن أراد أحد من كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه. قال البراء: فكنت فيمن عقب معه، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى بنا علي الفجر، فلما فرغ صفنا صفا واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ص، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك الى رسول الله ص، فلما قرأ كتابه خزّ ساجداً، ثم جلس، فقال: السلام على همدان، السلام على همدان! ثم تتابع اهل اليمن على الاسلام. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ، ج3، ص132. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، التبيين والإشراف، ت عبد الله إسماعيل الصاوي، د ط، دار الصاوي، القاهرة، د ت، ج1، ص238. جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه: وفود همدان على النبي صلى الله عليه وسلم: قدم مالك بن نمط في وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقوه مقبلاً من تبوك، فقال مالك بن نمط: يا رسول الله نصّيت من همدان، من كل حاضر وباد، أتوك على قلس نواح، متصلة بقبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخالف خارف وبام وشاكر، عهدهم لا ينقض، عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفيّر ما أقامت لعلع، وما جرى اليعفور بصلع فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم: هذا كتاب من محمد رسول الله إلى خلاف خارف، وأهل جناب الهضب، وجفاف الرمل، مع وفدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه، أن لهم فراعها وهاطها وعزازها، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علافها، ويرعون عفاها، لنا من دفعهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفاراض الداجن والكبش الحوري؛ وعليهم الصّالغ والقارح. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، المصدر السابق، ج1، ص295. 296. عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م، ج2، ص302. حسن عيسى، شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والاسلام، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1983م، ص103.

² عامر بن شهر الهمداني، ويقال: الناعطي. ويقال البكيبي. وكل ذلك في همدان. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت علي محمد الجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج2، ص792.

يعد عامر بن شهر الهمداني من أوائل من أسلم من همدان وذكره ابن سعد في مصنفه وساق له خبراً يستحسن ايراده، جاء فيه التالي: كانت همدان قد تحصنت في جبل الحقل من الحيش قد منعهم الله به حتى جاءت همدان أهل فارس فلم يزالوا لهم محاربتين حتى هر القوم الحرب، وطال عليهم الأمر، وخرج عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت لي همدان: يا عامر بن شهر، إنك قد كنت نديماً للملوك مذ كنت، فهل أنت آتي هذا الرجل ومرتاداً لنا، فإن رضيت لنا شيئاً قبلناه وإن كرهت لنا شيئاً كرهناه. قلت: نعم. فجئت حتى قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة فجلست عنده فجاهه رهط فقالوا: يا رسول الله أوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله وأن تسمعوا من قول قريش وتدعوا فعلهم. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص104.

³ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص318. حسن عيسى، المرجع السابق، ص106. 107.

⁴ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج4، ص192.

⁵ ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه ج6، ص222. 223.

وسلم، دون سائر العرب، لأنه لم يكن لأحد دون أحد، غير أنا معترفون للمهاجرين بفضل هجرتهم، ولأنصار بفضل نصرتهم¹.

ولما هدأت وقائع الردة واستتب أمر الإسلام في شبه الجزيرة العربية وانطلقت حركة الفتوح كانت من بين القبائل اليمنية التي لبث نداء أبي بكر وعمر ونحضت من مضاربها نحو الشام والعراق وشاركت في الوقائع الحاسمة التي مهدت لرسوخ قدم الإسلام في تلك الأقاليم. وكان للهمدانيين حضور لافت في معركة القادسية التي حضروها قسمين: قسم منهم تواجد منذ البداية بالعراق مع سعد وجلهم من قبيلة حاشد وقسم آخر كان بالشام وجاء إلى العراق مددا لسعد، وانضم إلى ربيع قبيلته فضاعف في عددها وزاد في قوتها. وكان على رأس همدان في القادسية مالك بن كعب الهمداني وهو ممن أبلى فيها البلاء المشهود وكان من بين الرجال الستين الذين اقتحموا دجلة ليؤمنوا عبور الفاتحين إلى المدائن. وسعيد بن نمران الهمداني الذي شارك في موقعة اليرموك وحضر القادسية والحارث بن سهم النهمي الذي كان على رأس قبيلته لهم. كما شهد القادسية بعض بطون أرحب منهم المسروق بن الأجدع واخوته². كما ساهم الهمدانيون في فتح نهاوند سنة 21هـ. 642م وكان على رأسهم آنذاك سعيد بن قيس الهمداني³، وفي فتح همدان تحت رئاسة يزيد بن قيس الأرحبي وقد استخلفه أمير الجيش نعيم بن مقبل على همدان بعد فتحها⁴. ولما استنفر عمر الناس لفتح خراسان بقيادة الأحنف بن قيس التميمي جاءته امداد همدان من الكوفة برئاسة ابن أم غزال الهمداني⁵.

ليست مهمتنا في هذا البحث تقصي مسيرة الهمدانيين التاريخية في ذلك العهد، إنما ما يهمنا في الحراك الهمداني في تلك الفترة هو ما يتعلق بالسياق التاريخي الذي انتهى بقسم منهم إلى استيطان الكوفة؛ ومن ثمة لعب أدوارا هامة في الأحداث التي وقعت في الفترة الأخيرة من خلافة عثمان والتي قادت فيما بعد إلى ولادة التشيع السياسي والديني.

. مدحج:

تعتبر مدحج من القبائل اليمنية المهمة والعريقة والتي لعبت أدوار أساسية في التاريخ اليمني قبل الإسلام ولعدة. وتعود نسبتها إلى جدها مدحج اسمه مالك بن أدد، ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ، ثم إلى يعزب بن قحطان⁶، تقع

¹ المصدر نفسه، ج5، ص71. حسن عيسى، المرجع السابق، ص108.

² أبو عبد الله محمد بن عمر بن الواقدي، فتوح الشام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج2، ص185. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص9. حسن عيسى، شعر همدان واختبارها، المرجع السابق، ص109. 110.

³ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص129.

⁴ الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص148. 150. أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير، الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، ط1، 1997م، ج2، ص405. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص560.

⁵ حسن عيسى، المرجع السابق، ص111.

⁶ أبو العباس محمد بن يزيد المرزوق، الكامل في اللغة والأدب، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة 1997م، ج2، ص50. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص341.

مساكنها الأصلية جنوبي الجزيرة العربية. تفرّج من مَدْحَج خَلْقٌ عظيم صاروا بطوناً وأفخاذاً وجمراتٍ؛ هم: جلد بن مَدْحَج، وسَعْد العَشِيرَة بن مَدْحَج، وعنس بن مَدْحَج، ولَمَيْس بن مَدْحَج وقد دخلوا في عَنَس، ومُراد بن مَدْحَج¹. كانت مساكنها في الجاهلية تتوزع في اليمن، وتمتد من تثليث شمالاً حتى ساحل بحر العرب جنوباً؛ مارة بما يسمى سرو مذحج. وأبرز تلك المساكن بُحْران² حيث بنو الحارث بن كعب، وبَيْشَة³ حيث النَّعَج، وصَعْدَة⁴ حيث بعض بني زُبيد، وتَهَامَة⁵ حيث بنو الحَكَم بن سعد العشيرة، ومخلاف عَنَس قرب دَمَار حيث عَنَس، والسَّرْو، المعروف بسَرْو مَدْحَج حيث اختلطت بعض بطونها كجَعْفِيٍّ وصُدَاء بغيرها، ومارب (بلا همز) ومرب وبيحان وشَبْوَة⁶ حيث مُراد، إلى غير ذلك من المواضع. كما يذكر الأخباريون أن مواطن مراد القديمة هي في الجوف، في منطقة رملية جرداء، ويظهر أنها كانت متبدية وكان معبودها الصنم يغوث، الصنم الذي تعبدت له مذحج كذلك. روي أن الصنم يغوث، كان لمذحج كلها. وكان في أنعم، فقالتهم عليه غطيف من مراد، حتى هربوا به إلى بُحْران، فأقروه عند بني النار من الضباب، من بني كعب، واجتمعوا عليه جميعاً. ولكثرة عددها فان مذحج كانت ذات بأس ومنعة، فكانت تغير على أواسط نجد، فخشيتها القبائل وهابتها، وكان الشرف والمنعة فيها في بني الحارث بن كعب، ثم يليها مراد، وشوكة مراد كانت زييد، ومن زييد عمرو بن معد يكرب الزبيدي صاحب الصمصامة (سيف). (راجع الملحق رقم 1 و3)

وكان لبني الحارث أئمة وملك، وكان بيتهم في بني عبد المدان، وقد جاء في بعض التواريخ ان بني عبد المدان كانوا يغزون قلب نجد من مقرهم في بُحْران رغم طول المسافة؛ وذلك لأن بطون مذحج منتشرين في طول وعرض تلك المسافة، وقد اتخذوا -فيما يبدو- تثليث قاعدة امامية لهم. وكان بنو عبد المدان أهم بيت في بني الحارث، قد بنوا بناء في بُحْران سموه كعبة بُحْران. وكانوا في حصن حصين. فنجران تتوسط ديار مذحج، فلا يستطيع أحد ان يغزوهم، فقصدتهم الشعراء ومدحوهم⁷. ولشدة كمال اجسامهم كانوا مضرب المثل؛ فتغنى الشعراء بهم⁸.

¹ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص405. جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص45.

² بُحْران: مدينة بالحجاز من شق اليمن معروفة، سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب. وهو أول من نزلها. وأطيب البلاد: بُحْران من الحجاز، وصنعاء من اليمن، ودمشق من الشام، والري من خراسان. وكان بها أيام وحروب وشعراء من بلحارث وهمدان وكان من شعرائها ابن البيلماني من الأبناء. البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج4، ص1298. الهمداني، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص67.

³ بَيْشَة: قرية غَنَاء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص529.

⁴ صَعْدَة: مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا وبينه وبين حيوان ستة عشر فرسخا، قال الحسن بن محمد المهالي: صعدة مدينة عامرة أهلة يقصدها التجار من كل بلد، وبها مداغ الأدم وجلود البقر التي للنعال، وهي خصبة كثيرة الخير. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص406.

⁵ تَهَامَة: أرض تهامة قطعة من اليمن، وهي جبال مشتبكة أولها في البحر القلزمي ومشرفة عليه، وحدودها في غربيها بحر القلزم، وفي شرقيها جبال متصلة من الجنوب إلى الشمال، وطول أرض تهامة من الشرجة إلى عدن على الساحل اثنتا عشرة مرحلة، وفي شرقيها مدينة صعدة وجرش وُبْحْران، وفي شمالها مكة وحدة، وفي جنوبها صنعاء نحو عشرين مرحلة. وسميت تهامة لتغير هوائها من قوالم تم الدهن وتمه إذا تغير ريح. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت احسان عباس، ص2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص141.

⁶ شبوة أيضا: مدينة باليمن، لتقاء حضرموت، ما بين بيهان وحضرموت. البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج3، ص780.

⁷ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، ج3، ص234. لويس شيخو اليسوعي، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ط2، دار المشرق، بيروت، 1989م، ص64.

⁸ قال حسان بن ثابت يذكروهم في أحد أشعاره:

وقد كنا نقول إذا رأينا لذي جسم يعد وذئب يبان

وكانت مذحج من القبائل الفاعلة على الساحة العسكرية - السياسية في اليمن منذ الحكم الحميري القديم. وقد اقامت في تاريخها الطويل جملة من التحالفات التي كان يقتضيها السياق التاريخي. فتحالفت مع قبائل حضرموت كندة، ونهد وغيرها. وقد ورد ذكرها في نصوص ونقوش كثيرة لعل أهمها نص النمارة المشهور؛ والذي ذكر فتوحات الملك المنذري أمرئ القيس بن عمرو؛ حيث كانت مذحج إحدى القبائل الكبيرة التي هزمها الملك خلال سيره نحو نجران¹. وبسببه كان انتقال مذحج إلى اليمن؛ لأنها كانت تنزل الأفلاج² وما حولها. وكانت لمذحج صلوات قديمة ب (كدت) أي كندة التي اضطرت أيضاً إلى الهجرة إلى الجنوب ولهذا انضمت إلى جيوش ثمر يهرعش ملك حمير³. وكان ذكر مذحج غالباً ما يأتي مع قبيلة كندة في النصوص المكتوبة بالمسند على أنهم من القبائل البدوية الساكنة شمال مملكة سبأ وحمير.

شهدت مذحج على غرار القبائل العربية في الجاهلية أياما مشهورة منها: يوم فيف الريح⁴؛ حين اجتمعت بنو الحارث بن كعب، وجعفي وزيد، وقبائل سعد العشيرة، ومراد، وصداء، ونهد فأغاروا على بني عامر ومعهم غني⁵. ويوم السلان؛ وهو الذي انتصرت فيه ربيعة ومضر على مذحج⁶. ويشير النسابون إلى وجود صلوات قديمة وثيقة بين مراد وختعم، وبين مجموع قبائل مذحج⁷. وجاء الإسلام وقبائل مذحج ذات نفوذ بالغ، وتتحكم في نواحي واسعة من اليمن وجنوب الجزيرة العربية. وقد تعددت معتقدات مذحج في الجاهلية فعبدت الأصنام دهرأ، كيغوث وذي الخلصة وفراض ونسر، وغير ذلك، ثم دخلت بعض بطونها في اليهودية فيمن دخل وإن كانت أقل؛ ثم تنصرت دهرأ حتى رسخت فيها النصرانية، يؤيد ذلك ما ابتلوا به في دينهم يوم الأخدود، يوم خيرهم ذو نواس الحميري؛ اسمه في النقوش: يوسف أسار يثار؛ بين الغدول عن دينهم أو القتل؛ ثم كان فيهم الموحّد المقرّر لله بالألوهية. فلما جاء الإسلام كان من مذحج في مكة من لا يُغفل مكانهم، وهم آل ياسر العنسي؛ الذين يقول فيهم النبي: صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة، وقد استشهد في التعذيب منهم أبوا عمّار بن ياسر: ياسر وسمية⁸.

ولما عزم النبي على نشر الإسلام في كامل تراب الجزيرة العربية أرسل النبي خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فإن استجابوا إليه قبل منهم، وإن لم يفعلوا قاتلهم. فلما دعاهم

كأنك أيها المعطى بيانا وجسماً من بني عبد المदान

ابن المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج1، ص80. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج6، ص177.

¹ جواد علي، المرجع السابق، ج3 ص190.

² قال ابن حبيب: الأفلاج: من أرض اليمامة. البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج3، ص1029.

³ جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص552.

⁴ فيف الريح، وهو مكان بالدناء بأعالي نجد بين ديار عامر بن صعصعة وديار مذحج وختعم. البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج3، ص1038. عمر بن كحالة الدمشقي،

المرجع السابق، ج1، ص332.

⁵ البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج2، ص253.

⁶ محمد بن حبيب البغدادي، الخبر، المصدر السابق، ص249.

⁷ جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص46.

⁸ جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص36. ج11، ص262.

إلى الإسلام أجابوه. ولما عاد خالد بن الوليد من بحران إلى المدينة، أقبل معه وفد الحارث بن كعب، فيهم: قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصّة، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قريظ الزياتي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي. فلما رأهم النبي، قال: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند. ثم كلمهم، وأمر قيس بن الحصين عليهم، ورجعوا، وكان ذلك قبل وفاة النبي بأربعة أشهر¹. وفي هذا الصدد يقول ابن سعد: أمّا بطون مَذْحِجِ القاطنة في مساكنها الأصليّة فتوافدت على النبي بدءاً من السنّة الثامنة للهجرة حين وفادة صُداء، ثمّ لحق غيرها من البطون كزُبَيْد وسعد العشيرة وجُعْفِيّ والرُّها وعُنْس وبني الحارث بن كعب، ثمّ كان آخرها وَفْدُ النَّخَعِ وذلك في السنّة الحادية عشرة من الهجرة².

شاركت مَذْحِجِ في الفتوحات الإسلاميّة في الشّام والعراق ومصر، وأبلى فُرسانها فيها بلاء مشهوداً؛ وكانت مساهمتهم في الانتصار على الفرس في يوم القادسيّة محل اعتراف سعد بن أبي وقاص ومن كانوا معه، وقد أرسل الى عمر يشكر له صنيع فرسان مَذْحِجِ³، وقد ابلى يومئذ فرسانها؛ كعمرو بن معدي كرب الرُّبَيْدِيّ⁴ والحجاج بن عبد يغوث بن عمرو بن الحجاج الزبيدي؛ بلاء حسناً⁵. وكالذي كان منهم يوم اليرموك في قتال الروم؛ يوم ظهر صبرُ زُبَيْد على غيرها. على أنّه لم يقتصر إسهام مَذْحِجِ على المشاركة في الفتوحات بالسيف فحسب، وإتّما برز أثرها في عمران البلدان المفتوحة على أيديهم⁶.

¹ جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 226. 227.

² ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج 1، ص 247، 257، 260. الطبري، المصدر السابق، ص 240. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت محمد عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج 4، ص 14.

³ عن حنش النخعي، عن أبيه وغيره منهم، أن عمر أتاهم في عسكرهم، فقال: إن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع، سيروا مع سعد فنزعوا إلى الشام، وأبوا إلا الشام، فسرح نصفهم إلى الشام ونصفهم إلى العراق. وكان فيهم من حضرموت والصدف ستمائة، عليهم شداد بن ضمعج، وكان فيهم ألف وثلاثمائة من مَذْحِجِ، على ثلاثة رؤساء: عمرو بن معديكرب على بني منبه، وأبو سيرة بن ذؤيب على جعفي، ومن في حلف جعفي من إخوة جزء وزيد وأنس الله ومن لفهم، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسلي في ثلاثمائة، هؤلاء شهدوا من مَذْحِجِ فيمن خرج من المدينة منج سعد منها. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج 3، ص 484.

⁴ كان عمرو بن معدي كرب قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس، أنت سيد قومك اليوم، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد، قد خرج بالحجاز، يقول: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً، كما يقول، فإنه لم يخف علينا، إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك، علمنا علمه، فإنه إن سبق إليه رجل من قومك سادنا وترأس علينا وكنا له أذنانا، فأبى عليه قيس، وسفه رأيه. فركب عمرو بن معدي كرب في عشرة من قوم، حتى قدم المدينة فأسلم، ثم انصرف إلى بلاده. ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الرابعة، ت عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، 1416هـ، ص 740. فلما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارتد عمرو بن معدي كرب فيمن ارتد باليمن ثم رجع إلى الإسلام وهاجر إلى العراق وشهد فتح القادسية وغيرها وأبلى بلاء حسناً. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج 6، ص 59.

⁵ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساکر، تاريخ دمشق، ت عمرو بن غرامة العمري، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985م، ج 12، ص 100. لما كان يوم اليرموك انكشفت زبيد، وهم في الميمنة، وفيهم، الحجاج بن عبد يغوث، فتنادوا فشدوا شدة، فنهتوا من قبلهم من الروم. ابن حجر العسقلاني، الإصابة المصدر السابق، ج 2، ص 142. عن قيس بن أبي حازم قال: شهدت القادسية، فسمعت عمرو بن معدي كرب وهو يمشي بين الصفين وهو يقول: يا معشر المسلمين، كونوا أسوداً، أسد أغنى شاته، إنما الفارسي تيس بعد أن يضع نيزكه، وأسوارهم لا تقع له نشابة، فقلنا له: احذر أبا ثور، فرماه الأسوار فما أخطأ قوسه، وشد عليه عمرو فأخذه وسقط إلى الأرض جميعاً فتكشف عنهما وإن عمراً لعلى صدره يذبحه وأنا أنظر، وأخذ سلبه: سوارين ومنطقة ويلمق ديباج. ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الرابعة، المصدر السابق، ص 755.

⁶ قال محمد بن عمير الرازي: ما سموت إلى غاية شرف إلا نازعنيها رجل من مَذْحِجِ حتى تمتت هلاك مَذْحِجِ. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، الديباج، ت عبد الله بن سليمان الجريوع، وآخرون، ط 1، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م، ص 157.

. كندة:

تعتبر كندة واحدة من القبائل العربية الكبيرة التي استطاعت ان تلعب أدوارا هامة في تاريخ العرب السابق عن الإسلام، وقد تمكن رجالها من تكوين ممالك مختلفة في حضرموت من اليمن ووسط الجزيرة العربية. فهي بذلك قبيلة ذات طابع ملوكي أصيل. ويذكر الأخباريون أن مواطن كندة الأصلية كانت بجبال اليمن مما يلي حضرموت. وقد أطلق الهمداني عليها بلد كندة من أرض حضرموت. وذكر ياقوت أن كندة مخلاف باليمن، هو باسم قبيلة كندة¹. (راجع الملحق رقم 1 و3). وقد كشفت النقوش التي عثر عليها في أصقاع اليمن على وجود قسم لكندة في تلك النواحي، وعلى تاريخ عريق استطاعت فيه كندة تشكيل أكثر من مملكة مما يدل على ان لديها نزوع حريص للملك، وتطلع دائم لتكوين المملكة. كما أنها خضعت في فترات ضعفها الى سلطان الدولة السبئية.

لقد حصل خلاف حاد بين نسابة العرب حول نسب كندة وأصولها الاثنية؛ بين من يعتبرهم فرعاً من فروع العدنانية، وبين من يعود بهم الى القحطانية. ولعل الخلاف أساسه المواطن الجغرافية المختلفة والمتنوعة التي تواجدت فيها بطون كندة؛ لأنها عبر تاريخها الطويل افترشت أماكن من اليمن الى وسط الجزيرة العربية وشمالها في ظروف تاريخية متباينة. فتذهب بعض الروايات الإخبارية الى أن انهيار سد مأرب كان سبباً في انقلاع بعض بطون كندة كالسكاسك والسكون من موطنها واتجهت ناحية حضرموت، في حين اتجه بنو معاوية إلى البحرين واستوطنوها، وفي حين ان قسماً آخر من القبيلة الكبيرة اتخذ طريقه شمالاً حتى نزلوا مكان دعي فيما بعد غمر ذي كندة؛ وهي أرض بني جنادة بن معد في نجد. وفي القرن التالي لانهيار السد كان اختلاط الكنديين بعرب الشمال العدنانيين اختلاطاً كبيراً أفضى ببعض النسابة الى اضافتهم في النسب الى عرب الشمال. والواقع ان الاكتشافات الأثرية الجديدة التي عثر عليها أشارت الى أسماء من كندة تتضح فيها الأصول العربية الجنوبية القحطانية؛ مثل شرحبيل ومعد يكر. في حين تتجه روايات أخرى الى تحديد مواطن كندة الأولى خارج اليمن؛ في البحرين والمشقر؛ وتجعل من وجودهم في اليمن وضعاً متأخراً. لكن البحث التاريخي الحديث الذي تعضده الكشوفات الأركيولوجية يرجح ان الأصل الأول لقبيلة كندة يعود الى أرض اليمن وان الذي حدث بعد ذلك إنما تسببت فيه المحركات المتوالية التي تمت في ظروف سياسية وبيئية مختلفة.

بعد استيلاء حمير على مأرب خرجت الجموع الكندية إلى البحرين القديمة؛ وهي حالياً منطقة الأحساء والقطيف في السعودية وجزيرة البحرين؛ لكنهم طردوا من قبل قبيلة عبد القيس العدنانية. فرجعت بعض بطون كندة في القرن الرابع الميلادي إلى حضرموت في حين استقر جزئ منها في شمال نجد؛ في جبل شمر. عندما رجع الكنديون إلى حضرموت في القرن الرابع الميلادي كانت حمير في أعلى قوتها بعد استيلائها على مأرب؛ حيث كانت آخر دولة منافسة لها في الجنوب

¹ حواد علي، المرجع السابق، ج6، ص9.

العربي. ولما كان لكندة عداء قديم مع حضارة الجنوب؛ فانهم فضلوا الاستقرار في حضرموت الشمالية. وفي هذه المرحلة أعتبر المؤرخون قبيلة كندة جزءاً من تحالف قبيلة حمير.

أما البطون الكندية التي استقرت في الشمال فإنها تمكنت من تشكيل دولة كندة في نجد وشمال شبه الجزيرة العربية. وقد تحقق لها ذلك في ظل الظروف الصراع على الطرق البرية التجارية التي كانت تصل شمال جزيرة العرب وبلاد الشام باليمن وحضرموت وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرن الخامس الميلادي. خاصة لما أصبحت القبائل العدنانية في الشمال خطر يهدد طريق القوافل معطلين بذلك السيورة التجارية التي كانت تتغذى عليها دول الاقليم. فقرر الحميريون أن يؤسسوا دولة تابعة لهم لكي تحكم وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها؛ فاختاروا لهذه المهمة الكنديين ودعمهم في مواجهة الأعراب بالمال والعتاد. وقد وقعت هذه التطورات في حدود سنة 425م. وعندها أصبح حجر آكل المرار بن عمرو الملك الأول على كندة بتعيين من حسن بن عمرو بن تبايع ملك حمير آنذاك. وقد استمرت هذه الدولة الى غاية 528م. وقد تداول على حكمها الملوك التالي: حجر آكل المرار بن عمرو 425م – 458م¹. ثم عمرو بن حجر 458م – 489م². ثم الحارث طلبان بن عمرو 489م – 528م³. ولعل هذه المملكة هي الأشهر في تاريخ الكنديين الذي استمر المذكور بعد الإسلام لقربه من قبائل الشمال ولارتباطها بذكرى أنبه شاعر عربي هو امرؤ القيس. وقد استطاع الحجر بن آكل المرار ان يمكن لنفسه وللحميريين في نجد بمساعدتهم وبدعم من قبائل بكر، وأن يوسعها بواسطة الغزو الى أطراف نجد المختلفة مهاجماً قبائل الحجاز والبحرين واليمامة.

ويذكر الرواة أن الملك خرج من بني آكل المرار، بسبب أن المنذر بن ماء السماء اللخمي تتبع غابريهم، فقتل عامتهم، الامر الذي دفع بعشائر كندة إلى الاتجاه نحو الجنوب؛ ولا سيما حضرموت، وهي موطنها القديم، فنزحت إليها واستوطنت بها. وكونت لها إمارة كندية بحضرموت⁴. وصارت رياسة كندة في بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، ثم في معديكرب بن جبلة، ثم في قيس بن معديكرب، وعلى عهده قام الإسلام بمكة، ثم في الأشعث بن

¹ أقام ملك حمير حراً زعيماً على عدة قبائل كان ملك حمير قد أحضعها في وسط شبه الجزيرة العربية، فقامت بذلك دولة يحمل رؤساؤها لقب "ملك"، وتفرض سلطانها على منطقة واسعة، وإن كان يحكم الضرورة سلطاناً محدوداً. محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، ط2، دار المعرفة الجامعية، د ت، ص540.

² كان يخدم الملوك من حمير في زمان ملكهم أبناء الأشراف من حمير وغيرهم من القبائل، فكان ممن يخدم حسان بن تبع؛ عمرو بن حجر الكندي، وكان سيد كندة في زمانه فلما سار حسان بن تبع إلى حديس خلفه على بعض أموره، فلما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع، وملك مكانه، اصطنع عمرو بن حجر الكندي. الطبري، المصدر السابق، ج2، ص89. كما جاء لدى الأصفهاني التفصيل التالي: كان عمرو بن حجر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة، وأمهما شعبة بنت أبي معاهر بن حسان بن عمرو بن تبع. ولما مات ملك بعده ابنه الحارث، وكان شديد الملك بعيد الصيت. الأصفهاني، الأغاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ، ج9، ص56. محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص544. 546.

³ ذكر الطبري أن تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن، تبع حمير أرسل حينما ولي الملك ابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ابن الشقيقة، فقاتله، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته، وهزم أصحابه، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر، وأمه ماء السماء امرأة من النمر. فذهب ملك آل النعمان، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون. الطبري، المصدر السابق، ج2، ص89. جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص204. الملك الحارث بن عمرو المقصور، وهو ابن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع؛ وحجر بن الحارث الملك المذكور والد امرئ القيس الشاعر، وكان ملكاً على بني كنانة وبني أسد ابني خزيمية، فقتله بنو أسد. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص427.

⁴ جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص68. بيومي مهران، المرجع السابق، ص552.

قيس، وهو الذي أتى النبي في ستين أو سبعين ركبًا من أشرف كندة فأسلموا. وقد ذكر ابن حبيب الأشعث بن قيس بن معديكرب في جملة الجرارين من اليمن. ولا بعد الرجل جرارًا حتى يقود ألقًا¹.

ليس هذا مقام تفصي التاريخ القديم لهذه القبيلة ولا تتبع مآثرها التاريخية؛ فالذي يعيننا من كندة في هذا الصدد انما هو الكشف عن أصلاتها بوصفها من القبائل التي خبرت السياسة والملك، وصاغت تاريخًا ملوكيًا، ورغم اقدميته التاريخية الا اننا نعتبره أحد الخلفيات التاريخية والتجارب العربية السابقة لظهور الإسلام، والتي تكون قد مهدت لمشروع الدولة ولم شمل العرب الذي جاء به الإسلام. كما أن كندة ظلت من القبائل التي كان تأثيرها على مجريات التاريخ الإسلامي في عصره الأول تأثيرًا بالغًا؛ بحيث اننا لا نتمكن من انارة جوانب من هذا التاريخ بدون الكشف عن أهمية هذه القبيلة.

ويرجع نسبها إلى كندة بن عُفَيْر، وكندة لقبه؛ لأنه كند أباه: أي كفر نعمته، ولحق بأخواله، وقيل: بل كند على أحيه فقتله. واسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان. وثور بن عُفَيْر هو كندة الملوك². ومن بطون كندة: الرائش بن الحارث بن معاوية بن كندة، وبنو معاوية الأكرمين الولادة. سمي بذلك لكثرة ولده³. والسكاسك والسكون ابنا أشرس بن كندة. ومن السكون: نُجَيْب، وهما عدي وسعد ابنا أشرس بن شيب بن السكون وأمهما نجيب بنت ثوبان بن مذحج، إليها ينسبون. والسكاسك بن أشرس بن كندة⁴. وبنو جبلة⁵.

ولعراقه تاريخها في الملك فقد ظل الانتساب إليها احدى المفاخر. سئل الشعبي عن اليمن فقال: سيفها قضاة، وفرسانها همدان، ولسانها مدحج، وملوكها كندة، وكان الشعبي يقول: كندة هامة اليمن. ومن شدة اعتزاز كندة بشرفهم كانوا لا يزوجون بناتهم بأقل من مئة من الإبل، وربما أمهرت الواحدة منهن ألفاً منها، فصارت مهور كندة مثلاً في الغلاء، حتى قال رسول الله: اللهم أذهب ملك غسان وضع مهور كندة⁶.

¹ جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص47.

² أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج9، ص55. أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ت ناجي حسن، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1988م، ج1، ص136. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص425. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص340.

³ ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر نفسه، ج3، ص341.

⁴ ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج3، ص341. ابن الكلبي، نسب معد، المصدر السابق، ج1، ص195. 196. السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص477. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص151. القطيعي، مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، المصدر السابق، ج1، ص341. أبو القاسم الحسين بن علي المغربي، أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسائها، ت حمد الجاسر، د ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1980م، ص140. 141.

⁵ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاءوري، فتوح البلدان، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص139. أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م، ج3، ص621.

⁶ نشوان بن سعيد الحميري اليمني، خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة، ت علي بن إسماعيل المؤيد وآخرون، ط2، دار العودة، بيروت، 1978م، ص138. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص425. الهمداني، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص88. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص340. أبو العباس محمد بن يزيد المرزبان، نسب عدنان وقحطان، ت عبد العزيز الميمنى الراجكوتي، د ط، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، 1936م، ص20. 21. ابن عبد البر، الانباه، المصدر السابق، ص111. 112. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص340.

تورد الروايات خبراً عن لقاء النبي ببعض رجال كندة في أحد مواسم الحج لما كان يبحث عن جهة تحتضن دعوته وتسنده في مواجهة قريش؛ فطلب من عمه العباس بن عبد المطلب أن يخرجهم إلى السوق ليعرض دعوته على قبائل العرب، فكان ممن التقاهم رجال من بني عمرو بن معاوية الأكرمين فقال العباس: هذه كندة ولفها، وهي أفضل من يحج البيت من اليمن. فتقدم إليهم النبي عارضاً عليهم الإسلام فكان من بين ما فاضهم فيه: أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله. وكأنهم أدركوا المآلات السياسية لهذه المبادئ فلم يعترضوا ولكنهم اشتروا قاتلين: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك. فرد النبي أن الملك لله يجعله حيث يشاء. فقالوا له: الحق بقومك فلا حاجة لنا بك¹. وأضاف الكلبي في روايته: فقالوا: جئتنا لتصدنا عن آلهتنا، وتنازب العرب، ألحق بقومك، فلا حاجة لنا بك².

فلما كان العام التاسع للهجرة أقبلت وفود كندة إلى النبي في المدينة تعلن إسلامها وخضوعها؛ ذلك أن كندة دخلت في الإسلام تباعاً، وكانوا ممن وفد في عام الوفود. وقد فدت كل قبيلة كندية على حدة بسبب الانقسامات الحادة التي كانت بينهم والتي استمرت بينهم إلى أيام بني أمية. وفي ذات السنة فتح النبي دومة الجندل، وكان فيها ملك لكندة من بني السككون، هو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجحّ -ويقال عبد الحّيّ- فبعث النبي إليهم خالد بن الوليد، فأثاه بأكيدر أسيراً، فحقن رسول الله دمه، وصالحه على الجزية، ثم حلى سبيله، فرجع إلى قريته³.

وقدم على النبي من رؤسائها الأشعث بن قيس في وفد في ثمانين ركباً من كندة فدخلوا على النبي في مسجده وعليهم جبب الحبرة وقد كففوها بالحريز، فقال: ألم تسلموا. قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحريز في أعناقكم. فقال: فشقوه منها، فألقوه، ثم قال الأشعث بن قيس بن معد يكرب: يا رسول الله: نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار، قال: فتبسم رسول الله، وقال: ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة ابن الحارث -وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين، وكانا إذا شاعا في بعض العرب؛ فسُئلا ممن هما. قالوا: نحن بنو آكل المرار؛ يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً فقال لهم: لا بل نحن بنو النَّضر بن كِنانة لا نقفو أمنا، ولا ننتفي من أئينا، فقال الأشعث: هل فرغتم يا معشر كندة. والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين⁴. وقدم على النبي وفد من تجيب وعدد رجاله ثلاثة عشر، وساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم. فسر النبي بهم وقال: مرحبا بكم وأكرم منزلهم وحباهم. وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم. وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد⁵. ووفد الصدف أيضاً في تلك الفترة كما جاء في رواية أحد

¹ ابن كثير، المصدر السابق، ج3، ص172.

² تقي الدين؛ أبو العباس المقرئ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ت محمد عبد الحميد النميسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ج8، ص313.

³ أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، المغازي، ت مارسدن جونز، ط3، دار الأعلمي، بيروت، 1989م، ج3، ص1025. أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ت مصطفى السقا وآخرون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955م، ج2، ص526.

⁴ ابن هشام، السيرة النبوية، المصدر السابق، ج2، ص585. 586. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ت عمر عبد السلام السلامي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 200م، ج7، ص482. 483. ابن كثير، المصدر السابق، ج5، ص85. 86.

⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج1، ص244.

أبنائها: عن شرحبيل بن عبد العزيز الصديقي عن آبائه قالوا: قدم وفدنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم بضعة عشر رجلاً على قلائص لهم في أزر وأردية. فصادفوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بين بيته وبين المنبر. فجلسوا ولم يسلموا. فقال: مسلمون أنتم. قالوا: نعم. قال: فهلا سلمتم. فقاموا قياماً فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله قال: وعليكم السلام، اجلسوا. فجلسوا وسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أوقات الصلاة فأخبرهم بها¹.

عندما وفاة النبي كان زياد بن أبيد عاملاً له على حضرموت، وعُكاشة بن مُحصن على بني السكاسك والسُكون، والمهاجر بن أبي أمية على كِنْدَةَ، غير أن المهاجر قد ألم به مرض حال دون خروجه إلى كِنْدَةَ، فتولّاها زياد بن أبيد إلى أن خرج المهاجر بلوائه إلى قتال المرتدين في اليمن². وكان بنو كِنْدَةَ قد أجابوا دعوة الأسود العنسي حين تنبأ في آخر حياة النبي. وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه وقبل توبة من رجع إليه وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كِنْدَةَ، فأمره أبو بكر هو وعكرمة بالتوجه إلى حضرموت. فسار المهاجر من صنعاء، مع عكرمة بن أبي جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من مهرة والأزد وناجية وعبد القيس وقوم من مالك بن كنانة وبني العنبر، وقدم أبين وأقام بها لاجتماع النخع وحمير ثم سار للقاء المهاجر، فالتقى في مأرب وعبرا صحراء صهيدي³ يُريدان حضرموت⁴. في تلك الأثناء، كان زياد بن أبيد قد اشتد في حزم في التعامل مع الخارجين على سلطان المسلمين في حضرموت، فأغار على بني عمرو بن مُعاوية بمن بقي على إسلامه من رجال بني السُكون، وهزمهم وسي من نسائهم. مرّ زياد بأسراه على عسكر الأشعث بن قيس وبني الحارث بن مُعاوية، فاستغاثت نسوة من بني عمرو بن معاوية قائلات: يَا أَشْعَثُ، يَا أَشْعَثُ خَالَاتِكَ خَالَاتِكَ. فثار الأشعث في بني الحارث واستنقذهم⁵، ثم جمع من بني الحارث بن مُعاوية وبني عمرو بن مُعاوية، ومن أطاعه من السكاسك لِقِتَالِ زياد. حينئذٍ، كتب زياد للمهاجر يستقدمه، فخلف المهاجر عكرمة على قيادة الجيش، وهب في كتيبة سريعة لِنَجْدَةِ زياد. والتقى الفريقان في محجر الزرقان، واقتتلوا فانهمزت كِنْدَةَ، وفتروا إلى حصن النجير، وتجمّعوا فيه. كان لهذا الحصن ثلاث طُرُق تؤدي إليه، فعسكر زياد على أحدها، وعسكر المهاجر على الثاني، والثالث استخدمته كِنْدَةَ لإمداد الحصن بالْمُؤْن. وما أن وصل عكرمة بجيشه، حتى عسكر في الطريق الثالث، وقطع الميرة عن الحصن، كما أرسل عكرمة خيولاً قاتلت المرتدين من كِنْدَةَ حتى بلغوا الساحل. ولما علم من الحصن بما أصاب أحياء كِنْدَةَ، تعاقدوا وتوثقوا على الاستماتة في القتال. وفي الصباح، تقاتل الفريقان، وكثر القتلى

¹ المصدر نفسه، ج1، ص248.

² البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص76.

³ صهيدي: مفازة ما بين مأرب وحضرموت. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص335.

⁴ ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص494. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص331.

⁵ البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص106. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص335.

في الطرق الثلاثة، وهُزمت كِنْدَة¹. حينئذٍ، يئس أهل النجير، وخرج الأشعث بن قيس إلى المسلمين يستأمنهم على نفسه وتسعة من قومه وأهلبيهم على أن يفتح لهم باب الحصن، فأجابه المهاجر إلى ذلك. وطلب منه أن يكتب كتابًا بأسمائهم ليختمه ويأمنهم، فكتب الأشعث أسماءهم، ونسي أن يُضيف اسمه. دخل المسلمون الحصن وقتلوا المقاتلة، وسبوا نحو ألف امرأة، وأجاز المهاجر من في الكتاب، وأمسك بالأشعث يريد أن يقتله، لولا تدخُّل عكرمة، ونصيحته بترك أمره إلى أبي بكر. فأوثقوا الأشعث، وأرسلوه إلى المدينة. وبذلك قضى المسلمون على رِدَّة كِنْدَة وحضرموت، وولّى أبو بكر المهاجر على اليمن، وعبيدة بن سعد على السكاسك وكِنْدَة، وأقر زياد بن أبيد على حضرموت. وعندما بلغ الأشعث المدينة، جرى حوارٌ شديد بينه وبين الخليفة أبي بكر انتهى بالعفو عن الأشعث، وأقام المهاجر وعكرمة في حضرموت وكِنْدَة حتّى استتبّت الأمورُ تمامًا للمسلمين وتحقّق الأمن، فكان ذلك آخر حروب الردة².

لما عقد أبو بكر الألوية للجيش الذي وجهه إلى الشام جعل على لواء الأردن شراحيل بن حسنة الكندي³ وهو أحد رجالات كِنْدَة الذين حافظوا على إسلامهم لما ارتد الناس. وقد ابلى رجال كِنْدَة في فتوح الشام بلاء عظيمًا وفي فتوح حلب كان غناؤهم كبيرًا شهد به كل من حضر تلك الواقعة: قال مسعود بن عون فله در كِنْدَة يومئذٍ لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ووهبوا أنفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد⁴. وقال خالد بن الوليد لأبي عبيدة بن الجراح: أصلح الله الأمير لقد رأيت كِنْدَة وقد ابليت بلاء حسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت ابطالها وما زالت تضرب حتى أزلت عنا حامية الكفر والعدو فقال أبو عبيدة: صدقت والله يا أبا سليمان والله لقد أسعدت الناس كِنْدَة بشاتها⁵. وقد بقيت ذكرى دور كِنْدَة في فتوح الشام مكثفة في الحديث الذي يروى عن كعب الأحبار والذي جاء فيه: إن لله عز وجل في اليمن كنزٍ جاء بأحدهما يوم اليرموك⁶. كما ساهمت كِنْدَة في فتح حمص ممثلة في فرعبيها بنو معاوية وعلى رأسهم السمط بن الأسود، والسكون وعليها الأشعث بن مثناس السكوني⁷.

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج3، ص336. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص231. المقرئ، امتاع الاسماع، المصدر السابق، ج14، ص243.

² الطبري، المصدر السابق، ج3، ص337. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص232. البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص106. أكرم بن ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، ط1، كتبة العبيكان، الرياض، 2009م، ص412. جاء لدى الواقدي رواية تكشف تصور الأشعث بن قيس للأموار بعد وفاة النبي وخلافة أبي بكر له:

تكلم الأشعث بن قيس فقال: يا معشر كِنْدَة، إن كنتم على ما أرى، فلتكن كلمتكم واحدة، والزمو بلادكم وحوطوا حريمكم، وامنعوا زكاة أموالكم، فإني أعلم أن العرب لا تقر بطاعة بني تيم بن مرة وتلدع سادات البطحاء من بني هاشم إلى غيرها، وإنا لنا أجود، ونحن له أحرى، وأصلح من غيرنا، لأننا الملوك وأبناء الملوك من قبل أن يكون على وجه الأرض قرشي ولا أبطحي. محمد بن عمر بن واقد، الردة، المصدر السابق، ص175. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص99. محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط1، دار النفائس، بيروت، 2003م، ص89.

³ عبد الله بن مرعي بن محفوظ الكندي، كِنْدَة ودورها في الجزيرة العربية، ط1، كِنْدَة للنشر والتوزيع، جدة، 2000م، ص166.

⁴ أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص240.

⁵ الواقدي، فتوح الشام، المصدر نفسه، ج1، ص255.

⁶ ابن عساکر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج2، ص144.

⁷ عبد الله بن مرعي الكندي، المرجع السابق، ص166.

اما في الجبهة العراقية فقد استقطبت من رجال كندة أولئك الذين تورطوا في الردة؛ وذلك لأن رأي أبي بكر كان مستقرا على استثناء كل من ارتد من المشاركة في الفتوح؛ لذلك كانت الجبهة الشامية خالصة في البداية للذين ظلوا على اسلامهم. فلما سمح لهم عمر بالمشاركة في العمليات العسكرية التي كانت تتقدم في ارض العراق التحقت جموع كبيرة من كندة بها؛ على رأسهم الأشعث بن قيس فمضى إلى القادسية غازيا على رأس ثلاث ألف مقاتل من بينهم: حجر بن عدي وجبير بن القشعم والحارث بن ابي شمر وقيس بن فروة وغيرهم كثير. وقد اشتركوا في يوم أرمات من أيام القادسية المشهورة مشاركة فعالة وأزالوا دروعهم لمواجهة الفرس بعد ان صاح فيهم الأشعث: يا معشر كندة، لله در بني أسد. أي فري يفرون. وأي هذ يهدون عن موقفهم منذ اليوم. أغنى كل قوم ما يليهم، وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس¹، وكذلك كلن شأن كندة في ليلة الهير الحاسمة من أيام القادسية².

. حمير:

كان لحمير تاريخ قدم ضارب في المدنية والحضارة وممالك بقيت آثارها على النقوش والاثار وفي المرويات التاريخية والسرديات الأسطورية التي حفلت بها مصنفات كاملة وضعت لهذا الشأن ككتاب الاكليل من أنساب اليمن وأخبار حمير للهمداني، وخلاصة السير الجامعة لحكم الملوك التابعة لنشوان الحميري، وكتاب نشر المحاسن اليمنية في خصائص اليمن، ونسب القحطانية لابن الديبع؛ وتضمنت كلها فصولا مهمة في هذا الصدد؛ وتضمنت أخبارا نادرة عن القصور التي ازدانت بها اليمن ودلت على مدى التحضر الذي بلغه اليمنيون؛ مثل قصر غمدان الذي هو بصنعاء وقصر ظفار وقصر سلحين وقصر ناعط وبينون ومأرب وصرواح والقشيب والعنقاء وموكل وغيرها كثير³. والواقع ان محاولة الامام بتاريخ حمير في هذه السطور هي مهمة متعذرة؛ خاصة في ظل التضارب الكبير في المعلومات التي تتضمنها المصادر. ولطول تاريخ حمير وتداخله مع تواريخ الكيانات التي كانت تعاصره. فالذي يهمني منه هو ما يتعلق بإشكالية البحث وبالقدر الذي يسלט الضوء على الخلفيات التي جعلت دور حمير في تاريخ الإسلام على ما هو عليه.

كانت قبيلة حمير تنزل في أماكن متفرقة منها المكان المنسوب اليها وهو سرو حمير في جنوب شرق اليمن؛ وهو ما يسمى اليوم بياض وما جاورها؛ والموضع يتأخم سرو مذحج، بل هناك تداخل بين منازلهم. وتصب أودية سرو حمير الى منطقة أبين⁴ التي كانت سوقا لبطن مراد من مذحج. بينما قبيلة الأصابع وهي حميرية كانت تنزل لحج¹ وابين ومشعبة

¹ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص539.

² المصدر نفسه، ج3، ص561.

³ ابن الديبع الشيباني، نشر المحاسن اليمنية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، ت احمد راتب حموش، ط1، دار الفكر، دمشق، 1992م، ص ص85. 89. أنظر: احمد حسن شرف الدين، اليمن عبر التاريخ. دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة. ط2، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1962م، ص 97.

⁴ إبين: وهو مخلاف باليمن، منه عدن، وعدن: وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ردة لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو اليوم وهو مع ذلك ردي؛ إلا أن هذا الموضع هو مرأى مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك؛ فإنها بلدة تجارة، وتضاف إلى أبين وهو مخلاف عدن من جلته. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص89.

وصعدان وكريش وصحب وبلاس. وغيرها أماكن كثيرة في سرو مذحج وغيره²، كما أن بعضاً من كندة كانوا ينزلون سرو حمير. وبذلك أصبحت قبيلة حمير تقع بين منطقة حضرموت ومنطقتي مذحج وهمدان³. كما توزعوا بين: شبام⁴ بجانب جبل كوكبان⁵، وذمار⁶، وهي قرية جامعة بها زروع وآبار قريبة، ينال ماؤها باليد، ورمع⁷ وغيرها. ومن حصونها مدع. وسكن قسم من حمير في الحيرة⁸. (راجع الملحق رقم 1 و3)

يروى هشام بن محمد الكلبي عن النبي حديثاً لا ندري مدى صحته لكنه تضمن معلومات مختصرة عن الأنساب اليمنية لكنها مفيدة؛ جاء فيه: عن فروة بن مسيك المرادي: قدمت على رسول الله فقلت: يا رسول الله أخبرني عن سبأ، أرجل، أم خيل، أم واد، فقال بل رجل، ولد له عشرة، فتشاهم أربعة، وتيامن ستة، فالذين تشاهموا: غسان، ولخم، وحذام، وعاملة؛ والذين تيامنوا: حمير، والأزد، ومذحج، وكندة، والأشعر، وأثمار؛ والذين منهم: بجيلة وختعم⁹. ورغم أن النص لم يخص جميع القبائل والبطون اليمنية إلا أن أهميته تكمن في التحديد الجغرافي لتوزيع القبائل المذكورة وتعيينها بما يسمح لنا الانتباه إلى العلاقات التي قد تكون حصلت بين هذا القبيل أو ذاك.

تنسب حمير إلى: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ومن بطونها: معدان وملحان والدرون، ويقال لهم الأذواء. وأيضا. رمدد، فمنهم: بنو فهد، وعبد كلال، وذو كلاع وهو يزيد بن النعمان، وهو ذو كلاع الأكبر¹⁰. وذو أصبح: واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث. وهو أول من عملت له السياط الأصباحية. وذو يزن. ومن بطونها ذو

¹ لحج: بخلاف باليمن ينسب إلى الحج بن وائل بن الغوث بن قطن ابن عريب بن زهير بن أنس بن الميمس بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. قال ابن الحائك: ومن مدن تهايم اليمن لحج وبها الأصباح. معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص14.

² الهمداني، صفة جزيرة العرب، المرجع السابق، ص91.94.

³ الأصباح: من القبائل القحطانية بجنوبي شبه جزيرة العرب، وهم: ولد أصبح بن عمرو بن الحارث بن أصبح ابن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد ابن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة وهو حمير الأصغر. وكان قوم منهم يسكنون أبين. الهمداني، صفة الجزيرة العربية، المصدر السابق، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص53. ج5، ص14. عمر بن رضا كحالة الدمشقي، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المرجع السابق، ج1، ص32.

⁴ شبام: بكسر أوله: جبل لمدان باليمن. قال ابن الكلبي: شبام: قبيلة منسوبون إلى جبل، وليس بأم ولا أب. هكذا نقله ابن دريد بالكسر. وشبام أيضا المدينة الثانية من مدن حضرموت لأن كانت متشكلة من مدينتين يقال لإحدهما تريم وللأخرى شبام. البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج2، ص270. ج3، ص778. معجم البلدان (3/318). وجاء لدى ياقوت الحموي في الموقع المختلفة في اليمن التي تحمل هذا الاسم: حدّثني بعض من يوثق بروايته من أهل شبام أن في اليمن أربعة مواضع اسمها شبام: شبام كوكبان غربي صنعاء وبينهما يوم، وهي مدينة في الجبل المذكور آنفا، وشبام سخيم: قبلي صنعاء بشرق بينه وبين صنعاء نحو ثلاثة فراسخ، وشبام حراز: وهو غربي صنعاء نحو الجنوب بينهما مسيرة يومين، وشبام حضرموت. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص318.

⁵ كوكبان: جبل قرب صنعاء وإليه يضاف شبام كوكبان وقصر كوكبان، وقيل: إنما سمي كوكبان لأن قصره كان مبنياً بالفضة والحجارة وداخله بالياقوت والجوهر، وكان ذلك الدرّ والجوهر يلمع بالليل كما يلمع الكوكب فسمي بذلك. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص494.

⁶ ذمار: هو اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء، وقال قوم: ذمار اسم لصنعاء، وصنعاء كلمة حبشية أي حصين وثيق، قاله الحبش لما رأوا صنعاء حيث قدموا اليمن مع أبرهة وإرباط، وقال قوم: بينها وبين صنعاء ستة عشر فرسخا. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص7.

⁷ رمع: بكسر أوله، وفتح ثانيه. أرض باليمن قبل زيد، وهي من المخاليف التي تعظم أعنانها، حتى لا يحمل الرجل الجلد منها أكثر من عنقود واحد. وتنسج في رمع البرود الجياد. البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج2، ص270. وذكر الحموي أن رمع موضع باليمن، وقيل: هو جبل باليمن، وقال نصر: رمع قرية أبي موسى ببلاد الأشعريين من اليمن قرب غسان وزيد، وقال ابن الدّمينة: يتلو وادي زيد رمع، وهو واد حازّ ضيق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص68.

⁸ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص77. كحالة الدمشقي، معجم القبائل، المرجع السابق، ج1، ص306.

⁹ أبو المنذر بن السائب الكلبي، نسب معد، المصدر السابق، ج1، ص132. 133.

¹⁰ ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج3، ص320.

جدن¹: وهو علس بن الحارث بن زيد بن الغوث². والتبابعة: تبّع الأصغر أسعد أبو كرب، واسمه تبان بن ملكيكرب، وهو تبّع الأكبر ابن قيس بن زيد بن عمرو، ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار. وتبع بن الرائش بن قيس بن صيفي. وملكيكرب تبّع الأكبر، يكنى أبا مالك. ومن بني صيفي بن سبأ: بلقيس، وهي بلقمة بنت آل شرح بن ذي جدن بن الحارث بن قيس بن سبأ الأصغر. وحمير التبابعة. وهم تسعة، منهم تبّع الأصغر، وتبع الأكبر؛ ومنهم الثمانية، وهم ثمانية رهط ولاة العهود بعد الملوك³. وقد اتخذت حمير صنما فسموه نسرا فعبدوه بأرض يقال لها بلخع⁴. (راجع الملحق رقم 1)

ولعل من أهم الأحداث التي وقعت في اليمن عموماً ولحمير خصوصاً؛ والتي كانت قريبة عهد من ظهور الإسلام هي الاحتلال الحبشي ثم الفارسي لأرض اليمن؛ اللذان كانا وجهاً من وجوه الصراع العالمي الذي ظل يدور بين الفرس والرومان ثم من بعدهم البيزنطيين لعدة قرون. فصارت أرض اليمن مسرحاً له وخضعت بذلك لأدوار مختلفة من السيطرة عليها. وقد استخدمت الأطراف المتصارعة الأديان المقدسة في إدارة لعبتها الدنيوية.

الدور الحبشي 525 - 575 م:

احتل الأحباش اليمن في عهد الملك ذي نواس الذي أصبح التنافس اليهودي المسيحي في عهده على أشد ما يكون. فقد بلغ التوتر منتهاه عندما أدرك العرب أن المسيحيين العرب كانوا واسطة لتسرب النفوذ الحبشي إلى البلاد، فاعتبر ذو نواس المسيحيين خونة، فسار إليهم بجيش كبير ودخل مدينتهم نجران، وخيرهم بين ترك ديانتهم أو القتل، ولما أبوا إلا البقاء على دينهم أقام لهم مذبحاً رهيباً وأحرق عدداً كبيراً منهم ودفنهم في الأخدود. وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} [البروج: 4]⁵. لم تمض حادثة الأخدود بسلام، فما أن بلغ خبرها الإمبراطور البيزنطي جوستين الأول حتى اغتتمها فرصة لتحقيق مآربه في المنطقة؛ خاصة بعد أن استولى على البتراء وتدمر ومعان⁶ وغيرها من المناطق ذات النفوذ التجاري، فكتب إلى نجاشي الحبشة يستعديه على اليمن. جمع النجاشي جيشاً من 70 ألف مقاتل

¹ قال الكلبي: خرج ذو جدن الملك يطوف في أحياء العرب، فنزل في بني تميم، فضرب له فسطاط على قارة مرتفعة، فجاهه زرارة بن عدس مصعباً إليه، فقال له الملك: ثب، أي اقعده بلغته. فقال زرارة: ليعلمنّ الملك أنّي سامع مطيع، فوثب إلى الأرض؛ فتقطع أعضاءه، فقال الملك: ما شأنه؟ فقيل له: أبيت اللعن، إن الوثب بلغته، الظفر. فقال: ليس عربيتنا كعربيتكم، من دخل ظفار فليحتر، أي فليتكلم بلغة حمير. ثم تدمم فقال: هل له من ولد، فأتى بحاجب، فضرب عليه القبة، فكانت عليه إلى الإسلام. البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج3، ص 304. 305.

² ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص321. محمد حسين الفرج، اليمن في تاريخ ابن خلدون، د ط، إصدارات وزارة السياحة والثقافة، صنعاء، 2004م، ص 101. 104. إبراهيم محمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، در الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، 2002م، ج1، ص513.

³ ابن عبد ربه، المصدر السابق ج3، ص322.

⁴ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص480.

⁵ انظر لدى الطبري الروايات المختلفة في هذا الشأن. كما أنه أورد الخبر التالي: فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن، فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية، فخيرهم بين القتل والدخول فيها، فاخترأوا القتل، فخذ لهم الأخدود، فحرق بالنار، وقتل بالسيف، ومثل بهم كل مثله، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفاً، وأقلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان، على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم. الطبري، المصدر السابق، ج2، ص123.

⁶ الطبري، المصدر نفسه، ج2، ص124. توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط2، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص84.

بقيادة القائد أرباط وأرسلهم لمقاتلة الملك الحميري حتى انتصر عليه سنة 525م، واستولى على اليمن وقضى على استقلالها وسيادتها، وأذل حمير وقتل ثلث رجالها، وبعث إلى النجاشي بثلاث نساءها سبايا، بينما رمى ذو نواس نفسه في البحر وانتحر، وكان آخر ملوك حمير¹.

حكم بعد أرباط أحد قواده أبرهة الذي قتل سلفه وانتزع القيادة منه، وما لبث الأحباش أن كشفوا القناع عن وجه استعماري مقيت، فحكموا حكمًا شديدًا ضج منه الناس ودام خمسين عاما. وقد استغلوا حكمهم لليمن في نشر الديانة المسيحية في جميع أرجاء الجزيرة العربية، جنوبيها وشماليها، وفي بسط سيطرتهم الاقتصادية عليها، لا سيما في ميدان التجارة، هذا الميدان الذي بدأ عرب الشمال في اقتحامه، وبدأت تجارتهم في النمو والازدهار، وأخذت قوافلهم التجارية ترتاد طرق التجارة العربية من الحجاز حتى بلاد الشام من جهة ومن الحجاز حتى اليمن من جهة ثانية، وأصبحت مكة والمدينة مركزين لهما أهمية عظيمة في النشاط التجاري، وإن يكن هذا النشاط قد اقتصر على داخل الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر. وقد زاد الحجاز أهمية كونه المركز الديني لعرب شبه الجزيرة لوجود الكعبة، وهي أكبر مركز ديني وثني آنذاك، فأثار هذا كله حفيظة أبرهة الحبشي، ودفعه إلى منافسة التجارة الحجازية، ومجاراة مكة في أهميتها الدينية كوسيلة لاستقطاب النشاط التجاري الداخلي لعرب الجزيرة، وتركيزه في المدن اليمنية التي يسيطر عليها الأحباش. وهذا ما حدا به إلى بناء كاتدرائية عرفت باسم الكليس أو القليس في صنعاء، وبالغ في تزيينها وإتقانها، وقد نقشها بالذهب والفضة وصنوف الجواهر والزجاج والفسيفساء، وأخذ يسعى لجذب العرب إلى زيارتها والعزوف عن زيارة الكعبة. لكن العرب أظهروا تعلقهم بالكعبة وكرههم للأحباش واحتقارهم للكليس، فقام اثنان من قبيلة فقيم ووضعوا أقدارًا فيها؛ الأمر الذي جعل أبرهة يتميز غضبًا وأقسم ليهدم الكعبة، وسار بجيش إلى مكة لينفذ وعيده في العام الذي سمي بعام الفيل².

الدور الفارسي 575 - 632 م:

حكم أبرهة اليمن ما يقارب 23 عامًا، ولما توفي خلفه ابنه يكوم ثم أخوه مسروق. وقد أساء الأحباش إلى اليمنيين وأذلوهم، حتى إذا اشتد بهؤلاء البلاء عزموا على التخلص من مستعمرهم، وقد تزعمهم رجل من أذواء حمير يدعى الأمير سيف بن ذي يزن؛ الذي أصبحت سيرته في تحرير بلاده موضوع روايات وملاحم دخلها كثير من الخيال والأسطورة.

لجأ سيف بن ذي يزن إلى كسرى الفرس وطلب مساعدته في إخراج الأحباش من بلاده، فاستجاب كسرى لطلبه؛ نظرًا للعداء الفارسي البيزنطي، ولكون الاحتلال الحبشي لليمن وما يكمن وراءه من نفوذ بيزنطي يؤثر تأثيرًا سيئًا على الاقتصاد الفارسي من حيث تحويل تجارة الشرق الأقصى إلى أيدي البيزنطيين، وحرمان الفرس من الأرباح التي تأتيهم من تجارة التوابل عبر الخليج العربي إلى المناطق الشمالية؛ لوجود منافسين أقوياء إلى جانبهم، هذا بالإضافة إلى ما ينجم عن

¹ الطبري، المصدر السابق، ج2، ص125.

² المصدر نفسه، ج2، ص129. 132. توفيق برو، المرجع السابق، ص85.

احتلال اليمن من تزايد في السيطرة السياسية البيزنطية، ومن اختلال في توازن القوى السياسية بين الدولتين العدوتين. وهكذا أرسل كسرى مع سيف بن ذي يزن جيشاً بقيادة وهز أبحروا من الخليج العربي ونزلوا في شواطئ حضرموت، وما كادوا ينزلون البر اليمني حتى انضم إليهم كثير من السكان، فقاتلوا الأحباش، واستطاعوا أن يطردوهم، وأن يجروا اليمن من حكمهم¹.

تسلم سيف بن ذي يزن مقاليد الحكم بالاشتراك مع الفرس، واتخذ قصر غمدان مقراً له، ثم أخذ ينتقم من الأحباش ويقتلهم حتى كاد أن يفنيهم، ولم يبق منهم إلا قلة ذليلة اتخذ من أفرادها عبداً له. فاغتنم هؤلاء غفلة منه واغتالوه، فانفرد الفرس الساسانيون بحكم البلاد بعد ان دخلوا البلاد كمحربين، وقد جعلوا في البداية الحكم مشتركاً بينهم وبين العرب، لكنهم ما لبثوا أن استغنوا عنهم بعد مقتل سيف وحكموا البلاد حكماً مباشراً². غير أن الاضطرابات التي حدثت في الدولة الفارسية انعكس تأثيرها على حكمهم في اليمن مما جعل القبائل العربية اليمنية المتربصة تنور عليه؛ فانحصر نفوذه في صنعاء وما يجاورها، بينما قوي نفوذ الأمراء المحليين. أما ولاية الفرس فكان أولهم وهز وآخرهم شهر بن باذان؛ الذي أدرك والده الإسلام واعتنقه سنة 628 م الموافق للسنة السادسة الهجرية. وظل والياً عليها هو وابنه شهر من بعده حتى عام 632 م الموافق للسنة العاشرة الهجرية؛ حينما أصبحت اليمن ولاية إسلامية، وانتهى بذلك حكم الفرس لليمن³.

استمرت تقاليد الملك منبثة في عوائد حمير حتى مجيء الإسلام. وقد أورد الزمخشري خبراً عن شيخ من همدان يصف بقية من بقايا تلك التقاليد المملوكية جاء فيه التالي: عن شيخ من همدان: بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع بمدايا فمكثت حولاً لا أصل إليه، ثم أشرف إشرافة من كوة له فخر من حول القصر سجداً. ثم رأيت بعد، وقد هاجر إلى حمص، يشتري اللحم بدرهم، ويسمطه خلف دابته. وهو القائل:

أف للدنيا إذا كانت كذا أنا منها في عناء وأذى
إن صفوا عيش أمرئ في صباحها جرعتهم ممسيا كأس القذى
ولقد كنت إذا ما قيل من أنعم الناس معاشاً قيل ذا⁴

¹ انظر تفاصيل ذلك عند الطبري. الطبري، المصدر السابق، ج2، ص140. 148. جمال الدين عبد الملك بن هشام الحميري، التيجان في ملوك حمير، ط1، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية، 1337هـ، ص316. جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص216. 217.

² ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج2، ي134. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص73. 75.

³ نشوان بن سعيد الحميري، خلاصة السير الجامعة، المصدر السابق، ص150. 151. الحميري، التيجان، المصدر السابق، ص317. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، ت ثروة عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص639. أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الاخبار الطوال، ت عبد المنعم عامر، ط1، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1960م، ص63. 64. المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د ت، ج3، ص89. 95. توفيق برو، المرجع السابق، ص86. 87.

⁴ الزمخشري، ربيع الأبرار، المصدر السابق، ج1، ص447.

جاء في بعض الروايات عن النبي ابان غزوة تبوك انه: وقف ذات ليلة واجتمع إليه أصحابه، فقال: إن الله أعطاني الكنزين، كنز فارس والروم، وأيدني بالملوك، ملوك حمير، ولا ملك إلا لله، يأتون فيأخذون مال الله، ويقاثلون في سبيل الله¹. وكان ذلك لما استتب امر الإسلام في المدينة وبسط سلطته عليها وعلى ما يجاورها وذاعت انتصاراته على قريش واحلافها. وتضمنت النبوءة كشفا لما كان يعمل لدى بعض من قادة قبائل اليمن ممن كانوا يتابعون تطور الأحداث في وسط وشمال الجزيرة العربية؛ إذ لا بد أنهم أدركوا من واقع خبرتهم الأفق السياسي الذي كانت تتجه اليه حركة الإسلام. ورأوا ضرورة الانخراط في الدين الجديد. ونرى من الطبيعي أن يكون النبي قد أرسل بعض أصحابه الى اليمن حتى يختبر قابليتهم للإسلام؛ خاصة وأن روايات كثيرة تضمنت هذا المعنى. وقد صفت كتب التواريخ والسير سادات حمير في أيام النبي: الحارث بن عبد كلال، وشريح بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر، وزرعة ذو زين "زرعة بن ذي زين"، وزرعة ذي رعين. بأنهم ملوك حمير وذكرت أنهم أرسلوا إلى النبي مالك بن مُرارة الرهاوي رسولاً يحمل إليه كتاباً منهم يخبرونه فيه بإسلامهم، وقد وصل إليه مقفله من تبوك، ولقيه بالمدينة، فكتب النبي إليهم جوابه، شرح لهم فيه ما لهم وما عليهم، وما يجب عليه مراعاته من أحكام². وقد وكان وصول مالك الرهاوي الى المدينة في شهر رمضان سنة تسع، وذلك بعد رجوع النبي من تبوك³.

ودون ابن سعد صورة كتاب ذكر أن النبي أرسله إلى الحارث ومسروح ونعيم أبناء عبد كلال من حمير، حمله إليهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي. وأوصاه بوصايا ليوصي بها أبناء عبد كلال إن أسلموا، منها أنهم: إذا رطنوا فقل ترجموا، حتى يفقه كلامهم، وإذا أسلموا، فليأخذ قضبهم الثلاثة التي إذا حضروا بها سجدوا، وهي من الأثل قضيب ملمع ببياض وصفرة، وقضيب ذو عجر كأنه خيزران، والأسود البهيم كأنه من ساسم، ثم أخرجها فحرقها بسوقهم. فذهب إليهم ووجدهم في دار ذات ستور عظام على أبواب دور ثلاثة. فكشف الستر ودخل الباب الأوسط، وانتهى إلى قوم في قاعة الدار. ففعل بمثل ما أمره به النبي. ويظهر من قوله: فإذا رطنوا فقل ترجموا، أنهم لم يكونوا يحسنون عربية أهل مكة، وأنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بلهجاتهم الخاصة بهم، وأن معنى تحريق القضب الثلاثة، هدم ما كان لهم من عزة وسلطان

¹ معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، الجامع، ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، 1403هـ، ج11، ص48. احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ت وصي الله محمد عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ج2، ص865.

² الطبري، المصدر السابق، ج3، ص120. 121. ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص203، ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج3، ص272. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص155. ابن حجر، الإصابة، المصدر السابق، ج1، ص678. جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص180.

³ عثمان بن صالح عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى زرعة: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن محمدا النبي أرسل إلى زرعة بن ذي زين، إذا أتاكم رسلي، فأمركم بهم خيرا، معاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة ومالك بن عباد وعتبة بن نيار ومالك بن مرارة وأصحابهم، فاجعوا ما عندكم من الصدقة والجزية فأبلغوها رسلي، فإن أميرهم معاذ بن جبل ولا يتقلبن منكم إلا راضين [ص:466]، أما بعد، فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن مالك بن مرارة الرهاوي حدثني أنك أسلمت من أول حمير وفارقت المشركين، فأبشرك بخير، وأمركم يا حمير خيرا، فلا تخونوا ولا تحادوا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهله، وإنما هي زكاة تزكون بها للفقراء المؤمنين، وإن مالكا قد بلغ الخير وحفظ الغيب، وإني قد أرسلت إليكم من صالح أهلي وأولي ديني، فأمركم بهم خيرا، فإنه منظور إليه، والسلام " قال أبو عبيد: أراه يعني معاذ بن جبل. ابن زنجويه حميد بن مخلد الخراساني، الأموال، ت شاكر ذيب فياض، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1986م، ج2، ص463.

وتكبر على الرعية؛ لأن الإسلام قد جاء باحتثات ذلك، وبأن يكون الحكم للنبي وحده، ولما كانت تلك القضب رمزاً للحكم والسلطان، فقد أمر النبي بكسرها، ايدان بأن حكمهم القدم قد زال¹.

وجه النبي إلى زرة بن ذي يزن كتابا جاء فيه: أما بعد، فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين². يفهم من الكتاب أن زرة هذا كان رأس حمير، والمطاع فيها، ولهذا أرسل إليه رسولاً خاصاً به هو مالك بن مرة الرهاوي، واستلم جواباً خاصاً من النبي كتب باسمه، ولم يذكر اسمه في الجواب الذي أرسله إلى الباقيين بصورة مشتركة. وذكر ابن سعد أن النبي كتب كتاباً إلى بني عمرو من حمير، ولم يذكر من هم بنو عمرو، وأشار إلى أن في الكتاب: كتب خالد بن سعيد بن العاصي؛ ما يدل على أنه كان كاتب ذلك الكتاب. ويشير ابن سعد أيضاً إلى أن النبي أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع. وإلى ذي عمرو يدعوها إلى الإسلام، فأسلمت وأسلمت ضريبة بنت أبرهة بن الصباح امرأة ذي الكلاع، وتوفي النبي، وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاته.

ويشير نسب ذي الكلاع المذكور إلى أنه من الأسرة التي كانت تحكم اليمن قبيل غزو الحبش لها. فهو من الأسر الشريفية الحميرية في اليمن، وقد عرف بذي الكلاع الأصغر عند أهل الأخبار تمييزاً له عن ذي الكلاع الأكبر الذي هو في عرفهم يزيد بن النعمان الحميري من ولد شهال بن وحاطة بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرة بن سبأ الأصغر. وأما صاحبنا ذو الكلاع الأصغر الذي راسله النبي وأسلم، فهو أبو شراحيل سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر³. قال أهل الأخبار: التكلع: الحلف؛ وبه سمي ذو الكلاع الأصغر؛ لأن حمير تكلعوا على يده، أي: تجمعوا، إلا قبيلتين: هوازن وحراز، فإنهما تكلعتا على ذي الكلاع الأكبر: يزيد بن النعمان⁴.

وذكر أن أبا شراحيل هو الرئيس في قومه المطاع المتبوع، أسلم في حياة النبي، فكتب إليه النبي على يد جرير بن عبد الله البجلي كتاباً في التعاون على الأسود ومسيلمة وطليحة. فلما وصله كتاب النبي أعتق أربعة آلاف بيت كانوا قنا له⁵. وكان القائم بأمر معاوية في حرب صفين، وقتل قبل انقضاء الحرب، ففرح معاوية بموته، وذلك أنه بلغه أن ذا الكلاع ثبت عنده أن علياً بريء من دم عثمان، وأن معاوية لبس عليهم ذلك، فأراد التشييت عليه فعاجلته منيته بصفين وذلك سنة سبع وثلاثين⁶. وورد في الخبر أن النبي كتب إلى معد يكرب بن أبرهة أن له ما أسلم عليه من أرض خولان. ولم يشتر

¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج1، ص216. جواد علي، المرجع السابق ج7، ص181.

² الطبري، المصدر السابق، ج3، صص120. 121.

³ الصحاري، الأنساب، المصدر السابق، ج2، ص280. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص434.

⁴ جواد علي، المرجع السابق ج7، ص182.

⁵ ابن عساکر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج17، ص389.

⁶ فقال معاوية لأصحابه: لأنا أشد فرحاً بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو افتتحتها لأن ذا الكلاع كان يعرض له في أشياء كان يأمر بها. ابن عساکر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج17، ص394.

ابن سعد إلى بقية اسم أبرهة أو إلى شهرته؛ لذلك لا ندري إذا كان قصد أبرهة المعروف، أو شخصاً آخر اسمه أبرهة. ولكننا نعرف اسم قيل عرف بمعد يكر؛ اسم والده أبو مرة الفياض ذو يزن، كان متزوجاً من ربحانة ابنة ذي جدن فولدت له معد يكر المذكور. ثم انتزعا منه الأشرم، ونشأ معد يكر مع أمه ربحانة في حجر أبرهة، فلعله نسب إليه، لذلك قال له ابن سعد معد يكر بن أبرهة¹.

كان للفرس وللجيل الجديد الذي ظهر في اليمن من تزواجهم باليمنيين، وهو الجيل الذي عرف بالأبناء² نفوذ كبير في اليمن، وإلى هذا الجيل أرسل النبي وبر بن يحنس، يدعوهم إلى الإسلام، فنزل على بنات النعمان بن بزرج فأسلمن، وبعث إلى فيروز الديلمي فأسلم، وإلى مركبود وعطاء ابنه، ووهب بن منبه³. وكانت ديانة الفرس الذين أقاموا باليمن هي الجوسية، ولما دخل أهل اليمن في الإسلام، دخل بعض هؤلاء فيه، وأقام بعض آخر على دينه، وفرض النبي على من بقي على دينه جزية. وقد نفر منهم بعض سادات اليمن من الأسر القديمة، بسبب أنهم غرباء عن اليمن، جاءوا إلى اليمن فحكموها، ولهذا انضم بعض منهم إلى الأسود في رده؛ لأن الأسود العنسي كان كارهاً للأبناء، حاقداً عليهم، يرى أنهم عصاة دخيلة، استأثرت بحكم اليمن⁴. ويبدو أن رؤساء حمير استنكفوا الارتداد عن الإسلام لما عصفت الردة بجزيرة العرب؛ يدل عليه استنفارهم مع أبي بكر لما طلبهم للنهوض إلى الشام في بداية الفتوحات لأن أبا بكر لم يكن يأذن لمن سبقت منه الردة في الانخراط في جملة الفاتحين. جاء في نص طويل عن خبر كتاب أبي بكر أورده ابن عساكر عن أنس بن مالك قال: أتيت أهل اليمن فبدأت بهم حيا حيا أقرأ عليهم كتاب أبي بكر حتى إذا فرغت قلت الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فإني رسول خليفة رسول الله ورسول المؤمنين ألا واني تركتهم معسكرين ليس يثقلهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم فاحتملوا إلى إخوانكم بالنصر رحمة الله عليكم أيها المسلمون قال فكل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع مني هذا القول يرد أحسن الرد ويقول نحن سائرون إلى إخواننا⁵. وتنتهي الرواية بقيام ذي الكلاع باستنفار جميعهم والانخراط في قتال المرتدين.

¹ جواد علي، المرجع السابق ج7، ص183.

² من اللافت للنظر ان يكون ولاء الأبناء باليمن في زمن الفتنة كان لعل ذلك اعمل فيهم بسر بن أرطأة القتل. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج3، ص22.

³ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص158.

⁴ جواد علي، المرجع السابق ج7، ص184.

⁵ تمة النص كالتالي: حين انتهينا إلى ذي الكلاع فلما قرأنا عليه الكتاب وقلت هذا القول فدعا بفرسه وسلاحه ثم تحض في قومه وأمر بالمعسكر فما برحنا حتى عسكر وقام فيهم فقال لهم أيها الناس إن من رحمة الله عليكم ونعمته فيكم أن بعث منكم نبيا أنزل عليه الكتاب وأحسن عنه البلاغ فعلمكم ما يرشدكم ونهاكم عما يفسدكم حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ورجبكم فيما لم تكونوا ترغبون فيه من الخير وقد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم فليفر من أراد الفر معي قال فنفر معه بعدة من الناس وأقبل إلى أبي بكر قال ورجعنا نحن فسبقناه بأيام فوجدنا أبا بكر بالمدينة ووجدنا ذلك العسكر على حاله وأبو عبيدة يصلي بأهل العسكر. فلما قدمت حمير معها أولادها ونساؤها. قال لهم أبو بكر عباد الله ألم تكن نتحدث فنقول إذا مرت حمير معها نساؤها وأولادها نصر الله المسلمين وحذل المشركين. أبشروا أيها الناس قد جاءكم النصر. ابن عساكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج17، ص389.

. طيبى:

كانت قبيلة طيبى موضوعاً لاختلاف النسابة العرب حول أصولها ومواطنها الأولى وذلك لأنها في الفترة التي ظهر فيها الإسلام كانت مستقرة في الشمال ولم تكن في اليمن؛ مما دفع ببعض النسابة إلى اعتبارها قبيلة شمالية. والواقع أن عملية التنسيب التي طالت القبائل العربية في الفترة الإسلامية قد خضع لاعتبارات كثيرة ولم ينج من تأثيرات السياسة والنزاعات الاجتماعية التي حفل بها المجتمع الإسلامي آنذاك. لكن الرأي الراجح يعود بنسبة طيبى إلى القحطانية وإن وجودها في الشمال جاء نتيجة لهجرتها الجماعية بعد خراب سد مأرب. وقد ذكر ابن سعد. وهو من مصادرنا القديمة والرصينة. وقد طيبى ضمن وفادات أهل اليمن. وقال السهيلي أنه لا يشارك بني عدنان من العرب في أرض نجد أحد من قحطان إلا طيبى. وكان الطائيون يعتزون ويفخرون بنسبتهم إلى اليمن من ذلك ما ينسب إلى طيبى أبي القبيلة قوله:

إننا من الحمي اليمانيين إن كنت عن ذلك تسألينا¹

كما كان أهل اليمن يفخرون بدورهم بنسبة طيبى إليهم من ذلك قول النعمان بن بشير الأنصاري:

ومنا ملوك الناس فهد وتُبَّع وعبد كلال والقروم القماقم

فمن ذا يعادلنا من الناس معشر كرام فذو القرنين منا وحاتم

ويدور هذا المعنى من مفاخرات أهل اليمن في قول بعضهم:

إذا الناس عدوا المكرمات فإنما لنا فوقهم طراً ثلاث مكارم

بعمرٍ وفهر المعلمين لدى الوغى لنفخرهم عند السخاء بحاتم²

وطيبى هو جُلُهْمَة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ³. وأم طيبى مدلة بنت ذي منشجان بن عريب بن غوث بن زهير بن وائل بن المميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان⁴. وقد هلك أدد بن زيد أبو طيبى فلم تتزوج مدلة وأقامت على ولديها مالك وطيبى. والعرب تقول: أذحجت المرأة على ولدها؛ أي أقامت. وقال آخرون أن مذحج هي أكمة كانت تلوذ بها أم طيبى ومالك⁵. وعلى هذا فإن مذحج تشتمل على مالك وطيبى. وهنا وقع الخلاف بين النسابة حول العلاقة بين طيبى ومذحج؛ حيث يذهب ابن الكلبي في نسب طيبى إلى أن طيباً ينتسب إلى مذحج، ويقال ابن مذحج. وهذا خلط واضح. والرأي ما عرضه ابن عبد البر في كتابه القصد والأمم وغيره حيث ذهبوا إلى أن طيبى هو: طيبى بن أدد بن زيد أخو مالك بن آدر بن زيد. وقال غيره من أهل النسب أن طيباً

¹ وفاء فهمي السديوني، شعر طيبى وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1983م، ج1، ص18.

² وفاء السديوني، شعر طيبى، المرجع نفسه، ص9.

³ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص404. السمعاني، المصدر السابق، ج9، ص21. عز الدين بن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، المصدر السابق، ج2، ص271. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص97.

⁴ الصحاري، الأنساب، المصدر السابق، ص333. النويري، نهاية الأرب، المصدر السابق، ج1، ص35.

⁵ ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص134. أبو بكر زين الدين الهمداني، الأماكن أو ما اتفق لفظه واقترب مسماه من الأمكنة، ت حمد بن محمد الجاسر، د ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ، ص928. أبو بكر زين الدين الهمداني، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ت عبد الله كون، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1973م، ص17.

أخو مذحج ومن أنتسب إلى طيئ فليس بمذحجي. وقال ابن عبد البر في مذحج: كل من أنتسب إلى مالك ابن أدد بن زيد بن يجشب بن عريب بن زيد كهلان بن سبأ فهو مذحجي¹. (راجع الملحق رقم 1)
 أنجب طيئ جد هذه القبيلة من الولد: فطرة والغوث والحارث². فأما ولد الحارث فدخلوا في مهرة بن حيدان. وأما ولد فطرة، فمنهم: جديلة، وولد خارجة بن سعد بن فطرة، وتيم الله، وحيش، والأسعد. ومن نسل هؤلاء تفرعت سائر بطون طيئ³. ومن بني الغوث بن طيئ بنو ثعل، ومنهم سلامان وجرول. ومن بني سلامان: بختر، ومعن، وهما بطنان ضخمان، ومن بني جرول بن ثعل: ربيعة بن جرول. وهم بطن ضخم، ولوذان بن جرول بن ثعل. ومن بني ربيعة بن جرول أخزم والنجد. والأخزم بطون عديدة، ومنها عدي بن أخزم، ومن رجالها الطائي المعروف بجوده. وعمرو بن الشيخ وكان أرمى الناس في زمانه⁴.

أما معنى طيئ فإن معظم المصادر تنص على أن طيئاً سمي بطيئ لأنه أول من طوى النازل أو المناهل؛ إي جاز منهاً إلى منهل آخر ولم ينزل. غير أن البطليوسي قد أنكر ذلك وقال: اشتقاق طيئ من طيئ المناهل غير صحيح في التعريف لأن طيئاً مهموز اللام وطوي يطوي لأمه ياء، فلا يجوز أن يكون أحدهما مشتقاً من الآخر إلا أن يزعم زاعم أنه مما همز على غير قياس. وإضافة: وإنما أشتق طيئ من طاء يطوء إذ ذهب وجاء والطاء: بعد الذهاب في الأرض وفي المرعى. وفي كلا الاشتقاقين تبدو العلاقة بين التسمية وبين الهجرة والترحل. ولعلها الكلمة تحفظ في طياتها هجرة طيئ الأولى من مساكنهم الأولى باليمن إلى شمال الجزيرة بالجليلين؛ أجاً وسلمى، إذ يقرر البكري أنه بين الجوف. منازل طيئ باليمن. وبين الجليلين حيث هاجروا واستقروا مسيرة شهر.

انتهت رحلة طيئ في خروجهم من بلاد اليمن إلى منطقة نجد؛ حيث استوطنوا بقرب هضبة جبلية يبلغ ارتفاعها زهاء 2500 قدم؛ تتكون من الغرانيت؛ في مكان عرف بجليل طيئ، ويتألف من سلسلتين، يقال لإحدهما أجاً، وللأخرى سلمى. وهناك منابع عديدة للمياه في شعاب هذه السلسلة وفي السهل الكبير المنبسط بينهما. ويمكن الحصول على المياه فيها بوفرة تحت طبقات الرمال والصخور. وأما جبل طويق فهو مرتفعات تقع في الوسط الشرقي من نجد وفي جنوب شرقي الرياض الحالية، وتتألف من الحجارة الرملية وتحيط بها الصخور والحجارة الكلسية، وتدل البحوث على أن من الصخور والموارد البركانية ما قذفته البراكين إلى هذه الجهات⁵.

وتقع إلى شمال ديار طيئ ديار قبيلة كلب⁶. أما من الشرق من ديار طيئ فتقع منازل أسد، وإلى الشمال من ديار أسد منازل بكر، وأما إلى الجنوب من منازل أسد فديار هوازن وغطفان، وتتأخم ديار أسد من الشرق قبائل عبد القيس

¹ يوسف بن عبد البر القرطبي، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم، د ط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350هـ، ص116.

² ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص347. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص398.

³ ابن حزم، المصدر نفسه، ص399.

⁴ ابن حزم، الجمهرة، المصدر نفسه، ص400. 401.

⁵ جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص157.

⁶ جواد علي، المرجع نفسه، ج7، ص249.

1. وتقع ديار غطفان جنوب طيء وشمال هوازن وخيبر، وإلى الغرب من بلي وديار سعد². ويذكر الأخباريون أن الرئاسة في الجاهلية على طيء كانت لبني هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيء، وهم رمليون وإخوتهم جبليون³، ويعنون بذلك أنها كانت تنزل البوادي، لا جبلي طيء. ومن ولده إياس بن قبيصة الذي ولي ملك الحيرة بأمر كسرى وكان له شأن يذكر عند الفرس⁴.

كانت طيء في الفترة التي سبقت الإسلام ذات مكانة خطيرة، وقد أطلق اسمها عند بعض الكتبة الكلاسيكيين وعند الفرس والسريان وعند يهود بابل، على جميع العرب. وذلك يعود إلى قوتها وكثرة عددها وامعائها في الغزو ومهاجمة الحدود، حتى صار في روع السريان أنها أقوى العرب، فأطلقوا اسمها عليهم. وبدليل اختيار الفرس لإياس بن قبيصة، وهو من طيء لتولي الحكم في الحيرة مرتين. وليس بمستبعد أن تكون قبائل قضاعة قد حلت محل طيء في الشمال مما اضطر الأخيرة إلى الترحيل من أماكنها والدخول في غيرها والاكتفاء بمنطقتها في جنوب النفود. أي في جبلي طيء. وبالرغم من انتزاع طيء لجزء من أرض بني أسد، وهم من مضر، وسكناهم فيها⁵، فإن بني أسد وكذلك بني ضبة التي كانت قد تحولت عن بني تميم إلى طيء، انضموا إلى طيء وساعدوها في الحرب التي وقعت بينها وبين بني يربوع، وهم من تميم، تساعدهم بنو سعد. وانتهت بهزيمة بني يربوع في موضع رحلة التيس⁶. ولكن ذلك لا يعني أن العلاقات بين بطون طيء وأسد كانت حسنة دومًا، وثيقة لم يعكر صفوها ما يقع عادة بين القبائل من حروب. فقد وقعت بين القبيلتين حروب منها: الحرب التي وقعت بالخص في العراق على مقربة من قادسية الكوفة. وقد انتهت هذه الحرب كما تنتهي الحروب الأخرى بتصفية حسابها بدفع الديات وبعقد صلح. وقد وقعت بين عبس وطيء جملة غزوات. قضت إحداها على حياة عنزة بن شداد، البطل الأسود الشهير. أغار عنزة مع قومه على بني نبهان من طيء، وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز، وهو يطرد طريدة لطيء. فانهزمت عبس. وأصيب عنزة بجرح قضى عليه⁷.

وتذكر الروايات التي تتحدث عن الايلاف الذي عقده سادة قريش بينهم وبين القبائل الواقعة في طريق الشام واليمن أن طيء كانت من بين تلك القبائل، وذلك أن: هاشما جعل على رءوس القبائل ضرائب يؤديونها إليه ليحمي بها أهل مكة، لأن ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب الطوائف، كانوا لا يؤمنون على الحرم، لا سيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدرا، مثل طيء وخثعم وقضاعة وبعض بلحارث بن كعب⁸. فكانت قوافل قريش إذا قصدت دومة الجندل، وسلكت السبل التي تمر بالحزن، فإنها تكون آمنة مطمئنة؛ لأنها تمر ببلاد مضر، ولا

¹ جواد علي، المرجع نفسه، ج7، ص222.

² جواد علي، المرجع نفسه، ج7، ص252.

³ ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص233.

⁴ محمد بن حبيب، المخر، المصدر السابق، ص360. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص232. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج12، ص21.

⁵ القلقشندي، صبح الاعشى، المصدر السابق، ج1، ص372.

⁶ البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج2، ص640. ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص642. جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص43.

⁷ قتله وزر بن جابر النبهاني. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص261. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج8، ص391. جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص44.

⁸ سعيد الأفغاني، أسواق العرب، المرجع السابق، ص151. جواد علي، المرجع نفسه، ج7، ص68.

يتحرش مضري بمضري. وكان إذا عادت وأرادت سلوك مواضع الماء، مرت بديار كلب، فتكون عندئذ آمنة مطمئنة؛ لأن لكلب حلفاً مع تميم وتميم من مضر ولها صلوات وعلاقات بمكة. وإذا مرت بجزن أسد، فإنها تكون آمنة كذلك؛ لأن بني أسد من مضر. وإذا دخلت ديار طيء، صارت آمنة أيضاً؛ لأن لطيء حلفاً مع بني أسد¹.

عرفت طيء في جاهليتها جملة من الديانات والعبادات المتنوعة؛ فقد اعتنق بعضهم النصرانية في حين عبد آخرون النجوم والكواكب والأصنام. ولعل أشهر اصنامهم صنما عرف بالفلس وكان بنجد قريباً من فيد. وسدنته من بني بولان. هدمه علي بن أبي طالب بأمر النبي، وقد ذكروا أنه كان على صورة إنسان قد من حجر². كانت طيء قد قلدت الصنم سيفين يقال لأحدهما مخذم وللآخر رسوب، أهدهما إليه الحارث بن أبي شمر، فأخذهما علي. وتعبدت طيء لأصنام أخرى مثل: رضا واليعسوب ويغوث وعائم وياجر وود ومناة. كما تعبدت لصنم ثالث هو سهيل³. ويذكرون أن بعض طيء عبدوا الثريا⁴. وبظهور الإسلام وبعد الانتصارات التي كان النبي يحققها ضد قريش وحلفائها أخذت بطون طيء تنخرط في الإسلام الواحدة بعد الأخرى حتى اكتمل اسلام طيء. وقد كان النبي قد أرسل إلى شيوخ طيء من ضمن ما كان يرسله إلى رؤساء القبائل العربية يدعوهم إلى الإسلام والالتزام بتعاليمه؛ فكتب إلى بني معاوية بن جرول الطائيين لمن أسلم منهم. وأقام الصلاة. وآتى الزكاة. وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم خمس الله وسهم النبي وفارق المشركين. وأشهد على إسلامه. أنه آمن بأمان الله ورسوله. وأن لهم ما أسلموا عليه والغنم مبيته. يعني بغدوة الغنم ان تغدو الغنم بالغداة فتمشي إلى الليل. فما خلفت من الأرض وراءها فهو لهم. ويعني مبيته حيث باتت. وكتب إلى عامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي أن له ولقومه طيء ما أسلموا عليه من بلادهم ومياهم ما أقاموا الصلاة. وآتوا الزكاة. وفارقوا المشركين. كما كتب النبي كذلك لبني معن الطائيين أن لهم ما أسلموا عليه من بلادهم ومياهم. وغدوة الغنم من ورائها مبيته. ما أقاموا الصلاة. وآتوا الزكاة. وأطاعوا الله ورسوله. وفارقوا المشركين. وأشهدوا على إسلامهم. وأمنوا السبيل⁵.

راحت الوفود من طيء تفد على النبي على غرار غيرها من وفود العرب لما تحققت غلبته على قريش ومن حالفها، فوفد عليه الوليد بن جابر بن ظالم البحتري الطائي فأسلم وكتب له كتاباً ظل عند أهله بالجليلين⁶. وقدم وفد طيء على النبي خمسة عشر رجلاً. رأسهم وسيدهم زيد الخير. وهو زيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان. وفيهم زور بن جابر بن سدوس النبهاني. وقبيصة بن الأسود بن عامر من جرم طيء. ومالك بن عبد الله بن خبيري من بني معن. وقعين بن خليف بن جديلة. ورجل من بني بولان. فدخلوا المدينة والنبي في المسجد فعقدوا رواحلهم بفناء المسجد. ثم دخلوا فدنوا من النبي فعرض عليهم الإسلام فأسلموا. وجازهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم. وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية

¹ محمد بن عبد الرزاق، كُزْد علي، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ج4، ص240. جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص208.

² جواد علي، المرجع السابق، ج11، ص317.

³ النويري، تحاية الأرب، المصدر السابق، ج17، ص352. جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص45.

⁴ وفاء فهمي السندوي، شعر طيء، المرجع السابق، ج1، ص93. جواد علي، المرجع السابق ج11، ص59.

⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج1، ص206. أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن مندة العبدي الأصبهاني، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف

من أحوال الرجال للمعرفة، ت عامر حسن صبري التميمي، د ط، وزارة العدل والشئون الإسلامية البحرين، د ت، ج2، ص360.

⁶ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج1، ص214.

ونشا. وقال النبي: ما ذكر لي رجل من العرب إلا رأيتُه دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد فإنه لم يبلغ كل ما فيه. وسماه النبي زيد الخير وقطع له فيد وأرضين. فكتب له بذلك كتابا. ورجع مع قومه. فلما كان بموضع يقال له الفردة مات هناك. فعمدت امرأته إلى كل ما كان النبي كتب له به فخرقته. وكان النبي قد بعث علي بن أبي طالب إلى الفليس. صنم طييء. يهدمه ويشن الغارات. فخرج في مائتي فرس فأغار على حاضر آل حاتم¹. فهرب عدي بن حاتم إلى الشام وسبيت أخته سفانة فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها، فمرّ بها النبي، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ، منّ الله عليك. قال: ومن وافدك قالت: عدى بن حاتم². فأطلقها النبي بعد ذلك ولحقت بأخيها عدي بالشام. فسألها عدي: ماذا ترين في أمر هذا الرجل. قالت: أرى والله أن نلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذلل في عز اليمن، وأنت أنت. قال: قلت والله إن هذا الرأي. ثم مضى إلى النبي وأعلن إسلامه³. فاستعمله على طييء وصدقاتها، وعلى بني أسد⁴.

لم تنج طييء من عاصفة الردة التي هبت بالجزيرة العربية بعيد وفاة النبي؛ إذ ظهر بالقرب منها طليحة الأسدي مدعيا النبوة وراغبا في تحقيق ما حققه النبي في حياته من سلطان. فأمر طليحة الناس بترك السجود في الصلوة، وتبعه كثير من العرب، وكان أكثر أتباعه أسد وغطفان وطييء، ولما انهزمت عبس وذبيان التحقوا به ببزاجة، وأرسل طليحة إلى جديلة والغوث - وهما حيّان من طييء - أن ينضموا إليه، فتعجّل إليه أناس من الحيين، وأمروا قومهم باللحاق بهم، فقدموا على طليحة وكانوا معه. في الوقت الذي كانت القيادة الإسلامية في المدينة تراقب الأحداث وتعرف انه ليس من مصلحتها التحاق طييء بصنف المرتدين لقوتها ومنعتها فبادر أبو بكر إلى إرسال عدى بن حاتم إلى قومه قبل ان يوعز إلى خالد بن الوليد بقتالهم رغبة منه في استعادتهم، وقال لعدي: أدركهم لا يؤكلوا؛ فخرج عدى إليهم، وخرج خالد بن الوليد في أثره، وأمره أبو بكر أن يبدأ في عملياته بطييء، ثم يكون وجهه إلى البزاجة، ثم يثلث بالبطاح⁵، فخرج خالد وقدم عدى بن حاتم عليهم؛ ودعاهم إلى الإسلام؛ فأجابوه بعد امتناع، وقالوا له: أئخر عنا الجيش حتى نستخرج من الحق بالبزاجة متنا، فإننا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم، فاستقبل عدى خالد وهو بالسّنج، فقال: يا خالد، أمسك عنى ثلاثا؛ تجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك؛ خير من أن تعجلهم إلى النار. ففعل وعاد إليهم وقد أرسلوا إلى إخوانهم؛ فأتوهم من بزاجة كالممدد، فعاد عدى بإسلامهم إلى خالد، وارتحل خالد يريد جديلة وهي قبيلة من طييء، فقال له عدى: إنّ طيئا كالطائر، وإنّ جديلة أحد جناحي طييء، فأجلني لعلّ الله أن ينقذ جديلة لك كما أنقذ الغوث؛ ففعل، وأتاهم عدى؛ فلم يزل بهم حتى بايعوه؛ فجاء بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي بذلك

¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج1، ص243. النويري، المصدر السابق، ج18، صص76. 77.

² الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص234.

³ النويري، المصدر السابق، ج18، صص78. 80.

⁴ لما صدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحج سنة عشر؛ قدم المدينة، فأقام حتى رأى هلال المحرم سنة إحدى عشرة، فبعث المصدقين في العرب، وبعث على أسد وطييء عدى بن حاتم. أبو المظفر شمس الدين يوسف، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ت محمد معتز كرم وآخرون، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2013م، ج8، ص469. النويري، نهاية الأرب، المصدر السابق، ج18، ص169.

⁵ النويري، المصدر السابق، ج19، ص70.

قد أنقذ قومه من سطوة خالد¹. وقد عرف الخلفاء بعد ذلك لعدي مكاتته وحفظوا له فضله واعتبروا ثباته على الإسلام لما ارتد غالبية أشرف العرب ورؤسائهم. وقد رويت عن عدي أخبار في هذا الباب منها الحكاية التي دارت بينه وبين عمر وقد رواها بنفسه جاء فيها أنه قال: أتيتُ عمر بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرض للرجل من طييء في ألفين ويعرض عني، فاستقبلته، فأعرض عني، ثم أتيتُه من حِمال وجهه، فأعرض عني. قال: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أتعرُفني. قال: فضحك حتى استلقى على قفاه، ثم قال: نعم والله إني لأعرُفك، آمنتَ إذ كفروا، وأقبلتَ إذ أدبروا، ووفيتَ إذ غدروا، إنَّ أوَّلَ صدقةٍ بيَّضتَ بها وجهَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووجوهَ أصحابه صدقةً طييء، جئتُ بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم. ثم أخذ يعتذرُ إليه. ثم قال: إنما فرضتُ لقومٍ أجهتُ بهم الفاقة، وهم سادةٌ عشائرهـم لِمَا ينوئُهُم من الحقوق. فقال عدي: فإذا لا أبالي. والخبر الذي حكى عنه في عهد عثمان، وذلك أن: عديّ جاء إلى باب عثمان وهو خليفة، فحجبه نابل مولى عثمان فلما خرج عثمان إلى صلاة الظهر؛ عرض له عديّ، فأدناه عثمان ورحّب به وانبسط إليه، فقال: أتيتُ بابك فحجبتني هذا عنك. فقال له عثمان بعد أن انتهره: لا تحجبه، واجعله أوَّلَ داخل، فلعمري إنّا لنعرفُ فضله وحقّه، ورأيي الخليفتين فيه وفي قومه، وقد جاءنا بالصدقة يسوقها والبلاذ تضطرم كأنها شعل النار من أهل الرّدة، فحمده المسلمون على ما رأوا منه².

ب. استيطان القبائل اليمنية في الكوفة:

1. تمصير الكوفة:

. الدوافع التاريخية لتمصير الكوفة:

تعتبر الكوفة متصلا جغرافيا مع الجزيرة العربية على التحوم بين العراق وجزيرة العرب، وقر موقعها وطبيعتها مناخها الشروط التي حرصت القيادة الاسلامية على تأمينها للجيش الفاتح في الجبهة الشرقية، فمن الناحية الجغرافية تعتبر امتداد للجزيرة العربية ومدخل سالك الى بلاد العراق، كما سهلت طبيعة أرضها ومناخها على المقاتلين ودوابهم التكيف مع الأجواء الجديدة الى حين تحقيق الألفة التامة مع مناخ العراق³. وقد ولدت فكرة تمصيرها في سياق حركة الفتوح كنتيجة من نتائج التطورات المتسارعة التي أسفرت عنها الانتصارات التي حققها الجيش الإسلامي على حساب الحاميات الفارسية في أرض العراق في البداية ثم على حساب الإمبراطورية الفارسية التي أخذت تترنح تحت ضرباته. وذلك لأن

¹ سبط ابن الجوز، المصدر السابق، ج8، ص469. النويري، المصدر السابق، ج19، ص71.

² سبط ابن الجوز، المصدر السابق، ج8، ص469. 470.

³ حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو قال: قال علي: يا حبذا الكوفة أرض سواها سهله مغرقة تعرفها جمالنا المغلوفة. أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي، تاريخ ابن معين؛ رواية الدوري، ت أحمد محمد نور سيف، د ط، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1973م، 3، ص329. وفي رواية ياقوت الحموي:

يا حبذا مقالنا بالكوفة أرض سواها سهله معروفه

تعرفها جمالنا المغلوفه

ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص493.

المسافة بين مقدمة الجيش الإسلامي المتوغل في بلاد العراق وبين المدينة عاصمة الدولة الإسلامية أخذت تمتد وتطول حيث كان عمر يتابع الاحداث ويرسل توجيهاته الى القادة ملتزماً بالحذر ومنبها إياهم على ضرورة الاحتياط وعدم التغرير بالمسلمين. فلم تمنعه اغراءات الفتح والانتصارات المتوالية من تأكيده المستمر على أهمية حياة رجاله وسلامتهم؛ حتى أنه عارض رغبة بعض القادة في التوغل داخل افريقية على إثر فتح مصر حتى لا تطول الشقة بينه وبينهم وكان كثيراً ما يجيبهم: لَا تَجْعَلُوا الْبَحْرَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ¹.

بعد ان نجح الجيش الاسلامي في دحر الفلول الفارسية من العراق وطردها الى النجد الإيراني وبعد أن استولوا على المدائن² مكتسحين السواد كله شعر عمر بضرورة انشاء دار هجرة على تخوم البلاد المفتوحة تكون واسطة بين المدينة وبين ما يليها من الأرض العراقية والفارسية وتستجيب لضرورات الأمن في حال التراجع والانسحاب، وضرورات التحنيد والتسليح والدعم لقرىها من عاصمة الدولة الإسلامية، كما يتوافق ارضها ومناخها مع نمط العيش الذي اعتادته القبائل العربية في مضاربها الأصلية. فكتب عمر الى سعد: أن اتخذ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحرا. فنزل سعد بالناس الأنبار فاجتووها وأصابتهم بها الحمى فاصفرت ألوانهم وعظمت بطونهم ودقت عظامهم³ فلم توافقهم، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد أنه: لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب؛ فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين بها منزلا. فسار سعد حتى نزل كويشة عمرو بن سعد فلم توافق الناس لما فيها من الذباب والحمى، فبعث سعد رجلا من الأنصار يقال له الحارث بن سلمة ويقال عثمان بن حنيف أخا بني عمرو بن عوف فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم، وقد وصفت الكوفة بأنها آخر السواد في العرب وهي أرض بحرية، أرض شيخ وقيصوم وأرض ضب وحوث⁴. فنزلها سعد بالناس وخط مسجدها وخط فيها الخطط للناس⁵. وقد وردت في هذا الصدد روايات أخرى لا تختلف تفاصيلها كثيرا عما ذكرته⁶.

¹ أراد عمرو أن يوجه الجيش إلى المغرب فكتب إلى عمر بن الخطاب: إن الله قد فتح علينا أطرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل. فكتب إليه عمر: لا إنما ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت. وقال في رواية أخرى: إفريقية المفرقة-ثلاث مرات-لا أوجه إليها أحدا ما مقلت عيني الماء. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د ط، دار الهداية، د ت، ج 14، ص 128. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، د ت، ص 200.

² المدائن: اسم المدائن بالفارسية توسفون وعزبوه على الطيسفون والطيسفونج، وإنما سُمّتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة، وآثارها وسمائها باقية، وهي: اسفاور ووه أردشير وهنبو شافور ودرزيندان ووه جنديوخسره ونونيافاذ وكردافاذ، فعزب اسفاور على اسفانبر، وعزب وه أردشير على بخرسير، وعرب هنبو شافور على جنديسابور، وعرب درزيندان على درزيجان، وعرب وه جنديوخسره على رومية، وعرب السادس والسابع على اللفظ، فلما ملك العرب ديار الفرس واختطت الكوفة والبصرة انتقل إليهما الناس عن المدائن وسائر مدن العراق. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 75.

³ أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج 4، ص 221.

⁴ المصدر نفسه، ج 4، ص 221.

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج 2، ص 432.

⁶ وقيل إن عمر كتب إلى سعد: تبني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومهم. فكتب إليه: إن العرب غيّر ألوانها وخومة المدائن ودجلة. فكتب إليه أن العرب لا يوافقها إلا ما يوافق إبلها من البلاد، فابعت سلمان وحذيفة-وكانا رائدي الجيش-فليرتادا منزلا بزنا بحرتا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر. فبعث سعد حذيفة وسلمان حتى أتيا الأنبار، فسار سلمان في غربي الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة، وسار حذيفة في شرقيته حتى أتى الكوفة. فأتيا عليها وفيها ديارات ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة وقصاص خلال ذلك. فأعجبتهما البقعة فنزلا وصليا. ابو عبيد البكري، المسالك والممالك، د ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج 1، ص 496.

باشر سعد الإجراءات اللازمة لتمصير الكوفة فكلف أبا الهياج بن مالك¹ بالإشراف على سير العمليات وتقسيم الأراضي وجميع تفاصيل التوطين² وروعي في إنزال الناس انتماءاتهم القبلية؛ حيث حافظ على تنظيم القبائل على ذات الشاكلة التي كانوا عليها في المعارك؛ خاصة وان الكوفة مصرت أساسا لتكون معسكرا يحط فيه المقاتلون رحالهم بغرض الراحة والاستحمام والاستعداد للنفير، فكانت المرجعية القبلية في توطينهم تخدم هذه الغاية، كما توفر حالة التجانس والتضامن الضرورية التي تؤمنها القبيلة لأبنائها. وبعد ان فرغ سعد من بناء الجامع وقصر الامارة وبيت المال عمد الى تقسيم الأرض وتوزيعها بين القبائل مستخدما الاقتراع حتى يتجنب أي توتر قد تحدثه الفروقات في مزايا مواقع الأراضي بالنسبة للماء والكأ ومراعي الدواب وسهولة الحركة والاتصال، ولما كانت غالبية العناصر العربية التي شملها التوطين تتوزع على الكتلتين اليمنية والعدنانية النزارية على ما بينهما من تنافس قديم؛ فقد حرص سعد أن تكون القسمة عادلة فاستعمل لذلك القرعة وأسهم بسهمين فمن خرج بسهمه أولا فله أن يتوطن الجهة اليسرى وهي الجهة الشرقية وكانت أفضل الجهتين لقرها من الفرات، أما الغربية فكانت أقرب للصحراء، فوقع سهم اليمنيين عليها وصارت خطط نزار في الجهة الغربية³، ثم استمر في انزال القبائل المتعددة من هاتين الكتلتين على الطرق والمناهج التي جعلت متفرعة عن الجامع كما يلي:

. شمالي الجامع: المنهجان الأول والثاني لسليم وثقيف والمنهج الثالث لهمدان والرابع لبجيلة والمنهج الخامس لتيتم اللات وتغلب.

. في جنوب الجامع: المنهج السادس لبني أسد والسابع بين بني أسد والنخع والثامن بين النخع وكندة والتاسع بين كندة والأزد.

. في شرقي الجامع: المنهج العاشر للأنصار ومزينة والمنهج الحادي عشرة لتيتم ومحارب والمنهج الثاني عشر لأسد وعامر.

. في غربي الجامع: المنهج الثالث عشر لبجالة وبجلة، والمنهج الرابع عشر لجديلة وأخلاق، والمنهج الخامس عشر لجهينة وأخلاق⁴.

ثم ارتأت القيادة أن تعيد تنظيم المجموعات البشرية تلك على أساس نظام الأسباع بعد ان لوحظ اختلالا في التوازن بينها فانتهى تنظيمها كالتالي:

¹ وقد أورد الطبري في تاريخه تفاصيل وافرة تخص إجراءات تمصير الكوفة وتخطيطها والكيفيات التي تم بها توطين القبائل، من ذلك أنهم: لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق، أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعا، وما يليها ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعا إلا الذي لبني ضبة فاجتمع أهل الرأي للتقدير، حتى إذا أقاموا على شيء قسم أبو الهياج عليه، فأول شيء خط الكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمازين من السوق، فاحتطوه، ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص44. أبو هياج وهو عمرو بن مالك بن حنادة، جعله عمر بن الخطاب على خطط الكوفة. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج11، ص174.

² أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، المصدر السابق، ج1، ص427. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص44.

³ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاءذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص271، ياقوت الحموي معجم البلدان، ج4، ص491.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص45.

- أ. كنانة وحلفاؤهم من الأحابيش وغيرهم وجديلة، وكانوا يلقبون بأهل العالية وهذا السبع نزاری.
- ب. قضاة وغسان وبجيلة وختعم وكندة وحضرموت والأزد، وهم من اليمنيين وكانت السيادة فيهم لطائفتين وهما: بُجيلة ويرأسها حرير بن عبد الله البجلي وكان مُقرباً لعمر بن الخطاب وقد خصص لقومه عطاء سنوياً. والقبيلة الثانية كندة وهي تحت إمرة الأشعث بن قيس وهذا السبع يعني.
- ج. مذحج وحمير وهمدان وسائر حلفائهم، وهي العناصر اليمنية.
- د. تميم والرباب وهوازن من العناصر المضرية.
- هـ. أسد وغطفان ومحارب والنمر من بكر بن وائل وضيعة وتغلب ومعظمهم من ربيعة. (راجع الملحق رقم 4)
- و. أياد ووعك وعبد القيس وأهل الحجر والحمرأ فبنوا عبد القيس نزحوا من البحرين (الهجر)¹ تحت قيادة رئيسهم زهرة بن حوية السعدي أحد أعلام الفتح وأقطابه، وأما الحمرأ فكانوا حلفاء عبد القيس وهم أربعة آلاف جندي فارسي يرأسهم رجل يُسمى ديلم ولهذا عُرفوا بحمر الديلم هم الذين التحأوا الى سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية من بقية جيش الفرس وتحالفوا مع عبد القيس بعد معركة القادسية، وهذا السبع عدناني في غالبته².
- ز. وهذا الرقم قد خلت منه جميع المصادر ولعله لقبيلة طيء وهي قبيلة يمنية³.

¹ الحجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية، فمنها: هجر البحرين وهجر نجران وهجر جازان وهجر حصنة من مخلاف مازن، وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربما قيل الحجر، بالألف واللام،

وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 393

² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص45. كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والاثريّة، د ط، مطابع دار الجمهورية بغداد، 1967م، ص79.

³ هشام جعيط، الكوفة؛ نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط3، دار الطليعة، بيروت، 2005م، ص371.

وقد استمر هذا النظام قائما طيلة خلافة عمر وعثمان ثم أعاد علي تعديله فحافظ على نظامه السباعي وغير في توليفة القبائل داخله وجمعها كما يلي:

. السبع الأول من حمير وهمدان وهم يمنية.

. السبع الثاني من مذحج وأشعر ومعهم طيء وهم يمنية.

. السبع الثالث من قيس (عبس وذبيان) ومعهم عبد القيس وهم نزارية.

. السبع الرابع من كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة وهم يمنية.

. السبع الخامس من الأزد وبجيلة وختعم والأنصار وهم يمنية.

. السبع السادس من بكر وتغلب وبقية بطون ربيعة عدا عبد القيس وهم نزارية.

. السبع السابع من قريش وكنانة وأسد وضبة وتميم والرياب وهم نزارية¹.

وقد استمرت الكوفة على هذا التقسيم السباعي حتى امارة زياد سنة 50هـ . 670م فعدل به الى النظام

الرباعي مازجا بين القبائل اليمنية والنزارية كالتالي:

. الربع الأول شمل أهل العالية.

. الربع الثاني ضم تميم وهمدان.

. الربع الثالث ضم ربيعة وكندة.

. الربع الرابع شمل مذحج وأسد².

رغم المحاولات التي اضطلعت بها القيادة الإسلامية لأجل إحلال التوازن الضروري بين القبائل العربية في الكوفة الا أن المعايير التي انبنت عليها عملية فرض العطاء كانت من بين الأمور التي ظلت تقف حائلا دون بلوغ هذا الغرض؛ خاصة بعد أن شهدت الكوفة التحاق جماعات عشائرية جديدة لم يقيض لها أن تشارك في العمليات العسكرية الأولى التي حصل بها الشرف والسابقة لأصحابها؛ فلاقت هذه الروادف ترحيبا من طرف قبائلها وتوطنت كل مجموعة منها بجوار أصولها، لكنها خضعت للتراتبية التفاضلية في العطاء وكان نصيبها منه أقل من غيرها. وبالرغم من معقولية هذه الإجراءات وموضوعيتها الا أن افرازاتها الاجتماعية بقيت زمنا طويلا تصنع التوتر داخل الكوفة وخارجها وصارت أرضا خصبة نبتت فيها بذور الفتنة لاحقا.

هذا التداخل والتقاطع بين التجمع حسب الانتماء القبلي في جسد العشيرة الواحدة والتفاضل في العطاء والعوائد المالية بين أبناء القبيلة الواحدة وتقديم اعتبار السبق والمبادرة في الالتحاق بالإسلام والمشاركة في عملياته العسكرية الأولى كمييار للتفاوت المادي جعل النظام القديم للقبيلة يهتز وتراتبيا الهرمية التقليدية التاريخية تشهد تعديلات جوهرية؛ حيث تحققت النبوءة التي نصت على أن الإسلام يرفع أقواما ويخفض آخرين³؛ فقدفت

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص235. لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ت تقي بن محمد المصعبي، ط1، شركة دار الوراق، لندن، 2009م، ص21. كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، المرجع السابق، ص ص79 . 80.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص68. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص255. كاظم الجنابي، المرجع السابق، ص80.

³ تأمل النص التالي: وبلغ أبا بكر رضي الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمر، فأحضره وأقبل يصيح عليه، وأبو سفيان يتملقه ويتدلله له، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر، فقال لقاتده: على من يصيح ابني؟ فقال له: على أبي سفيان، فدنا من أبي بكر وقال له: أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق الله وقد كان بالأمس سيد قريش في الجاهلية،

السابقة الى الإسلام بعض العناصر القادمة من خلفية اجتماعية مهمشة الى مرتبة الفضل والشرف وتحول بعضهم الى أمراء وولاة وموظفين في مناصب مهمة متقدمين على ذوي الحسب واليسار والسلطة القديمة؛ حال عمار بن ياسر وابن مسعود وأبي هريرة والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبي موسى الأشعري وغيرهم. الأمر الذي لم تكن تحضمه الارستقراطية القديمة التي فرضت عليها الظروف أن تقبله على مضض.

لقد كان جسد القبيلة محتفظاً بوحده لكن ما يتقاضاه أفرادها لم يكن على السواء فخلق ذلك تفاوتات بينهم أنتجت فتوية داخلية سيكون لها أثرها فيما يأتي من الأيام وسيكون من العوامل التي بذرت التصدع داخل القبائل الكبرى وحلحلت مركزية ولاء أفرادها من القبيلة الى المصالح الفتوية وسيوضح في الانقسام الذي ستشهده هذه القبائل حين توجب عليها أن تختار من تناصر في الصراع الذي حدث بين علي ومعاوية.

2. الخارطة الاثنية والجغرافية للقبائل اليمنية في الكوفة:

مرت بنا تفاصيل الظروف التي تم فيها تمصير الكوفة والتدابير التي اتخذها سعد ومعاونوه تحت اشراف عمر من خلال رسائله وتوجيهاته التي كانت تتابع الاحداث ولا تنقطع؛ وذلك حتى يتوفر للمقاتلة أنسب الأمكنة والمناخات لتضعهم في أحسن الظروف حتى يكونوا على أهبة دائمة لاستئناف القتال وفي أحسن جاهزية. وقد راعى عمر في تدييره لنظام الأسباع الحساسيات التي تجرّها الفروق بين القبائل اليمنية والقبائل النزارية؛ فوزعها حسب قرابتها في المواطن والنسب لأن ذلك أدمى للوفاق والسلام والوحدة التي تقتضيها وضعية الجيش في الحرب. وبما أننا ملتزمون بما تورده لنا المصادر من الأخبار التي تتضمن المعلومات اللازمة للتعرف على أوضاع القبائل واشكال تنظيمها ومحال سكنها في الكوفة خصوصاً؛ فإننا لا حظنا أن مصادرنا تشكو من شحة في ايراد كثير من المعطيات التي تخص بعض القبائل اليمنية الكبرى؛ مثل حمير وطيء. رغم حضور عناصرها اللافت في المعارك التي شهدتها تلك الفترة. ولا ندري السبب الذي يقف وراء ذلك. وفي ما يلي سأقوم باستعراض الوحدات اليمنية الكبرى في الكوفة من حيث مواطن اقامتها و من حيث تنوع فروعها التي افترشت ارضها.

3. أهم القبائل اليمنية في الكوفة:

. همدان:

لما مصرت الكوفة اختارت بطون مهمة من بطون همدان الاستقرار بها فاستوطنوا مواضع عدة فيها بحسب خطة التوطين التي أشرف عليها عمال الخليفة عمر بن الخطاب. فكانت خطة همدان بالشمال الغربي من الكوفة

لقد تعديت طُورُكْ وحُزْتُ مقدارك، فبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار، وقال له: يا أبت، إن الله قد رفع بالإسلام قوماً وأذل به آخرين. المسعودي، مروج الذهب المصدر السابق، ج2، 299.

بين ثقيف وطيب في الشمال وبجيلة وتميم في الغرب¹، ونظرا لزيادة عدد من ردف من العرب الى الكوفة عدل عمر عن نظام الأعشار الى الأسباع؛ حتى يحقق التوازن الاستيطاني بين القبائل؛ فكان نصيب همدان السبع الذي ضم قبيلتي حمير ومذحج². واستمرت الروادف تتوالى على الكوفة خاصة من جهة همدان حتى بان تفوق الجموع اليمنية على من سواها؛ الأمر الذي ظل الراوية الاخباري الشعبي يتذكره بعد ذلك في شيء من الحنين: كنا-يعني أهل اليمن- اثني عشر ألفا، وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة³. واستمر تدفق العناصر الهمدانية نحو الكوفة في مدة خلافة عثمان وعهد علي، فخلق ذلك خللا جديدا في نظام الأسباع الذي أقره عمر واضطر علي الى تعديله مجددا؛ فأخرج من السبع الذي يضم همدان قبيلة مذحج وترك مع همدان قبيلة حمير فكانتا القبيلتان اليمينيتان الأكثر ولاء وحماسا في نصرته علي والذود عن حقه في الخلافة⁴. وقد قدرت بعض الروايات عدد الهمدانيين الذين شاركوا عليا حربه ضد معاوية وأهل الشام بصفين بما يقرب من أربعة آلاف فارس، وجاء في رواية الاخباري ابي مخنف لأحداث صفين أن: مُعَاوِيَةَ ضَرَبَ لِحْمِيرِ بِسَهْمِهِمْ عَلَى ثَلَاثِ قَبَائِلٍ، لَمْ تَكُنْ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ قَبَائِلَ أَكْثَرَ عِدَدًا مِنْهَا يُؤَمِّدُونَ: عَلَى رِبِيعَةَ وَهَمْدَانَ وَمَذْحِجَ⁵. ولكثرة من قدم الى الكوفة منهم فقد توزعوا بين جنباتها واستوطنوا أماكن متفرقة فيها، وقد نص اليعقوبي على ذلك بقوله: وتفرقت همدان بالكوفة⁶. ومما يجدر ذكره ان كثافة استيطان الهمدانيين بالكوفة واختصاصهم بها أكثر من سواها من المناطق والأمصار الأخرى صار ميزة يفتخر بها الكوفيون في مناظراتهم مع البصريين وغيرهم، فقد ذكر السمعاني في كتابه الأنساب قال: سمعت أبا الغنائم مسلم بن نجم المزني الكوفي بسمرقند يقول: فأخرت أهل الكوفة أهل البصرة، حتى وقعوا في القبائل، فكل قبيلة ذكرها أهل الكوفة ذكر أهل البصرة أن جماعة من هذه القبيلة نزلت بالبصرة منهم طائفة أيضا، حتى وصل أهل الكوفة إلى همدان فسكت أهل البصرة واعترفوا أن ليس بالبصرة من بني همدان أحد⁷.

من أهم بطون همدان في الكوفة بطون حاشد: ومنهم السبيعي ويام وشبام والخارف والصائديين وفائش وغيرهم. وبتون بكيل: ومنهم الثوريين وأرحب وشاكر وناعط وغيرها⁸. كما ضمت الكوفة من الهمدانيين غير

¹ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص45. هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص122، 127. صالح احمد العلي، الكوفة وأهلها؛ دراسة في احوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2003م، ص61.

² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص48. هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص371. صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص138. 140.

³ البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص272.

⁴ هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص371. 372.

⁵ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج5، ص34.

⁶ أبو يعقوب احمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان لليعقوبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ص149.

⁷ السمعاني، المصدر السابق، ج13، ص420.

⁸ فمن بطون همدان شبام، وهو عبد الله بن أسعد بن حاشد. ومنهم ناعط وهو ربيعة بن مرثد بن حاشد بن حشم بن حاشد. ومنهم وداعة بن عمرو بن عامر، رهط مسروق بن الأجدع؛ ومن الناس من يزعم أنه وداعة بن عمرو بن عامر بن الأزدي، ولكنهم انتسبوا إلى همدان ومن همدان: بنو السبيعي بن الصعب بن معاوية بن كبير بن مالك بن حشم بن حاشد؛ منهم: سعيد بن قيس بن زيد بن حرب بن معد يكرب بن سيف بن عمرو السبيعي؛ ومن بني ناعط: الحارث بن عميرة. ومن بني بكيل بن حشم بن خوان بن نوف بن همدان: بنو حوب وهم الجوييون-ابن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل. وبنو أرحب بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب. وبنو شاكر، وهم أبو ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب. وفي همدان: حشم، وهم رهط أعشى همدان؛ وفيهم خيوان، وهو مالك بن زيد بن حشم بن حاشد؛ وفيهم دألان بن سابعة بن ناشج بن دافع.

الأصلاء الشعبيون وينتسبون الى شَعْبٍ وهو جبل باليمن نزله حسّان ابن عمرو الحميري وولده فنسبوا إليهم منهم بالكوفة منهم: عامر بن شراحيل الشعبيّ الفقيه وعداده في همدان¹. اما صائد فهم بطن من همدان، والصائد اسم كعب بن شرحبيل بن شراحيل بن عمرو بن جشم بن حاشد ابن جشم بن حيوان بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة ابن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، والمشهور بهذه النسبة عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة الصائدي². وسبيع وهم بطن من همدان، ينتسبون الى سبيع بن صعّب بن معاوية بن كثير ابن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن حيوان بن نوف بن همدان، وبالكوفة محلة معروفة يقال لها السبيع لنزول هذه القبيلة بها³. (راجع الملحق رقم 2). اما فأيش فهم بطن همداني ينتسب إليهم أبو بكر عبد الرحمن بن يزيد الفائشي الهمدانيّ، من أهل الكوفة، وهو ممن كان يروى عن علي، وقد قتل يوم الجماجم سنة ثلاث وثمانين. كذلك أبو إبراهيم مضاء الفائشي، يروى عن عائشة وغيرهما كثير⁴. وقد وجد من الهمدانيين في الكوفة بطن يسمى الفبة: قال أبو علي الغساني: رأيت لحمزة بن محمد الكناني المصري أنه قال: الفبي ينسب إلى بطن من همدان، يقال لهم: الفبيون، وهذا البطن من همدان نزل موضعا عند الجامع بالكوفة فنسب إليهم⁵. وبنو مرهبة: وهم بطن من همدان؛ وهو مرهبة بن دعامة بن مالك بن معاوية بن صعّب ابن دومان بن بكيل بن جشم بن حيوان بن نوف بن همدان، والمشهور بالانتساب إليه أبو عمر ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانيّ المرهبي، من أهل الكوفة، من عبادها، وكان قاصا⁶. كما كان للهمدانيين حي يسمى المشرق: والمشهور بالنسبة إليه عمرو بن منصور المشرقي الهمدانيّ، من أهل الكوفة، كان يروى عن الشعبي، وعريب بن يزيد المشرقي الهمدانيّ وعمرو بن منصور المشرقي⁷. ويام: وهو بطن من همدان، والمشهور بالانتساب إليها الحارث بن عبد الكريم اليامي والد زيد، يروى عن علي⁸. وبطن بكيل: وينتسبون الى وهو خمر بن دومان بن بكيل بن جشم بن حيوان بن نوف بن همدان، قال ابن ماكولا: وهم رهط ابي كريب محمد بن العلاء البكيلي وأبو الوداك جبر بن نوف البكيلي. ومن

ومنهم: أرحب بن دعامة بن مالك بن معاوية بن صعّب بن دومان بن بكيل. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص338. 339. النصية: الرؤساء المختارون ويُقال انتصيت الشئ إذا اخترته وأصله من الناصية. عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي، أمالي الزجاجي، ت عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1987م، ص153.

¹ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص347. 348. السمعاني، المصدر السابق، ج8، ص106. حمد الجاسر، المرجع السابق، ج2، ص597.

² السمعاني، المصدر السابق، ج8، ص264. 265.

³ السمعاني، المصدر السابق، ج7، ص68. النويري، تحفة الأرب، المصدر السابق، ج1، ص58. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، قلائد الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان، ت إبراهيم الإيباري، ط2، دار الكتاب اللبناني، 1982م، ص100.

⁴ السمعاني، المصدر نفسه، ج10، ص144. أبو الحسن علي بن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ج2، ص410. حمد الجاسر، المرجع السابق، ج3، ص907.

⁵ السمعاني، المصدر نفسه، ج10، ص145.

⁶ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، 396. السمعاني، المصدر السابق، ج12، ص208. أبو الحسن علي بن الأثير، اللباب المصدر السابق، ج3، ص199.

⁷ السمعاني، المصدر السابق، ج12، ص275.

⁸ السمعاني، المصدر نفسه، ج13، ص477. ابن الأثير، اللباب، المصدر السابق، ج1، ص69. جلال الدين السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، 282. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص396.

حاشد وبكيل ابني جشم فرقت همدان والأرحبيون والمرهبيون كلهم بكليون¹. إضافة الى بطون أخرى أقل شهرة مثل: بنو تنع وهم بطن من همدان أكثرهم نزلوا الكوفة². والثور بطن من همدان³. وخارف والمشهور بما عبد الله بن مرة الهمداني الخارفي، يروى عن عبد الله بن عمر⁴. وحيوان: هذه النسبة إلى حيوان بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن حيوان بن نوف بن أوسلة وهو همدان، واسم حيوان مالك بن زيد بن مالك وإليه ينسب الخيوانيون، والمشهور بهذه النسبة عبد خير بن يزيد الخيواني، يروى عن علي بن أبي طالب⁵. ودالان: وهي قبيلة من همدان، وهو دالان بن سابقة بن ناشح بن دافع من همدان، ذكره ابن حبيب وابن الحباب في نسب همدان⁶.

. مدحج:

تعتبر مدحج من القبائل الكبيرة التي تعتد بقوتها ووفرة عددها، لذلك يعتبر اسلامها من المكاسب الهامة التي حققتها دعوة النبي في بلاد اليمن؛ وظهر بلاؤها بعد ذلك في مجريات المعارك الحاسمة؛ خاصة منها التي كانت تجري على الجبهة الشرقية. وفي صناعة الأحداث التي كانت تتولد في الأمصار عموماً، وفي الكوفة خصوصاً. وقد شكلت مدحج مع غيرها نواة الجيش الأول الذي كان في المدينة مع سعد قبل خروجه الى العراق. وقد بلغ عددهم زهاء ألف وثلاثمائة مقاتل موزعين على العشائر التالية: بنو منبه من زيد بقيادة عمرو بن معد يكرب وسعد العشيرة من جعفي وعشائر الصدى وجزء ومُسلية⁷. (راجع الملحق رقم 2 و4). وقد أدرجت مدحج في السبع الذي ضم حمير وهدان في التقسيم الأول الذي وضعه عمر. ثم أدرجها علي في السبع الذي ضم أشعر وطيء لما قام بتعديل النظام. واستمرت حاضرة بأصالتها اليمنية ووفرة عددها في النظام الذي وضعه زياد في الكوفة لما غير التقسيم من الأسباع الى الأرباع؛ فوضعها مع أسد. ومن أهم قبائل مدحج في الكوفة: النخع: قدموا من منازلهم ببيشة في بلاد عسير⁸ والتحقوا بالفتوح تحت قيادة أرتاة بن شراحيل بن كعب⁹. وكان أرتاة قد استلم مسؤولية لواء النخع من النبي لما وفد عليه بإسلامه وإسلام النخع¹⁰. ولما انطلقت حركة الفتوح كانت النخع

¹ السمعاني، المصدر نفسه، ج2، ص299. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الاشتقاق، ت عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص419. ابن الكلبي، نسب معد، المصدر السابق، ج2، ص522.

² السمعاني، المصدر السابق، ج3، ص86.

³ السمعاني، المصدر نفسه، ج3، ص152.

⁴ السمعاني، المصدر نفسه، ج5، ص9. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص475. حمد الجاسر، المرجع السابق، ج1، ص324. ابن الأثير، اللباب، المصدر السابق، ص410.

⁵ السمعاني، المصدر نفسه، ج5، ص263. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج2، ص514. ابن دريد، الاشتقاق، ص423. حمد الجاسر، المرجع السابق، ج1، ص369.

⁶ السمعاني، المصدر نفسه، ج5، ص298. ابن الكلبي، نسب معد، المصدر السابق، ج2، ص519. ابن الأثير، اللباب، المصدر السابق، ص488. النويري، نهاية الأرب، المصدر السابق، ج1، ص250.

⁷ هشام جعيط، الكوفة، المصدر السابق، ص369.

⁸ الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج4، ص464.

⁹ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص560.

¹⁰ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص260.

من القبائل التي لبث نداء عمر¹، وانطلق أبنائها إلى مشاركة في مختلف المواقع التي شهدتها بلاد العراق؛ خاصة القادسية²؛ حيث سقط فيها أرطأة مع أخيه دريد³. وتسلم قيادة النخع بعد خالد كميل بن زياد النخعي الذي لعب أدواراً خطيرة في الأحداث التي سبقت الفتنة والتي تلتها. يذكر السمعاني أن النخع نزلت الكوفة ومنها انتشر أكثرهم. وقد كانت خطتهم في قبلة الصحن إلى جنب أسد وكندة⁴. وكانوا منتظمين في وحدتين قبليتين كبيرتين وهما: بنو مالك بن النخع، ومن بطونهم في الكوفة: صهبان ووهبيل وعامر وحذيفة وحارثة. ولكل منها خطة ومسجد. أما المجموعة الثانية فهي بنو بكر بن عوف وقد عرف بعض رجالها بالفقه⁵.

جعفي: كانت قبيلة جعفي إحدى المجموعات المذحجية التي انضمت إلى جيش سعد وهو في طريقه إلى العراق، وكان عدد هذه المجموعات ينيف على ألف وثلاثمائة مقاتل. وقد ترأس جعفي في هذه الفترة أبو سبرة بن ذؤيب. وتقدر بعض الدراسات أن يكون عدد جعفي في هذه المجموعة قد بلغ قرابة المائتين⁶. وفي زمن متأخر وصفهم عبد الملك بن مروان وهو يستعرض عشائر الكوفة فقال: أما والله لنعم الحي أنتم. إن كنتم لفرسانا في الجاهلية والإسلام. وقد كان بعض رجالها ممن يأخذون شرف العطاء الذي كان يبلغ ألفين وخمسمائة؛ مثل إياس بن شرحبيل الجعفي، وكان قد عقد له عمر على مذحج وهمدان⁷. كانت بطون جعفي منتظمة في مجموعتين قبليتين هما: مران⁸؛ ومن بطونهما: وائل أو إيال وذهل وبداء. والثانية: حريم⁹؛ ومن بطونهما: وهب ومنبه والمجم وكعبة وحرى. ونكاد لا نعثر على أي رجل منها في الأحداث التي قامت في عهد عثمان، لكن بعضهم ورد ذكرهم في أيام الصراع بين علي ومعاوية مثل زحر بن قيس والمحتمل بن سماعة الذي اعتزل الخلاف¹⁰.

¹ عن حنش النخعي، عن أبيه وغيره منهم، أن عمر أتاهم في عسكرهم، فقال: إن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع، سيروا مع سعد فزعموا إلى الشام، وأبى إلا العراق، وأبوا إلا الشام، فسرح نصفهم إلى الشام ونصفهم إلى العراق. الطبري، المصدر السابق، ج3 ص484.

² عن عبد الرحمن بن الأسود النخعي، عن أبيه، قال: شهدت القادسية، فلقد رأيت غلاماً منا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار. الطبري، المصدر نفسه، ج3 ص576. وكانت الكثافة الاجتماعية للنخع لافتة، فقد جرى في إحدى روايات الطبري أنه: لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع، وكان في النخع سبعمائة امرأة فارغة، وفي بجيلة ألف، فضاير هؤلاء ألف من أحياء العرب، وهؤلاء سبعمائة، وكانت النخع تسمى أصحاب المهاجرين، وبجيلة، وإنما جراًهم على الانتقال بأثقالهم توطئة خالد، والمثنى بعد خالد، وأبي عبيد بعد المشي، وأهل الأيام، فلاقوا بأساً بعد ذلك شديداً. الطبري، المصدر نفسه، ج3، ص581.

³ صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص264.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص45.

⁵ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص416، 441. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص345. صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص265.

⁶ صالح أحمد العلي، المرجع نفسه، ص265. 266.

⁷ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص490.

⁸ السمعاني، المصدر السابق، ج12، ص175.

⁹ السمعاني، المصدر نفسه، ج4، ص142.

¹⁰ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص297. صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص268. 269.

خثعم: من عشائر مذحج المشهورة وتعتبر من المجموعات المذحجية المهمة، وقد تفرعت من القبيلة الكبيرة انمار على غرار قبيلتي؛ قسر والغوث¹. شارك أبناؤها في أيام الفتوح²؛ فاشتهر من بينهم بشر بن ربيعة الخثعمي الذي كان واحدا ممن انتدبهم النعمان بن المقرن للمشاركة في فتح الأهواز. ويقدر بعض الدارسين أن تكون عشائر من خثعم قد التحقت بالجيش الفاتحة بعد فتح المدائن فتعتبر بذلك من الروادف الأولى. وكانت في نظام الأسباع سبعا مع الأزدي وبجيلة والانصار وخزاعة³. ولا نجد لرجال خثعم دور بارز في وقائع الثورة على عثمان، لكن لبعضهم أخبار في الأيام التي شهدت معارك الجمل وصفين والنهروان. مثل ربيعة بن أبي شداد الذي كان يحمل راية خثعم مع علي وتحول بعد ذلك الى الخوارج وابن أبي كعب الذي حمل راية خثعم في صفين⁴.

مراد: شاركت مراد في الفتوح منذ زمن مبكر؛ حيث يرد ذكر بعض رجالها في الجيش الذي خاض معركة اليرموك، وبعضهم كان من بين الذين قدموا من الشام الى العراق لتعزيز القوات المقاتلة؛ مثل قيس بن هبيرة المرادي الذي جعله أبو عبيدة بن الجراح على ميمنة هذه القوة⁵. ويبدو أن موقعها المتقدم في تاريخ الالتحاق بالفتوح عصمها من أن يكون لها يد في وقائع الثورة على عثمان؛ لأن معنى ذلك أن كثيرا من أبنائها كانوا يأخذون مخصصات مالية جيدة، لكننا نعثر عليها في ثنايا واقعة صفين؛ حيث برز منهم عبد الله بن كعب وكان حاملا رايتهم وقتل هناك، والأسود بن قيس⁶، والمخارق بن ضرار وقتل ثمة أيضا. وصالح بن شقيق من الذين رفضوا التحكيم. ولعل أشهر الجميع هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي قتل عليا⁷.

صداء وجنب ومسلية: هذه المجموعات الثلاث تذكر في سياق المدد الذي عزز به عمر سعد بن أبي وقاص عندما توجه نحو العراق. وبلغ عددهم حينها ثلاثمائة رجل بقيادة يزيد بن الحارث الصدائي⁸. ولا نكاد نعثر على ذكر لرجالها في أيام الفتنة؛ لكن ذلك لا يعني عدم مشاركتهم فيها بشكل او بآخر. لكن لا نغفل عن الوضع المتميز الذي لا بد أنهم كانوا عليه لأسبقيتهم التاريخية في الفتوح⁹.

¹ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص39. المبرد، نسب عدنان وقحطان، المصدر السابق، 23.

² الطبري، المصدر السابق، ج3، ص464.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص4، 500. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص236. صالح احمد العلي، الكوفة، المرجع السابق، ص270.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص76.

⁵ الطبري، المصدر نفسه، ج3، ص543. صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص271.

⁶ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص46.

⁷ صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص272.

⁸ وكان فيهم ألف وثلاثمائة من مذحج، على ثلاثة رؤساء: عمرو بن معديكرب على بني منبه، وأبو سبرة بن ذؤيب على جعفي ومن في حلف جعفي من إحوه جزء وزيد وأنس الله ومن لفهم، وي زيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسلية في ثلاثمائة، هؤلاء شهدوا من مذحج فيمن خرج من المدينة مخرج سعد منها. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص484.

⁹ صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص272.

زيد: تعتبر من قبائل مذحج الكبرى؛ حيث نثر عليها في وقائع الفتوح البكرة؛ خاصة في القادسية¹. وقد ابلى فيها رئيسهم عمرو بن معد يكرب بلاء عظيما، وكان من بين الذين حضروا المفاوضات التي جرت بينهم وبين رستم². وترك آثاره في المواقع التالية؛ كفتح المدائن وجلولاء ونهاوند وفي غزوة الري الأولى³. لكن ذكر زيد هداً بموت عمرو؛ فلا نكاد نجد لها ذكر في الأحداث اللاحقة⁴.

. كندة:

بلغ عدد كندة في صفوف سعد بن ابي وقاص زهاء ألف وسبعمائة مقاتل، ولا يبدو هذا العدد كبيرا بالمقارنة مع قبائل أخرى لكن بلاءهم في المعارك التي خاضها المسلمون في العراق كان شديدا خاصة في معركة القادسية حيث شهد يومها الثاني المسمى بالهزير صراعا مريرا بينهم وبين الجيش الفارسي استطاع فيه رجال كندة ان يقبلوا كفة الحرب لمصلحة المسلمين. لذلك فان تواجدهم في الكوفة جاء استيطانا طبيعيا شاركوا فيه القبائل التي اضطلعت بمهمة دحر الفرس. يذكر سيف بن عمر التميمي في وصفه لخطط القبائل التي توزعت حول مسجد الكوفة موضع كندة بالنسبة لمواقع القبائل المجاورة لها وكالتالي: وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق، وبين بني أسد والنخع طريق، وبين النخع وكندة طريق، وبين كندة والأزد طريق⁵. ولما كانت قبيلة أسد تقع في الأطراف الغربية من الكوفة فيكون بناء عليه تسلسل الخطط الجنوبية من الغرب الى الشرق كالتالي: أسد ثم النخع ثم كندة ثم الأزد. هذا وقد حمل أحد الأبواب الرئيسية لمسجد الكوفة اسم كندة وظلت المصادر محتفظة بتسميته⁶. كما كان لكندة على غرار قبائل أخرى جبانة عرفت في النصوص التاريخية بجبانة كندة ويرد ذكرها كثيرا في أحداث الدولة الأموية خاصة في الأخبار التي تتعرض الى مختلف الثورات التي شهدتها ذلك العصر سواء حركة حجر بن عدي او أحداث ثورة شبيب الخارجي وثورة التوابين والمختار الثقفي وغيرها. كما يلاحظ أن كندة كانت وحدة مهمة في سيع ضم حضرموت والأزد وغسان بن شمام وبجيلة وختعم. وفي هذا السبع ضمتها علاقات وطيدة مع حضرموت⁷.

ضمت كندة في الكوفة عدة بطون لكل بطن منها مسجده الخاص منها: بنو الحارث بن معاوية ومنهم بنو زيد (البدا) بن الحارث ومنهم قيس بن فهدان البدي وهو أحد الثائرين على عثمان وكان من أنصار علي

¹ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص59.

² البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص253.

³ البلاذري، فتوح البلدان، المصدر نفسه، ص254. 255. 312.

⁴ صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص275.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص45.

⁶ صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص234. هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص127.

⁷ صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص234. 235.

المتحمسين¹. ومالك بن سير البدي الذي انقلب بعد ذلك أمويًا². وذهل بن معاوية بن الحرث وبنو امرئ القيس والطمح ومالك بنو هند ابنا الحرث بن معاوية وقد اشتهر منهم عبد الرحمن بن محرز الكندي الطمحي. وبنو كريب وسلمة وامرؤ القيس ومالك من آل ربيعة بن معاوية. وبنو عمران وحجر وأبو الخير والرقم وخير من بني وهب بن ربيعة. والحرث ومرة بن حجر من بني عدي بن ربيعة³. (راجع الملحق رقم 2 و4).

وقد خرج من كندة رجال لعبوا أدوارا أساسية؛ سواء في المعارك التي ظلت تجري على الجبهة الشرقية او في الإدارة؛ منهم شرحبيل بن السمط من بني معاوية⁴ كان على ميسرة الجيش الإسلامي في القادسية وظل متقدما في كندة حتى نازعه الأشعث بن قيس الشرف لما مصرت الكوفة. واستمر عطاؤه العسكري ملحوظا في العمليات التي استمرت تتابع الفلول الفارسية، فكان ممن شهد فتح المدائن وأبلى فيها بلاء حسنا مما جعل سعد يستعمله عليها. لكنه ترك الكوفة بعد ذلك والتحق بجمص بجوار ابيه حيث صار من معاوني معاوية في الأحداث التي تلت مقتل عثمان⁵.

واشتهر من كندة كذلك الأشعث بن قيس من بني معاوية بن الحارث⁶ وكان من ذوي المكانة والجاه العريض في كندة وغيرها نظرا لتاريخه القديم في اليمن قبل الإسلام⁷، وقد تمس الأشعث بالسلطة والملك والنفوذ وتقلب في عز الصولة فكان ممن استجاب لنوازع الارتداد وكاد يفقد حياته في تلك الأيام لولا عفو ابي بكر عنه. وقد التحق بجيش سعد في منطقة شراف وشارك في معركة نهاوند. وملكانته ولاءه عثمان على أذربيجان واستمر عليها حتى خلافة علي. وكان للأشعث بالكوفة مسجد معروف كما امتلك مزرعة في طيزناباد قرب الكوفة خلدها كتب التاريخ والأدب لعذوبة مائها. كما ظهرت حنكة بعض رجالها في الأعمال التي تولوها للخلفاء الراشدين مثلك

¹ قال قيس بن فهدان بن سلمة من بني البداء من كندة ي سير عثمان المعارضين من الكوفة:

أقسم بالله رب البيت مجتهدا أرجو الثواب به سرا وإعلانا

لأخلعن أبا وهب وصاحبه كهف الضلالة عثمان بن عفانا

البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص517.

² البلاذري، فتوح البلدان، المصدر نفسه، ص280. صالح احمد العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص241.

³ صالح احمد العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص240.

⁴ شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة بن عدي ابن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة، له صحة، ولي حمص. ابن حزم، الجمهرة،

المصدر السابق، ص426.

⁵ صالح احمد العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص235.

⁶ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص425. ساد بنو الحارث بن معاوية فأول من ساد منهم قيس بن معديكرب، ثم ابنه الأشعث بن قيس، وهو الذي أتى النبي في ستين أو

سبعين راكبًا من أشراف كندة فأسلموا. أسلم الأشعث، وكانت كندة قد توجهت عليها. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق، ج6، ص47.

⁷ أسرت الأشعث في الجاهلية بنو الحارث بن كعب؛ فافتدي بثلاثة آلاف بعير. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص426.

جبر بن قشعم الذي كان قاضيا أيام القادسية وأبو قرّة سلمى بن معاوية بن وهب الذي عمل قاضيا في الكوفة عند تمصيرها وشريح القاضي المشهور وهو من بيبي الرئاش وغيرهم¹.

. حمير:

عندما مصرت الكوفة كانت حمير في السبع الذي ضم مذحج وهمدان ثم أخرجت مذحج من هذا السبع وأدرجت مع طيء والأشعر؛ وذلك لوفرة عددها، وظلت حمير مع همدان مما يدل على ان عددها كان كثيرا؛ رغم ان المصادر لا توفر لنا معلومات مفصلة عنها في هذه المرحلة². والواقع أن الثنائي القبلي حمير وهمدان من أكثر القبائل اليمنية تعبيرا عن الأصالة اليمنية نظرا لتاريخهما العتيق والعريق الضارب في القدم، ونظرا لتقاليدهما القديمة في الملك والحكم. ويبدو أن حمير اندرجت في النهاية تحت همدان لأننا لا نصادف لها ذكرا في التقسيم الذي فرضه زياد على مجتمع الكوفة والذي ضم فيه همدان الى تميم³. والواقع ان العلاقة بين همدان وحمير من ناحية النسب والتاريخ علاقة ملتبسة ومشوشة لم تتمكن كتب النسب من ايضاحها؛ وذلك أن نسبة العرب كثيرا ما يتعرضون الى حمير بوصفها جزء من همدان او أحد فروعها، مثل بطن الأفرع الذي يذكره ابن الكلبي كأحد بطون حمير لكنه يقول أن عداده في همدان⁴. في حين يصرون في أحيان أخرى على الفصل بينهما. من ذلك ما تضمنته الرواية التالية الواردة عند البلاذري: عن مُحَمَّد بن زيد، قَالَ: كان ديوان حمير على عهد عُمر على حده⁵. ولعل اندراجها تحت همدان يعود سببه الى هذه الخلفية⁶. (راجع الملحق رقم 2 و4).

. طيء:

فضلت مصادرنا الصمت إزاء اشكال تواجد قبيلة طيء في الكوفة على غرار حمير؛ اذ لا نجد لها ذكرا واضحا في التقسيمات التي انتظمت فيها القبائل منذ البدايات الأولى لتمصير الكوفة الى غاية نظام الأرباع الذي وضعه زياد. عدا بعض الإشارات التي ترد في ثنايا الأحداث فتولد اللبس أكثر مما تكشف عن الحقيقة⁷. رغم

¹ شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرئاش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرثع الكندي. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص139. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص425. صالح احمد العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص239.

² هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص371. 372. صالح أحمد العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص243.

³ هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص273.

⁴ ابن الكلبي، نسب معد واليمن، المصدر السابق، ج2، ص534. صالح أحمد العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص243.

⁵ البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص435.

⁶ قدم ابن سعد في ايجاز معلومات مهمة حول هذه المشكلة في سياق حديثه عن التابعي الشهير عامر الشعبي فقال: والأحمر: خارف والصائديون وآل ذي بارق والسبيع وآل ذي حدان وآل ذي رضوان وآل ذي لعة وآل ذي مران وأعراب همدان: غدر ويام ونهم وشاكر وأرجب. وفي همدان من حمير قبائل كثيرة منهم آل ذي حوال. وكان على مقدمة تبع. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص260. وقد أورد الطبري المعلومات نفسها وذكر أن الشعبي من حمير وعداده في همدان. الطبري، المصدر السابق، ج11، ص635. هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص275.

⁷ ذكر البلاذري في سياق حديثه عن خروج علي من المدينة قاصدا مناجرة أصحاب الجمل انه: لما دعا الحسن وعمار أهل الكوفة إلى إنجاد علي والنهوض إليه، سارعوا إلى ذلك، فنفر مع الحسن عشرة آلاف على راياتهم، ويقال: اثني عشر ألفا، - وكانوا يدعون في خلافة عثمان وعلي أسبعا، حتى كان زياد بن أبي سفيان فصيهم أرباعا- فكانت همدان وحمير

أهمية طيء في الجاهلية والإسلام، ورغم توأجدها الباكر في منطقة العراق في العصر الجاهلي¹، ورغم الحضور الكثيف لبعض قادتها في مجريات الأحداث المفصلية؛ مثل عدي بن حاتم الطائي ورافع بن عميرة الطائي² وخالد بن معدان الطائي³.

يعتقد أن طيء في نظام الأسباع الأول الذي وضعه عمر كانت تشكل سبعا بمفردها رغم أن المصادر لم تصرح بذلك. لكن علي أعاد النظر في نظام الأسباع الأول فعدل فيه، وأدرج طيئا ضمن المجموعة التي ضمت مذحج والأشعر؛ وهي مجموعة يمنية خالصة⁴. وقد ذكر الطبري أنه شهد معركة القادسية من طيء عدد غير قليل، لكنه لم يحدد عددهم بالدقة التي حدد بها أعداد غيرهم من القبائل وقد جاء نصه كالتالي: وكان المثنى في ثمانية آلاف، من ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل، وألفان من سائر ربيعة، أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد، وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة، وألفان من قضاة وطيء ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك، على طيء عدي بن حاتم⁵. وهذا العدد رغم أهميته إلا أنه لا يعتبر رقما كبيرا إذا قورن بالعدد الوافر لقبائل أخرى مثل مذحج وهمدان. لذلك لا نستغرب إدراج طيء ضمن مذحج أو ضمن غيرها. ويبدو أن عددا كبيرا منها كان قد توجه إلى الشام في وقت مبكر لأننا نجدهم مع معاوية ضمن جيشه الذي قاتل به عليا.

رغم صمت المصادر عن يوميات عناصر قبيلة طيء في الكوفة إلا أن بعضا من رجالها كانوا في طليعة صانعي الأحداث والمشاركين فيها؛ على غرار زعيمها عدي بن حاتم الذي يعد في رجالات الإسلام الناجحين وكان حضوره في يوميات الصراع بين علي ومعاوية حضورا لافتا. وكانت داره ومسجده في الكوفة مشهورين. إضافة إلى عروة بن زيد الخيل⁶؛ ابن الزعيم الطائي الكبير زيد الخيل، ومهلhel بن زيد الطائي، وزيد بن حصين الذي كان عاملا لعمر بن الخطاب وكان إلى جانب علي ثم صار من الخوارج فقتل في النهروان¹، والخشف بن مالك الطائي وغيرهم².

سبعا عليهم سعيد بن قيس الهمداني - ويقال: بل أقام سعيد بالكوفة وكان على السبع غيره. وإقامته بالكوفة أثبت - وكانت مذحج والأشعريون سبعا عليهم زياد بن النضر الحارثي، إلا أن عدي بن حاتم، كان على طيء مفردا، دون صاحب سبع مذحج والأشعريين. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص235.

¹ راجع أخبار قبيصة بن اياس الطائي الذي تولى الحيرة بعد زوال دولة المناذرة. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص343، 572.

² كان رافع دليل خالد بن الوليد لما سار من العراق إلى الشام. الطبري، المصدر نفسه، ج3، ص348، 415.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص123.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص235. يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، المرجع السابق، ص30. هشام جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص372.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص486.

⁶ كان لزيد الخيل ابن يقال له عروة، وكان فارسا شاعرا، فشهد القادسية، فحسن فيها بلاؤه، وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صقن، وعاش إلى إمارة معاوية، فأراده على البراءة من علي عليه السلام، فامتنع عليه، وقال:

بحاولني معاوية بن حرب وليس إلى الذي يهوى سبيل

على جحدي أبا حسن عليا وحظي من أبي حسن خليل

2. دور العناصر اليمنية في الاحتجاج على عثمان وقتله:

أخذت بوادر الفتنة تلوح في الأفق، وراحت دوامات الشقاق تتجمع عند النقطة التي لا عودة بعدها. واستقرت جميع قوى النزاع على رأس عثمان، وشهدت السنة الأخيرة من حكمه ما يشبه الاجماع بين الساخطين عليه على ضرورة ان يقوم بتغيير شامل لسياساته وعماله، او المطالبة بتنحيه عن الخلافة. وقد أورد الطبري في هذا الصدد رواية جاء فيها: لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحاب رسول الله بعضهم إلى بعض: أن أقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد. وكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، واصحاب رسول الله يرون ويسمعون، ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نفيهم، منهم، زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت فاجتمع الناس، وكلموا علي بن أبي طالب³. وقد بلغت حركة الاعتراض عليه والتشويش على سيرته حدا بالغا تورط فيه كثير من الرجال. وكان عمرو بن العاص بعد ذلك يتذكر تلك الفترة القاسية معترفا: إن كنت لأحرض عليه، حتى إني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش، إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك. فقال: أردنا أن نخرج الحق من حافة الباطل، وأن يكون الناس في الحق شرعا سواء. وبلغ بالحق عمرو بعد ان عزله عثمان عن مصر انه كانت عنده أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان لأمه، ففارقها⁴.

ولما كان بحثنا يدور حول الأدوار التي لعبتها القبائل اليمنية في ظهور التشيع؛ الذي ولد من رحم الأحداث التي نحن بصدددها الآن؛ خاصة في الكوفة التي كانت مسرحا للأحداث المفصلية وساحة للعمل الحقيقي الذي انطلقت منه قوى التمرد. فانه من الضروري سبر الوقائع التي كانت تتوالى في هذا المصر المضطرم.

أ. نشاط حركة المعارضة في الكوفة ودور العناصر اليمنية فيها:

لم تكد تهدأ اندفاعة الفتوح وتقل عوائد الغنائم والفيء حتى تاب الناس الى إعادة التفكير في مخصصات العطاء ومعايير تقسيمه وتوزيعه، وبدأ قرن الاختلاف يطل من شقوق التفاوتات الاجتماعية. وكانت الكوفة المكان الأكثر اضطرابا من بين كافة الأمصار؛ نظرا لخصوصية تركيبها الديموغرافية، وسيولة تركيبها الاجتماعية

وله أشعار كثيرة. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص166. ومما له دلالة على كفاءته الرواية التالية: كتب عمر بن الخطاب إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من وقعة حناوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري ودستبي في ثمانية آلاف فعمل، وسار عروة إلى ما هناك فجمعت له الديلم وأمدتهم أهل الري فقاتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم واجتاحهم. البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص309. قال ربعي بن عامر بن خالد: كنت مع أبي يوم البويب - قال وسمي البويب يوم الأعرار - أحصي مائة رجل، قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ، وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص468.

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص87. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص377.

² ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص232. وفاء السندوني، المرجع السابق، ج1، ص120.

³ الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج4، ص336. 337. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص432.

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج4، ص357. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص82.

المتحددة دائما بالهجرات القبلية التي لم تنقطع اليها. وبلغ الأمر الى: أن الَّذِينَ لا سابقة لَهُمْ ولا قدمة من الذين لا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقدمية في المجالس والرياسة والحظوة، كانوا يعيرون التفضيل، ويجعلونه جفوة، وهم في ذَلِكَ يَحْتَفُونَ بِهِ وَلَا يكادون يظهرونه، لأنه لا حجة لَهُمْ، والناس عَلَيهِمْ، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابي أو محرر استحلى كلامهم، فكانوا في زيادة، وكان الناس في نقصان حتى غلب الشر¹. وهذا النص الأخير مقتطع من خطبة القاها عثمان على أهل المدينة من على منبر النبي يحلل فيها رؤيته لأسباب الخلاف الذي أخذ يتفاقم مطالبا بعزله او برأسه، يؤيد تحليله التقرير الذي بعثه اليه والي الكوفة والذي جاء فيه: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمية، والغالب على تلك البلاد روادف ردت، وأعراب لحقت، حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتها². لقد تضمن النصان جملة من المفردات لافتة وهي: الناشئة، الأعراب، المحررون، الروادف³، النازلة، النابتة⁴، الأشراف⁵، أهل البيوتات⁶، أهل البلاء، السابقة، القدمية⁷، المجالس، الرياسة، الحظوة⁸، الكلام، الأمر، التفضيل، الجفوة، العيب، الحجة، الناس، الشر. وهي مفردات تتضمن إشارات هامة الى المستجدات السوسولوجية والديموغرافية التي أخذت تظهر في الكوفة بعد ما يقارب عشرين سنة من تمصيرها، فقد تواترت عليها الهجرات من طرف بقايا القبائل التي تخلفت ولم تلتحق مع من التحق بالفتوح، ومجموعات عشائرية قررت الانعتاق من مواطنها بحثا عن ظروف معيشية أفضل. ولما تضاعفت أعدادهم بالمقارنة مع الأعداد الثابتة لأهل البلاء والسابقة والأشراف الذين كانوا يتناقصون بالموت؛ فقد اخذ الاختلال يدب الى النظام الذي أرسنه سياسة عمر. فالنظام والتوازن هو ما تضمنته عبارة:

¹ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص ص 280 . 281.

² الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج4، ص279.

³ الروادف: الرُدْفُ: مَا تَبِعَ الشَّيْءَ. مَا تَبِعَ الشَّيْءَ. وكل شيء تبع شيئا، فهو ردفه، وإذا تابع شيء خلف شيء، فهو الترادف. والتَرَادُفُ: التَّشَابُه. ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج9، ص115.

⁴ النابتة: والنابت من كل شيء: الطري حين ينبت صغيرا؛ وما أحسن نابتة بني فلان أي ما ينبت عليه أموالهم وأولادهم. ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نثر صغار. وإن بني فلان نابتة شر. والنوابت، من الأحداث: الأغمار. وفي حديث أبي ثعلبة قال: أتيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: نوبتة، فقلت: يا رسول الله، نوبتة خير، أو نوبتة شر. وفي حديث الأحنف: أن معاوية قال لمن يبايه: لا تتكلموا بموانحكهم، فقال: لولا عزمة أمير المؤمنين، لأخبرته أن دافة دفت، وأن نابتة لحقت. والنوبتة: تصغير نابتة؛ يقال: نبتت لهم نابتة أي نشأ فيهم صغار لحقوا الكبار، وصاروا زيادة في العدد. وفي الحديث أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لقوم من العرب: أتمم أهل بيت أو نبت؟ فقالوا: نحن أهل بيت وأهل نبت. أي نحن في الشرف نحاية. وفي النبت نحاية، أي نبتت المال على أيدينا فأسألنمو. ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ج2، ص ص 96 . 97.

⁵ الشَّرْفُ: الحَسَبُ بِالْأَبَاءِ. وقال غيره: والشرف والمجد لا يكونان إلا بالأباء. ويقال: رجل شريف ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف. قال: والحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرف.. ويُقَالُ: رجل شريف ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف. قال: والحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرف. ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ج9، ص169.

⁶ البيوتات: وبيت العرب: شرفها، والجمع البيوت، ثم يجمع بيوتات جمع الجمع. ابن سيده: والبيت من بيوتات العرب: الذي يضم شرف القبيلة كآل حصن الفزاريين، وآل الجديين الشيبانيين، وآل عبد المدان الحارثيين؛ وكان ابن الكلبي يزعم أن هذه البيوتات أعلى بيوت العرب. ويقال: بيت تميم في بني حنظلة أي شرفها ابن منظور، المصدر نفسه، ج2، ص15.

⁷ القدمية: والقَدْمُ: الشَّرْفُ الْقَدِيمُ. والقَدَمُ والقُدْمَةُ: السَّابِقَةُ فِي الْأَمْرِ. يُقَالُ: لِفُلَانٍ قَدَمٌ صِدْقِي أَي أَثَرُهُ حَسَنَةٌ. ابن منظور، المصدر نفسه، ج12، ص ص 465 . 468.

⁸ الحظوة: المكانة والمنزلة للرجل من ذي سلطان ونحوه. وَجَمْعُهُ حُظَاً. ابن منظور، المصدر نفسه، ج14، ص185.

اضطرب أمرهم؛ أي اضطراب المنظومة التي كانت متماسكة بواسطة الرضا الاجتماعي؛ الذي حدث أساسا بعد تقاضي مستحقات غنائم الفتح والقبول بالسلم التراتبي الذي وضعه عمر، لأن القوم ممن تأخر كانوا ما زالوا يشعرون بفضل عمر عليهم لما رفع عنهم عقوبة الحظر وسمح لهم الالتحاق بالشام وفارس.

ان الذين ردفوا بعد ذلك وطروءوا والأعراب والمحررون والنابئة والناشئة؛ مثلوا قوى الشر الشيطانية التي نهضت لتزعزع السلام الذي كانت تحرسه منظومة الخير، وأصبحوا هم القوى الغالبة بفضل التفوق العددي. وهنا لا بد من الاعتراف بأن كلا من خطبة عثمان وتقرير والي الكوفة كانتا تصفان الأوضاع من وجهة نظر القوى السابقة المتنفذة، وتدفعان باتجاه مساندتها ودعمها في الحفاظ على مصالحها وعلى مواقع التفوق التي كانت تحتلها في الكوفة وغيرها. وفي هذه اللحظة التاريخية التي أخذت تصبح حرجة أخذ حراك القوى الدونية يصبح حراكا جادا ومطالبه تتحول الى قضايا ملحة. وأخذ الجدل الذي أشرنا اليه سابقا يضطرم باحثا عن مستندات وتغطية أيديولوجية للمطالبة بالمساواة وردم الهوة الاجتماعية، وبذلك انفتح المجال لاستخدام القرآن بوصفه المرجعية العليا المقدسة للأمة بواسطة التأويل، ومحاولة قراءة الواقع المنظور اليه على أنه ضلال وانحراف عن الحق من خلال القرآن، وفهم القرآن من خلال الواقع. وهذا الذي تشير اليه عبارة: *ثُمَّ كَانُوا يَعْشَوْنَ بِغَيْرِ عِلْمٍ*، ويجعلونه جفوة، وهم في ذلك يحنفون به ولا يكادون يظهرونه، لأنه لا حجة لهم والناس علىٰهم.

ان النواة التي دار حولها المهرج والاحتجاج تمثلت في مبدأ التفضيل الذي كان ساريا وتريد القوى الجديدة أن تزيه لتحل بدلا عنه المساواة والتماثل. وقدمت هذه القوى التفضيل في صورة الجفوة الاجتماعية بما يعني أنه لا يتوافق مع المبدأ الإسلامي القائل بالتكافل والتضامن وتقليص الفروق الاجتماعية. فتشيت الفوارق الاجتماعية يقود الى الحسد والتنافس والضعينة؛ وهذه في النهاية تنتج الجفوة في مجتمع لاتزال تقوده التصورات القبلية التضامنية وخلقية الإسلام الإنسانية، فتمسك أصحاب النفوذ والوجاهة بمبدأ التفضيل انما ينم . حسب وجهة نظر هؤلاء . عن نزعة استعلائية اقصائية ترفض؛ تحت مسمى النظام؛ أن تتحقق بالخلق النبوي. هذه القوى وجدت لدى الوليد بن عقبة والي الكوفة السابق فضاء رسميا عبرت من خلاله عن وجودها الاجتماعي ورغبتها في الإعلان عن ذاتها، وقد لاحقت الوليد سمعة سيئة قدر لها ان تنتشر بفعل استخدامها من طرف معارضوا عثمان في لائحة الاتهامات التي جمعوها عليه، وهي اتهامه بشرب الخمر والصلاة بالناس في حالة سكر. ولولا ان الطبري حفظ لنا روايات موازية تكشف عن أبعاد أخرى من شخصية الوليد وتحفر عن دوافع اجتماعية وسياسية وقفت وراء التهمة تلك؛ لاستمرت ذكرى الوليد مشبوكة بقنينة الخمر على سجادة الصلاة. فتصف بعض الروايات الوليد بأنه كان:

أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين، وليس على داره باب¹. وكان الناس في الوليد فرقتين: العامة معه والخاصة عليه. وروي عن أبي كبران، عن مولاة لهم؛ وأثنى عليها خيرا؛ قالت: كان الوليد أدخل على الناس خيرا²، حتى جعل يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجع عليه الأحرار والمماليك، فكان يُسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن:

يا ويلتا قد عزل الوليد وجاءنا مجموعا سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد فجوع الإماء والعبيد³

وذكر الشعبي الوليد فقال: كيف لو أدركتم الوليد، غزوه وإمارته؛ إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما قصر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل عن عمله، وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر، يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم⁴. وكان الوليد قبل توليته على الكوفة عاملا لعمر على صدقات تغلب في الجزيرة، حيث أبدى كفاءة في الإدارة وحكمة في التدبير؛ فأسهم في ادخال كثير منهم إلى الإسلام. قد جاءت ولايته على الكوفة في سياق نزاع قام بين عبد الله بن مسعود خازن المال وسعد بن أبي وقاص والي الكوفة حول قرض من المال اخذه سعد من بيت المال ولم يتمكن من رده؛ فبلغ أمرهما أن تخاصما وتلاسنا. ولما بلغ الخبر إلى المدينة: غضب عليهما عثمان، وانتزع ولاية الكوفة من سعد، وعزله وغضب على عبد الله وأقره، واستعمل الوليد بن عقبة. فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره بابا حتى خرج من الكوفة. وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين⁵. لكن الخاصة من الناس لم تعجبهم سياسة الوليد المنفتحة مع العامة، وحدث أن وقعت عملية سرقة راح قام بها مجموعة من الشباب ينتمي بعضهم إلى الأزدي وبني أسد؛ كان ضحيتها صاحب البيت المسروق؛ فرفع الوليد القضية إلى عثمان فأمره بإقامة حد القتل عليهم. فقتلوا بباب القصر في الرحبة. وخلد الشاعر عمرو بن عاصم التميمي هذه الحادثة في شعره فقال:

لا تأكلوا أبدا جيرانكم سرفا أهل الزعارة في ملك ابن عفان

وقال أيضا:

¹ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص271.

² المصدر نفسه، ج4، ص277.

³ المصدر نفسه، ج4، ص278.

⁴ المصدر نفسه، ج4، ص274.

⁵ يؤيد الشعبي وهو راوية الكوفة هذه الحادثة: عن الشعبي، قال: كان أول ما نزع به بين أهل الكوفة - وهو أول مصر نزع الشيطان بينهم في الإسلام - أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالا، فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافتروا وبعضهم يلوم بعضا، يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبد الله. الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج4، ص251. 252.

ان ابن عفان الذي جريتم فطم اللصوص بمحكم القرآن
ما زال يعمل بالكتاب مهيمن في كل عنق منهم وبنان¹

فأوغر ذلك صدر ذويهم على الوليد، ونشطوا في التشويش عليه بين الناس، ونشر الأقاويل والاشاعات. وقد عرف الوليد بأنه كان لا يغلق باب داره، كما عرف بحسن ضيافته واستقباله الناس فيها؛ فاستغلوا هذا الأمر، وذلك أن الوليد في أيام عمله في الجزيرة تعرف على شاعر نصراني يدعى أبو زيد في قضية دين ظلم فيها الشاعر؛ فأخذ له الوليد بحقه ونشأت بينهما صداقة؛ فكان أبو زيد يزور الوليد كلما عنت له حاجة فيعطيه ما يكفيه، فلما تولى الوليد الكوفة كان أبو زيد يزوره، فلم يزل الوليد به حتى أسلم. فكانت آخر زيارة لأبي زيد للوليد بالكوفة صادفت حادثة القتل المذكورة فاستغلها أعداء الوليد الموتورين، وأذاعوا أن الوليد يشرب الخمر مع الشاعر النصراني: فَقَالَ أَبُو زَيْنَبٍ وَأَبُو مَوْعٍ وَجَنْدَبٌ لِأَنْسَابٍ مِنْ وَجْهِهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ: هَذَا أَمِيرِكُمْ وَأَبُو زَيْنَبٍ وَهِيَ عَاكِفَانٌ عَلَى الْخَمْرِ. فَقَامُوا مَعَهُمْ. وَمَا كَانَ مَنْزِلُ الْوَلِيدِ فِي الرَّجْبَةِ مَفْتُوحًا إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَابٌ، فَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَسْجِدِ مَفْاجِئِينَ إِيَّاهُ، فَنَحَى شَيْئًا، فَأَدْخَلَهُ تَحْتَ السَّرِيرِ، فَأَدْخَلَ بَعْضُهُمْ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ لَا يُؤَامِرُهُ، فَإِذَا طَبَقَ عَلَيْهِ تَفَارِيقُ عُنْبٍ؛ وَإِنَّمَا نَحَاهُ اسْتِحْيَاءً أَنْ يَرَوْا طَبَقَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا تَفَارِيقُ عُنْبٍ؛ فَقَامُوا فَخَرَجُوا عَلَى النَّاسِ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ، وَسَمِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ يَسْبُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَهُمْ، فَسْتَرَّ عَلَيْهِمُ الْوَلِيدُ ذَلِكَ، وَطَوَاهُ عَنْ عُثْمَانَ، وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ، وَكَرِهَ أَنْ يَفْسُدَ بَيْنَهُمْ، فَسَكَتَ عَنْ ذَلِكَ وَصَبَرَ². لكن الشك تسرب الى قلوب كثير من الناس، ونشط في الموضوع بعضهم ممن له مصلحة في الإيقاع بالوليد حتى: جَاءَ جَنْدَبٌ وَرَهْطٌ مَعَهُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالُوا: الْوَلِيدُ يَعْتَكِفُ عَلَى الْخَمْرِ. وَأَذَاعُوا ذَلِكَ حَتَّى طَرَحَ عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَنْ اسْتَرَّ عَنَّا بِشَيْءٍ لَمْ نَتَّبِعْ عَوْرَتَهُ، وَلَمْ نَهْتِكْ سِتْرَهُ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَأَتَاهُ فَعَاتَبَهُ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: أَيْرِضَى مِنْ مِثْلِكَ بِأَنْ يُجِيبَ قَوْمًا مَوْتُورِينَ بِمَا أَحْبَبْتَ عَلَيَّ؛ أَي شَيْءٍ اسْتَرَّ بِهِ. إِنَّمَا يُقَالُ هَذَا لِلْمَرِيبِ، فَتَلَاحِيَا وَافْتَرَقَا عَلَى تَغَاظِبٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ³. وبذلك تحول الأمر الى قضية رأي عام وموضوعا لنميمة الخاصة والعامة ممن لم يكن هواه مع الوليد، وأريد للموضوع ان يضل ساخنا لا يهدأ. واستمرت المباحكات والصراع بين رجال من وجوه الكوفة والوليد، ومضوا يحكيون المؤامرات للإيقاع به: واجتمع نفر من أهل الكوفة، فعملوا في عزل الوليد، فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو موع بن فلان الأسدي للشهادة عليه، فغشوا الوليد، وأكبوا عليه، فبيناهم معه يوما في البيت وله امرأتان في المخدع، بينهما وبين القوم ستر، إحداهما

¹ المصدر نفسه، ج4، ص273.

² الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج4، ص ص273. 274.

³ المصدر نفسه، ج4، ص ص274. 275.

بنت ذي الخمار والأخرى بنت أبي عقيل، فنام الوليد، وتفرق القوم عنه، وثبت أبو زينب وأبو مورع، فتناول أحدهما خاتمه، ثم خرجا. فاستيقظ الوليد وامرأته عند رأسه، فلم ير خاتمه، فسألها عنه فلم يجد عندهما منه علما، قال: فأبي القوم تخلف عنهم. قالتا: رجلان لا نعرفهما، ما غشياك إلا منذ قَرِيبٍ. فعرف الوليد أن الأمر مدبر فأرسل في طلبهما. فانطلق إلى عثمان بالمدينة فوجدهما هناك عند عثمان يؤازرهم نفر ممن عزلهم الوليد عن أعمالهم، فأخبروا عثمان أن الوليد يشرب الخمر، فقال: من يشهد. قالوا: أبو زينب وأبو مورع، وكاع الآخرا، فقال: كيف رأيتما. قالوا: كنا من غاشيته، فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر، فقال: ما يقيء الخمر إلا شاربها فبعث إليه .. فحلف له الوليد وأخبره خبرهم، فقال: نقيم الحدود ويؤء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي. فأمر سعيد بن العاص فجلده، فأورث ذلك عداوة بين ولديهما¹. وقد ظلت هذه الوقائع في وجدان الوليد زمنا طويلا، فقد حدث ان: قدم الوليد الكوفة في أحد المرات زائرا للمغيرة بن شعبة، فأتاه أشرف أهل الكوفة يسلمون عليه، فقالوا: واللّه ما رأينا بعدك مثلك؛ فقال: أخيرا أم شرا. فقالوا: بل خيرا؛ قال: ولكنّي واللّه ما رأيت بعدكم شرا منكم؛ فأعادوا الثناء عليه؛ فقال: بعض ما تشنون به، فو اللّه إن بغضكم لتلف، وإن حبكم لصلف².

على خلفية هذه الأحداث أرسل عثمان سعيد بن العاص واليا على الكوفة بدلا من الوليد. وكان ذلك سنة 30هـ، وكان سعيد في شبابه نكرة الا أن عمومته كانوا ذوي بلاء في الإسلام وسابقة حسنة وقدمه مع رسول الله، وقد سأل عنه عمر فوصف له بالبلاء والصلاح فاستدعاه عنده؛ فرعاه وزوجه. فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس³. فقدم الكوفة أميرا، وخرج معه من مكة- أو المدينة- الأشتر وأبو خشة الغفاري وجندب بن عبد الله وأبو مصعب بن جثامة- وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيبونه، فصعد سعيد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: واللّه لقد بعثت إليكم وإني لكاره، ولكني لم أجد بدا إذ أمرت أن آتمر؛ إلا أن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها، واللّه لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعييني، وإني لرائد نفسي اليوم ونزل. وسأل عن أهل الكوفة، فأقيم على حال أهلها⁴. فكتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردت، وأعراب لحقت، حتى ما ينظر إلى ذي

¹ المصدر نفسه، ج4، صص275.276.

² أبو فرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج5، ص100.

³ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص78. عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده أن سعيد بن العاص أتى عمر يستزيده في داره التي بالبلاط وخطط أعمامه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال عمر: صل معي الغداة وغبش ثم أذكرني حاجتك. قال ففعلت حتى إذا هو انصرف قلت: يا أمير المؤمنين حاجتي التي أمرتني أن أذكرها لك. قال فوثب معي ثم قال: امض نحو دارك. حتى انتهيت إليها فزادني وخط لي برجله فقلت: يا أمير المؤمنين زدي فإنه نبئت لي نابتة من ولد وأهل. فقال: حسبك واحتسب عندك أن سبلي الأمر بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك. قال فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتى استخلف عثمان وأخذها عن شوري ورضى فوصلني وأحسن وقضى حاجتي وأشركني في أمانته. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص23.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص79.

شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها. فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تفاقلوا عن الحق، وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بما يصاب العدل¹.

عاد سعيد إلى الكوفة يتحمل مسؤولية وأد الفتنة وإعادة النظام بواسطة التعليمات التي كلفه الخليفة بتطبيقها؛ وذلك بالاستعانة بوجوه الناس من كبار الاشراف وأهل السبق، أي العودة إلى تفعيل الأطر التي كانت تضبط البلد في السابق؛ دون الانتباه إلى ضرورة المبادرة إلى إعادة النظر في تكوينات الواقع الجديد؛ الذي لم يعد يشبه ما كان عليه في السابق، ورسم الاستراتيجيات السياسية لإدارة هذا المصر المتحول. هذا يعني أن سياسة التفضيل ستستمر، وأن الأولوية في الاستفادة من خيرات السواد ومداخيل بيت المال ستبقى ثابتة على القوى السابقة التي مصرت البلد، واستحقت شرف العطاء والسلطة. فاعتبرت هذه الإجراءات خيبة أمل للقوى الجديدة الحاملة بالتغيير والمساواة.

إن المعنى المستخلص من هذه الأحداث ورد فعل السلطة عليها أن التاريخ يظل هو مصدر الشرعية في امتلاك السلطة واستحقاق الخيرات المادية؛ رغم أن هذا التاريخ هو في الأصل تاريخ انبثاق دين، وتاريخ نضاله من أجل فرض وجوده الواقعي؛ تاريخ تجدد قيم أبلتها الممارسات التمييزية للمجتمع الجاهلي، كما هو تاريخ وعد كان يتجه للقوى المهمشة المنسية مانحاً إياها الأمل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55]. وفي هذه المرة ككل مرة يثبت الواقع التاريخي اليومي العملي التفاصيل الاجتماعي صلابته وقسوته وضغطه إزاء القيم الموعودة واحلام الضعفاء ورغبات المعوزين، وأن المساواة التامة لا محل لها من التاريخ، وأن التاريخ يصنع الإنسان بكل ما بداخله من دوافع الأثرة والاستبداد والاحتكار ورغبة السيادة والانفراد بالسلطة.

نصت تعليمات عثمان على تفضيل أهل السابقة بما استحقوه تاريخياً، كما نصت على معطى تمييزي يكشف عن توجه الخلافة السياسي؛ تمثل في أهمية معرفة أقدار الناس وضرورة اعتبارها حتى تنتظم الأمور: فإن المعرفة بالناس يُصَابُ العدل؛ حيث العدل من وجهة النظر الرسمية إنما يتقوم بالتفضيل والتمييز. لقد أقر الله التفضيل كمبدأ عادل بصنف الناس حسب أعمالهم وجهدهم واجتهادهم: {مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ

¹ المصدر نفسه، ج 4، ص 79. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج 2، ص 84.

بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد: 10]. وغيرها من الآيات، وجعل الحياة مضمار سبق وتنافس، لكنه يؤكد ان المطلوب هو الأعمال الصالحة ومن بينها الايثار على النفس وأن التفضيل انما هو تفضيل الآخرة لا الدنيا: {الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]. ومدح أنصار المدينة على لطافة استقبالهم للمهاجرين وحسن ترحيبهم بهم ومشاركتهم إياهم ما يملكون وما يعيشون بمقتضى قيمة المؤاخاة والمؤازرة والتناصر. لأنهم عبروا عن مضامين الايمان والمحبة لمن التجأ إليهم طلبا لمعونتهم، وذلك لم يكن ليحدث دون انتصارهم على خلقية الشح والأثرة، وإيمانهم بالجزاء الإلهي: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) إِنَّ تُقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفُهُ لَكُمْ وَيَعْفُو لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: 16، 17]. وأكد النبي في حديثه مع الأنصار؛ لما سخط بعضهم على عطائه المؤلفة قلوبهم المال ودوهم؛ على أفضلية ثواب الله ورضا نبي الله على فضول المال وسقط الدنيا في الحديث الذي رواه أنس بن مالك¹.

لم يكن عطاء المال على عهد النبي سمة تفضيلية اجتماعية تمييزية، أو على الأقل لم يكن يراد به الجزاء بقدر ما كان يخدم مقاصد عدة؛ من بينها تأليف القلوب وسد الحاجات وغيرها، بل زاد على ذلك بأن حرم على قرابته تناول أموال الصدقات لأنها غسالة ذنوب. لم يكن طلب المال من جوهريات الدعوة المحمدية بقدر ما كان وسيلة لتيسير حياة الناس ودفع المشقات². ان بعض الروايات تفيد أن عمر أطلق ما يشبه وعدا حول سياسته القادمة قبل أن يتخطفه الموت: لم يبق أحد من المسلمين إلا وله في هذا المال حق، إلا ما تملكون من رقيقكم، فإن أعش إن شاء الله؛ لم يبق أحد من المسلمين إلا سيأتيه حقه حتى الراعي بسرو حمير يأتيه حقه، ولم يعرق فيه

¹ أن ناسا من الأنصار قالوا يوم حنين، حين أفاء الله على رسوله أموال هوازن، فطلق النبي يعطي رجالا من قريش المائة من الإبل، كل رجل منهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحدثت رسول الله بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم، لم يدع معهم أحدا غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حديث بلغني عنكم»، فقالت الأنصار: أما ذوو رأينا، فلم يقولوا شيئا، وأما أناس حديثة أسنانهم، فقالوا: كذا وكذا - للذي قالوا - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما أعطي رجالا حدثاء عهد بكفر، أتألفهم - أو قال: أستألفهم - أولا ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: أجل يا رسول الله، قد رضينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستجدون بعدي أثره شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني فرطكم على الحوض»، قال أنس: فلم يصبروا. معمر بن راشد، الجامع، المصدر السابق، ج11، ص59.

² عن أسلم قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: اجتمعوا لهذا المال، فانظروا لمن تروحن ثم قال لهم: إني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظروا لمن ترونه، وإني قد قرأت آيات من كتاب الله سمعت الله يقول {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب} للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون} [الحشر: 8]، والله ما هو لهؤلاء وحدهم، {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم الآية، والله ما هو لهؤلاء وحدهم، {والذين جاءوا من بعدهم} الآية، والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال، أعطي منه أو منع، حتى راع بعدن. أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ت محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج6، ص571.

جيبينه¹. فليس عرق الجبين دائما من مستوجبات اكتساب المال من بيت المال وانما ثمة مقاصد أخرى الى جانبه. والرواية عن عمر لا تنص على الزمن الذي حدثت فيه، وان كنت أرجح انها تندرج بين الروايات التي تتحدث عن رغبة عمر في إعادة النظر في التفضيل وتوسيع مصارف بيت المال وعائدات الفتوح.

ان المقارنة بين الأهداف العامة التي توختها الدعوة المحمدية وسياسات النبي المالية والمصارف المتنوعة التي كان ينفق فيها ما كان يتجمع لديه من أموال على قتلها، وبين الحالة الفتوية التي استقرت عليها الجماعة الإسلامية في الأمصار تكشف عن تغير حاصل على مستوى القيم والدوافع التي تنظم الجماعة، حيث يبدو انه قد جرى إضفاء الشرعية على بعض الدوافع الدنيوية بطبيعتها الاحتكارية الانفرادية التخصيصية على حساب الحس التشاركي الذي يجرى عليه الإسلام. وذلك تجلى فيما عرضته من الاحداث الماضية وسيزداد وضوحا فيما يأتي.

لقد أورد الطبري رواية تضمنت اول الكتب التي خاطب بها عثمان ولاته وعماله ورعيته ونصها الآتي: وكان كتابه إلى العامة: أما بعد، فإنكم إنما بلغت ما بلغت بالافتداء والاتباع، فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداء بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فان رسول الله قال: الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا². وفيه هذا الخطاب ربط عثمان بين عناصر مختلفة؛ سوسولوجية وثقافية واقتصادية؛ بين توافر النعمة، والاختلال الاثني الذي يكدر النقاء العربي، ووقوع القرآن رهن القراءات الخاطئة من طرف الأعراب والأعاجم. والنص رغم تشككنا في مصداقية نسبته الى عثمان لما فيه من أثر الصنعة؛ حيث يبدو كأنه موضوع من أجل ادانة واقع كان قد تحقق بجلاء في فترة تالية، لكنه يظل يحتفظ بأهميته من حيث ما يتضمنه وجهة نظر؛ على ايجازها؛ تبطن أهمية بالغة.

ان مقولة الخطر الذي ينجر عن قراءة القرآن من طرف الاعراب والأعاجم يشير بخفاء الى كل من الشيعة والخوارج، على أساس أن الخوارج هم الأعراب من تميم وبكر وغيرها ممن ناصب الأمويين العداء بشدة، والشيعة التي تحولت اطارا تجمع داخله الناقمون على السياسة الأموية العربية من الموالي الفرس وغيرهم. وكلا من الاتجاهين استخدم القرآن في توصيفه ما اعتبره ضلالا أمويا واستثمره في بناء حججه. وجاءت العبارات في آخر النص تنسب الى النبي حديثا ظاهر الوضع يجعل الكفر صفة من صفات العجم؛ غمزا آخر للشيعة. ولا حاجة لنا بالتذكير للأهمية التي اكتسبها أبناء السبايا في العهد الأموي وما تلاه؛ اذ أن كثيرا من الشخصيات المهمة دينيا وسياسيا كانوا من هذه الفئة. كما تضمن النص عبارة مهمة ستظل تتكرر في الأدبيات الدينية؛ وهي البدعة؛

¹ البيهقي، السنن، المصدر نفسه، ج6، ص572.

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج4، ص245.

النقيض المباشر للسنة، حيث تحيل البدعة الى معاني الانحراف والضلال والابتعاد عن الهدى، في حين السنة هي الطريقة المهدية لبلوغ الحق والعمل به.

ان الابتداع في هذا النص جاء يصف تحولات كانت حدثت في داخل المجتمعات الاسلامية على إثر انفتاح المقاتلة على المجتمعات المفتوحة، وهو حدث طبيعي ومنتوق، لكن المفارقة أن هذه الإدانة تقفز على الحقيقة التاريخية التي نناقشها لأن من استعمل التسري واشترى السبايا هم قدماء المقاتلة من اهل القدمة والسابقة والشرف؛ من الذين حرص عثمان على تثبيت مصالحهم بوصفها حقوقا وبوصف العملية هذه عدلا. فهؤلاء هم المسؤولون تاريخيا عن التغيرات السوسولوجية والثقافية التي حدثت وما كان لها ألا تحدث.

أريد من كل هذا أن أصل الى فكرة ان السياسات التي فضلت الخلافة سلوكها في مواجهة التغيرات لم تكن في مستوى التحدي التاريخي، وسلف أن أشرت الى قصور الأدوات المعرفية التي تمت بها قراءة الأوضاع وفهم مآلاتها ومصائرهما وما كانت تتمخض به على المدى القريب والبعيد. فاستمرت في ترسيخ مصالح الفئات التي أصبحت في هذا العهد تاريخية وتقليدية على حساب الحراك الجديد. لكن المفارقة الأخرى أن مقتل الخليفة عثمان لم يأت من جهة القوى الجديدة الناقمة، وانما من فئات أخرى؛ كثير من قادتها كان محسوبا في علية القوم من الأشراف والرؤساء ووجوه الناس والقراء، من الذين عمل والي الكوفة الجديد سعيد بن العاص على تقريبهم وتفضيلهم، ورفعهم الى مستوى الخاصة من أصحابه ورفاقه ممن كانوا يقضون الليل عنده يسمرون ويناقشون الأمور.

كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء أهل البصرة والمتسمتون، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس للناس فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس للناس يوما، فدخلوا عليه، فبيناهم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان: ما أجود طلحة بن عبيد الله. فقال سعيد ابن العاص: إن من له مثل النشاط لحقيق أن يكون جوادا، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشا رغدا فقال عبد الرحمن بن خنيس وكان غلاما: والله لوددت أن هذا الملقاط لك¹. فقامت اليه جماعة منهم: الأشر و ابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكميل بن زياد وعمير بن ضائي، فضره وأباه حتى غشي عليهما. وبلغ الخبر الى بني أسد فجاءوا وأحاطوا بالقصر وكادت الفتنة أن تقع لولا تدخل سعيد. من هنا أخذت الأمور تتطور

¹ الملقاط: ظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين إلى العين، عين بني الحذاء، كانت العرب تقول: أدلع البر لسانه في الريف، فما كان يلي الفرات منه فهو الملقاط، وما كان يلي الطين منه فهو النجاف.. كان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه الملقاط. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص192. ويعني بالملقاط في الرواية ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص42

حيث قرر سعيد ان يقصي هذه الجماعة من مجلسه. وكتب أشرف أهل الكوفة وصلحاءهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب إلى معاوية: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم¹. فمضوا محروسين الى الشام فلما قدموا على معاوية رأهم يشهدون الصلاة، ويقفون مع قاص الجماعة، فدخل عليهم يوماً وبعضهم يقرئ بعضاً، فقال: اذهبوا حيث شئتم، واعلموا أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم، وإن لم تلموها شقيتم بذلك دونهم، ولم تضروا أحداً، فجزوه خيراً، واثنوا عليه². خشي معاوية ان يفسدوا عليه الشام فقام بتسييرهم الى حمص عند واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي³. ومن هناك استطاع بعضهم الهرب الى الكوفة للمشاركة في الاحتجاجات التي اخذت تتأجج الى غاية منع والي الكوفة سعيد من العودة الى عمله وفرض ابي موسى الأشعري مكانه⁴. ثم انطلقت حركة مكاتبات بين الساخطين على الأوضاع أسفرت عن حشد جماعات ثورية قرر عناصرها الخروج الى المدينة للضغط على عثمان واجباره على تغيير سياساته⁵. كما هدف نشاطها إلى التأكيد على أن حركة الاحتجاج ضد الخليفة، إنما هي حركة شعبية شاملة شاركت فيها مختلف الأمصار من أجل وضع حد لتجاوزات السلطة المركزية وهكذا. انطلقت هذه الجماعات من مصر والبصرة والكوفة في 35هـ/655-656م كأنها قوات منظمة على رأس كل مجموعة قائد. وقد خرجت الجماعة الأولى من مصر، وبلغ عدد أفرادها بين أربعمئة وألف مقاتل بقيادة الغافقي بن حرب العكي، وفي عدادهم أبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانية بن بشر التحيبي من كندة، وسودان بن حمران السكوني من كندة أيضاً، وعروة بن شبيب الكناني وغيرهم من صغار زعماء العشائر، بقصد العمرة في الظاهر، فأرسل والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح كتاباً إلى الخليفة يعلمه بخروجهم⁶. كان على رأسهم عبد الرحمن بن عديس البلوي من قبيلة بلي، إحدى القبائل التي أقامت في مصر منذ فتحها، وهو ينتمي إلى فئة الصحابة ذات الأصل البدوي، والذين تعاضم دورهم مع الوقت، وفي هذه المجموعة لعب عروة بن شبيب الكناني دوراً أساسياً عملية قتل عثمان. اما الجماعة الثانية فقد خرجت من الكوفة، وقد بلغ عديدها مائتي مقاتل بقيادة عمرو بن الأصم، وقد ضمت أهم الشخصيات التي قادت حركة المعارضة في وجه سعيد بن العاص مثل:

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص314. 315. ابن عساکر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج24، ص90. أبو عبد الله محمد بن يحيى الاندلسي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ت محمود يوسف زايد، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1405هـ، ص68. قاسم شعيب، مشهد الفتنة؛ معارك التأويل في الإسلام الأول، ط1، الانتشار العربيين بيروت، 2014م، ص157. إبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، عقلية النخاصم في الدولة العربية الإسلامية، ط1، مطبعة رياض الريس، بيروت، 1999م، ص68. طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، المرجع السابق، ص407. 408.

² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص328. سيف بن عمر، الفتنة، المصدر السابق، ص40.

³ زهير هواري، المرجع السابق، ص194. إبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، المرجع السابق، ص159. 160.

⁴ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص535. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص331. 332. الدينوري، المصدر السابق، ص168.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص330. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص549.

⁶ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص348.

زيد بن صوحان العبدى، والأشتر النخعي، وزيد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، والصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي، وهو من صغار زعماء العشائر¹. وخرجت الجماعة الثالثة من البصرة، وقد بلغ عدد أفرادها مائة وخمسين مقاتلاً بقيادة حرقوص بن زهير السعدي، وفي عدادهم عدد من صغار زعماء العشائر أمثال حكيم بن جبلة العبدى، وذريح بن عباد العبدى، وبشر بن شريح الخطم بن ضبيعة القيسي وغيرهم². ويلاحظ أن أكثرية الزعماء الثائرين ينتمون إلى فئة الزعمات القبلية التقليدية التي لم تؤد دوراً مميزاً في تاريخ الإسلام الأول، ولم تكن لها سابقة في أيام النبي لكنها كانت جميعاً من أهل الأيام والقادسية واليرموك والمشاهد التي رسخت الإسلام في العراق وفارس ومصر³.

اتجهت هذه الجماعات صوب المدينة قاصدين الخليفة بغرض الضغط عليه ورفع مطالبهم أمامه ولا يبدو من سير الوقائع التي حدثت أنهم كانوا يهدفون إلى قتله ولا حتى خلعه لكن الملابس والظروف التي أحاطت بهذه الحركة جرّتها في النهاية إلى اهدار دم الخليفة وقتله بطرق وحشية. كان هدفهم الأساسي يدور حول ضرورة تغيير سياسات الخليفة في الشؤون العامة والتي كانت العصبة الأموية ترسخها بواسطة استغلالها له والتي تصب في مجرى تكريس سلطة أموية لا حدود لطمعها، كما تهدف إلى محاسبة المسؤولين عن الأخطاء والتجاوزات، والدفاع عن مصالحهم المتمثلة بسيادة أعرافهم، وقيمتها في إدارة الشؤون العامة وتلخصت انشغالهم في البنود التالية:

- العمل بكتاب الله وسنة نبيه
- لا يأخذ أهل المدينة عطاء
- تخصيص مال الفيء لمن قاتلوا عليه فقط مع السماح باشتراك الصحابة فيه والسماح للفتيات المحرومة من الاستفادة منه
- تأمين الخائف ورد المنفي
- ترك تجمير البعوث
- رفع الظالم
- خلع كل والٍ لا ترضى عنه الأمصار⁴

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص549. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص349.

² الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص349. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص343.

³Karen Armstrong , Islam: A Short History by Modern Library, THE MODERN LIBRARY, NEW YORK, 2002, P34

⁴ طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، المرجع السابق، ص418.

قام جدل كبير داخل المدينة بين الثائرين والخليفة والعناصر الأموية المحيطة به وبعض كبار الصحابة وصغارهم انتهى بسيطرة الثائرين على المدينة؛ إذ لم تكن في وضع عسكري يحول دون ذلك بفعل انتشار القوى المقاتلة في والأجناد، والثغور، وهذا ما سهل من مهمة الثائرين بحيث أنهم كانوا يتحركون في عاصمة الخلافة دون أن يعترضهم أحد. فتفرق أهل المدينة في حيظانهم، ولزموا بيوتهم، لا يخرج أحد منهم ولا يجلس إلا وعليه سيف يمتنع به من حصار القوم. انتهى مخاض الجدل والنقاش المتوتر الى حالة حصار فرضها الثائرون على عثمان في بيته واستمرت أربعين يوماً من غير أن تصل جميع الأطراف الى مخرج معقول يرضى عنه الجميع. وطول فترة الحصار تتضمن إشارة الى أن الثائرين لم يكونوا راغبين في قتله بل الضغط عليه. وتطور النزاع الى ان أفضى بهم الى منعه من ممارسة سلطاته ونشاطاته المعتادة كإمامة الصلاة والخطبة، وجرى طرده من المسجد بالحجارة¹. ثم صدوا إجراءتهم ضده فمنعوا الماء والطعام عنه²، ورجموا بالحجارة وأخذوا يعدون العدة للتخلص منه³، ولم يقع مقتله إلا بعد أن يئسوا من قضيتهم مستبقيين حملات الدعم التي كانت أخبارها تصل تباعاً إلى المدينة⁴، بالإضافة إلى أنه رفض رفضاً مطلقاً أن يخلع نفسه: فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عز وجل وأكرمني به، وخصني به على غيري. وفي رواية: أما الخلع، فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله⁵. ومعنى ذلك أن الخلافة هبة من الله، ومسئولية صادرة عنه، وأن الإنسان لا يملك حق التهرب من ذلك، وبالتالي لا يمكنه أن يتقبل، ولا يجوز إسقاطه.

ان الروايات التي فصلت في مقتل عثمان تعتمد الى تصويره في أيامه الأخيرة في هيئة الرجل الذي استسلم لمصيره بطريقة غريبة، غارقاً في حالة نزوع عميق للسلم ورفضاً أي محاولة لتخليصه؛ مكتفياً بقراءة القرآن، كأنما كان يبحث عن نهايته؛ بحيث أنه كف العناصر القليلة التي بقيت الى جنبه عن الخوض في القتال وسرحهم في الأخير⁶. وبلغ ملل الثوار وحنقهم وسخطهم حدوده القصوى ولم يكن في الأفق ما يشير الى مخرج إيجابي للامنة يحقق مطالبهم، وصار لا بد للأمر برمته من نهاية يستقر عليها الجميع، فبادرت مجموعة منهم الى اقتحام دار عثمان وقاموا بقتله بطريقة قاسية كشفت حجم الغيظ الذي كانوا يحملونه له. كانوا ثلاثة أو أربعة من القادة

¹ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، صص442. 443. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص53.

² الطبري، المصدر السابق، صص384. 385.

³ سيف بن عمر، الفتنة، المصدر السابق، صص66. 67. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص453.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص395. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص450. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص538.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص371. الدينوري، المصدر السابق، ص170. ابن ابي شيبه، المصدر السابق، ج7، ص441.

⁶ جاء سعيد بن العاص إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين إلى متى تمسك بأيدينا. قد أكلنا أكلاً هؤلاء القوم. منهم من قد رمانا بالنبل ومنهم من قد رمانا بالحجارة ومنهم شاهر سيفه. فمرنا بأمرك. فقال عثمان: إني والله ما أريد قتالهم ولو أردت قتالهم لرجوت أن أمتنع منهم ولكي أكلهم إلى الله وأكل من ألبهم علي إلى الله فإننا سنجتمع عند رنا. فأما قتال فوالله ما أمرك بقتال. فقال سعيد: والله لا أسأل عنك أحدا أبداً. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص25. راجع التفاصيل في: سيف بن عمر، الفتنة، المصدر السابق، صص69. 70. لم تخل بعض الروايات من مبالغة في تفسير سبب امتناع عثمان عن المقاومة من ذلك ما جاء عن حماد بن زيد عن أيوب قال لما كان يوم الدار أخذ عثمان الحربة فنودي من السماء مهلاً يا عثمان فرمى بها. أبو العرب التميمي، الحن، المصدر السابق، ص78.

المصريين وكوفي واحد عده بعضهم في عداد المصريين هو عمرو بن الحمق الخزاعي¹، حدث ذلك في 18 ذي الحجة 35هـ/ 17 حزيران 656م، وجرى دفن عثمان ليلاً، بصورة سرية بعد ثلاثة أيام في ظروف حالكة وتسيّد الثوار المدينة لأيام أخرى حتى بيعة علي².

ب. قائمة بأهم الشخصيات الناشطة في الفتنة ونسبة العناصر اليمنية فيها:

سأحاول في الصفحات التالية ان استقرئ أهم الشخصيات التي ورد ذكرها في سياق الوقائع التي قادت الى مقتل عثمان؛ مستخلصاً إياها من الروايات التي تناثرت في مصادرنا التاريخية، وتحديد خلفيتها الاثنية من أجل تسليط الضوء على الدور اليمني في الفتنة. بداية من اللحظة الرسمية التي دشنت حركة الثوار في الكوفة الى غاية التفاصيل الأخيرة في حياة عثمان.

. جلساء سعيد من القراء بالكوفة:

مالك بن الحارث الأشتر النخعي

كعب بن عبدة النهدي وكان ناسكا

جندب بن زهير الأزدي

عدي بن حاتم الطائي

سودان بن حمران المرادي

عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي³

يزيد بن قيس الأرحبي

معقل بن قيس الرياحي التميمي⁴

مالك بن حبيب بن خراش التميمي⁵

حرقوص بن زهير السعدي التميمي

قيس بن عطار بن حاجب بن زرارة التميمي⁶

¹ راجع تفاصيل مقتل عثمان في: الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج16، ص485.

Philip K. Hitti ,The Near East In History A 5000 YEAR STORY K Van Norstarnd Company Books, CANADA, 1961, P 216

² طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، المرجع السابق، ص422.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج5، ص529.

⁴ السمعاني، المصدر السابق، ج6، ص208.

⁵ من بني ثعلبة بن يروع من تميم. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص224.

⁶ ابن علس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج20، ص352.

شريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر العبسي¹
كدام بن حضرمي بن عامر الأسدي
زيد وصعصعة ابنا صوحان العبدان
زياد بن خصفة بن ثقف التيمي البكري²
عمرو بن الحمق الخزاعي
علقمة بن قيس العبدي
حكيم بن جبلة العبدي³

وهي قائمة متوازنة اثنيا الى حد ما رغم الغلبة الطفيفة للعنصر اليمني فيها بحيث ضمت سبعة عناصر يمنية الى جنب ستة عناصر مضرية وخمسة عناصر من ربيعة. وتكاد هذه النسب ان تكون انعكاسا موضوعيا الى حد ما للكثافة الديموغرافية للقبائل العربية في الكوفة. كما يلاحظ خلوها من الأسماء التي تمتلك هوية دينية وتاريخية كبيرة فلا نعثر بينها على كبار الصحابة من بين الذين استوطنوا الكوفة وتولوا فيها بعض المسؤوليات.

الطاعنون على عثمان من الكوفة:

العناصر اليمنية: مالك بن الحارث الأشتر، ثابت بن قيس النخعي، كميل بن زياد النخعي، جندب بن كعب الأزدي، كعب بن ذي الحبكة النهدي، يزيد بن قيس الأرحي، حجر بن عدي الكندي، زيد بن حصن؛ او حصين الطائي، كعب بن عبدة النهدي، جندب بن زهير الغامدي، عروة بن ابن ابى الجعد البارقي الأزدي⁴، عمرو بن الحمق الخزاعي⁵، سليمان بن صرد الخزاعي ويكنى أبا مطرف، زياد بن النضر بن بشر الحارثي⁶، عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي التميمي⁷، مذعور بن الطفيل القيسي¹، عبد الله بن الكواء اليشكري البكري²، زيد

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص528. عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي القبيلة المشهورة التي ينسب إليها العيسيون بالكوفة. السمعاني، المصدر السابق، ج9، ص200.

² من بني تميم الله بن ثعلبة بن عكابة من بكر بن وائل. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، للبلاذري، ج11، ص367. ونسب تميم الله ينتهي هكذا: تميم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل. السمعاني، المصدر نفسه، ج3، ص125.

³ كان حكيم بن جبلة رجلا لصا إذا قتل الجيوش خنس عنهم فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الارض ويصيب ما شاء ثم يرجع. سيف بن عمر، المصدر السابق، ص42.

⁴ السمعاني، المصدر السابق، ج2، ص28. بنو بارق: بطن من خزاعة من بني عمرو بن مزقياء من الأزد من القحطانية. القلقشندي، نهاية الأرب، المصدر السابق، ص169.

⁵ فالأنصار وخزاعة وبارق والهجن وغسان: كلها من الأزد. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص331.

⁶ بنو الحارث بن كعب بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، وهو بيت مذحج. وفيهم: بنو الديان. فيهم زياد بن النضر صاحب علي. والربيع بن زياد. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر نفسه، ج3، ص344.

⁷ هذه النسبة الى البراحم وهي قبيلة من تميم بن مر. السمعاني، المصدر السابق، ج2، ص136.

بن صُوحَانَ العبدِي³، معقل بن قيس الرياحي التميمي⁴، عبد الله بن الطفيل العامري⁵، مالك بن حبيب التميمي، المسيب بن نجبة الفزاري⁶، مسلمة بن عبد القاري المضرِي⁷.

ضمت هذه القائمة ثلاثة وعشرين شخصا من مختلف القبائل العربية الكوفية، منها اربع عشرة شخصية يمنية وستة شخصيات مضرية وثلاثة عناصر من ربيعة. وهي بهذه النسب تكشف عن كثافة الحضور اليمني في اعمال الاحتجاج التي عرفتها الكوفة في الأيام التي سبقت مقتل الخليفة.

المسيرون من الكوفة الى الشام:

الأشتر النخعي، زيد بن صوحان العبدِي، صعصعة ابن صوحان العبدِي، كميل بن زياد النخعي جندب بن زهير الأزدي، الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، يزيد بن المكفف النخعي، ثابت بن قيس بن المنقع النخعي، أصغر بن قيس بن الحارث بن وقاص الحارثي من بني المعقل⁸، عائذ بن حملة الطهوي من بني تميم، عامر بن عبد قيس العبدِي. وهي اغلبية يمنية واضحة مع شخصية مضرية واحدة وشخصية واحدة من ربيعة.

الوفود التي خرجت من الأمصار:

من مصر: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، عبد الرحمن بن عُديس البَلَوِي⁹ في خمسمائة، كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف السكوني وهو الذي ضرب عثمان بن عفان بعمود على رأسه¹⁰، وسودان بن حمران السكوني وقُتيرة بن فلان السكوني، يزيد بن المكفف النخعي، ثابت بن قيس بن المنقع النخعي، عُروة بن شُتيم

¹ من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة ابن صعيب بن علي بن بكر بن وائل. السمعاني، المصدر، ج10، ص538. وجماعة من القيسيين ينسبون إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار. السمعاني، المصدر نفسه، ج10، ص541.

² القبائل من بكر بن وائل: يشكر بن بكر بن وائل، وعجل، وحنيفة- ابنا لجيم ابن صعيب بن علي بن بكر بن وائل-، وشيبان وذهل وقيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل وأمهم البرشاء من تغلب. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص312.

³ هذه النسبة إلى عبد القيس في ربيعة بن نزار. السمعاني، المصدر السابق، ج9، ص190.

⁴ يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص301. من ولده رياح بن يربوع بن حنظلة. منهم: عتاب بن ورقاء الرياحي وإلى أصبهان وأحد أجواد الإسلام، ومطر بن ناجية الذي غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث. هذه النسبة إلى أشياء منها إلى القبيلة وهي رياح بطن من تميم بن مر. السمعاني، المصدر السابق، ج6، ص207.

⁵ عامر بطن من قيس عيلان. السمعاني، المصدر نفسه، ج9، ص153.

⁶ فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، من قيس عيلان المضرية. السمعاني، المصدر نفسه، ج10، ص212.

⁷ من القارة من بني الهون بن خزيمه بن مدركة من مضر. جاء لدى ابن عبد ربه: الهون بن خزيمه بن مدركة. منهم القارة، وهم عائذة وبثبع، بنو الهون بن خزيمه بن مدركة؛ والقارة أرمي حي في العرب، ولهم يقال: قد أنصف القارة من رامها. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص295. فهذه قبائل بني مدركة بن الياس، وهي: هذيل بن مدركة، وكنانة بن خزيمه بن مدركة، وأسد بن خزيمه بن مدركة، والهون بن خزيمه بن مدرك. هذه النسبة إلى بني قارة، وهم بطن معروف من العرب، وقيل في المثل السائر «قد أنصف القارة من رامها» لصفتهن بالرمي والإصابة وهو يشيع قال بعضهم: أتبع بن مليح بن الهون بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر السمعاني، المصدر السابق، ج10، ص294.

⁸ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص529. 530

⁹ هذه النسبة إلى بلى وهي قبيلة من قضاة. السمعاني، المصدر السابق، ج2، ص323. ومن قضاة: بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص325.

¹⁰ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص401.

الليثي¹، أبو عمرو بن بُذيل بن ورقاء الخُزاعي، سودان بن أبي رومان الأصبحي²، ذرع بن يشكر اليافعي³. وعليهم جميعاً الغافقي بن حرس العكّي⁴. وذكر الطبري أن ابن السوداء خرج مع من خرج من أهل مصر. وهؤلاء كانوا يفضلون علياً. والغالب عليهم العنصر اليمني

من الكوفة: زيد بن صوحان العبدي، الأشتر النخعي، زياد بن النضر الحارثي، عبد الله بن الأصم العامري، وهم في عدد أهل مصر. وكانوا يفضلون الزبير بن العوام.

من البصرة: حُكيم بن جبلة العبدي، ذريح بن عباد العبدي، بشر بن شريح القيسي، سدوس بن عبيس الشنّي القيسي⁵ وابن الحرث بن عبد بن عمرو الحنفي البكري⁶، وهم بعدد أهل مصر وأميرهم حرقوص بن زهير السعدي التميمي⁷. خرج هؤلاء كالحجاج. وكانوا يفضلون طلحة بن عبيد الله. والغالب على هؤلاء انتسابهم الى ربيعة بحكم كثافتها العددية في البصرة الى جنب تميم.

وفيما يلي جدولاً يضم أهم العناصر التي يتواتر ذكرها في احداث الفتنة مشفوعة بانتماءاتها القبيلة:

¹ وفي كنانة بنو ليث وهو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة منهم أبو واقد الليثي. ابن عبد البر، الإنباه على قبائل الرواة، المصدر السابق، ص51. ليث بن بكر، من بني عبد مناة بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. عمر بن رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص1137.

² هذه النسبة الى أصبح واسمه الحارث ابن عوف بن مالك بن زيد بن سداد بن زرعة وهو من يعرب بن قحطان وأصبح صارت قبيلة. السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص281.

³ نسبة إلى أبيغ، وهو يافع بن زيد ابن مالك بن زيد بن رعين، بطن من حمير ثم رعين، وهم بمصر. السمعاني، المصدر السابق، ج13، ص472.

⁴ هذه النسبة إلى عك، وهي قبيلة يقال لها عك بن عدنان، أخو معد بن عدنان، حالفوا اليمن ونزلوا في الأشعرين وهم على نسبهم. السمعاني، المصدر نفسه، ج9، ص350.

⁵ سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص71. الشنّي: نسبة إلى شنّ وهو بطن من عبد القيس، وهو شن بن أفضى بن عبد القيس ابن أفضى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. السمعاني، المصدر نفسه، ج8، ص161. 162.

⁶ من بني حنيفة بن لقيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص469.

⁷ نسبة الى تميم اعتمدت فيه على النص التالي: فلما انقضت المدة في القضية وأراد علي توجيه أبي موسى أتاه حرقوص بن زهير التميمي وزيد بن حصين الطائي وزرعة بن البرج الطائي في جماعة من الخوارية. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص355. نادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فحيء بهم كما يجاء بالكلاب، فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير، فإن بني سعد متعوه. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص472.

الزارية		اليمنية
مضر	ربيعة	مالك بن الحارث الأشتر النخعي
محمد بن أبي بكر	حكيم بن جبلة العبدي	كميل بن زياد النخعي
محمد بن أبي حذيفة	دُرَيْح بن عباد العبدي	يزيد بن المكفف النخعي
عروة بن شُتَيْم الليثي	بشر بن شُريح القيسي	ثابت بن قيس بن المنقع النخعي
عائذ بن حملة الطهوي التميمي	سدوس بن عُبيس الشَّيْبِي	عمرو بن زرارة النخعي
معقل بن قيس الرياحي التميمي	إبن المحرش بن عبد بن عمرو	جندب بن كعب الأزدِيّ
مالك بن حبيب التميمي	الحنفي	كعب بن ذي الحبكة النهدي
عمير بن ضائب بن الحارث البرجمي	زياد بن خصفة بن ثقف	يزيد بن قيس الأرحبي
التميمي	التميمي البكري	حجر بن عدي الكندي
قيس بن عطار بن حاجب بن	علقمة بن قيس العبدي	زيد بن حصن؛ او حصين الطائي
زرارة التميمي	مذعور بن الطفيل القيسي	كعب بن عبدة النهدي
حرقوص بن زُهَيْر السعدي	عبد الله بن الكواء اليشكري	جندب بن زهير الغامدي
التميمي	البكري	الحارث بن عبد الله الأعور الحمداني
المسيب بن نجبة الفزاري	عبد الله بن كنانة العبدي	سودان بن أبي رومان الأصحبيّ
مسلمة بن عبد القاري	زيد بن صوحان العبدي	درع بن يشكر اليافعيّ
كدام بن حضرمي بن عامر	صعصعة بن صوحان العبدي	كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف
الأسدي	بشر بن شريح الخطم بن	السكوني
شريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر	ضبيعة القيسي	سودان بن حمران السكوني
العبسي	المنثى بن مخزبة العبدي	قُتَيْبَة بن فلان السكونيّ
عبد الله بن الطفيل العامري		عبد الرحمن بن عُديس البلويّ
عبد الله بن الأصم العامري		زياد بن النضر الحارثي
عمرو بن الأصم العامري		أصعر بن قيس بن الحارث بن وقاص
		الحارثي
		الغافقي بن حرس العكّي
		عمرو بن الحمق الخزاعي
		سليمان بن صرد الخزاعي

		عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي عمار بن ياسر العنسي رفاعة بن رافع الأنصاري الحجاج بن غزية الأنصاري رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري
--	--	---

يكشف الجدول عن حضور يمني كثيف يضم بعضاً من صغار الصحابة باستثناء عمار بن ياسر الذي يعتبر من بين الكبار المؤسسين في مسيرة الإسلام الأولى. وسيستجدد ذكرهم في وقائع بيعة علي والأحداث التي تلتها حاملين السلاح في وجه كل من يعارض خلافة علي ومشاركين بهذه الصفة في معركة الجمل وصفين والنهروان. وسيلعب بعضهم ممن امتدت حياته إلى العهد الأموي أدواراً مهمة نتعرض لها في موضعها.

الفصل الثاني

مساهمة القبائل اليمنية في نشأة التشيع السياسي في عهد علي (35-
41هـ/655-661م)

الفصل الثاني: مساهمة القبائل اليمنية في نشأة التشيع السياسي في عهد علي (35-41هـ/655-661م):

1. خلافة علي من البيعة الى الاغتيال:

. ملايسات بيعة علي في المدينة ودلالاتها:

كان مقتل عثمان تعبيرا عنيفا عن التحولات التي اصابت كيان الأمة الإسلامية وايدانا بما سيترتب عليها لاحقا من اختلاف وفرقة، ولما أفضى الأمر من بعده الى علي كان واضحا منذ البداية أن الاجتماع على خليفة عثمان لن يتأتى بسهولة. ولذلك فقد واجهت بيعة علي جملة من الصعوبات. ربما لم يتوقعها. أو لم يكن يتوقع أن تكون بكل تلك الحدة والتمنع، ومن سيل الروايات المختلفة التي حفظت لنا ما دار في المدينة أيام البيعة. على ما فيها من أمور تستوجب يقظة المؤرخ. تتجلى حقيقة الانقسام السياسي الذي صار واقعا لا مناص من أن يعترف به عليا اذا أراد الحصول على الخلافة.

لكن يبدو أن بقاء علي في المدينة جعله بعيدا عن ملاحظة أن التحكم الحقيقي في سياسة الأمة لم يعد يتم في المدينة ولا في يد الخليفة، وأن رأس السلطة صار بعيدا عن الجسد الاجتماعي الذي تحكمه؛ خاصة بتوالي الهجرات التي استمرت تتدفق من أنحاء الجزيرة واليمن الى الأمصار. مما قلب المعادلة الاجتماعية وأحدث تغييرات ديموغرافية عميقة. كان لزاما على الخليفة الجديد أن يكون منتبها اليها ومدركا تبعاتها. وهذا ما لم يتحقق حسب ما تدل عليه الأخبار؛ فقد استمر عليا يفكر من خلال الوضع الذي كانت عليه الأمور في عهد عمر مستخدما ذات الأساليب في زمن جديد لم يعد ذلك الزمن. إذ لم تعد بيعة المدينة من الناحية الواقعية كافية في امتلاك شرعية الحكم واستتباب الأمر للخليفة الجديد، لأن أهمية المدينة ذاتها ودورها السياسي الحقيقي كانا آخذان في الانحسار والتراجع لمصلحة قوة الأمصار؛ حيث العدد والعدة والمال والأفق التاريخي الذي يتمدد كلما تمددت حركة الفتوح. ولأن الناس الذين خبروا ما خبروه طيلة عهد عثمان لم يعودوا هم الناس كما تركهم عمر، لقد غيرت حركة التاريخ الطبائع والعادات وكشفت في بعض وجوهها عن المعادن الحقيقية للرجال. لقد تعقدت القاعدة الاجتماعية التي ينهض عليها ببيان الخلافة، وتنوعت عناصرها وفتاتها الاجتماعية وأصولهم الاثنية والدينية مختلفة اختلافا كبيرا عن الجماعة العقائدية المؤمنة التي تضطلع بمهمة دينية سامية وتنقاد لتوجيهات الأمير الذي لا يقل عنها حماسة وتصميما. والواقع ان عهد عثمان شهد ولادة المجتمع السياسي الذي تتحرك تشكيلاته من خلال لعبة المصالح في إطار تنافسي صرف؛ وإذا كنا نتردد في وصف الجدل الاجتماعي التي عرفته الأمصار بالصراع فإن وصفنا له

بالتنافس تعضده مختلف الروايات الموثوقة في مصادر التاريخ وغيرها. وبعيدا عن التشويه التاريخي الذي تحفل به كتب المناقب وطبقات الرجال؛ والتي دوت في أزمنة تالية وفي ظروف وسياقات مختلفة تماما عن سياقات صدر الإسلام؛ فإننا واجدون في وقائع تلك الحقبة وعيا سياسيا. اجتماعيا ملحوظا امتلكنته العناصر الفاعلة، وتحركت بواسطته وفي اطاره في قضايا المجتمع والسياسية وشؤون السلطة، الأمر الذي يفسر عدم الاجماع الذي ووجهت به بيعة علي فتركتها منقوصة الشرعية. ولعل النصوص التالية التي سأعرضها من مصادر متنوعة كافية في تأكيد هذه الفرضيات.

جاء في تاريخ الطبري النص التالي: لما قتل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار عَلِيًّا إلا نفيرا يسيرا، مِنْهُمْ حسان بن ثَابِت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سَعِيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزَيْد بن ثَابِت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وكأثوا عثمانية فَقَالَ رجل لعبد الله بن حسن: كيف أباي هُوَ لِيَّ ببيعة علي. وكانوا عثمانية. قَالَ: أما حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع، واما زيد ابن ثَابِت فولاه عُثْمَانَ الديوان وبيت المال، فلما حصر عُثْمَانَ، قَالَ: يَا معشر الأنصار، كونوا أنصارا لِلَّهِ مرتين، فَقَالَ أَبُو أيوب: مَا تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان فأما كعب بن مَالِكٍ فاستعمله عَلَى صدقة مزينة وترك مَا أخذ مِنْهُمْ لَهُ¹. ويضيف الطبري رواية أخرى مفادها أن آخرين تملصوا من بيعة علي وهربوا: من المدينة الى الشام ولم يبايعوا عَلِيًّا، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة ابن شعبة وَقَالَ آخرون: إنما بايع طلحة والزبير عليا كرها². اما ابن خلدون فيقول: لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا عَلِيًّا يبايعونه، فأبى وقال: أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتهم، فألْحَتُوا عليه وقالوا: لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك، فخرج إلى المسجد وبايعوه وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد أن خيّرهما، ويقال إنهما ادّعيا الإكراه بعد ذلك بأربعة أشهر وخرجا إلى مكة، ثم بايعه الناس. وجاءوا بسعد فقال لعليّ: حتى تبايعك الناس فقال: أحلوه وجاءوا بابن عمر فقال: كذلك. فقال: اثني بكفيل. قال: لا أجده فقال الأشتر: دعني أقتله فقال عليّ: دعوه أنا كفيله³. ويستمر ابن خلدون يستعرض أهم العناصر من المهاجرين

¹ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص429. 430.

² الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص430. تأمل الرواية التالية: فقام كعب بن سور فقال: يا اهل المدينة إني رسول أهل البصرة إليكم أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعة علي أم أتيا طائعين. فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد فإنه قام فقال: اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان فأمر به تمام فوائبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا ان يقتل أسامة فقال: اللهم نعم فانفروا عن الرجل فانفروا عنه وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله وقال: قد علمت أن أم عامر حامية أما وسعك ما وسعنا من السكوت. سيف بن عمر، المصدر السابق، ص128.

SIR WILLIAM MUIR, THE CALIFATE ITS RISE, DECLINE, AND FALL, THE RELIGIOUS TRACT 244-245 pp 1891, SOCIETY, PICCADILLY

³ عبد الرحمن بن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص602.

والأنصار التي توقفت عن بيعه علي فيقول: **وبايعت الأنصار** وتأخر منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدريّ ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن وقش، وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة. وأمّا النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقميصه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريحاً¹. ويقال أن المغيرة بن شعبة قدم الى علي ناصحاً اياه فأشار عليه بضرورة مراعاة شروط الواقع الجديد وارضاء الكتل السياسية؛ إذا أراد أن تصفو له الخلافة وتجتمع عليه الأمة؛ وذلك لأن المغيرة كان والياً على الكوفة في عهد عمر واختبر التغيير الذي أصاب الناس، كما كان أحد الدهاة المتمرسين بالسياسة فكان فيما قاله: أرى أن تقرر معاوية على الشام وتثبت ولايته وتولي طلحة والزبير المصريين كي يستقيم لك الناس. فقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ: **إِنَّ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ عَيْنَ الْمَالِ وَإِنْ وَلَيْتَهُمَا إِيَّاهُمَا لَمْ أَمِنْ أَنْ يَضِيقَا عَلَيْكَ، وَإِنْ وَلَيْتَ مُعَاوِيَةَ الشَّامَ لَمْ تَنْفَعَكَ وَلَايَتُهُ. فَقَالَ الْمَغِيرَةُ: لَا أَرَى لَكَ أَنْ تَنْزِعَ مَلِكًا مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ الْآنَ يَتَّهَمُكُمْ بِقَتْلِ ابْنِ عَمِّهِ، وَإِنْ عَزَلْتَهُ قَاتَلَكَ فَوَلِّهِ وَأَطْعِنِي.** فأبى وقبل قول ابن عَبَّاسٍ². ان هذه النصوص المجتزأة من سرديات طويلة تدور حول الاختلاف الذي حدث حول بيعه علي ومواقف كبار الصحابة المتبينة حيالها وعدم تحقق الاجماع حولها. وتشير الى الأسباب الحقيقية التي كانت تدفع أولئك الرجال الى النكوص عن بيعه علي وفيهم من قاسمه تجربة النضال الأولى في مكة والمدينة والأحداث التي لحقتها. ويبدو من استقراء النصوص أن ما كان يشين علي ويفرق من حوله كبار رجالات الإسلام هو الخطة السياسية . الاقتصادية التي كان يراها صائبة في تدبير شؤون الأمة الإسلامية والتي تقوم على قاعدة التسوية في العطاء بين الجميع، والأخطر من هذا أن علي بادر الى الإعلان عن قراره بمراجعة سياسة عثمان المالية وتعقب قراراته واحكامه، وإعادة النظر فيها واستعادة الأموال والأموال التي وزعها عثمان علي من حوله وتجريدهم منها. وهي رؤيا استراتيجية ذات طابع أخلاقي تنم عن حساسية عالية إزاء التفاوت الفئوي الاجتماعي الذي صنعتة خطة العطاء، لكن إمكانية تنفيذها كانت تتنافى مع معطيات الواقع الذي صار راسخاً. وقد أشار المسعودي الى ذلك فقال: **وانتزع علي أملاكاً كان عثمان أقطعها جماعةً من المسلمين، وقَسَمَ ما في بيت المال على الناس، ولم يُفَضَّلْ أحداً على أحد**³. فمبادرة علي الى انتزاع الأملاك

¹ عبد الرحمن بن خلدون، التاريخ، المصدر نفسه، ج2، ص 602 . 605.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص209. جاء في رواية أخرى عن الزهري قَالَ سأل طلحة والزبير علياً أن يوليهما البصرة والكوفة فقال: تكونان عندي فأجمل بكما فإني أستوحش لفرأقكما. البلاذري، انساب، المصدر نفسه، ج2، ص218. الرواية بنص آخر عند: البعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص77. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص462.

³ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص353. إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص120.

المستفادة من عثمان من أصحابها لم تكن تمر دون إثارة الاستياء والسخط وتوجس الكثيرين من تداعيات سياسته عليهم، لذلك كانت خلافته محل رفض أطراف عديدة كانت نافذة وتمتلك أتباعاً وانصاراً. وحتى بعض الذين كانوا ناقلين على عثمان جاء سخطهم من جهة حرمان عثمان إياهم بعض ما كانوا يطمحون إليه وليس لأنهم يعترضون على مبدأ التفضيل ذاته، ولعل خير من يمثلهم هو عمرو بن العاص؛ فقد كان عمرو قد انحرف عن عثمان لانحرافه عنه وتوليته مصر غيره، فنزل الشام، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي، كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان، وكان فيما كتب به اليه: ما كنت صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث اليه معاوية، فسار اليه، فقال له معاوية: بايعني، قال: لا، والله لا أعطيك من ديني حتى أنال من دنياك، قال: سل، قال: مصر طُعْمَة، فأجابته الى ذلك، وكتب له به كتاباً¹. ولم يكن موقف عائشة من بيعة علي بأفضل مما فعل عمرو بن العاص؛ فقد كشف موقفها الراض لبيعتة عن تحفظ عميق تجاهه لم تتضمن الأخبار المتاحة لنا ما يفسره. وقد ذهب بعض الدارسين مذاهب شتى في تأويل ازوارها عنه واختيارها عدم تأييده؛ الى الحد الذي جعلها تظهر الحسرة والأسف على عثمان والندم على تحريضها عليه². ويبدو ان موقفها من علي يتسم بأنه موقف سياسي له أسبابه وأهدافه؛ كان يتجاوز مجرد خلاف عائلي قدم بين شخصين؛ لأن مثل هذا الخلاف لا يدفع بالأمور الى أن تتطور الى مواجهة مسلحة كالذي حدث في موقعة الجمل. وقد أورد البلاذري رواية تضمنت صمتاً مطبقاً حيال تفسير علة موقفها فذكر أنه: لما بايعوا علياً بالمدينة بلغ عائشة أن الناس بايعوا لطلحة، فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت، لقد وجدوك لها محشاً وأقبلت جدلة مسرورة حتى إذا انتهت إلى سرف استقبلها عبيد ابن مسلمة الليثي فسألته عن الخبر، قال: قتل الناس عثمان. قالت: نعم ثم صنعوا ماذا. حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم علياً. فقالت: أو فعلوها. وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت. فقال لها: ولم. والله ما أرى اليوم في الأرض مثله فلم تكريهين سلطانه. فلم ترجع إليه جواباً وانصرفت إلى مكة³.

وفي هذا الصدد أورد ابن أبي شيبة في مصنفه الخبر التالي: قَالَ عاصم بن كليب الجرمي: ورأى أبي رؤيا وهم محاصرو تَوْجَّح⁴ في خلافة عثمان، وكان أبي إذا رأى رؤيا كأنما ينظر إليها زهارة، وكان أبي قد أدرك النبي صلى الله

¹ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص354. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص95. الدينوري، المصدر السابق، ص158. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص98. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص93.

² جيفري، أصول التشيع الإسلامي وتطوره المبكر، ت مهيب عزوقي، ط1، دار الكونوز الدينية، بيروت، 2008م، ص122.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص217. انظر الرواية بصيغة مختصرة لدى: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، المصدر السابق، ج1، ص71. يعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص78. ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص208. زهير هوارى، المرجع السابق، ص210.

⁴ تَوْجَّح: وهي توز، بالزاي، مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحر لأنها في غور من الأرض ذات نخل، وبنائها بالبين، بينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخاً. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص56.

عليه وسلم قال: فرأى كأن رجلا مريضا وكأن قوما يتنازعون عنده ، اختلفت أيديهم وارتفعت أصواتهم وكانت امرأة عليها ثياب خضر جالسة كأنها لو تشاء أصلحت بينهم ، إذ قام رجل منهم فقلب بطانة جبة عليه ثم قال: أي معاشر المسلمين ، أخلق الإسلام فيكم وهذا سريال نبي الله فيكم لم يخلق ، إذ قام آخر من القوم فأخذ بأحد لوحى المصحف فنفضه حتى اضطرب ورقه ، قال: فأصبح أبي يعرضها ولا يجد من يعبرها ، قال: كأنهم هابوا تعبيرها¹ . وإذا غضضنا الطرف عن صحة هذا الخبر من كذبه فإننا نلمس فيه قلعا دفينا يراود جمهور الأمة آنذاك من مغبة الاختلاف والشقاق، كما يتضمن ادانة لجميع أطراف النزاع بوصفهم متورطين في مخالفة ما دعا اليه الله في كتابه، وما حذر منه النبي في سنته. ويتضمن السياق العام للنص الذي وردت فيه هذه الرؤيا ربط بين النزاع الموصوف فيها وبين امانة الذمة المالية، وبداية النص كالتالي: حدثنا عاصم بن كليب الجرهمي، قال: حدثني أبي قال: حاصرنا توج وعلينا رجل من بني سليم يقال له: مجاشع بن مسعود، قال: فلما أن افتتحناها، قال: وعلي قميص خلق انطلقت إلى قتيل من القتلى الذين قتلنا من العجم، قال: فأخذت من قميص بعض أولئك القتلى، قال: وعليه الدماء، فغسلته بين أحجار، ودلكته حتى أنقىته ولبسته وأدخلته القرية، فأخذت إبرة وخيوطا، فخطت قميصي، فقام مجاشع فقال: يا أيها الناس، لا تغلوا شيئا، من غل شيئا جاء به يوم القيامة ولو كان مخيطا، فانطلقت إلى ذلك القميص فنزعته وانطلقت إلى قميصي فجعلت أفتقه حتى والله يا بني جعلت أخرق قميصي توقيا على الخيط أن ينقطع؛ فانطلقت والإبرة والقميص الذي كنت أخذته من المقاسم فألقيته فيها. ثم ما ذهبت من الدنيا حتى رأيتهم يغلون الأوساق فإذا قلت: أي شيء. قالوا: نصيبنا من الفيء أكثر من هذا².

. انتقال عاصمة الخلافة من المدينة الى الكوفة:

كانت المدينة ستبقى عاصمة للخلافة الإسلامية ومركزا تدير منه مؤسسة الخلافة شؤون العالم الإسلامي لو اجتمع الأمر لعلي واستجابت له القوى السياسية النافذة آنذاك. لكن ذلك لم يحدث ووقعت بدلا عنه تطورات دفعت بجميع الأطراف الى الذهاب صوب المواجهة العسكرية دون وجل ولا تحرج. كان كل طرف يتحرك بناء على قناعاته يسوق أنصاره تحت شعارات مقتضبة يراها كافية في دفع السواعد المسلحة المتمرسه بالحرب الى أتون الفتنة³. ظل علي مقيما بالمدينة ينتظر أن يثوب المتمنعون عن بيعته الى رشدهم؛ يقلب الأمر بينه وبين مستشاريه

¹ ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ج7، ص532

² ابن أبي شيبة، المصدر نفسه، ج7، ص532

³ Karen Armstrong , Islam: A Short History by Modern Library, THE MODERN LIBRARY, NEW YORK,

وفيهم عبد الله بن عباس، وقد بادر الى تغيير الولاية الذين نصبهم عثمان في تدبير شؤون الأمصار وغيرهم وكانوا كالتالي: علي مكنة عبد الله بن الحضرمي، وعلي الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلي صنعاء يعلى بن منية، وعلي الجند عبد الله بن ربيعة، وعلي البصرة والبحرين عبد الله بن عامر، وعلي الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلي حمص عبد الرحمن بن خالد من قبله، وعلي قنسرين حبيب بن مسلمة، وعلي الأردن ابو الأعور السلمي، وعلي فلسطين علقمة بن حكيم الكندي، وعلي البحرين عبد الله بن قيس الفزاري، وعلي القضاء أبو الدرداء، وعلي الكوفة أبو موسى الأشعري علي الصلاة والقعقاع بن عمرو علي الحرب، وعلي خراج السواد جابر المزني وممّاك الأنصاري علي الخراج، وعلي قرقيسيا جرير بن عبد الله، وعلي أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلي حلوان عتبية بن النهاس، وعلي أصبهان السائب بن الأقرع، وعلي ماسبدان خنيس، وعلي بيت المال عقبة بن عمرو، وعلي القضاء زيد بن ثابت¹. وهؤلاء كلهم كانوا عثمانية يدورون في فلك المنظومة القرشية الأموية، وكان أغلبهم متورطا في السياسة التي أثارت سخط الساخطين علي عثمان. فكان قرار عزل غالبيتهم يفيد رغبته في تحديد الطبقة الإدارية التي ربما كان يحملها جزء من مسؤولية ما جرى في الفترة الأخيرة من عهد عثمان². لقد أراد أن يفتح عهده ببطانة من الرجال لم يتورطوا فيما تورط فيه غيرهم وأن تلاقي ولايتهم في الأمصار القبول من الرعية هناك. وقد لخص ابن الأثير حركة تغيير الولاية عارضا ما لاقاه كل والي في ولايته فقال: ثم دخلت سنة ست وثلاثين: وفي هذه السنة فرق علي عماله علي الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف علي البصرة، وعمارة بن شهاب علي الكوفة، وكانت له هجرة، وعبيد الله بن عباس علي اليمن، وقيس بن سعد علي مصر، وسهل بن حنيف علي الشام³. فأما سهل بن حنيف فقد منعه بعض من أهل الشام من الوصول الى غايته فرجع الى علي، وأما قيس بن سعد فقد تمكن من الوصول الى مصر بدعوى انه من أنصار عثمان: فمضى حتى دخل مصر. فافترق أهل مصر فرقا، فرقة دخلت في الجماعة فكانوا معه، وفرقة اعتزلت بحربنا وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا فنحن علي جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع علي ما لم يقدر من إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة. وكتب قيس إلى علي بذلك⁴. وأما عثمان بن حنيف فقد استطاع ان يدخل البصرة بسهولة: وافترق الناس بها،

¹ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص87. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص602.

² يعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص77. ابن إبراهيم، الإسلام والسلطان والملك، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1998م، ص266.

³ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص565. سيف بن عمر، المصدر السابق، ص100. الدينوري، المصدر السابق، ص101. المطهر المقدسي، المصدر السابق، ج5، ص210. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص75. زهير هوارى، المرجع السابق، ص209.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص442. ابن الأثير، الكامل، المصدر نفسه، ج2، ص565. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص264. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص75. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص604. 605.

فاتبعت فرقة القوم، ودخلت فرقة في الجماعة، وقالت فرقة: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا¹. واما عمارة بن شهاب فقد عجز عن دخول الكوفة لأنها كانت لا تزال مضطربة لم تستقر بعد². وانطلق عبيد الله بن عباس الى اليمن، فخشيه عامل عثمان يعلى بن منية فجمع كل شيء من الجباية وخرج الى مكة فقدمها بالمال. فجمع فيعلى بن منية كل شيء من الجباية وخرج بها الى مكة فقدمها بالمال³. والواقع أن أهم القوى السياسية المتواجدة في الأمصار لم تشأ أن تترك مقتل عثمان يمضي دون بحث ومساءلة وتحديد الجهات المسؤولة عن قتله، كما أنها لم تشأ أن تخرج من هذا الظرف العصيب دون أن تحقق لها موضع قدم في الخريطة السياسية. الاقتصادية القادمة؛ وبالتالي فقد اختار أغلبهم عدم التهدة ولجأوا الى التصعيد والتمنع وصار اغتيال الخليفة عقبة تقف في وجه عودة الوفاق والسلم الاجتماعي.

صراع علي مع معارضيه: معركة الجمل وصفين

راحت الأحداث تتوالى والفتنة تتولد من وسط تصلب الأطراف المعترضة، وبدا أن عليا يفتقد نصره كبار رجال الإسلام؛ خاصة المتمرسين منهم بشؤون الحكم؛ اذ كان الزبير وطلحة قد خرجا الى مكة بذريعة الاعتمار فيما هما يبطنان نكث البيعة التي صدرت منهما لعللي تحت دعوى انهما كانا مكرهين وأنهما بايعا تحت السيف المصلت على رقبتهما، وهناك التحقا بعائشة التي جمعت الناس حولها تهيج نفوسهم بذكر مآثر عثمان المقتول ظلما وتدفعهم الى المطالبة بالثأر له من قتلته. ودخل كلاهما مكة بعد مقتل عثمان بأربعة أشهر: وابن عامر بها يجر الدُّنيا، وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير، وزيادة على أربعمائة بعير، فاجتمعوا في بيت عائشة فأرادوا الرأي، فقَالُوا: نسير إلى علي فنقاتله، فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة، ولكننا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، وطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة، فأعطاهم عبد الله بن عامر مالا كثيرا وإبلا، فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل⁴. وفيما كان علي يستعد للتوجه صوب الشام لإخضاع معاوية ومن معه، جاءته الأخبار باجتماع الناس حول عائشة وطلحة والزبير وعزمهم على مقاتلته في حال رفضه الرضوخ الى

¹ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص442. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص565. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص264. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص604. 605.

² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص443. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص566. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص265. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص76. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص604. 605.

³ ابن الأثير، الكامل، المصدر نفسه، ج2، ص565. المطهر المقدسي، المصدر السابق، ج5، ص211. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص80. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص257. زهير هوارى، المرجع السابق، ص210.

⁴ تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص452. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص258. عبد الحي شعبان، المرجع السابق، ص82.

مطالبهم. ويبدو أنهم ظلوا مصرين على تحميل علي مسؤولية ما حدث لعثمان ومسؤولية تغطيته على العناصر التي قامت بقتله، من دون أن يرغبوا في أن يتركوا له فرصة إيضاح الأمر. كانت حركتهم مطبوعة بنوع من التهميج والتحريض البعيدين عن التعقل والتريث، وكانت نهايتها متسقة مع بدايتها حيث أفضت الى المعركة الدموية التي عرفت بمعركة الجمل.

دارت وقعة الجمل بين علي وأنصاره واغلبهم من أهل الكوفة ومن التحق بصفهم من اهل البصرة والحجاز ممن كان يرى أحقية علي في استلام السلطة ومن كان يعتبر علي عثمان سياسته التمييزية ويطمح الى مساواة مادية واجتماعية أكثر في ظل توجهات علي؛ وبين الزبير وطلحة وعائشة ومن ناصرهم؛ ممن كانوا في مكة ثم التحقوا بهم في الطريق الى البصرة التي اختاروها دوناً عن بقية الأمصار وذلك بإيعاز من عبد الله بن عامر¹. فقدموا البصرة؛ فتلقاهم الناس بأعلى المرید، حتى لو رموا بحجر ما وقع إلا على رأس إنسان؛ فتكلم طلحة، وتكلمت عائشة، وكثر اللغظ؛ فجعل طلحة يقول: أيها الناس، أنصتوا. وجعلوا يرهجون ولا ينصتون، فقال: أف، أف فراش نار وذباب طمع. وكان عثمان بن حنيف الأنصاري عامل علي بن أبي طالب على البصرة، فخرج إليهم في رجاله ومن معه؛ فتوافقوا حتى زالت الشمس، ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً: أن يكفوا عن القتال حتى يقدم علي بن أبي طالب، ولعثمان بن حنيف دار الإمارة، والمسجد الجامع، وبيت المال؛ فكفوا². فلما توجس علي من نشاطهم أرسل الحسن وعمار بن ياسر الى الكوفة يدعو أهلها الى نجدته والنهوض اليه فسارعوا إلى ذلك، فنفر مع الحسن عشرة آلاف على راياتهم، ويقال: اثني عشر ألفاً - فكانت همدان وحمير سبعا عليهم سعيد بن قيس الهمداني - ويقال: بل أقام سعيد بالكوفة وكان على السبع غيره. وإقامته بالكوفة أثبتت. وكانت مذحج والأشعريون سبعا عليهم زياد بن النضر الحارثي، إلا أن عدي بن حاتم، كان على طيء مفرداً، دون صاحب سبع مذحج والأشعريين. وكانت قيس عيلان وعبد القيس سبعا عليهم سعد بن مسعود، عم المختار بن ابي عبيد الثقفي. وكانت الأزدي وبجيلة وخنعم والأنصار سبعا عليهم مخنف بن سليم الأزدي. وكانت بكر بن وائل وتغلب، وسائر ربيعة - غير عبد القيس - سبعا عليهم وعله بن مخدوج الذهلي. وكانت قريش وكنانة وأسد، وتميم وضبة والرياب ومزينة سبعا عليهم معقل بن قيس الرياحي. فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهروان وهم هكذا³. ولما وصل علي ومن معه الى البصرة وجدها منقسمة على ثلاث كتل سياسية؛ كتلة كانت تناصره، وكتلة

¹ - Lesley.Hazleton , After the Prophet: The Epic Story of the Shia-Sunni Split in Islam, Doubleday,2009, P 129-

² حليفة بن الخياط، المصدر السابق، ص182. ابن عبد ربه العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص63.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص235. 236.

أخرى كانت تقف الى جانب عائشة وطلحة والزبير، وكتلة أخرى فضل أصحابها الوقوف على الحياد حتى تنجلي الأمور. وقد بذل الطرفان المتنازعان جهودًا حثيثة لتجنب الصدام، مع أنهما كانا قد استعدا لمواجهة عسكرية محتملة¹، والواقع أن جهود السلم والحرب سارت بخطين متوازيين، مع أن أيا من الطرفين لم يتحدث عن الحرب، بل عن الإصلاح على الرغم من اختلاف وجهات النظر بشأن الأسلوب الذي يؤدي إلى ذلك، فقد كان علي يرى الإصلاح من خلال الاعتراف بشرعية خلافته، ورأب الصدع الحاصل بين أطراف الخلاف والانضواء تحت لواء خلافته وقد لا يتردد عن ضرب خصومه إذا اعتقد أنهم على ضلالة، في حين كان الإصلاح في نظر عائشة وحليفها يقوم على المبادرة الى ايقاع العقاب بقتلة عثمان تنفيذًا لشرع الله، ورغم ان الاتفاق بينهما كان بعيدا الا انهما حافظا على الاتزان والرغبة في إيجاد مخرج يجنبهما مغبة الحرب؛ خاصة أنهما كانت المرة الأولى التي يكون طرفا القتال فيها مسلمين. وتصور بعض الروايات طلحة والزبير وهما يتراجعان أمام المجاهدة على أمل إيجاد حل ينقذ الجميع؛ فخذقا في منطقة الزابوقة في البصرة وهما يرددان: خرجنا للصلح، وعلنان رفضهما الاحتكام للسلاح: إنا وهم مسلمون، وهذا أمر لم يكن قبل اليوم، فينزل فيه قرآن أو يكون فيه من النبي سنة، إنما هو حدث، وأضافا: ان هذا أمر بيننا وبين إخواننا، وهو أمر ملتبس .. نحن نرجو الصلح إن أجابوا إليه وتموا، وإلا فإن آخر الدواء الكي². رحب علي بالصلح الذي قبله طلحة والزبير، وأعلن عن تصميمه على إعادة الوحدة إلى المجتمع الإسلامي، وحذر من مخاطر القتال بين المسلمين، بان لنا ولهم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، وقد دفعه ذلك إلى الارتحال حتى نزل بجوارهم: فنزلت مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلا الصلح، وكان أصحاب علي عشرين ألفا، وخرج علي، وطلحة، والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب، فافترقوا علي ذلك³. وترد عند سيف بن عمر رواية مفادها ان المعسكرين اختارا ان يتريثا قبل الانزلاق فيما لا تحمد عقباه وفضلا مواصلة الحوار بينهما، لكن الأمر أثار مخاوف العناصر المتورطة في قتل عثمان؛ فراحت تعمل في الخفاء على تدبير قيام الحرب وتوريط المعسكرين فيها: فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه، والنزوع عما انتهى الذين اشتبهوا وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط؛

¹ وكان أهل البصرة على ثلاث فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء وثالثة اعتزلت كالأنحف ابن قيس وعمران بن حصين، ونزلت عائشة في الأزدي وأرأسهم صبرة بن شيمان، وأشار عليه كعب بن سور بالاعتزال فأبى وكان معها قبائل كثيرة من مضر والرياب وعليهم المنجاب بن راشد، وبنو عمرو بن تميم وعليهم أبو الجراء، وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع، وسليم وعليهم مجاشع بن مسعود، وبنو عامر وغطفان وعليهم زفر بن الحرث، والأزد وعليهم صبرة بن شيمان، وبكر وعليهم مالك بن مسعم، وبنو ناجية وعليهم الخزيم بن راشد، وهم في نحو ثلاثين ألفا. وعلي في عشرين ألفا. والناس جميعا متنازلون مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة، ولا يشكون في الصلح. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص617.

² سيف بن عمر التميمي، المصدر السابق، ص150. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص495.

³ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص266. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص599.

قد أشرفوا على المهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشأ الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفتن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعهم إلى ربيعهم وبمانيهم إلى بمانيهم فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم¹. وكان على رأس هؤلاء الرافضين للصلح: علباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة العبسي وشريح بن أوفى بن ضبيعة، ومالك بن الحارث الأشتر النخعي ونخالد بن ملحج من مصر، كان معهم في البصرة². فاشتبك الجميع دون وعي منهم لما خطط لهم، وخرج من معسكر علي رجل يرفع نسخة من القرآن، في خطوة تعد آخر تذكير رمزي بالوحدة فقتل، وتكتسب هذه الدعوة التي صدرت عن علي لتحكيم القرآن في هذا الصراع، أهمية بالغة تلقي بظلالها اللاحقة على الفتنة، وبخاصة أثناء معركة صفين. وواجهت القبائل المختلفة بعضها بعضاً في رحى معركة ضارية، مضر البصرة واجهت مضر الكوفة، وربيع البصرة واجهت ربيعة الكوفة، ويمن البصرة واجهت يمن الكوفة، ووجدت القبائل نفسها في أتون معركة تدفع ثمنها من أرواح أبنائها. ويبدو أن البصريين لم يتحملوا صدمة القتال، فترجعوا، وجرح طلحة في ركبتة بسهم رماه به مروان بن الحكم، فانسحب من ميدان المعركة ليموت في مكان ما من البصرة³، وشعر الزبير بالخذلان، فانسحب هو أيضاً وأراد الفرار، لكنه طورد وقتل في ظروف غامضة، وفي رواية أنه جرى اغتياله على يد عمرو بن جرموز التميمي في منطقة وادي السباع على قدر مرحلة من باب المرید بالبصرة⁴، وانتهت على هذا الشكل الجولة الأولى من المعركة قرابة الظهر، لتبدأ الجولة الثانية والأكثر ضراوة، فقد أعاد البصريون تنظيم صفوفهم، وكروا على الكوفيين، وتركز القتال حول جمل عائشة الجالسة في هودج مدرع بالحديد، وقد أضحي هدفا للكوفيين وانضم

¹ سيف بن عمر التميمي، الفتنة ووقعة الجمل، ت أحمد راتب عرموش، ط7، دار النفائس، 1997م، ص156. ويرد عند الطبري ما هو قريب من رواية سيف حيث يحمل بداية القتال لسفهاء المعسكرين: «ثم سار حتى نزل إلى جانب البصرة، وقد خندق طليحة والرؤيت، فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة: ما سمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون؟ فقلنا: يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالا، فبينما هم على ذلك لا يتحدثون أنفسهم بغيره، إذ خرج صبيان العسكرين فتسابوا ثم تراموا، ثم تابع عبيد العسكرين، ثم ثلث السفهاء، ونشبت الحرب، وأجأتم إلى الخندق، فاقتلوا عليه حتى اجلوا إلى موضع القتال، فدخل منه أصحاب علي وخرج الآخرون. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص492. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص266.

² سيف بن عمر، المصدر السابق، ص149. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص494. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص594.

³ خليفة بن الخياط، المصدر السابق، ص131. ابن عساکر، المصدر السابق، ج25، ص122. يعقوبي، التاريخ، ص179. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص114. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج3، ص432.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص535. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص601. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص364. يعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص81. خليفة بن الخياط، المصدر السابق، ص181.

جناحا الجيشين إلى القلب فأضحى هناك كتلتان كبيرتان تتواجهان حول الجمل مما جعل القتلى يسقطون حوله بكثرة، وتدخلت عائشة، في تلك اللحظة، وهي تحض أهل الكوفة على وقف القتال: البقية البقية¹. وعندما تحول القتال إلى مجزرة حقيقية أمر علي على أحد رجاله بعقر الجمل فهوى على الأرض، وبذلك أخذ إيقاع القتال يتباطأ حتى توقف. وأعطى البصريون الأمان². وعندما أصيب الجمل توقف كل شيء، وطرح الهودج أرضاً وسط أعداد هائلة من القتلى في عدادهم مشاهير من الكوفة والبصرة وأشرف قرشيين وعدد كبير من الأزديين والضيبيين لأنهم كانوا من أشد المدافعين عن الجمل. وجرت المعركة في 10 جمادى الثانية 36هـ/ 4 كانون الأول 656م.

سيطر علي على البصرة بعد انتهاء الواقعة، وبايعه البصريون ما بين طائع ومضطر بعد أن عفا عنهم، فكانت كل قبيلة تتابع وهي ترفع رايتها³، ويبدو أنهم اعتقدوا بأنهم أدوا واجبهم تجاه دم عثمان، وفي سبيل الدفاع عن عائشة أم المؤمنين، وأنه أضحى من واجبهم الآن العودة إلى النظام، خاصة أن علي عفا عن كل الذين رفعوا السلاح في وجهه، وأظهر رغبة عميقة وصادقة في تضييد الجراح، وفي إعادة تجميع جسم الأمة الجريح، فحرص على عدم معاملتهم بمثل ما عاملوه به، ولهذا فقد أمر قواته بعدم مطاردة أي مدبر، وأن لا يجهبوا على جريح، ولا يدخلوا الدور، وأعلن أنه من أغلق بابه، فهو آمن، وندب الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم ودفنوه، وطاف معهم في القتلى، وتألّم لقتلهم، وأقام الصلاة المزدوجة على الموتى من البصريين، وعلى الموتى من الكوفيين، وكذلك على القتلى من المكيين والمدنيين، ولم يرم أعداءه بالكفر، سيقول دائماً إنهم مسلمون، وإن الله حرم سلبهم واسترقاقهم وإذلالهم، والنيل من شرفهم ومنزلتهم⁴، وأقام في معسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة⁵. ثم اجتمع بعائشة في دار عبد الله بن خلف الخزاعي، حيث نقلت بعد انتهاء الواقعة، وجرى بينهما حوار هادئ هو أقرب إلى الاستعتاب، فذكرها بأنها قد نھت عن السير إلى هذا المصير، فطلبت منه أن يصفح عنها، وأثنت على موقفه المتسامح منها

¹ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص158. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص513. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص89. ابن عساکر، المصدر السابق، ج25، ص111.

Lesley.Hazleton,ibid, P 129-130

² سيف بن عمر، المصدر السابق، ص169. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص425. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص91. علي نظري منفرد، قصة الكوفة: سيرة الامام علي من هجرته الى الكوفة لغاية استشهاده، ت محمود البدری، ط1، مكتبة الفقيه، الكويت، 2006م، ص185. هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000م، ص171. السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ الدولة العربية، د ط، مؤسسة شباب الجامعة للدراسات والنشر، مصر، د ت، ج2، ص313.

³ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص541. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، صص612.615.

⁴ ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص620. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص274. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، صص612.615. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص171. عبد الحي شعبان، المرجع السابق، ص83.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص538. يوسف العث، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985م، ص96.

ومن بقي من أنصارها، ونفت أن يكون الصراع المسلح في وقعة الجمل هو تصفية خلافات قديمة بينهما، وتمنت لو استطاعت تجنبه، واتهمت طلحة والزبير بإخراجها من بيتها، وأبدت ندمها على خروجها من منزلها، ثم سيرها إلى المدينة يوم السبت لغرة رجب في جماعة من نساء أهل البصرة المعروفات لمؤانستها في الطريق، وجعل في صحبتها أخاها محمد بن أبي بكر، كما أرسل معها بنيه لحراستها حتى خرجت من البصرة مسيرة يوم، وزاد في تكريمها بأن خرج بنفسه مودعًا حتى خرجت من البصرة مسيرة يوم، وشيعها عدة أميال، ولم تنسى أن تثني عليه قائلة: إنه عندي على معتبي لمن الأخيار، فأجابها علي: صدقت والله وبرت، وإنه ما كان بينهما إلا ذلك، وإنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة¹.

من الواضح أن جميع الأطراف تتحمل تبعات ما جرى في ساحة المعركة سواء من قتل أو ظل على قيد الحياة، وأن حصر المسؤولية في قتلة عثمان هو مسلك ترحجي ناشئ عن الرغبة في تبرئة ساحة كبار الصحابة وإيجاد المعاذير لهم. لأن جميعهم كان يضطلع بدور القيادة والتوجيه في تلك الظروف، وان من خرج الى المعركة كان منقادا لهم مؤتمرا بأوامرهم ومستجيبا لنفسيهم، كما أن قريشًا ومن حالفها ولف لفها؛ سواء المقيم منها بالشام بإزاء معاوية أو كان في معمان الأحداث بالمدينة ومكة والبصرة؛ جميعهم يتحمل مسؤولية أكيدة لسماحهم بأن تندفع الأحداث الى ما صارت اليه. وانصرفها عن فتح قنوات حوار حقيقية بينهم وبين علي. رغم بعض المحاولات للتخفيف من مأساوية معركة الجمل والتشكيك في عدد قتلاها الا أن المصادر الرصينة تنص على أن عددهم بلغ نحو عشرة آلاف، مصنفيين على أساس انتماءاتهم القبلية، نصفهم من أتباع علي، ونصفهم من أنصار عائشة، من الأزد ألفان ومن سائر اليمن خمسمائة، ومن مصر ألفان، وخمسمائة من قيس، وخمسمائة من تميم، وألف من بني ضبة، وخمسمائة من بكر بن وائل، وقتل من بني عدي يومئذ سبعون شيخًا، كلهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب، ومن لم يقرأ القرآن².

رغم الانتصار العريض الذي أحرزه علي في وقعة الجمل وسيطرته على البصرة؛ الا انه كان انتصارا بطعم الخيبة لأن جميع الأطراف المشاركة في تلك المواجهة كانت تستشعر وزر الدماء المسلمة التي سالت. ولم يكن من الممكن لعلي أن يتلافى مشاعر السخط والاستياء التي تجيش في نفوس رجال ونساء أصحابهم في ذوبهم رغم أنهم

¹ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص614. ابن كثير، البداية، المصدر السابق، ج7، ص274. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص620. يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام الى سقوط الدولة الأموية، ت محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م، ص53. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص170.

² سيف بن عمر، المصدر السابق، ص179. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص539. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص93. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص168. 169.

خضعوا في النهاية لحكمه¹؛ لذلك ظلت البصرة عثمانية يغلب عليها طابع الولاء لذكرى عثمان الخليفة المقتول، فلم تكن خاصتها وعامتها متحمسة للمشاركة في الصراع الذي كان علي مجبراً على أن يخوضه مع منائيه؛ خاصة معاوية المتمترس بالشام وأهلها. ولعل في الخبر التالي ما يختصر هذه المعاني: قيل لأبي ليبيده الجهمي من الأزد: أحب علياً. قال: وكيف أحب رجلاً قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسائة، وقتل من الناس؛ حتى لم يكن أحد يعزي أحداً، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم². وفي الكوفة استمرت فئات نافذة ومهمة سياسياً تدين بولائها للكتلة الأموية القرشية التي ربطت وشائجها بها واشتبكت مصالحها مع المنظومة التي سادت طيلة حكم عثمان؛ الذي كان متهماً بتمكينه لقربته. وبالتالي فإن هذه الفئات لم تمنح علياً ولأهلها وبقية حذرة ومتوجسة تترقب ما تؤول إليه الأمور. ويبدو أن بعضها اختار أن ينتقل من الكوفة إلى بلاد الشام حتى يكون بمنأى عن الضغوط التي كان علي يمارسها على أهلها حتى يلتحقوا بعسكره³.

إن الانطباع التاريخي السائد بمتانة العلاقة بين علي والكوفة هو مغالطة تاريخية تأسست على إسقاط تم في فترات لاحقة لما صارت الكوفة حاضرة مدينة للتيار الشيعي المقاوم. على الفترة الأولى؛ أما في هذه اللحظة فإنها كانت مثل بقية الأمصار تحتضن كثير من الفئات التي ربطت مصيرها الاقتصادي والسياسي بمصير الخليفة عثمان وأنصاره. والثورة التي انطلقت شرارتها من الكوفة لم تكن تمثل موقف أغلبية أهلها بدليل أن كثير من الزعامات والقيادات العربية في الكوفة كانت تساند والي عثمان وتؤازره ضدها. وقد سبقت الإشارة إلى وجود فئات كانت تعطي ولأهلها لطلحة بن عبيد الله؛ ولا خفاء أن طلحة كان من الذين حققوا مكاسب مهمة في زمن عثمان. والواقع أن أغلب المنتفعين من نظام العطاء التفاوتي لم يجدوا حماسة للتغيير؛ خاصة بتلك الطريقة البشعة التي كانت منذرة بانطلاق العنف والفوضى. وقد تم التعبير عن كل هذا بالصعوبة التي وجدها عمارة بن شهاب لما أرسله علياً والياً عليها والجواب الذي سمعه من أحد زعمائها: أرجع فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلاً، وإن أبيت ضريت عنقك⁴. وكان الأمير المقصود هو أبو موسى الأشعري، وكان قد استطاع في فترة ولايته على الكوفة أن يستميل إليه كثير من ساداتها وأشرافها ويحقق نوع من الهدوء في جنباتها. وكانت صحبته للنبي وتمرسه بحفظ القرآن وقراءته

¹ لم يكن الأمر قاصراً عند هذا الحد بل إن تعيينه عبد الله بن عباس والياً على البصرة لم يمر دون أن يثير تعليق بعض الأطراف. أورد الذهبي في سيره رواية: عن الشعبي وغيره: أن علياً رضي الله عنه - أقام بعد وفاة الجمل بالبصرة خمسين ليلة، ثم سار إلى الكوفة، واستخلف ابن عباس على البصرة، ووجه الأشتر على مقدمته إلى الكوفة، فلحقه رجل، فقال: من استخلف أمير المؤمنين على البصرة. قال: ابن عمه. قال: ففيم قتلنا الشيخ أمس بالمدينة. قال: فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى سار إلى صفين، فاستخلف أبا الأسود بالبصرة على الصلاة، وزياداً على بيت المال. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص353.

² خليفة بن الخياط، المصدر السابق، ص186. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص371. 372. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج6، ص538.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص277. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص621. وكان من كان بالبصرة والكوفة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة من سلطان معاوية وكان في يديه حران والرقعة والرها وقرقيسياً. نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص12.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص443. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص566. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص175.

مثار اعجاب الجميع؛ وقد عبر في مراحل تالية عن عزوفه عن المواجهات المسلحة كطريقة لتجاوز الخلافات السياسية؛ لذلك لم يبد حماسا لوصول علي الى سدة الخلافة ولا تعاطفا معه في مواجهته لأصحاب الجمل. وكان عليا يعلم ذلك منه فقام بعزله لما عزم على التوجه الى البصرة حيث: بعث علي ابنه الحسن وعمار بن ياسر يستنفران كما مرّ. وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميرا وبعث إليه: إني قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران الناس وبعثت قرظة بن كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا، وان لم تفعل فقد أمرته أن ينادك وإن ظفر بك أن يقطعك إربا إربا، وأن الناس توافقوا للقتال¹.

لقد عزل أبو موسى عن ولاية الكوفة لكن الفئات النافذة التي تقاسمه قناعته لا تزال تقيم بها وبذلك فقد خلق وجودها حالة تمنع وعدم مبالاة عن الالتحاق بصوفه؛ في حين كانت العناصر التي ساهمت في الثورة على عثمان والتي خرجت منتصرة في موقعة الجمل؛ تحبب الكوفة من أجل النفير مع علي حتى يتمكن من حسم معركته القادمة مع معاوية. في الوقت الذي ظل فيه علي يأمل في استقطاب معاوية، وتحبيب المسلمين مزيدًا من إراقة الدماء، فأرسل إليه جرير بن عبد الله البجلي؛ رئيس قبيلة بجيلة وأحد الأشراف الذين تعاون عثمان معهم؛ رسولاً من الكوفة في شهر رجب 36هـ/ كانون الثاني 657م، واقتصرت مهمته على حمل معاوية على البيعة، ودعوته إلى الطاعة والجماعة². ويبدو أن معاوية كان يواجه آنذاك موقفًا حرجًا، فهو لم يكن مطمئنًا على الوضع في مصر، ويرغب في تحييدها أو الاستيلاء عليها، كما أنه كان يتعرض لضغط بينظي متزايد، ولا بد له من تهيئة أهل الشام وتعبئتهم إلى جانبه، كما كان يراقب تطور موازين القوى في معسكر علي، وهو بانتظار وصول عمرو بن العاص الذي استدعاه من فلسطين لمشاورته في الأمر؛ لذلك أجل رده، وأمسك الرسول. ومضى يعمل على استمالة عمرو بن العاص فأرسل اليه يمينه ويشركه في مشروعه ووعدته بمنحه ولاية مصر مدى الحياة في حال انتصاره، فلم يدخر عمرو وسعا في مناصحة معاوية ومساعدته في تذليل العقبات الداخلية والخارجية، وأشار عليه بتنظيم الدعاية في أوساط مقاتلة الشام، وتحميل علي مسؤولية قتل عثمان وإيوائه قتلته، ثم يقاتله بهم، فاستدعى معاوية شرحبيل بن السمط الكندي؛ وهو من أشراف كندة والرجل الأكثر تأثيرًا في بلاد الشام، وأقنعه بمسؤولية علي عن تفجير الوضع، ودعاه إلى دعمه للمطالبة بدم عثمان، فجال هذا في مختلف المدن الشامية يروج لأفكاره،

¹ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص500. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص482. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص616. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص625.

² ابن قتيبة، الامامة والسياسة، المصدر السابق، ج1، ص113. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص372. محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط1، دار النفائس، 2003م، بيروت، ص454. بوليوس فلهوزن، المرجع السابق، ص71.

ونجح في استقطاب أهل الشام¹، وكان ذلك كافيًا لدعم موقف معاوية ومطالبه، الأمر الذي سمح له بأن يعيد رسول علي مزودًا بشرطين:

الأول: القصاص من قتله عثمان.

الثاني: الشورى لانتخاب خليفة جديد².

ولم يكتف معاوية بمن معه من أهل الشام فحاول استقطاب العناصر التي أنس منها انقباضا عن نصرته علي، فكتب إلى عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص بدعوها إلى مسانده. لكنهما كانا قد حزما أمرهما على تجنب الدخول في الفتنة مفضلين الحياد. وبفشل المفاوضات بين الطرفين راحت تتشكل في الأفق نذر حرب جديدة ستكون هذه المرة أشرس من معركة الجمل وأكثر خطورة لأنها ستكون الحرب الأولى التي تجر خلفها عموم الأمة الإسلامية وستنقسم دار الإسلام إلى طرفين وإقليمين وجيشين هما جيش العراق بقيادة علي وجيش الشام بقيادة معاوية.

لما يئس علي من جدوى الاستمرار في طلب الطاعة من معاوية عزم على المسير إليه واخضاعه بقوة السلاح³. مضى يجمع الحشود ويستدعي القبائل المقاتلة لنصرته. لكنه في البصرة والكوفة كانت تواجهه على الدوام فئات وعناصر وأجزاء من قبائل كانت غير متحمسة لخوض المعارك تحت لوائه. فيذكر البلاذري أنه: لما أجمع أمير المؤمنين عليّ المسير إلى معاوية، كتب إلى عماله على النواحي في القدوم عليه، فاجتمعوا عنده، واستخلف عبد الله بن عباس أبا الأسود الدثلي على صلاة البصرة، وزيادا على الخراج، ثم قدم الكوفة وجعل علي يخطب الناس ويحضهم على محاربة معاوية وأهل الشام، فقام رجل من فزارة يقال له: أريد بن ربيعة، فقال: يا علي أتريد أن تغزو بنا أهل الشام فنقتلهم كما قتلنا إخواننا من أهل البصرة. هذا والله ما لا يكون، فوثب إليه الأشر وأخرون فخرج هاربا فلاحقوه بمكان كانت الدواب تباع فيه، فوطئوه وضربوه حتى مات⁴.

. التعبئة البشرية في جيشي علي ومعاوية:

¹ نصر بن مزاحم المقرئ، المصدر السابق، ص 47. 51. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص 277. فلما قدم جرير على معاوية طاوله في الجواب وحمل أهل الشام ليرى جرير قيامهم في دم عثمان واتهامهم عليًا به، وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان ملوثًا بالدم كما قدمناه وبأصابع زوجته نائلة، وضع معاوية القميص على المنبر والأصابع من فوقه، فمكث الناس يكون مدة وأقسموا ألا يمسه ماء إلا لجنابة ولا يناموا على فراش حتى يتأروا لعثمان ومن حال دون ذلك قتلوه. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص 625.

² نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص 51. 53. المطهر بن طاهر المقدسي، المصدر السابق، ج5، ص 217. محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، المرجع السابق، ص 456.

³ جاء في بعض الروايات أن معاوية كان يطلب من علي أن يترك له الشام ومصر نظير الاعتراف بخلافته: ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال على الشورى والطلب بدم عثمان فبايعوه أميراً غير خليفة وبعث علي جرير بن عبد الله البجلي رسولاً إلى معاوية يدعوه إلى البيعة فكتب إليه معاوية إن جعلت لي الشام ومصر طعمة أيام حياتك وإن حضرتك الوفاة لم تجعل لأحد بعدك في عنقي بيعة بايعتك فقال علي: لم يكن الله عز وجل يراني اتخذ المضلين عضداً. السابق، ج5، ص 217.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص 293. الدينوري، المصدر السابق، ص 164.

بينما كان معاوية يستند على قاعدة بشرية متجانسة ومستقرة ببلاد الشام تتشكل في عامتها من الجذرين اليمني والقيسي اللذان عرف كيف يجمعهما حوله ويربط معهما أواصر الولاء والثقة طيلة عهود امارته بالشام¹؛ فان عليا كان يجد صعوبة في العثور على صيغة تأليفية للجموع التي انضوت تحت لوائه لأنها كانت بعيدة عن التجانس والتماثل في الأصل والنسب والسابقة في الإسلام والخبرة والأهداف؛ إذ لم يكن يجمع غالبيتها سوى الرغبة في التخلص من الهيمنة القرشية. الأموية والحصول على تسوية في المعاش بواسطة تجاوز نظام العطاء القديم، والحصول على فرصتها في المشاركة في إدارة شؤون الدولة المترامية الأطراف التي حرمتها الأرسطراطية القرشية منها. وقد زاد في أملها بالوصول الى أهدافها وصول علي الى الخلافة وهو من هو في شخصيته وسابقته في الإسلام وفضله وعلمه؛ فكان في ذلك اغراء لها بالالتفاف حوله ومناصرة قضيته. هذا يعني أنه صار لهذه الفئات وما يشبهها رؤيتها المستقبلية ومشروعها الذي يخرجها من الخمول والهامشية الى السيادة تحت كنف علي. وبالتالي فقد استمرت هذه الفئات تتولى زمام الأمور في الكوفة، خاصة بعد عزل ابي موسى الأشعري وقد ازداد عددهم كثيراً بعد وقعة الجمل، ومارسوا مزيداً من التأثير، والضغط في سبيل الحرب؛ وقد وظفوا نفوذهم بين قبائلهم من أجل تجييش المؤيدين والأتباع؛ وقد توزعوا بين فئتين:

الفئة الأولى: تتشكل من بعض القيادات القبلية التي تمتلك نفوذا لدى أتباعها، ممن كانوا ساحطين على السياسات التي كان يدير بها ولاية عثمان في الكوفة أمور البلد، وقد تجمعوا حول علي وتبنوا قضيته، ودخلوا في لعبة السلطة الجديدة، وسوف يساندونها بقوة، وسيقاتلون في صفين من أجل شرعية علي، وقد اختار علي ان يعين بعضهم على الأمصار؛ مثل مالك بن الحارث الأشتر الذي نصبه والياً على الموصل ونصيبين، ويزيد بن قيس الرحبي والياً على المدائن وجوحي². وقد استطاع هؤلاء أن يملؤوا الفراغ الذي خلفه من نكص عن مساندة علي والاستجابة لنفيده. والغالب على أصل هذه الفئات هو العنصر اليمني؛ خاصة من بين الذين ردفوا الى الكوفة في أوقات متأخرة والتحقوا بقبائلهم الأم المستقرة هناك؛ وقد فاتتهم كرامة السبق في الفتوح وصار تخلفهم في العطاء لازماً بمقتضى الديوان الذي وضعه عمر. ولعل بعضهم مال الى التعمق في القرآن وحفظه على غرار القراء حتى يستعيز بالتقدم في القرآن ما ضيعه من تخلف في الجهاد ونصرة الإسلام. وأشهر القبائل اليمنية التي تجمعت بالكوفة من الروادف المتأخرة هي قبيلة همدان اليمنية التي سيكون ولاؤها لعلي ولاء تاماً غير مشروط.

الفئة الثانية: هم جماعة القراء الذين تشكلوا في عهد عمر وزاد عددهم في عهد عثمان وقد تخصصوا بقراءة القرآن والتعمق في معانيه وشكلوا ما يعرف بالظاهرة القرآنية في الأمصار، وتتميز هذه الفئة في الكوفة بكونها

¹ زهير هواري، المرجع السابق، ص233. عبد المحي شعبان، المرجع السابق، ص85.

² نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص11. 12. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص457.

جماعات مسيية تمارس نقدها للسلطة؛ كما هي ممثلة في والي الكوفة ولا تجد حرجا في لمز الخليفة عثمان والتشهير بما كانت تراه منحرفا عن جادة الإسلام. والواقع أن القراء أرادوا أن يتطابق الواقع التاريخي الذي كانوا يريزون تحته مع مقتضيات القرآن الذي قروؤه وفهموه ورغبوا في أن يتنزل في واقعهم بمقتضى فهمهم وادراكهم. وكانوا من الناحية السياسية يبدون في شكل قوة متماسكة، رغم أنهم ظلوا أقلية في الكوفة والبصرة، وهؤلاء كانوا نواة ما سيصيرون بعد ذلك الخوارج¹، وقد اجتمعوا على علي بدافع ماضيه المشرق وضلوعه في العلم، وتعمقه في القرآن، ومعرفتهم انه لم يكن راضيا عن مسلكية عثمان في ادارته لشؤون الأمة، والعداء للمزاعم القرشية في الوصاية على الإسلام، وقد توافقت مصلحتهم مع مصلحة علي ضد خصومهم المشتركين؛ وبالتالي فإن دعمهم له كان مقضيا عليه بأن يظل ضحية الظروف والتوافقات، لكنه لم يكن دعما مطلقا كالذي محضته العناصر اليمنية لعلي. وقد كشفت تحولات المستقبل هشاشة هذه الصلة؛ خاصة بعد أن صار عثمان من الماضي وغدا عليا بعد التحكيم مخالفا لشرع الله في نظرهم. لكن الخلافات بين الطرفين سوف تغيب الآن بفعل الخطر الواحد والمعركة المشتركة¹. ويضاف الى أولئك أعداد محدودة من قبائل البصرة، النصف تقريبا، وذلك بسبب نزعتها العثمانية، كما بسبب ما نتج عن وقعة الجمل بحقهم. وقد شكل التحاق الأحنف بن قيس شيخ تميم بمعسكر علي دعما مهما نظرا للسمعة الكبيرة التي يحظى بها التميميون في ساح القتال، والحكمة التي كان يتميز بها الأحنف الذي دخل أديبات التاريخ والتراث الإسلامي بوصفه رجل الصبر والحلم والأناة. كما ساند المهاجرون والأنصار وذوو الأصول البدوية المقيمون في المدينة عليا، سبعون من أهل بدر، وسبعمئة ممن بايع تحت الشجرة، وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار، وبقدر قلتهم العددية الا أنهم كانوا يشكلون قوة معنوية لا يستهان بها بوصفهم صحابة النبي الأقدمين وأنصاره الذين أثنى عليهم الله في كتابه وترضى عنهم، خاصة وأن بعضهم. خاصة الأنصار. جرى تمهيشهم على أيدي الخلفاء الثلاثة السابقين، فجاء علي ليعيد اعتبارهم؛ بانبا شرعيته على إجماعهم. وهكذا نجح علي في تشكيل تجمع من المقاتلين إلى جانبه، ويعد هذا انتصارا بحد ذاته، غير أن التشكيل كان متنوعا يفتقد الى التجانس، وغير منسجم عقائديا وإقليميا وقبليا، إذ ضم عناصر متباينة في الولاء والمفاهيم والتوجهات، فهناك المهاجرون والأنصار، وأشرف القبائل وأهل القادسية، والأيام والروادف وجماعات القراء، وهي عناصر تتفاوت في مصالحها وأهدافها ووعيها الديني والسياسي وأهميتها العسكرية والاجتماعية، وفي موقفها من قريش وسلطان

¹ Karen Armstrong, Islam: A Short History by Modern Library, THE MODERN LIBRARY, NEW YORK, 2002, P35

المدينة، وفي تقييمها لأبعاد الصراع الذي تخوضه، ولذلك ظلت مثار شكوى على منذ انطلاقتها لمواجهة معاوية الى غاية مقتله².

ان النص الذي يعرضه خليفة بن الحيات في تاريخه وهو بصدد تسجيل التشكيلة العسكرية التي دخل بها علي ومعاوية حرب صفين كفيل بأن يعطينا صورة عن القوى القبلية التي شاركت علي صراعه وانتماءاتها القبلية حيث نجد من بينها: ربيعة واهل اليمن ومضر البصرة والكوفة وقريش وأسد وكنانة وكندة وبكر البصرة وخزاعة وبكر الكوفة وسعد والرياب وبجيلة واهل الكوفة وعمرو وحنظلة البصرة وقضاعة وطيء ولهازم الكوفة وتميم الكوفة وازد اليمن وعمرو الكوفة وحنظلتها وهمدان ولهازم البصرة وسعد الكوفة وربابها ومدحج وعبد القيس الكوفة وقيس الكوفة وعبد القيس البصرة وقريش البصرة وقيس البصرة. أما تشكيل جيش معاوية فيرد باختصار كالتالي: أهل حمص وأهل قنسرين وأهل الأردن وأهل دمشق. وقيس وقضاعة مصر وكندة دمشق وكندة حمص والحضرمين وقضاعة الأزد وكنانة فلسطين ومدحج الأزد وجماد فلسطين ولحماهم وهمدان الأزد وخنثم ولهاهم وعسّان الأزد³.

. معركة صفين:

لما عرف بمعاوية بنية علي في المسير اليه جهز قواته البالغة ما بين ثمانين إلى مائة ألف مقاتل، وانحدر بها إلى صفين على شاطئ الفرات الغربي قرب الرقة؛ لأن ذلك هو الطريق الطبيعي الذي سيسلكه جيش علي ليصل إلى بلاد الشام، ووصل إليها في أول ذي الحجة 36هـ/ 21 أيار 657م، واستقر فيها، وساعدته الظروف البيئية من سهولة الأرض، وملاءمة المناخ وقرب الفرات. أما علي فقد عسكر في النخيلة على بعد ميلين من الكوفة استعداداً للتوجه إلى بلاد الشام، ثم غادر النخيلة إلى الصراة، ثم المدائن فالأنبار فالرقة فصفين، فوصل إليها متأخراً بضعة أيام من وصول معاوية، وقد بلغ عدد قواته ما بين تسعين إلى مائة ألف مقاتل⁴. (راجع الملحق رقم 5). وهناك على أرض صفين كان أتقياء القوم يتمنون حدوث المعجزة التي تجنبهم إراقة دماء بعضهم، وتحفظ للإسلام مقاتلته؛ لذلك تريثوا وأحجموا عن إثارة الحرب واكتفوا بالتناوش والقيام بمبارزات فردية، ومناوشات جماعية محدودة

¹ عبد الحي شعبان، المرجع السابق، ص 83. 84. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص 192. زهير هوارى، المرجع السابق، ص 223.

² تأمل النص التالي: فجاء عمرو فحفضض الناس، وضعف عليا وأصحابه، وقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم. ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي، قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صنائدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شردمة قلبه، ومنهم من قد قتل خليفتم، فالله الله في حركم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تبطلوه. الطبري، المصدر السابق، ج 4، ص 563.

³ خليفة بن الحيات، المصدر السابق، ص 194. 196.

⁴ اليعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج 2، ص 87. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج 2، ص 375. خليفة بن الحيات، المصدر السابق، ص 193. وقد توزع في مقدار ما كان معه من الجيش، فمكث ومقل، والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً، وقال رجل من أصحاب علي لما استقروا مما يلي الشام من أبيات كتب بها الى معاوية حيث يقول: أثبت معاوي قد أتاك الحافل تسعون ألفاً كلهم مقاتل عما قليل يضمحلّ الباطل. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج 2، ص 375.

ولما كان أول يوم من ذي الحجة- بعد نزول عليّ على هذا الموضوع بيومين- بعث الى معاوية يدعوهُ الى اتحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين، وطالت المراسلة بينهما، فاتفقوا على المودعة الى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي، ولم يتم بين علي ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من المودعة في المحرم، وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم¹ 37هـ/ حزيران 657م.

استمرت الهدنة شهرًا واحدًا تخللها اتصالات ومفاوضات على أمل الوصول إلى اتفاق ينهي النزاع، ويحقن دماء المسلمين، لكن التصلب في المواقف حال دون ذلك، والواقع أن اندفاع قيادات الطرفين للقتال قابله حرص من سواد رجالهما على أن تكون المواجهة بينهما محدودة خشية من هلاك المسلمين². لكن كان لا مناص من اختبار الرعب والخروج من الاشكال التاريخي من طريق المعركة الدامية؛ حيث تختبر القوى المقاتلة قواها وصبرها ومدى ايمانها بقضيتها، كما تختبر الأفضلية والأحقية؛ معركة فاصلة تحدد مصير جميع الأطراف وتفتح للأمة أفقا تاريخيا جديدا. وقد بدأت المعركة على أوسع نطاق يوم الأربعاء 08 صفر 37هـ. 657م واستمرت صباح الخميس كأشد ما يكون القتال ودام القتال الى الليل ثم استمر الى الفجر وهي الليلة المشهورة بليلة الهرير وقد ذاق فيها الجيشان الأمرين ولم يستطع أي طرف منهما انهاءها لصالحه رغم أن عدد القتلى الذين سقطوا من جيش الشام يفوقون من سقط من جيش العراق³. وتواصل القتال يوم الجمعة؛ حيث وقع الجميع ضحية الانهك⁴. لقد اختار علي ومعاوية أن يتم القتال من خلال مجابهة قبلية؛ بحيث تواجه كل قبيلة من قبائل الشام أختها من أهل العراق، إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد، فيتم صرفها إلى قبيلة أخرى تكون بالشام ليس منها أحد في العراق، مثل بجيلة التي لم يكن منها في الشام إلا عدد قليل، فصرفهم علي لمجابهة قبيلة لحم⁵. كانت راية علي مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلي الرحالة عبد الله بن بديل وعلى الميمنة

¹ المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص377.

² وأقاموا يقتلون أيام ذي الحجة كلها عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام حذرا من الاستئصال والهلاك. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص627.

³ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص304. يوليوس فلهوزن، المرجع السابق، ص73.

⁴ اشتهرت ليلة الهرير من أيام صفين لفظاعتها ودمويتها وعنفها وكثرة من سقط بها من القتلى: قال أبو مخنف: فاقتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح، وهي ليلة الهرير، حتى تقصفت الرماح ونفذ النبل، وصار الناس إلى السيوف. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص47. ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس الا ايماء صلاتي العشاء واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شرا بين المسلمين وتسمى هذه الليلة ليلة الهرير، وكانت ليلة الجمعة تقصفت الرماح ونفذت النبال، وصار الناس الى السيوف. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص301. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص389. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص535. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص120.

The Arabs in History Secnd itidion, Hutchinsons university library, london,1954, pp77 , BERNAED LEWIS,

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص14. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، صص 629. 630. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص647.

الأشعث بن قيس وعلي الميسرة عبد الله ابن عباس وعلي رجالة الميمنة سليمان بن صرد الخزاعي وعلي رجالة الميسرة الحارث بن مرة العبدي والقلب مضر البصرة والكوفة الميمنة اليمن والميسرة ربيعة وعلي قريش وأسد وكنانة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعلي كندة حجر ابن عدي وعلي بكر البصرة حضين بن المنذر وعلي تميم البصرة الأحنف بن قيس وعلي خزاعة عمرو بن الحمق وعلي بكر الكوفة نعيم بن هبيرة وعلي سعد والرباب¹.

دارت معركة طاحنة؛ تحملت الأجنحة ثقلها، وتبادل المتقاتلون خلالها الكر والفر، وضغط الطرفان كل على الآخر، ووصلت إحدى الهجمات العراقية التي قادها الأشر إلى حيث كان يقف معاوية، في حين استطاعت كتيبة شامية اختراق صفوف العراقيين والوصول إلى علي، وهكذا عجز كل فريق عن اخضاع الفريق الآخر، وأسفرت عن ضحايا أكثر كان فيهم كثير من الأعيان والأشراف من الجانبين، وتحملت فيها اليمنية من الجهتين خسائر فادحة. فقتل فيها ذو الكلاع، وعبيد الله بن عمر، وعمار بن ياسر وهاشم بن عتبة، وهو المرقال حامل لواء علي وخلق كثير. كانت مجزرة حقيقية انكشف غبارها عن أكوام من الجثث والجرحى والمصابين، وأمام فداحتها بدا أن الأمة الإسلامية ماضية إلى حيث فنائها، ولاح في الأفق أن نهاية دولة الإسلام بات وشيكا، واستفاقت قيادات الطرفين على هول الكارثة. لقد أعطى مقاتلة الجيشين كل ما في حوزتهم واستعرضوا بطولتهم وناجحوا عن مواقفهم وجابهوا الموت مرار ولم يبق للناجين سوى استذكار السلام والصلح والموادعة. فانطلقت نداءات سلمية من وسط القتال: ألا تذكرون الأرحام، أفنيتم لحم الكرام، والأشعريين وآل ذي حمام، أما تذكرون أهل فارس، والروم، والأتراك، من لثغور الشام بعد هلاك أهل الشام. ومن لثغور العراق بعد هلاك أهل العراق، من للذري والنساء². وأدرك مقاتلة الشام أنهم يسيرون نحو الإبادة المتبادلة، فنادوا بالبقية، أي وقف القتال خوفاً من زوال الجميع: لقد أكلتنا الحرب، ولا نرى أننا سنغلب أهل العراق إلا بفناء أهل الشام، وقد مال معاوية إلى هذه الدعوة لأن الشام حوزته وجيشها عزه ونصره ولم يكن مستعداً أن يستأصلهم في حرب لا تبقي ولا تذر، فباشر إلى استئناف التفاوض وطلب مخارج بديلة للصراع عن القتال. فكتب إلى علي يقول: أما بعد، فإني أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا، وبك ما بلغت لم يجنح بعضنا على بعض، وإن كنا قد غلبنا على عقولنا، فلنا منها ما ندم به ما مضى، ونصلح ما بقي، فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو، ولا تخاف من الفناء إلا ما أخالف، وقد والله رقت الأجناد، وذهبت الرجال³. كما كتب إلى ابن عباس يقول: وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض، حتى استويننا فيها، فما أطمعكم فينا، وما أيأسكم منا أيأسنا منكم، وقد رجونا غير الذي كان، وحشينا ما وقع، ولستم ملاقينا

¹ خليفة بن الخياط، المصدر السابق، ص194. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص64. أبو الفدا عماد الدين، المختصر من اخبار البشر، المصدر السابق، ج1، ص137.

² نصر بن مزاحم، صفين، المصدر السابق، ص302.

³ المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج3، ص13.

اليوم بأحد من حدكم أمس، وقد منعنا بما كان منا الشام، وقد منعتم بما كان منكم العراق، فاتقوا الله في قريش¹، وكتب عمرو بن العاص إلى عبد الله بن عباس يقول: فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حياة وصبراً، وأعلم أن الشام لا يملك إلا بهلاك العراق، وأن العراق لا يملك إلا بهلاك الشام²، وفي الجهة الأخرى لم تكن مقاتلة العراق أقل من مقاتلة الشام رغبة في السلام ونزوعاً للصالح؛ لكن طلب السلام والاعتراف بالرغبة في انهاء الصراع كانت تأنفه الطباع العربية القبلية لما فيه من اشعار بالضعف والخنوع. ولما رأى معاوية وعمرو ومن معهما إصرار العراقيين على المضي في القتال لم يأمن على جيشه من الانكسار فأوعز الى قادته أن يحملوا المصاحف على أسنة الرماح عالية حتى يراها علي وجيشه.

مهما كانت النية التي حركت معاوية الى هذا الصنيع الذي كثيرا ما تصفه المصادر بالمكنيدة فان أي قائد مسؤول يمتلك من العقل ما يميز به الأمور كان سيدرك حجم التضحية البشرية والمعاناة النفسية، ومن ورائهما الوضع الحرج الذي آلت اليه أمة . دولة الإسلام في تلك الظروف؛ وأن الاستمرار في المجاهدة لا يخلو من خطر جسيم. فكان أن رفع مقاتلة الشام المصاحف إيدانا بإيقاف القتال والعودة الى النص المقدس الجامع³. ومن بين ركام الروايات التي تعرضت لهذا الحدث والتي شابهها كثير من المنازع الأيديولوجية المتأخرة فان الأمر الذي يبدو معقولاً هو أن غالبية قوات علي كانت تميل الى إيقاف القتال لذات السبب الذي كان يدفع مقاتلة الشام نحوه⁴؛ وأن المجاهدة الدامية لا بد أن تنتهي؛ فجاءت مبادرة رفع المصاحف مبرراً مقبولاً يسهل على الجميع الخروج من المعركة من الباب الواسع؛ لأن النزول عند حكم كتاب الله لا يستطيع أن يرفضه من كان. لكن يبدو أن علياً لم يكن مقتنعاً بنية معاوية وعمرو في الاحتكام الى كتاب الله وفهم الواقعة خدعة من الخدع التي يحسن معاوية وعمرو سبكها؛ وكان قد فقد الثقة فيهما تماماً⁵. كان علي صاحب الشرعية بمقتضى البيعة المنعقدة في المدينة ولم يكن

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص105.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، ص307.

³ فمال كثير من أصحاب علي إلى ما دعا إليه وحرّموا القتال واختلفوا. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، ص323. فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نجيب إلى كتاب الله ونُيب اليه، وأحبّ القوم الموادة، وقيل لعلي: قد أعطاك معاوية الحق، ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه، وكان أشدهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص389. 390. فرفعوا المصاحف بالرمح وقالوا: هذا حكم كتاب الله - عز وجل - بيننا وبينكم، من لغور الشام بعد أهله. من لغور العراق بعد أهله. فلما رأها الناس قالوا: نجيب إلى كتاب الله. فقال لهم علي: عباد الله، امضوا على حكمكم وصدقكم، وقتال عدوكم، فإن معاوية وعمرا، وابن أبي معيط، وحبيبا، وابن أبي سرح والضحاك، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالا، ثم رجلا، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهنا ومكنيدة. فقالوا له: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص667. 668.

⁴ جاء في رواية تنسب الى ابن عباس تفسيراً غير شائع لموقف الذين قبلوا بالتحكيم من جيش علي: قيل لابن عباس: ما دعا عبيداً إلى الحكمين. فقَالَ: إن أهل العِراق ملوا السيف وجزعوا منه جزعاً لم يجزعه أهل الشَّام، واختلفوا بينهم فخاف علي لَمَّا رأى من وبنهم أن ينكشفوا منه ويفرقوا عنه، فمال إلى القضية، مع أنه أخذ بكتاب الله حين أمر بالحكمين في الصيد والشقاق ولو كان معاً من يصبر على السيف لكان الفتح قريباً. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص337.

⁵ Jurji zaydans, Umayyads-And-Abbasids, luzac, london,1907 PAGE 61-62

لمعاوية من الشرعية سوى المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان بحسبانه ولي أمره؛ وبالتالي فإن أي تنازل يقدمه لمعاوية هو انتقاص من شرعيته لا يضير معاوية شيئاً بل يعزز موقعه في النزاع، وأراد من قاداته الاستمرار في القتال حتى النهاية وهو يقول: عباد الله، امضوا على حثكم، وصدقكم، وقتال عدوكم. فإنه معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي سرح، والضحّاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين وقرآن. أنا أعرف بهم منكم، وصحبتهم أطفالاً ورجالاً. ويحكم. والله، إنهم ما رفعوا المصاحف. إنهم لا يعرفونها، ولا يعلمون ما فيها، وما رفعوها إلا خديعة ومكيدة حين علوتموهم، ويحكم فإني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الله، ويعملوا بالقرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونبذوا كتابه، ونسوا عهده¹. لكنه جوبه برغبة عارمة تعتري قطاعاً مهماً من جيشه في الخضوع للتحكيم والنزول على مقتضى كتاب الله: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله، فنأبى أن نقبله. وقال له مسعر بن فدك التميميّ يزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا عليّ أجب إلى كتاب الله وإلا دفعنا برمتك إلى القوم. أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عقّان. فقال: إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم، قالوا: فابعث إلى الأشتر وكفّه عن القتال، فبعث إليه يزيد بن هانئ بذلك فأبى، وقال: قد رجوت أن يفتح الله لي فلما جاء يزيد بذلك ارتج الموقف باللغظ، وقالوا لعلّي: ما نراك إلا أمرته بقتال فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك، فقال عليّ: ويحك يا يزيد قل له أقبل إليّ فإن الفتنة قد رفعت². وقد حاجج الأشعث بن قيس الكندي ومن ساندته علياً بصواب التحكيم وضغطوا عليه ليقبل به وقالوا: قد دعا القوم إلى الحق فقال عليّ: إنهم إنما كادوكم، وأرادوا صرفكم عنهم. فقال الأشعث: والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك. والله لتحجينهم إلى ما دعوا إليه، أو لندفعنك إليهم برمتك، فتنازع الأشتر والأشعث في هذا كلاماً عظيماً، حتى كاد أن يكون الحرب بينهم، وحتى خاف علي أن يفترق عنه أصحابه. فلما رأى ما هو فيه أجابهم إلى الحكومة³.

في هذا المنعطف من النزاع أخذ الصف العراقي يهتز ويضطرب ويكشف عن هشاشة لحمته؛ وإلى عمق الشقاق في بنيته، ويعبر عن خاصية الاختلاف والتباين وعدم التجانس التي سبقت الإشارة إليها. وجاءت حادثة رفع المصاحف فرصة مناسبة لكي تكشف قوى التحالف عن ضعف وحدتها ووهن إيمانها بالقضية، كما تكشف عن تجذر الأهواء القبلية والمصالح الفئوية في صفها؛ فوضعت علياً في موقف لا يحسد عليه وفلت حده وأوهنت عزيمته واضطره الخوف من تفرق شمل جيشه القبول بسلسلة من التنازلات اضعفت موقعه في النزاع.

¹ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص538.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص49. 50. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص632. 633. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص303. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص668.

³ الطبري، المصدر السابق، ص50. 51.

مضى الأشعث بن قيس ومن معه يدفعون باتجاه التحكيم ويقول: ما أرى الناس إلا قد رضوا، وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن. فإن شئت أتيت معاوية فاستعلمته ما يريد، فنظرت فيه. فوافق علي على الاقتراح ومضى الأشعث إلى معسكر أهل الشام فكان جواب معاوية: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله فيها، تبعثون منكم رجلاً ترضون به، ونبعث منّا رجلاً نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملوا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع جميعاً ما اتفقا عليه. فقال له الأشعث: هذا الحق، ثم انصرف إلى عليّ بما قال معاوية. فقال الناس: قد رضينا وقبلنا. فاقترح أهل الشام أن يمثلهم عمرو بن العاص. أما أصحاب علي فتنازعوا بينهم في شأن من يمثل علي في التحكيم¹. وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج: رضينا نحن بأبي موسى الأشعري فقال علي: قد عصيتموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أولي أبا موسى الأشعري، فقال الأشعث ومن معه: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري، قال: ويحكم. هو ليس بثقة، قد فارقتني وخدّل الناس مني، وفعل كذا وكذا، وذكر أشياء فعلها أبو موسى، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنتته، لكن هذا عبد الله بن عباس أوليّه ذلك، فقال الأشعث وأصحابه: **والله لا يحكم فينا مُضْرِبَان**، قال علي: فالأشتر، قالوا: وهل حاج هذا الأمر إلا الأشتر، قال: فاصنعوا الآن ما أردتم، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوا².

غلب علي أمره وقبل بالتحكيم مرغماً وقد جاء في نصه ما يلي: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ص، قضية علي علي أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية علي أهل الشام شاهدهم وغائبهم، أنا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحى ما أحيا، ونميت ما أمات، علي ذلك تقاضيا وبه تراضيا، وان عليا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً، ورضى معاوية وشيعته بعمرو بن العاص ناظراً وحاكماً، علي أن عليا ومعاوية أخذوا علي عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه، وذمته وذمة رسوله أن يتخذا القرآن اماماً، ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يتعمدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهه³. وصيروا الأجل إلى شهر رمضان على اجتماع الحكّمين في موضع بين الكوفة والشام، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لأيام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين، وقيل: بعد هذا الشهر منها، ومرّ الأشعث بالصحيفة يقرأها على الناس فرحاً مسروراً حتى انتهى إلى مجلس لبني

¹ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص541.542.

² المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص390. عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج2، ص579.

³ أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص194.195. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص393.

تيمم، فيه جماعة من زعمائهم، منهم عروة ابن أذية التميمي، وهو أخو بلال الخارجي، فقرأها عليهم، فجرى بين الأشعث وبين أناس منهم خطب طويل، وإن الأشعث كان بدء هذا الأمر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، وقال له عروة بن أذية: **أتحكمون في دين الله وأمره ونهيه الرجال. لا حكم إلا لله**، فكان أول من قالها، وحكم بها وقد تنوزع في ذلك، وشد بسيفه على الأشعث فصم فرسه عن الضربة فوقعت في عجز الفرس ونجا الأشعث، وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية¹.

لم يعد علي يملك السيطرة على مواقف رجاله وتوجهاتهم، وفي خضم الشقاق الذي بدأ ينخر صفه انحدر سقف طموحه من جمع الأمة وتوحيدها تحت لوائه الى محاولة رأب الصدع الذي كان يزداد اتساعاً في صفه، وبدا أنه صار مقوداً أقرب الى كونه قائداً، وبدل أن تكون كلمته قاضية صارت رأياً مثل غيره من الآراء التي تعتمل بين صفوفه. وبعد أن فرض عليه القبول بالتحكيم اضطر أن يرضخ لاختيار ابي موسى الأشعري ممثلاً عنه رغم الوحشة التي كانت بينهما. ولم ينته مسلسل الشقاق في جموع علي الى هذا الحد فقد اعلنت جمهرة كبيرة من القراء الذين اجبروا علياً على قبول مبدأ التحكيم رفضها للأمر برمته على أساس أن التحكيم بالصورة التي سيتم بها هو افتيات على كتاب الله وخروج عن شرعه؛ وكالت اتهامها لعلي بأنه حكم الرجال في حين أنه لا حكم الا لله. ومن هذه السياقات والمفارقات تشكلت المحنة التي سيعرفها علي طيلة ما تبقى من حياته.

ويوجز المسعودي الفرقة التي دبت في مفاصل الجيش العراقي فيقول: ولما وقع التحكيم تباعض القوم جميعاً وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض: يتبرأ الأخ من أخيه، والابن من أبيه، وأمر علي بالرحيل، لعلمه باختلاف الكلمة، وتفاوت الرأي، وعدم النظام لأموهم، وما لحقه من الخلاف منهم، وكثر التحكيم في جيش أهل العراق، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف، وتسابوا، ولام كل فريق منهم الآخر في رأيه، وسار علي الى الكوفة، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام، وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده². وفي الكوفة تواصلت الخلافات والانشقاقات وتطور اللوم والعتاب الى تأنيب وتقريع مصحوبان بالعنف اللفظي والتهديد من مختلف الفرقاء ومن ثم صارت أجواء الكوفة منذرة بالفتنة الداخلية والتصعيد.

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص336. الدينوري، المصدر السابق، ص197. المسعودي، المروج، المصدر نفسه، ج2، ص393. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص133. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص545.

² المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص394. خرجوا مع علي إلى صفيين وهم متوادون أحياناً، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفيين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشائمون ويضطربون بالسياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله، أدهتم في أمر الله عز وجل وحكمتم. وقال الآخرون: فارقتم إمامنا وفرقتم جماعة فلما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديتهم: إن أمير القتال شيب بن رعي التميمي وأمر الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص63.

. أثر الانشقاق الخارجي في تشكيل شيعة علي:

الى هذه اللحظة من تاريخ علي وانصاره لم تتشكل الكتلة الشيعية بالمعنى الذي صارت تعرف به في تاريخ الإسلام. فلم يكن جيش علي سوى جبهة ائتلاف غير متجانسة يجمعها عدو مشترك اكثر مما يجمعها مشروع واحد ورؤيا تاريخية واحدة. ولم يكن الجميع على ذات الإخلاص في الولاء لشخص علي. لذلك فان انشقاق الجبهة ثم انقسامها هو ما سمح لشيعة علي ومواليه بالظهور والبروز كنواة خالصة توحيدها إرادة الاصطفاف خلف علي والاستمرار في نصرته وأخذ يميزها تدريجيا صفة الارتباط الشخصي الروحي مع الرجل والالتحام به وبالقضية التي منحها ما تبقى من عمره¹. وكلما كانت حدة الخلاف تتنامى بين صفوف المقاتلين داخل معسكره كانت حالة الولاء تزداد كثافة وتركيزا. وكلما زاد عدد المنفضين من حول علي كلما لمعت الفئات التي احتضنته وتماهت معه ومع قضيته. والنص التالي الوارد عن الطبري نجده يستخدم لأول مرة لفظ الشيعة من حيث هي كتلة سياسية منسوبة الى علي في سياق انفصال الخوارج عنه وارتحاله عن معسكره؛ فيذكر أنه: لما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء، فنزل بمنا منهُمْ اثنا عشر ألفا، ونادى مناديهم: إن أمير القتال شبت بن ربيعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويعتبر هؤلاء الواردة أسماؤهم من كبار رجال قبائل تميم وبكر وهمدان. فلما فارقت الخوارج، وثبت إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، فقالت الخوارج: استبقتم أئمت وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم أئمت عليا على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى، فقال لهم زياد بن النضر: والله ما بسط علي يده فبايعناه قط إلا على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته، فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحق والهدى، ومن خالفه ضال مضل².

في هذا النص نلاحظ البدايات الأولى لكثير من الأفكار والمفاهيم التي ستتطور لاحقا؛ والجذور الأولى لما سيصير في عهود لاحقة أساس لمنظومات عقديّة كاملة. وستشرع القوى السياسية الموالية للسلطة؛ أي سلطة؛ والمعادية لها في استثمار عبارات قرآنية مجتزأة من سياقاتها؛ واستخدامها في مواجهاتها ومجابهاتها التاريخية بشأن الوصول الى الحكم وتنفيذ برامجها. ترد ألفاظ الكفر والحب والكره والولاء والعداوة والكتاب والسنة والحق والهدى

¹ Karen Armstrong, Islam: A Short History by Modern Library, THE MODERN LIBRARY, NEW YORK, 2002, P36

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص64

والضلال، وهي ألفاظ أغنت القواميس الخارجية والشيعية والسنية فيما بعد. وستشهد العهود الآتية اشتعال فتيل العنف والعنف المضاد وانفجار ثورات عديدة من قبل هذه الأطراف ذاتها التي تعمل في هذه اللحظة على تسيير مخلفات حرب صفين، وستكون شعاراتها وبياناتها مصوغة على خلفية هذه العبارات والألفاظ.

ان الانحياز الى علي بوصفه خليفة شرعيا في مجريات الصراع مع الثلاثي؛ عائشة وطلحة والزبير ومن ناصرهما لم يكن تشيعا؛ وما كان للشيعية أن تظهر آنذاك لأن شرعية حكمه كانت تمنح للقوى التي آزرته صفة العمومية والشمول. وقد تحرك من المدينة بناء على هذه القناعة على اعتبار ان الثلاثي يمارس افتئاتا ظاهرا على سلطة الخليفة، وعدوانا سافرا على حقوقه المكتسبة بالبيعة التي جرت في المدينة؛ وقائلهم بناء على ذلك. لكن ما واجهه في صفين كان أكثر من مجرد افتئات مجموعة؛ لأن ما شاهده في الجهة المقابلة كانت جموعا يكاد عددها يربو عن عدد مناصريه. والمعنى أن الأمة كانت منقسمة حقيقة وبالتالي فان الأعداد الغفيرة من أهل الشام ومن انخرط في صفهم تسحب من تحت قدميه بساط الاجماع او شبه الاجماع الذي يعتقد أنه حصله في المدينة. فاذا كانت الأمة عدد فان نصف العدد تقريبا لا يوافقه الرأي والرؤيا. والكثير من ذلك أن نصف العدد في حال استعداد للمخاطرة بحياته في سبيل منعه من الوصول الى مبتغاه. لم تكن مواجهة الشام في مصلحة الحق القانوني والمعنوي لعلي ولشرعيته بما أنها كشفت الأهمية العددية والمعنوية والرمزية للجهة الأخرى المتمنعة عليه¹.

في صفين نستطيع الكلام عن شيعة علي وشيعة معاوية من حيث هما رمزين وقائدين لطرفين متعارضين حتى الموت؛ لكنها صفة عسكرية سياسية عارضة تصنعها ظرفية المواجهة وخصوصية اللحظة التاريخية. والتشيع فيهما لا يختص بعلي دون سواه، واللفظة لم تخرج بعد من قاموسها اللغوي ولم تحتضن مضموناتها العقدية والأسطورية التي ستعرفها لاحقا. ولم تتشكل بعد الطبيعة العاطفية العميقة لمعنى الولاء والاختصاص؛ فظلت الأبعاد السياسية والعسكرية هي الشرط التاريخي في توصيف التشيع والمشايعة. لكن بعد الانقسام الحاصل في جهة علي وانفصال الخوارج عنه ولدت بدايات وجذور المضامين العاطفية في ولاء من ظل على ولائه لعلي؛ نقول البدايات والجذور لأن كثيرا من الذي احتفظوا بولائهم السياسي المؤسس على دوافع متعددة؛ ليس أقلها المصالح المشتركة؛ ظلوا يتعاملون مع شخص علي بوصفه القائد الأمثل الذي يمثل أهدافهم، وبقي ارتباطهم به ارتباطا تغلب عليه النزعة

¹ جيفري، أصول التشيع، المرجع السابق، ص 1. 4. هاينس هام، الشيعة، ت محمد كبيبو، ط1، شركة الوراق للنشر، بغداد، 2011م، ص 25. 27. لكن جل مؤرخو الشيعة القدماء والمحدثون يذهبون الى أن جذور التشيع تعود للعهد النبوي. راجع: محمد باقر الصدر، نشأة التشيع والشيعة، ت عبد الجبار شرارة، ط2، قدس، مركز الغدير للدراسات، 1997م، ص 13. 17. هاشم معروف الحسيني، أصول التشيع عرض ودراسة، ط2، دار التعارف للمطبوعات، د ت، ص 26. 40. محمد جواد مغنية، مغنية، الشيعة والحاكمون، د ط، دار الجواد، بيروت، 2000م ص 15. 17. محمود جابر، الشيعة الجذور والبدور، ط1، مركز الأبحاث العقدية، العراق، 1430هـ، ص 70. 72. محسن الأمين العاملي، الشيعة في مساهمهم التاريخي، ط2، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، 2005م، ص 30. 39. محمد حسين الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، اعداد مركز بقية الله الأعظم للدراسات، ط1، بيت الكاتب للدراسات والنشر، بيروت، 1999م، ص 21. 26. محمد حسين الزين، الشيعة في التاريخ، ط2، مطبعة العرفان، صيدا، 1938م، ص 16. 21.

البرغماتية في المقام الأول. وقد جسد الأشعث بن قيس رمزا بارزا لهذه الفئات، والروايات الكثيرة التي سجلت تفاصيل تلك المرحلة لم تغفل ملاحظة بعض البرود والتحفظ في العلاقة بين الأشعث وعلي، ورغم أهمية الأشعث السياسية بوصفه زعيما يمينيا كبيرا وشخصية تاريخية تمتد تأثيرها ونفوذها الى مرحلة ما قبل اسلام اهل اليمن¹؛ خاصة لدى قبيلة كندة؛ فان عليا كان يفضل عليه مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي ويجذب أن يرفعه الى مستوى التمثيل العام لليمنية في جيشه؛ لأن الأشتر كان أشد ولاء وأكثر طواعية واخلاصا. ثم أن التاريخ الطويل للأشعث وخبرته الكبيرة بالسلطة وشؤونها وأهميته القبلية في مضارب كندة الأولى، وطبيعة شخصيته المملوكية، وطموحه العريض لا تسمح له بأن يكون مجرد تابع لأحد حتى لو كان عليا²، وفي بعض الروايات نلمس أن لدى الأشعث انطبعا بأن الصراع بين علي ومعاوية هو صراع داخل مضر، وأن نهايته لا تخرج عن تعزيز سلطة مضر وتوكيد ملكها، مما يعني أنه بشكل أو بآخر كان يقرأ سياق الأحداث والوقائع من داخل منظور تاريخي يرى ان لليمن حقها في أن تلعب دورها القيادي في تاريخ الإسلام وأن تنافس مضر في ذلك، وهو ليس أقل من رجال قريش المتصارعين خبرة وكفاءة. لكن طبيعة الظروف التي كانت يمر بها تاريخ الإسلام وطبيعة السلطة التي تشكلت فيه منذ عهد عمر؛ والتي تعززت في عهد عثمان؛ خاصة السيادة القرشية على اهم مواقع النفوذ والتأثير وصنع القرارات؛ كانا يمنعان تطور هذه الهواجس ويجدان من إمكانية تحقيقها التاريخي³. ومع هذا لم يكن الأشعث يشكو التهميش في عهد عثمان، إذ أن عثمان استعان به في إدارة أذربيجان ويبدو أنه كان مطلق اليد فيها؛ الأمر الذي لم يكن خافيا على علي حسبا ورد عند البلاذري: كَانَ الْأَشْعَثُ بِنَ قَيْسٍ بِأَذْرَبِيحَانَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْكُوفَةِ، عَزَلَهُ وَأَمَرَ بِمَحَاسِبَتِهِ فَمَغْضَبٌ وَكَاتِبٌ مُعَاوِيَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ طَرِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْفِذَ مِنَ الْكُوفَةِ حَجْرَ بَنِ عَدِي

¹ تجعل بعض الأخبار الأشعث يفاخر العرب في مجلس كسرى: ثم قام الأشعث بن قيس - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالتمعان - فقال: لقد علمت العرب أننا نقاتل عديدها الأكثر، وقدم زحفها الأكبر. فقالوا: لم يا أخاكندة. قال: لأننا ورننا ملك كندة فاستظلمنا بأفئانه، وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بجبوحه الأكرم. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج19، ص124. وقد وفد الأشعث على النبي بإسلام قبيلة كندة لما تمكن الإسلام في اليمن: في سنتين راكبا من كندة، فدخلوا على رسول الله مسجده، رحلوا معهم، وتكحلوا، عليهم جبب الحيرة، قد كففوها بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ص، قال: ألم تسلموا. قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم. قال: فشقوه منها فألقوه، ثم قال الأشعث: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار، فتبسم رسول الله، ثم قال: ناسبوا بهذا النسب العباس ابن عبد المطلب وربيعه بن الحارث قال: وكان ربيعة والعباس تاجرين، فكانا إذا ساحا في أرض العرب فسئلا من هما. قالوا: نحن بنو آكل المرار، يتعززان بذلك، وذلك أن كنده كانت ملوكا. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص139. وقد أراد النبي أن يتزوج أخته قتيلة بنت قيس؛ فتوفي قبل أن يدخل بها. أما الحسن بن علي فقد تزوج ابنته جعدة بنت الأشعث التي تنهم بانها دست اليه السم بإيعاز من معاوية. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص168. المسعودي، المروج، ج2، ص427. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص212. وثمة روايات أخرى تغض من الأشعث ومن صحة نسبه مفادها: أن الأشعث بن قيس لم يكن كنديا، وإنما صار في كندة بالولاء. وزعموا أن والد قيس وهو معد يكره كان علجا من أهل فارس إسكافا اسمه سبيخت بن ذكر، قطع البحر من توج إلى حضرموت، وللفرزدق شعر في ذلك قاله في حق عبد الرحمن حين خالف عبد الملك بن مروان. كما زعم أن وردة بنت معد يكره عمه الأشعث كانت عند رجل من اليهود، فماتت ولم تحلف ولدا، فأبى الأشعث عمر بن الخطاب يطلب ميراثها، فقال له عمر: لا ميراث لأهل ملتين. جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص197.

² ويذكر أهل الأخبار أن أول من مشت الرجال معه، وهو راكب، الأشعث بن قيس الكندي. كانت بنو عمرو بن معاوية ملكوه عليهم وتوجهوا. القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج1، ص473. جواد علي، المرجع السابق، ج9، ص211.

³ راجع ما قاله الأشعث لما اقترح علي أن يمثله في التحكيم ابن عباس: والله لا يحكم فينا مضرّيان. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص391. زهير الهواري، المرجع السابق، ص241. 242.

الكندي، وأمره أن يوافيه به بصفين، فوافاه بما وقد صار علي إليها أو قبل ذلك. وقوم يقولون: إن عثمان ولى الأشعث أذربيجان فأقره علي عليها يسيرا ثم عزله عنها وولاه حلوان ونواحيها، فكتب إليه في القدوم، فقدم الكوفة من حلوان، فحاسبه علي ما لها وما لأذربيجان، فغضب الأشعث وكتب معاوية¹. فلم يكن الأشعث يعب على عثمان تهميشه إياه وإنما قد يكون عتبه للسياسة التي انتهجها عثمان وأفضت الى تغول قرشي مس مفاصل الحياة السياسية ومتعلقاتها، وكان يرى في علي الصوت الأقوى الذي بإمكانه أن يعيد التوازن ويفتح الباب أمام القوى المهمشة؛ خاصة القوى اليمنية في الكوفة تحديدا التي كان الأشعث يمثلها الأبرز. ان الانطباع الذي تركه لدينا جملة الروايات التي عرضت للأشعث في محطات تاريخه المختلفة بعد حروب الردة يتلخص في أنه ظل في اعماقه قائدا عربيا يمينا معتزا بأجداد قبيلته الملوكية، راغبا في ألا يكشف اشعاع التقدم المضري المتحقق بالإسلام شمس اليمن العريقة. وأن انخيازه الى علي تم بناء على الحسابات السياسية أكثر مما هو اعجاب بشخص علي في ذاته. لقد رسم انفصال الخوارج عن علي بعض الخطوط الباهتة في تشكيل التشيع وستعمل الأحداث التي لحقت على تنقية أكثر فرزا للصف الشيعي باتجاه ابراز الفئات التي كان ارتباطها بعلي يفوق أي حسابات ومصالح دنيوية لأنه ارتباط الحب والاعجاب والتقدير للقيمة الشخصية والسياسة النزيهة والتمثيل النموذجي لقيم الإسلام.

وفي حروراء اجتمع الناقمون على علي عازمين على مقاطعته واعتزال صفه، وقد وصلتنا روايات كثيرة عن الأمور التي تحفظوا فيها على علي والشعارات التي رفعوها في وجهه، وبعضها قد يكون من صنع الاخباريين الا أن ما يجمعها هو رفضهم لمبدأ التحكيم لأنه يتضمن إقرارا خفيا بخطأ قتالهم لأهل الشام وذلك يعني أن الدماء التي سالت على أرض صفين لم تكن جهادا، ثم أن التحكيم يتضمن إقرارا بامتلاك معاوية لشرعية ما؛ وما كانوا ليقاتلوه لو لم يكن مفتت على الشرعية التي كان يمتلكها علي، مع ما في الهدنة التي دخل فيها الجيشان من اضعاف واضح لصف علي ونكوص بين عن الاستمرار في القتال طلبا للنصر أو الشهادة. وكان علي قد تنازل في صيغة التحكيم عن أمور كثيرة أضر تنازله فيها بشرعيته وهز الأركان التي بنى عليها قضيته، وقد جاءت مجريات قرار التحكيم كالتالي: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأمرنا، فقال الأحنف: لا تكتب إلا أمير المؤمنين، فقال علي: امح أمير المؤمنين واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة الحديدية حين امتنع أهل مكة هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص297. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص78. ان التواصل بين معاوية والأشعث الكندي يؤكد بعض الروايات منها: أن معاوية لما بوع وبلغه قتال علي أهل النهروان، كاتب وجوه من معه مثل الأشعث بن قيس وغيره، ووعدهم ومناهم وبذل لهم حتى مالوا إليه وتناقلوا عن المسير مع علي عليه السلام فكان يقول فلا يلتفت إلى قوله ويدعو فلا يسمع لدعوته، فكان معاوية يقول: لقد حاربت عليا بعد صفين بغير جيش ولا عناء أو قال: ولا عتاد. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص383.

عبد الله، فكتب الكاتب: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا نزل عند حكم الله وكتابه ونحبي ما أحبي الله، ونميت ما أمات الله فما وجد الحكمان في كتاب الله - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص -، عملا به وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة¹. وكان فيما قالوا: جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا تحكم إلا الله عز وجل. دعوتنا إلى كتاب الله عز وجل فأجبنك حتى قتلنا وقتلنا بالجمل وصفين ثم شككت في أمرك وحكمت عدوك فنحن على أمرك الذي تركت وأنت على غيره ولا نرجع إلا أن تتوب وتشهد على نفسك بالضلالة². وخلاف ما يشيع في بعض الأخبار من أنهم ضغطوا على علي في البداية لأجل إيقاف القتال ثم عادوا ورفضوا التحكيم؛ فان من المعقول أن نرى ان النواة الصلبة للقراء الذين صاروا فيما بعد خوارج كانت رافضة منذ البداية إيقاف القتال، وأن أطرافا أخرى وافقت الأشعث على الكف عن القتال ثم انضمت الى الخوارج؛ وهي التي كان يقصدها علي لما قال: قد أردتكم على ذلك . يعني الاستمرار في القتال . فعصيتموني . وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشروطا، وأعطينا عليها عهدنا وموآثيقنا، وقد قال الله تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ مَا تَفْعَلُونَ } [النحل: 91]³. وجرت بينهما مناظرات ومفاوضات، وبعث إليهم في احدى المرات عبد الله بن عباس لينظرهم، ثم لم يلبث حتى لحق به لكي يحاورهم بنفسه ويسمع من قادتهم بيان موقفهم. واستطاع بعد جدال طويل ان يعيدهم الى الكوفة على وعد لهم بأنه سيستأنف القتال: فدخلوا من عند آخرهم وبايعوه على إعادة حرب القوم وقالوا: نجى الخراج ونسمن الكراع ثم نسير إليهم⁴. وفي روايات أخرى انه استطاع أن يعيد معه ثلثهم فيما بقي الثلث الآخر على موقفهم. وهذه الرواية أكثر معقولة لأن الذين رفضوا التحكيم استمروا على رفضهم له لما استمر علي على وعده بإجرائه⁵ أما الذين عادوا فهم الذين كانوا مع إيقاف القتال بداية ثم داخلهم الشك بفعل تأثير الفئة المتشددة من القراء فلما حاورهم علي تابوا الى رشدهم. وبقي من بقي منهم على تشددهم مطورين رفضا شاملا ومفاصلة تامة مع كل الأطراف.

¹ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص307.

² المطهر بن طاهر المقدسي، المصدر السابق، ج5، ص223.

³ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص556.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص349. جاء لدى الطبري رواية تغمز عليا بأنه استمال أحد قادة الخوارج بتنصيبه واليا على أصبهان كي يضمن تخليه عن الخروج. والنص كالتالي: بعث علي زياد بن النضر إليهم فقال: انظر بأي رءوسهم هم أشد إطفاء، فنظر فأخبره أنه لم يرههم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس فخرج علي في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فسظاط يزيد بن قيس، فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين، وأمره على أصبهان والري. الطبري، التاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج5، ص65.

⁵ أبو العباس بن المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص155.

أرادت بعض المصادر أن ترجع هذا الموقف المتشنج الى جذور قبلية فنسبتهم الى أعراب تميم وبكر¹. مع ما في هذه الصفة من لمز خفي يحيل الى وصف القرآن للأعراب الذي ينطوي على نقد وتشكيك بالإيمان: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: 14]. لكن التفسير الأكثر رجحانا لوفرة بني تميم وبني بكر في جملة الخوارج هو أن غالبية العناصر اليمنية التي كانت ضمن الخوارج اخذت قرارها بالعودة الى الموقف اليمني الكوفي التقليدي المساند لعلي فلم يبق منهم في صف الخوارج الا أقلية أهمهم: عبد الله بن وهب الراسبي الذي سيصير قائدا للحركة².

. المواجهة بين علي والخوارج في موقعة النهروان:

استمر القراء الذين عارضوا التحكيم على موقفهم الراض لأبي مساومة في الأمر رغم المحاولات التي بذلها علي ليعيدهم الى صفه، وبدلا من ذلك مضوا في جنبات الكوفة يشنعون على علي تراخيه في مناهضة عدوهم واستسلامه للأشعث الكندي وأصحابه. وراحوا يصفون المبادرة برمتها على أنها ذنب وخطيئة تستوجب التوبة والتكفير. ولم يكن بقاؤهم في الكوفة الا ترقبا لما سينتهي اليه موقف علي الأخير من التحكيم، لأن أملهم في أن يراجع عليا نفسه قبل الاقدام الرسمي على التحكيم ظل قائما حتى النهاية. ولما اعترز علي أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه زرعة بن البرح الطائي وحرقوق بن زهير السعدي من الخوارج وقالوا له: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم، وقال علي: قد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وعاهدناهم، فقال حرقوق: ذلك ذنب تنبغي التوبة منه، فقال علي: ليس بذنب ولكنه عجز من الرأي، فقال زرعة: لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلناك أطلب وجه الله، فقال علي: بؤسا لك كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح، قال: وددت لو كان ذلك. وخرجا من عنده يناديان لا حكم إلا لله³. وبذلك تحققت القطيعة التامة بين الطرفين. فلقيت الخوارج بعضها بعضا، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فو الله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينيبون إلى حكم القرآن، أن تكون هذه الدنيا، التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار، أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق، وإن من ضرر فإنه

¹ وقدم معن بن يزيد بن الأحنس بن حبيب السلمي على علي من قبل معاوية يستبطنه في الحكومة، وقال: إن معاوية قد وفي ففه أنت ولا يلفتك عن رأيك أعراب تميم وبكر. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص350.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص74. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص404. الدينوري، المصدر السابق، ص202. لطيفة البكاي، المرجع السابق، ص33.

³ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص685. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص637.

من يمن ويضر في هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل والخلود في جناته فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة¹. وهذا هو المنعطف المفصلي الذي تحولت فيه هذه الفئة من القراء إلى ما صاروا لاحقاً يعرفون بالخوارج، وعزموا على ان ينفصوا عن جمهور الناس بوصفهم جماعة المسلمين القائمة على الحق. والواقع أن موقفهم هذا يعتبر من بين المحطات الهامة التي سترمي بثقلها على ما سيأتي من أحداث في مستقبل الأمة؛ بعد مقتل عثمان ومعركة الجمل وصفين؛ فمقتل عثمان يعتبر أول سابقة في تاريخ الإسلام؛ حيث يغتال الخليفة بسيف عربية مسلمة، وموقعنا الجمل وصفين نتيجة لاحقة للاغتيال وشكل أكثر تطوراً وتعقيداً من الاقتتال البيني، لكن الأمور كانت تعالج تحت مظلة الإسلام؛ والافتراض الأساسي الذي كان تتحرك به جميع الأطراف المتخاصمة سياسياً هو ان الجميع مسلمين؛ وبالتالي فإن إعادة تقويم الآخرين عقدياً لم تكن واردة. لكن مع ظهور الخوارج اتخذت الأمور منحى جديداً؛ بحيث صارت التوصيفات العقدية المستخلصة من القرآن توصيفات سياسية. وفرض المنطق الخارجي نفسه على مخالفه بحيث اضطر علي وابن عباس في مناظرتهما للفصيل المنشق إلى توظيف ذات التوصيفات لكن بتأويلات مغايرة.

لم يكن انفصال الخوارج مجرد انشقاق سياسي وعسكري موجه ضد علي بالنظر إلى اختلافهم معه. لكنه كان انفصالياً تاماً عن جمهور الأمة بوصفه جمهوراً منحرفاً عن جادة الإسلام القويم. ولذلك فقد بادروا إلى إعادة تنظيم أنفسهم ونصبوا عليهم أميراً، فعرضوا الامارة على زئد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على خرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله ابن وهب، فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال - وكان يقال له ذو الثفنتان - ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق². فيما أنهم ميزوا أنفسهم بوصفهم المؤمنين عمن خالفهم فقد أرادوا استعادة سيرة النبي ونضاله ضد قريش وأخذوا يفكرون في الهجرة إلى حيث يقيمون أوامر الله وتداولوا بهذا الشأن: قال شريح: نخرج إلى المدائن فنزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص74. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص362. أورد البلاذري محاورة هامة جرت بين علي وبينهم في الكوفة قبل خروجهم الأخير نحو النهروان تكشف عن وجهة نظرهم في الأحداث: المدائني في إسناده قال: لما دخل المحكمة الكوفة، ونزلوا خوزراء وذهب عنهم كلال السفر، مشيت عصابة منهم إلى علي فقالوا: علام كنا نقاتل يوم الجمل. قال: على الحق. قالوا: فأهل البصرة. قال: على النكت والبيغي. قالوا: فأهل الشام. قال: هم وأهل البصرة سواء. قالوا: فلم أحبب معاوية على وضع الحرب. قال: خالفتموني وخفت الفتنة. قالوا: فعد إلى أمرك. قال: قد أعطيتهم ميثاقاً إلى مدة فلا يحل قتالهم حتى تنقضي المدة، وقد أخذنا على الحكمين أن يحكما بكتاب الله، فإن حكما به فأتنا أولى الخلق بالأمر. فقالوا: إن معاوية يدعي مثل الذي تدعي. ففارقوه. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص356. 357.

² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، ص359. 360. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص75.

فَقَالَ زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ: إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مَجْتَمِعِينَ اتَّبَعْتُمْ، وَلَكِنْ أَخْرَجُوا وَحَدَانَا مُسْتَخْفِينَ، فَأَمَّا الْمَدَائِنُ فَإِنْ بِهَا مِنْ مَنَعِكُمْ، وَلَكِنْ سِيرُوا حَتَّى تَنْزِلُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ، وَتَكَاتِبُوا إِخْوَانَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالُوا: هَذَا الرَّأْيُ¹. فَلَمَّا عَزَمُوا عَلَى الْمَسِيرِ تَعَبَدُوا لَيْلَتَهُمْ - وَكَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ - وَسَارُوا يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ شَرِيحُ بْنُ أَوْفَى صَلَاةَ الْغَدَاةِ وَهُوَ يَتْلُو «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا» (75/ النساء: 4) فَخَرَجَ قَوْمَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ لِيَمْنَعُوهُ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَعْزُضُ لِي أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْفَذْتُ رَمْحِي فِيهِ. فَقَالُوا: بَعْدَكَ اللَّهُ إِنَّمَا أَشْفَقْنَا عَلَيْكَ. وَخَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ وَهُوَ يَقْرَأُ «فَاخْرُجْ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، قَالَ: رَبِّ بَخِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (21/ القصص) فَلَمَّا عَبَرَ الْفِرَاتَ قَرَأَ «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ: عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» (22/ القصص) ثُمَّ تَتَابَعُوا يَخْرُجُونَ، وَخَرَجَ الْقَعْقَاعُ بْنُ نَفْرِ الطَّائِي فَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ أَخُوهُ حَكَمُ بْنُ نَفْرِ بِرِجَالٍ فَحَبَسُوهُ. وَخَرَجَ عَتْرِيسُ بْنُ عَرْقُوبِ الشَّيْبَانِيِّ، وَخَرَجَ فِي طَلْبِهِ صَيْفِيُّ بْنُ فُشَيْلِ الشَّيْبَانِيِّ ابْنَ عَمِّهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ لِيُرِدُوهُ، فَفَاتَهُمْ. وَخَرَجَ زَيْدُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ فَاتْبَعَهُ أَبُوهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ فَفَاتَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَانصَرَفَ عَدِيُّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ جَبْرِهِمْ. وَأَرَادَ كَعْبُ بْنُ عَمِيرَةَ أَنْ يَخْرُجَ فَاشْتَرَى فَرَسًا وَسِلَاحًا لَكِنْ أَهْلَهُ أَخَذُوهُ وَحَبَسُوهُ². وَخَرَجَ آخَرُونَ كَثْرًا.

وفي هذا الصدد تتعدد الروايات التي تصف خروجهم وتذهب بعضها إلى أن علي بعث إليهم: أن سيروا إلى حيث شئتم ولا تفسدوا في الأرض فإني غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثاً³. وقد خرجوا في السر والعلن والتحق بهم عبد الله بن وهب الراسبي متجهين إلى النهروان مروراً بالمدائن. أما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل⁴، وجعلوا عليهم مسعر ابن فدكي التميمي، فعلم بهم ابن عباس، فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي، فلحقهم بالجسر الأكبر، فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل، وأدلى مسعر بأصحابه، وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني، فمر ببهرسير وعليها عدي بن الحرث الشيباني فخرج إليهم ليمنعهم فضربه أشرس بن عوف الشيباني؛ فطعنه وقال: خذها إليك من ابن عم لك مفارق، لولا نصره الحق كان بك ظنيماً. وساروا حتى لحقوا بعبد الله بن وهب بالنهر⁵. والواقع أننا لا ندري على وجه اليقين الفترة المحددة التي تمت فيها هذه الحركة لأن الروايات التي تعرضها المصادر غير دقيقة. لكن الذي يفهم منها أن ما حدث كان يجري في الوقت الذي كانت عملية التحكيم جارية ولم يكن علي قد عرف بحصيلتها بعد. أما ما الذي حدث في المسافة بين

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص75. أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص204.

² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، صص364-365. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص75.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، صص364.

⁴ في رواية عند البلاذري أنهم كانوا ثلاثمائة رجل. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، صص361.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص77. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، صص361.

خروجهم من الكوفة والبصرة ووصولهم الى النهروان فإننا لا نعثر الا على سرد لبعض الانتهاكات التي تقول الروايات أنها صدرت عن بعضهم. ورغم حالة الاجماع الحاصلة في المصادر بخصوصها الا انها لا تخلو من اضطرابات؛ خاصة حادثة مقتل عبد الله بن خباب ابن الصحابي خباب بن الأرت. وهي حادثة موصوفة بتفاصيل بشعة مشبعة بالعدمية والعنف غير المبرر، وهي الى ذلك غير مفهومة. ثم أنها عرضت في المصادر بطرق مختلفة. وقد رواها ابن سعد في طبقاته عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال: دخلوا قرية فخرج عليهم عبد الله بن خباب مدعورا. قالوا: لن تراع. قال: والله لقد رعتموني. قالوا: نعم. قال: والله لقد رعتموني. قالوا: نعم. قال: نعم. قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحدثناه. قال: نعم. سمعت أبي يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي. قال: فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول. قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن عبد الله القتال. قالوا: أسمعنا هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله. قال: نعم. قال فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه. وبقروا أم ولده. فهذا استحل علي قتالهم¹. في حين ترد عند الطبري برواية ابي مخنف وعند ابن خلدون وغيرها بتفاصيل أخرى². ووصفوا في بعض المصادر بأنهم نشروا الرعب والهلع في أوساط المناطق التي كانوا يمرون بها وانهم كانوا يستعرضون الناس بمعنى أنهم كانوا يوقفونهم ويستخبرونهم عن آرائهم في التحكيم وخلافة الخلفاء الثلاثة الماضين؛ وكان القتل جزءا من يخالفهم القناعة. وهو نشاط غير مفهوم وحركة تقلق المؤرخ اليقظ؛ لأن عملية التأريخ تتم بواسطة قراءة الأحداث التاريخية ضمن سياقات معقولة، ومهمة المؤرخ استعادة تلك الصياغات وإعادة ترميمها، والمعقولة في سلوك الجماعات الخارجية هنا تكاد تكون مفقودة. فبين انتفاضتهم على علي لأنه خالف أوامر الله بتحكيمه

¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص190. يتفق ابن كثير مع رواية ابن سعد. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص318.

² يرويها الطبري الكتالي: عن حميد بن هلال: إن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه فتهددوه وأزعوه، وقالوا له: من أنت. قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله، ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض - وكان سقط عنه لما أزعوه - فقالوا له: أفرعناك. قال: نعم، قالوا له: لا روع عليك. فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي، لعل الله ينفعنا به قال: حدثني أبي، عن رسول الله ص، أن فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسى فيها مؤمنا ويصبح فيها كافرا، ويصبح فيها كافرا ويمسى فيها مؤمنا، فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر. فأثنى عليهما خيرا، قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها. قال: إنه كان محقا في أولها وفي آخرها، قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده. قال: إنه أعلم بالله منك، وأشد توفيقا على دينه، وأنفذ بصيرة فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لتقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا، فأخذوه فكفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبل ممت حتى نزلوا تحت نخل موارق، فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فحذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حلها، وبغير ثمن. فلفظها وألقاها من فمه، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينا، فمر به خنزير لأهل الذمة فضره بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فأثنى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره، فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علي منكم بأس، إني لمسلم، ما أحدثت في الإسلام حدثا، ولقد أمنتهموني، قلت: لا روع عليك. فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إني إنما أنا امرأة، ألا تتقون الله. فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أم سنان الصيداوية. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص81. لكن ابن خلدون يعرض الحوار بين الخوارج وعبد الله بصيغة مختصرة: لقوا عبد الله بن خباب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهروان فعرفهم بنفسه، فسألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى خيرا، ثم عن عثمان في أول خلافته وأخرها فقال: كان محقا في الأول والآخر، فسألوه عن علي قبل التحكيم وبعده، فقال: هو أعلم بالله وأشد توفيقا على دينه، فقالوا: إنك توالي الرجال على أسمائهم، ثم ذبحوه وبقروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص639. BERNNAED LEWIS, ibid, p 85.

الرجال وبين القتل العبي الذي وصفوا به بون شاسع وتحول شبه هستيري؛ لذلك يجب ألا تصدنا شهرة هذه الأخبار واستفاضتها عن مهمة نقدتها ومحاولة العثور على مقارنة تكون أكثر موضوعية؛ خاصة وان ما يبدو استفاضة وشبه اجماعا ليس الا نقلا وتكرار عن مصادر واحدة وأغلبها متوفر عند الطبري والبلاذري في انسابه.

أما علي فقد مكث في الكوفة آملا في أن تجيء مباحثات التحكيم الى صالحه وأن يخرج الحكمان بصيغة تثبت شرعيته من غير حاجة الى مزيد من الدماء¹، لكن الأمور ازدادت سوء بعد التحكيم، وقد أسأل المؤرخون حبرا كثيرا حول تفاصيل ما جرى فيه؛ فكان من بين ما شيع أن عمرو بن العاص استحمق أبا موسى الأشعري وخدعه بأن ثبت معاوية وخلع عليا في حين أن أبا موسى خلع عليا ولم يثبت أحدا؛ كأن امرا يمثل تلك الأهمية يمكن أن يحسم فيه بمجرد التلاعب بالألفاظ. ولا ندري على وجه التأكيد ما جرى في التحكيم لأن الأحداث التي تلت آثارا لغطا كبيرا حوله وصيرته اخبارا مختلفة باختلاف الأطراف المشاركة فيه. ولعل الأقرب للصواب أن الحكمين لم يصلوا الى قرار مناسب، أي أنهما لم يتفاهما ولم يتفقا، أو أنهما اتفقا في مداواتهما السرية على خلع علي ومعاوية وارجاع الأمر الى الشورى العامة، وأن عمرو لم يلتزم في العلن بذلك؛ خاصة مع إصرار عمرو بن العاص أن يكون معاوية هو مرشحه الوحيد والثابت؛ في حين كان أبو موسى الأشعري يقترح أسماء بديلة مثل عبد الله بن عمر؛ ميزتهم أنهم كانوا معتزلين الفتنة². والمصلحة العامة لما جرى راحت تصب في مصلحة معاوية السياسية حيث وضعت على قدم المساواة مع علي وصيرت النزاع أشبه بخلاف شخصي بين رجلين يملكان نفس القدر والأحقية في الخلافة، إضافة الى أن اقتران اسم معاوية في المباحثات السرية والعلنية مع علي له دلالة المعنوية؛ إذ بدلا من ايراده كمنشق متمرد عن بيعة شرعية وملاحق بتهمة الانفصال؛ تحول الى مرشح هام لتولية الخلافة. لذلك اعتبر أهل الشام أن نتيجة التحكيم تصب في مصلحتهم وتدعم موقفهم وتقرهم خطوات نحو هدفهم.

أخذت الأمور في معسكر علي تزداد تعقيدا وتشويشا؛ وكأنما كل خطوة في المسار الذي خطاه بعد حرب صفين كانت انزلاق نحو الفشل والخيبة، وجعلت التيار الداعي الى الحكيم في صفوف علي في موقف لا يحسد عليه، كما أنها أعطت للفصيل الخارجي مزيد من المسوغات للموقف الذي اتخذه فيما يخص واقعة التحكيم وما يخص تكفيره لأهل الشام وبراءته منهم؛ والذي سيمضي في درب القطيعة والمفاصلة الى حد تكفير علي ومن يرى رأيه. وبالتالي فان المبادرة التي علقت عليها العناصر الحكيمة من الأمة آمالا كبيرة لتخليص دار الإسلام من

¹ عن عبد الله بن الحسن، قال: قال علي للحكمين: على أن تحكما بما في كتاب الله وكتاب الله كله لي، فان لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكومة لكما ابن ابي شيبة، المصدر السابق، ج7، ص549.

² راجع المناقشة المهمة لموضوع التحكيم عند: هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص219. 223. كذلك وجهة نظر عبد الحي شعبان في كتابه صدر الإسلام والدولة الأموية، المرجع السابق، ص87. 88. السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، ص322. 323. زهير الهواري، المرجع السابق، ص243. يوسف العث، الدولة الأموية، المرجع السابق، ص109. 111. وقد وصفه فلهوزن بالمهزلة أنظر يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص79.

الشتات والفرقة؛ تحولت الى مسمار صلب في نعش الوحدة والاجتماع، وبدلاً من أن تعيد الجميع الى خيمة الوفاق صارت مرجعاً تاريخياً تبريراً للأطراف المتنازعة، وقاعدة استندت اليها في تسويق دعاواها، إذ ان علياً رفض نيتها جملة وتفصيلاً وشككك في نزاهتها، أما معاوية فقد اتخذ منها مستنداً لشرعية جديدة كان يفتقدها ومنطلقاً جديداً في مشواره نحو الخلافة، في حين دفعت الخوارج بعيداً عن جماعة المسلمين لأنها لم تعد جماعة؛ وبما أن جسد الأمة انشق وافترتت اجزائه فلم يعد ثمة أي محذور شرعي في الخروج والانفصال.

أخذ علي في التأهب لحملة عسكرية هدفها استئناف القتال مع اهل الشام مجدداً وارغامهم على الطاعة، واتخذ في النخيلة¹ قاعدة عسكرية ومستقراً مؤقتاً لجيشه الذي لم يكن بالوفرة والا الاستعداد الذي كانا عليه في صفين. وتقول المصادر أنه واجه صعوبة في جمع المقاتلين وتحفيزهم، وان كثيراً من مناصريه لم يعودوا متحمسين لاستئناف القتل والقتال، وأنه كان يستعين في اقناعهم بخطبه البليغة التي يعمل من خلالها على توليد الحماس المنطقي واشعال الجذوة الخائية. والواقع أن كثيراً من المتمرسين بالسياسة والحرب ممن شاركوا في الفتوحات وغيرها كانوا يشعرون أن الرجل لم يكن محظوظاً، وأنه كان يستحق وضعاً أفضل من الأوضاع التي كان يجد نفسه فيها. فخلال معاوية الذي ظل يشعر في وجوده بالشام بين العصبية الشامية كأنه في بيته ووسط أهله عزيزاً مكرماً ومسموعاً؛ فان علي كان في العراق يجاهد من أجل استقطاب الأنصار حوله، وترقيع ائتلافه العسكري المهترئ وملمة القطاعات المتفتتة من جيشه. وقام في سبيل ذلك بمكاتبة الخوارج في النهروان: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على امير المؤمنين الى عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن الحصين ومن قبلهما، سلام عليكم، فان الرجلين اللذين ارتضيتهما للحكومة خالفاً كتاب الله، واتبعا هواهما بغير هدى من الله، فلما لم يعملوا بالسنة ولم يحكما بالقرآن تبرأنا من حكمهما، ونحن على امرنا الأول، فاقبلوا الى رحمكم الله، فانا سائرون الى عدونا وعدوكم، لنعود لمحاربتهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين². وهي محاولة شبه يائسة كانت استجابتهم لها في رسالة بعثوها اليه جاء فيها: أمّا بعد، فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين فلما قرأ كتابهم أيس منهم³، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم. وقام فخطب في من كان معه: أمّا بعد، فإنه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هلكه إلا أن يتداركه الله بنعمة،

¹ النخيلة: تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص278.

² الدينوري، المصدر السابق، ص206. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص77. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص688. سبط ابن جوزي، المصدر السابق، ج6، ص311.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص78.

فاتقوا الله، وقاتلوا من حاد الله، وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين الضالين، القاسطين المجرمين، الَّذِينَ لَيْسُوا بِقُرَّاءَ لِلْقُرْآنِ، وَلَا فُقَهَاءَ فِي الدِّينِ، وَلَا عُلَمَاءَ فِي التَّوْبِيلِ، وَلَا لِهَذَا الْأَمْرِ بِأَهْلٍ سَابِقَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَاللَّهِ لَوْ وَلُوا عَلَيْنَاكُمْ لَعَمَلُوا فِيكُمْ بِأَعْمَالِ كَسْرَى وَهَرَقْلَ، تَيْسَرُوا وَتَهَيَّئُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِيَقْدَمُوا عَلَيْنَاكُمْ، فَإِذَا قَدِمُوا فَاجْتَمَعْتُمْ شَخْصَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وكتب الى ابن عباس يستنفره فلم يجد من أهل البصرة حماسا للقتال، ولم يخرج معه سوى ثلاثة آلاف ومائتا رجل، فلما رأى علي تخلفهم عن الالتحاق به جمع إليهم رؤوس أهل الكوفة، ورؤوس الأسباع، ورؤوس القبائل، ووجوه الناس. فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ إِخْوَانِي وَأَنْصَارِي، وَأَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ، وَصَحَابَتِي عَلَى جِهَادِ عَدُوِّي الْمُخْلِينَ بِكُمْ، أَضْرِبِ الْمَدْبِرَ، وَأَرْجُو تَمَامَ طَاعَةِ الْمُقْبِلِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَاسْتَنْفَرْتَهُمْ إِلَيْكُمْ، فَلَمْ يَأْتِنِي مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَمِائَتَا رَجُلٍ، فَأَعِينُونِي بِمَنْصَحَةِ جَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغَشِّ، وَإِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ يَكْتُبَ لِي رَئِيسُ كُلِّ قَوْمٍ مَا فِي عَشِيرَتِهِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَأَبْنَاءِ الْمُقَاتِلَةِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْقِتَالَ وَعَبْدَانُ عَشِيرَتِهِ وَمَوَالِيَهُمْ، ثُمَّ يَرْفَعُ ذَلِكَ الْيَنَا. وقد استجاب لدعوته شيعته من الأشراف ورؤوس القبائل ووجوه الناس واستطاعوا بعد جهد جهيد أن يجمعوا أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفا من الأبناء ممن أدرك، وثمانية آلاف من مواليتهم وعبيدهم، وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا مِنْ عِنْدِنَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَأَبْنَاءِ الْمُقَاتِلَةِ مِمَّنْ قَدْ بَلَغَ الْحُلْمَ، وَأَطَاقَ الْقِتَالَ، فَقَدْ رَفَعْنَا إِلَيْكَ مِنْهُمْ ذَوِي الْقُوَّةِ وَالْجَلْدِ، وَأَمْرَانَهُمُ بِالْشَخْصِ مَعَنَا، وَمِنْهُمْ ضَعْفَاءٌ، وَهُمْ فِي ضِيَاعِنَا وَأَشْيَاءٌ مِمَّا يَصْلِحُنَا وَكَانَتِ الْعَرَبُ سَبْعَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَمِنْ مَوَالِيَهُمْ وَمَمَالِيكِهِمْ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ، وَكَانَ جَمِيعُ أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَلْفًا، وَثَلَاثَةَ آلَافٍ وَمِائَتِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ وَسِتِّينَ أَلْفًا وَمِائَتِي رَجُلًا¹. ولما عزم على المسير الى مقاتلة أهل الشام بلغته أخبار الانتهاكات التي صدرت عن الخوارج فأرسل إليهم احد أعوانه يستكشف خبرهم فقتلوه. فقال له أصحابه: كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا إنما نقدّم أمرهم على الشام، وقام الأشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم عليّ وسار إليهم، وبعث من يقول لهم ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم فنكف عنكم حتى نرجع من قتال العرب لعل الله يرُدّكم إلى خير، فقالوا: كلنا قتلهم وكلنا مستحل دمائكم ودماءهم، ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم وأبو أيوب الأنصاري كذلك². لم يخرج علي اليهم بكامل الجيش الذي جمعه لأن الروايات تؤكد على أن عدد من كانوا معه في موقعة النهروان لا يتجاوزون اربع عشرة ألف مقاتل فلم يزل يعظهم ويدعهم فلما لم ير عندهم انقيادًا فعبا الناس؛ فجعل عليّ

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، صص 78. 80.

² الطبري، المصدر نفسه، ج5، صص 83. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، صص 133. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، صص 692. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، صص 316. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، صص 319. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، صص 639.

ميمنته حجر بن عدي الكندي وعلى ميسرته شَبَث بن رَئِيٍّ وعلي الخليل أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وعلى الرجال أبا قتادة الأنصاري وعلى أهل المدينة وهم سبعمائة أو ثمان مائة قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري. ثُمَّ بسط لهم علي الأمان ودعاهم إلى الطاعة¹. وفي هذه اللحظة الحرجة انكشفت التركيبة المشتملة التي كان عليها مجموع الخوارج وكان عددهم قد تجاوز أربعة آلاف²؛ لأن كثيرا من الذين خرجوا من الكوفة والبصرة ملتحقين بالنواة الخارجية الأصلية لم يكونوا على نفس القدر من النزعة العقائدية المتشددة ولا نفس الرؤيا، ولعل بعضهم كان مدفوعا بالحيرة والاشتباه وغموض مآلات الصراع الحادث بين علي ومعاوية، وانسداد الأفق التاريخي. فالمنخاض المتردد والمضطرب في الكوفة بعد صفين كان يفاقم من حالة الاهتزاز والارتباك والتوتر، وفي هذا الحال تصير الفئات الهامشية وأشباهاها عرضة للاستقطاب والتحول في المواقف. وهذه ما حدث. فَقَالَ فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما ندري على ما نقاتل عليا. فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنجين³ والدسكرة. وخرجت طائفة منهم أخرى متفرقين إلى الكوفة، وأتى مسعر بن فدكي التميمي راية أبي أيوب الأنصاري في ألف، واعتزل عبد الله بن الحوساء في ثلاثمائة وخرج إلى علي منهم ثلاثمائة فأقاموا معه، وكانوا أربعة آلاف فارس ومعهم خلق من الرجال. واعتزل حوثة بن وداع في ثلاثمائة، واعتزل أبو مريم السعدي في مئتين، واعتزل غيرهم، حتى صار مع ابن وهب الراسي ألف وثمان مائة فارس، ورجالة يقال: إنهم ألف وخمسمائة. وداخل الشك عناصر أخرى بحيث أنه لما صرخ فيهم جمرة بن سنان الخارجي: روحوا إلى الجنة؛ علق ابن وهب قائلا: والله ما ندري أنروح إلى الجنة أم إلى النار⁴. ثم قامت معركة حامية رمى فيها الخوارج بكامل ثقلهم وهم يصيحون: الروح إلى الجنة معاشر المختبين وأصحاب البرانس المصلين. فشدوا على أصحاب علي شدة واحدة، فانفرت خيل علي فرقين: فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة. وأقبلوا نحو الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل. لكنهم لم يستطيعوا تحقيق الانتصار نظرا لقلّة عددهم وطبيعة حركتهم المتعجّلة. فقتل زيد بن حصين الطائي وعبد الله بن وهب الراسي وحرقوص بن زهير السعدي وعبد الله بن شجرة السلمي وجمرة بن سنان الأسدي وغيرهم ولم يبق منهم عدا نفر قلائل وفي رواية أربعمائة وجددهم علي وفيهم رمق فأم أصحابه بحملهم إلى أهاليهم في الكوفة لمداوتهم. ورد الرقيق على أهله حين

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص371.

² المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص138.

³ البندنجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص499.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص372. المبرد، الكامل في اللغة، المصدر السابق، ج3، ص138. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص695. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص637. يوليوس فلهوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الشيعة والخوارج، ت عبد الرحمن بدوي، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958م، ص ص40 . 41. محمد محمود عبد اللطيف أبو قحف، قصة الخلافة: نشأة الخوارج وتطور فرقهم ومذاهبهم حتى العصر الحديث، د ط، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، 2006م، ص ص137 . 140.

قدم الكوفة وقسم الكراع والسلاح وما قوتل به بين أصحابه. وكان مقتل أهل التَّهْرَوَانَ لتسع خلون من صفر سنة 38هـ الموافق لـ 17 جويلية 658م¹.

لقد حملت جل المصادر التاريخية الفصيل الخارجي مسؤولية قدر تاريخي لم يصنعه ولا يتحمل مسؤوليته، وحالة الاتفاق بين اهل السنة والشيعة في اداة الخوارج وتجريمهم صنعت ما يشبه الاجماع داخل الثقافة الإسلامية على ضلالهم وانحرافهم وشرودهم عن الصراط القويم؛ كأن الأمة قبل خروجهم كانت مجتمعة ومتمحدة، وكان السيوف المسلمة لم تسلم على بعضها في دار عثمان وفي الجمل وفي صفين، وكان المراوغة والمكيدة لم تكن حاضرة في مداولات التحكيم. لقد كانت مشكلة الخوارج منذ البداية تكمن في حماسهم للقرآن وتسليمهم بحرفيته؛ وفي ادماخهم على تلاوته وتعمق معانيه، لأن النصوص المقدسة حاضنة للمثل والمعايير التي يراد بها تصويب الواقع؛ لكنها تظل غير الواقع، وتظل المجتمعات الإنسانية تعيش قصورا نسبيا في تطابقها مع قيمها المقدسة. لكن القراءة تماهوا مع مضمونات النص وتوجيهاتها وراحوا يقرؤون الواقع بناء عليه، ومن ثمة كلما تعمقوا في القرآن كلما بدا الواقع شاردا منحرفا²، وفي كل مرة يستعيدون آيات الذكر الحكيم يواجههم تقرير الله لمن يتخاذل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71]، {لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104]، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: 110]، {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص372 . 375. زهير الهواري، المرجع السابق، ص339. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص114 . 116. فلهاوزن، أحزاب المعارضة، المصدر السابق، ص41. إبراهيم بيضون، من دولة عمر الى دولة عبد الملك، المرجع السابق، ص134. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص232.

² اجزت لنفسي نقل النص التالي رغم طوله نظرا لأهميته في الكشف عن الحياة الدينية التي كان يجيهاها القراء: لما قدم عبد الله بن عامر أميرا على البصرة قال: يا أهل البصرة اكتبوا لي من كل خمسة رجلا من القراء أشاورهم، في أمري وأطلعهم على سري وأستعين بهم على ما ولائي الله عز وجل، قال: فكتب له زياد بن مطر العدوي، وكان قد بلي حتى ذهب بصره وكتب له غزوان بن بني رقاش، وكان قد حلف أن لا يضحك حتى يعلم حيث يصيره الله عز وجل قال: قال الحسن: والله ما ضحك حتى لحق بالله، وكتب له جابر بن أشتري من غطفان، قال عبد الله: قال أبي غير حسين قال: أشتري بن جابر، وكتب له عامر بن عبد قيس العنبري، وكتب له النعمان بن شوال العبدوي، فلما دخلوا عليه قال: أتمم القراء قد أمرت لكم بألفين ألفين وكذا وكذا جريب. فأجابه النعمان بن شوال، وكان من أسن القوم وخلوه والجواب، وكان قد ولوه أمرهم فقال له: أيها الأمير أنا خاصة أم لأهل البصرة عامة. قال: بل لكم خاصة ولا يسع هذا المال أهل البصرة قال: فتقول ما نقول صدقة فإن كان صدقة فلا يدخل لنا بطونا ولا يعلو لنا جلودا وإنما يأخذ العامل ثمن عمله وإنما نعمل لرنا عز وجل فلا حاجة لنا فيما عندك، فقال له ابن عامر: ألا أراك طعانا، اخرج من عندي قال: أما إنك ما عهدتني للأمراء زوارا قال: ثم أقبل إلى عامر فقال: قد أمرت لك بألفين وكذا وكذا جريب قال: انظر المكاتبين الذين هم على أبواب المسجد هم أفقر إليها مني قال: إني قد أمرت أن لا تحجب لي عن باب قال: عليك بسعيد بن قرحي هو أغشى للأمراء مني قال: انظر أي امرأة شفت بالبصرة أزوجكها، ولم يكن تزوج قط قال: أيها الأمير أرايت الرجل إذا كان له امرأة وولد يشغل ذلك قلبه. قال: نعم قال: فلا حاجة لي فيه، أجعل همها واحدا حتى ألقى ربي عز وجل. أحمد بن حنبل، الزهد، خدمة محمد عبد السلام شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران: 113، 114]. ولمن يفضل الدنيا على الآخرة؛ {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: 74]، {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: 111]، {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } [النساء: 75].

والآيات صريحة في الجمع بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقتال في سبيل الله والمستضعفين والخروج من القرى الظالمة وبين الإيمان واستحقاق الجنة. لذلك لما قاتلوا الى جنب علي كانوا مدفوعين بقناعتهم انه كان الخليفة الشرعي صاحب الحق وان معاوية ومن ماله أصحاب بغي يقاتلون على الباطل؛ وليس للحق أن يخضع للباطل، وليس من طريق الا القتال حتى يفضي اما الى النصر او الاستشهاد. ونظرا لهمتهم وحماستهم في مجابهة اهل الشام كان علي يضعهم في كتيبة خاصة منفردة بمعزل عن قبائلهم. هؤلاء هم الذين رفضوا إيقاف الحرب، كما رفضوا التحكيم منذ البداية وشنوا عليه وعلى دعائه حملة مضادة تأسست بياناتها على آي القرآن. ورأوا في النكوص عن القتال مخالفة للأمر الإلهي، وفيما كانت المحكمة ترى ان التحكيم صلح بمقتضى الآية: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الحجرات: 9]. كان الخوارج يرون فيه فرار وخذلانا لأن معاوية ومن معه لم يعودوا مؤمنين. والواقع أن قناعة علي . بعيدا عن تكفير أهل الشام¹. كانت مع الاستمرار في القتال وهي لا تختلف عن قناعة الخوارج، لكن الذي فرق بينهما هو انه كان مضطرا للخضوع للضغط الذي واجهته به الأطراف المؤيدة للتحكيم في جيشه؛ وكانت أكثرية؛ فاستسلم للأمر الواقع حفظا لتماسك الجيش. في حين لم يكن يبدو على الخوارج أي نية في الاعتراف بأحكام الواقع ومقتضيات السياسية. وقد لمس عليا منهم هذا الجانب وأكبره فيهم وكان كثيرا ما يردد لمن يستفتيه فيهم ما مضمونه:

¹ لم يكن علي يرى تكفير أهل الشام، ولم يكن التكفير كموقف عقدي ضد الفئات المعادية من المسلمين قد تطور في هذه الفترة، والرواية التالية تتضمن موقف علي من أهل الشام ابا قتاهم في صفين: ما كانت اوتاد فساطيطنا يوم صفين الا القتلى، وما كنا نستطيع أن نأكل الطعام من النتن قال: وقال رجل: من دعا الى البغلة اليوم ليؤم كُفْر أهل الشام، قال: فقال: مِنَ الْكُفْرِ قُرُوءًا. ابن ابي شيبه، المصدر السابق، ج7، ص548. راجع المحاجة الطويلة التي عقدها ابن تيمية في هذا الشأن وجاء فيها: وكذلك أهل صفين كان يصلي على قتلاهم، ويقول: إخواننا بغوا علينا طهرهم السيف، ولو كانوا عنده كفارا لما صلى عليهم، ولا جعلهم اخوانه، ولا جعل السيف طهرا لهم. أبو العباس أحمد بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ت محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1986م، ج7، ص407.

أمشركون هُم. فَقَالَ: من الشرك فروا. قيل أفمنافقون. قال: ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا. فقيل: فما هم يا امير المؤمنين. قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببيغهم علينا¹.

كانت وقعة النهروان حدثا عنيفا بين الإخوة الفرقاء، وكان لفعل الاجهاز على حياة تلك العناصر المؤمنة وقع مؤلم على كل من شارك فيها؛ لأنه مهما بلغت الخلافات بين الفرقاء حدثها فانه ليس من المستساغ أن يتم تسويتها بواسطة السيف واهراق الدم؛ خاصة إذا كان المتقاتلون عناصر من قبائل واحدة لطالما تشاركت تفاصيل الحياة ومشاق التجربة الماضية، ثم انه مهما بلغت شدة الولاءات العقائدية والسياسية فان الارتباطات الدموية القبلية تظل راسخة مستقرة تأبي الضيم لذوي القرى فكيف بالقتل. ورغم أن خروج علي لمقاتلتهم في النهروان تم بناء على ضغط كثير من عناصره من أهل الكوفة الا أنه لم يستطع أن ينعم بالاستقرار، وكان واضحا أن المقتلة كانت حدثا فارقا تماما كغيره من الأحداث الفارقة التي طبعت زمن علي وكان طرفا أساسيا فيها ويتحمل مسؤولية تنفيذها. فمن الجمل الى صفين الى النهروان تراكمت جملة من الأحداث التي أخذت تقصم ظهر الأمة وتعمق في شرخها وتولد حالة ذنب تاريخي عام لم تعرف الأمة كيف تداويه وتتجاوزها الا عبر الانحراط في متتالية طويلة من الثورة والقمع. لقد خرجت قوات علي منتصرة في النهروان لكنه أي انتصار؛ فقد أصابهم ما جرى بإحباط معنوي وحالة ارتباك لم تترك لهم رغبة في النهوض مباشرة الى مجابهة أهل الشام. والنصوص التي تصف ذلك كثيرة منها ما رواه الطبري قال: وأمر علي الناس بالرحيل من النَّهْرَوَانِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّكُمْ وَأَذْهَبَ مَا كُنْتُمْ تَخَافُونَ عَنْكُمْ فَامْضُوا مِنْ وَجْهِكُمْ هَذَا إِلَى الشَّامِ. فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفَدْتَ سَهَامَنَا وَكَلْتِ سَيُوفَنَا وَنَصَلْتَ رِمَاحَنَا، فَلَوْ أَتَيْنَا مَصْرَنَا حَتَّى نَرِيحَ وَنَسْتَعِدُّ ثُمَّ نَسِيرُ إِلَى عَدُونَا. فَرَكْنَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ. وَسَارَ عَلِي حَتَّى أَتَى الْمَدَائِنَ ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ النَّخِيلَةَ، وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ يَدْخُلُونَ الْكُوفَةَ حَتَّى بَقِيَ فِي أَقْلٍ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَخَلَ الْكُوفَةَ وَقَدْ بَطَلَ عَلَيْهِ مَا دَبَرَ مِنْ آتِيَانِ الشَّامِ قَاصِدًا إِلَيْهَا مِنَ النَّهْرَوَانِ، فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّكُمْ فِي جِهَادِهِ الْقَرِيبَةِ إِلَى اللَّهِ وَدَرْكِ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا². وتذهب روايات أخرى الى التأكيد على حدوث خيانة تورط فيها بعض قاداته؛ خاصة الأشعث الكندي؛ منها ما أورده البلاذري عن زيد بن واقد، عن أبيه، عن أشياخهم: أن معاوية لما بويع وبلغه قتال علي أهل النهروان، كاتب وجوه من معه مثل الأشعث بن قيس وغيره، ووعدهم ومناهم وبذل لهم حتى مالوا إليه وتثاقلوا عن المسير مع علي عليه السلام فكان

¹ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص321. أكرم بن ضياء العمري، المرجع السابق، ص460.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص379. الدينوري، المصدر السابق، ص211. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص89.

يقول فلا يلتفت إلى قوله ويدعو فلا يسمع لدعوته، فكان معاوية يقول: لقد حاربت عليا بعد صفين بغير جيش ولا عناء أو قال: ولا عتاد¹.

ومنذ هذه اللحظة التاريخية إلى غاية مقتله فإن العلاقة بين علي وأنصاره ستأخذ ألوانا وأشكالا عدة وستتحول إلى علاقة إشكالية فيها كثير من الطاعة والعصيان والرفض واللوم والنقد والالتواء والشك²، وستحدد شيعته المخلصة تحديدا جديدا أكثر وضوحا؛ بوصفهم العناصر والفئات والمجموعات التي تجاوزت ارتباطها به المصالح والحسابات السياسية إلى ما يشبه العلاقة الروحية التي يحكمها الإعجاب والتقدير والاكبار³. وسيتحول علي في الواقع من أمير المؤمنين الخليفة الشرعي على كافة الأمصار؛ الذي فعل ما فعله من أجل احقاق حقه الذي اكتسبه ببيعة المدينة؛ إلى ما يشبه اميرا على الكوفة وما يتبعها ينافس الأمير الآخر المتربص في الشام، وستحفل خطبه بنبرة حزينة وساخطة لا تخلو في بعضها مما يشبه استعطافا واستجداء مبطنا: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ إِخْوَانِي وَأَنْصَارِي، وَأَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ، وَصَحَابَتِي عَلَى جِهَادِ عَدُوِي الْمُحَلِّينَ بِكُمْ، أَضْرَبِ الْمُدِيرَ، وَأَرْجُو تَمَامَ طَاعَةِ الْمُقْبِلِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَاسْتَنْفَرْتَهُمْ إِلَيْكُمْ، فَلَمْ يَأْتِنِي مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَمِائَتَا رَجُلٍ، فَأَعِينُونِي بِمَنَاصِحِهِ جَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغَشِّ⁴.

وفي الوقت الذي كان علي مشغولا فيه بمعالجة الفتور الذي دب في أنصاره الكوفيين وانكماشهم عن الاستعداد الجدي للمعركة المنتظرة ضد أهل الشام؛ أعلنت عناصر أخرى انشقاقها وتمردا جريا على طريقة الخوارج؛ خلف شعارات ومبررات عدة، يجمعها كلها تصريحها برفض سلطة علي والعمل على تجاوزها ميدانيا. والربط بين هذه الحركات التمردية وما حدث في النهروان تكشف عنه الرواية التي جاءت عن الشعبي الفقيه الكوفي اليمني الكبير قال: لما قتل علي أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتقضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، ص382.

² روي خطب كثيرة كان علي يلقيها على مسامع أنصاره في الكوفة يشكو تناقلهم وحذلائهم. منها ما رواه البلاذري عن جندب بن عبد الله الأزدي أن عليا خطبهم حين استنفرهم إلى الشام بعد النهروان، فلم ينفروا فقال: أيها الناس المجتمع أبدأهم المختلف قلوبهم وأهواؤهم ما عزت دعوة من دعائكم، و دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم كلامكم يوهن الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، إذا دعوتكم إلى الجهاد قلتم: كيت وكيت وذيت وذيت أعاليل بأباطيل وسألتموني التأخير فعل ذي الدين المطول حيدى لا يدفع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد والعزم واستشعار الصبر، أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون، المغرور والله من غررتوه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخبب، أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم، فرق الله بيني وبينكم وأبدلني بكم من هو خير لي منكم. أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا، وإثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة، فيفرق جماعتكم ويكي عيونكم ويدخل الفقر بيوتكم وتمنون عن قليل أنكم رأتموني فنصرتوني فستعلمون حق ما أقول لكم ولا يبعد الله إلا من ظلم وأثم... البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص383. 384. من إبراهيم، الإسلام والسلطان، المرجع السابق، ص271.

³ يأتي في أحد نصوص الطبري بعض القادة الذين استمر ولاؤهم لعلي قويا، مثل الأسماء التي ترد في النص التالي: فقام سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعَا طَاعَةَ، وَوَدَا وَنَصِيحَةَ، أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ جَاءَ بِمَا سَأَلْتُ، وَبِمَا طَلَبْتُ وَقَامَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرَّيَّاحِيِّ فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، وَقَامَ عَدِي بْنُ حَاتِمِ بْنِ وَزِيَادِ بْنِ خَصْفَةَ وَحَجْرُ بْنُ عَدِي وَأَشْرَافُ النَّاسِ وَالْقَبَائِلُ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّ الرَّوَّسَ كَتَبُوا مِنْ فِيهِمْ، ثُمَّ رَفَعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَأَمَرُوا أَبْنَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ وَمَوَالِيَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ، وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ عَنْهُمْ أَحَدٌ. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص79.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص79. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص690.

ابن الحضرمي البصرة، وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، ثم أخرجوا سهل بن حنيف من فارس، وكان عامل علي عليها، فقال ابن عباس لعلي: أكفيك فارس بزياد، فأمره علي أن يوجهه إليها، فقدم ابن عباس البصرة، ووجهه إلى فارس في جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، فأدوا الخراج¹. فما حدث في النهروان أكد الحالة الانقسامية التي صارت عليها الأمة وولد مناخا جديدا أتاح لبعض القوى الاجتماعية وبعض العناصر الطموحة إمكانية التفكير المغامر بالانفصال والتمرد والاستقلال بالمناطق التي فرضوا عليها نفوذهم؛ ورغم أنهم لم يكونوا بالقوة التي يستطيعون بها فرض هذا الواقع. لقد جاء حراكهم تعبيرا عن أزمة السلطة ونتيجة من نتائجها. وفيما يلي سأستعرض بإيجاز أهم هذه المحاولات الانفصالية التي كان نصيبها الفشل:

١. خروج الخريت بن راشد الناجي²:

جاء الخريت بن راشد الى علي ومعه ثلاثمائة رجل من بني ناجية مقيمين مع علي بالكوفة، قدموا معه من البصرة يوم الحمل، وشهدوا معه صفين والنهروان فقال له: وَاللَّهِ يَا عَلِي لَا أَطِيعُ أَمْرَكَ، وَلَا أَصْلِي خَلْفَكَ، وَإِنِّي غَدًا لِمَفَارِقِكَ. فَقَالَ لَهُ عَلِي: ثَكَلْتُكَ أَمَّا إِذَا تَعَصَيْتَ رَبِّي وَتَنَكَّثْتَ عَهْدَكَ وَلَا تَضُرُّ إِلَّا نَفْسَكَ، وَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ. قَالَ: لِأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ، وَضَعْتَ عَنِ الْحَقِّ حِينَ جَدَّ الْجَدُّ، وَرَكَنْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَنَا عَلَيْكَ زَارٌ وَعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ. فدعاه علي إلى أن يناظره ويفاتحه فقال: أعود إليك غدا³. لكنه لم يرجع وأسر في نفسه الخروج فسار مع قومه متجها نحو كسكر بجمع من أصحابه. فلم يلبث علي حتى ورده كتاب من عامله قرظة بن كعب الأنصاري جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أن خيلا مرت بنا من قبل الكوفة متوجهة نحو نفر، وإن رجلا من دهاقين أسفل الفرات قد صلى يقال له: زاذان فروخ، أقبل من قبل أحواله بناحية نفر، فعرضوا له، فقالوا: أمسلم أنت أم كافر. فقال: بل أنا مسلم، قالوا: فما قولك في علي. قال: أقول فيه خيرا، أقول: إنه أمير المؤمنين، وسيد البشر، فقالوا له: كفرت يا عدو الله، ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه، ووجدوا معه رجلا من أهل الذمة، فقالوا: ما أنت. قال: رجل من أهل الذمة، قالوا: أما هذا فلا سبيل عليه، فأقبل إلينا ذلك الذمي فأخبرنا هذا الخبر، وقد سألت عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء، فليكتب إلي أمير المؤمنين برأيه فيهم أنته إليه والسلام⁴. فأرسل علي في أثرهم زياد بن خصفة البكري في عدد قليل من العساكر

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص122.

² بنو ناجية: هم عدة كثير من بني سامة بن لؤي، وقال أبو علي الغساني: ناجية بنت حرم بن أبان أهمهم كانت تحت سامة بن لؤي فنسبوا إليها، وعامتهم بالبصرة. السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج13، ص5.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص411. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص113. 115. مصعب الزبيري، المصدر السابق، ص437. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص173. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص153.

⁴ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص117. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص412.

فأدركهم في أرض المذار، فدعا زياد صاحبهم الخريت، وجرت بينهما المحاوراة التالية: فقال له زياد: ما الذي نعمت على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقتنا. فقَالَ: لم أرض صاحبكم إماما، ولم أرض سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس، فإذا اجتمع الناس على رجل لجميع الأمة رضا كنت مع الناس فقَالَ لَهُ زياد: ويحك؛ وهل يجتمع الناس على رجل منهم يدايني صاحبك الذي فارقته علما بالله وبسنن الله وكتابه، مع قرابته من الرسول ص وسابقته في الإسلام فقَالَ لَهُ: ذَلِكَ مَا أَقُولُ لَكَ¹. فطلب إليه تسليمه قتلة الرجل المسلم، فأبى عليه ذلك. فاقتتلوا قتالا شديداً دون أن يتمكن أحدهما من الآخر، وتحت جنح الظلام تسرب الخريت وأصحابه واتجهوا صوب الأهواز؛ وهناك اجتمع اليه من بقي من قومه بالكوفة وعددهم يبلغ المائتين وكثير من قطاع الطرق ممن كسروا الخراج وطائفة من الأعراب، فكتب زياد إلى علي بما جرى بينهما؛ فانتدب علي معقل بن قيس الرياحي في جيش قوامه أربعة آلاف رجل نصفهم من الكوفة ونصفهم الآخر من البصرة، فخرج الخريت من الأهواز متجها إلى جبال رامهرمز يريدون الوصول إلى إحدى القلاع الحصينة بها، فحدثت معركة بين الطرفين انهزم فيها الخريت وأصحابه وسقط فيها قتلى من بني ناجية وغيرهم من العرب وعدد كبير من العلوج والأكراد، فمضى حتى لحق بساحل بحر فارس حيث توجد عصابة من قومه كانوا قد امتنعوا عن تقديم الخراج؛ فلم يزل بهم حتى اتبعوه². ولكن الخريت لم يلق سلاحه، بل استمرّ بجمع الناس حوله، فكان يأتي من يرى رأي الخوارج فيسر إليهم: إني أرى رأيكم، وإنّ علياً ما كان ينبغي له أن يحكم الرجال في دين الله. ثم يأتي لمن يرى رأي عثمان وأصحابه، فيقول لهم: أنا على رأيكم، وإنّ عثمان قتل مظلوماً معقولا³. كما كان يجيء مانعي الصدقة فيقول: شدوا على صدقاتكم ثم صلوا بها أرحامكم، وعودوا إن شئتم على فقرائكم، وهكذا كان يعمل على إرضاء كل طائفة من الناس بضرب من القول يتفق وهوهم. وبذلك استطاع أن يستهوي كثيراً من الأقسام من مختلف الميول والاتجاهات⁴. ولما علم معقل بموقعه بساحل البحر بفارس، عبأ جنده وزحف نحو الخريت ومن بقي معه من أصحابه؛ لأن عدداً منهم آثر أن ينسحب من المواجهة؛ ف وقعت معركة حامية بين الطرفين سقط فيها الخريت قتيلاً ومائة وسبعون من قومه وتفرق من بقي حيا يمينا وشمالا، وبعث معقل بن قيس الخليل إلى رحالهم، فسبى من أدرك منهم، فسبى رجالاً كثيراً ونساء وصبيانا ثم نظر فيهم، فأما من كان مسلماً فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله، وأما

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص120. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص412. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص716. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص373.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص122. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص716.717.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص414. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص718.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص125. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص718.

من كَانَ ارتد فعرض عَلَيْهِم الإسلام فرجعوا وخلقى سبيلهم وسبيل عيالهم¹. ثُمَّ أُقبل بهم حتَّى مر بهم عَلَى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وَهُوَ عامل علي علي أردشير خره، وهم خمسمائة إنسان. فرق لهم مصقلة وعزم علي شرائهم ثم اطلاقهم، وكان الاتفاق علي أن يشتريهم بألف ألف يرسل الي علي بعضا منها ويكمل له ما يتبقى؛ فقبل علي عرضه وانتظر المال، وفيما هو كذلك بلغه أن مصقلة خلقى سبيل الأسارى ولم يسألهم أن يعينوه في فكك أنفسهم بشيء فَقَالَ: مَا أَظن مصقلة إلا قَدْ تحمل حمالة، ألا أراكم سترونه عن قريب ملبداً ثُمَّ إنه كتب إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأعظم الغش عَلَى أهل المصر غش الامام، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف، فابعث بِهَا إلي ساعة يأتيك رسولي، وإلا فأقبل حين تنظر في كتابي². ولما لم يستطع مصقلة الوفاء بما تبقى نزل البصرة عند ابن عباس يرتجي مخرجا عنده فلم يجد فخرج منها الي الكوفة واستطاع أن يؤدي مائتي ألف، ثُمَّ إنه عجز فلم يقدر علي الباقي. ثم أنه أخذ يقول: وَاللَّهِ إن أمير الْمُؤْمِنِينَ يسألني هَذَا المال، وَلَا أقدر عَلَيْهِ، وَمَا كنت لأحملها قومي، وَلَا أطلب فِيهَا إلي أحدٌ ثُمَّ قَالَ: أما وَاللَّهِ لو أن ابن هند هُوَ طالبني بِهَا أو ابن عفان لتركها لي³. ولما لم يجد من علي أذن صاغية اختار الفرار واللحاق بمعاوية⁴.

. كما خرج أشرس بن عوف الشيباني علي علي بالدمسكرة علي إثر خروج خوارج النهروان في مائتين ثُمَّ سار إلى الأنبار، فوجه إليه علي الأبرش بن حسان في ثلاثمائة وواقعه فقتل أشرس في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين⁵. وخرج هلال بن علفه ومعه أخوه مجالد فأتى ماسبذان فوجه إليه علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين، وكان قتلهم في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين⁶. وخرج الأشهب بن بشر وقيل الأشعث وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلا، فأتى مكان المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلّى عليهم ودفن من قدر عليه منهم، فوجه إليهم علي جارية بن قدامة السعدي وقيل حجر بن عدي، فأقبل إليهم الأشهب فاقتتلا في جرحرايا من أرض جوحا فقتل الأشهب واصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين⁷ وخرج أبو مريم السعدي التميمي فأتى شهرزور وأكثر من معه من الموالي، وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم، واجتمع

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص414. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص81. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص263. 265.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص129. ج2، البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ص416. 417. ابن شيبه، المصنف، المصدر السابق، ج6، ص438. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج10، ص383. ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص403. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص343.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص130. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص416. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص719. ⁴ اليعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص96. راجع التحليل الهام الذي ساقه هشام جعيط في قراءته لتمرد الخزيت. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص265. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص81.

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص481. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص721.

⁶ ابن الأثير، الكامل، المصدر نفسه، ج2، ص721. 722. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص343.

⁷ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، ج7، ص343. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص722.

معه مائتا رجل وقيل أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل إليه عليّ يدعوهُ إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، قال: ليس بيننا غير الحرب، فبعث إليه عليّ شريح بن هاني في سبعمائة، فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا، وبقي شريح في مائتين فانحاز إلى قرية، فتراجع بعض أصحابه، ودخل الباقون الكوفة، فخرج عليّ بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي، فدعاهم جارية إلى طاعة عليّ، وحذّره القتل فلم يجيبوا، ولحقهم عليّ أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه، فقتلهم أصحاب علي ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فأمّنهم، وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برئوا، وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين، وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ولجرائهم قاربوا الكوفة¹.

وفيما كان علي يخوض نزاعاته مع المنشقين عنه ويخوض جدالاته مع الذين تسلل إليهم الشك والاشتباه اللذان تمخضا عن العملية التحكيمية الخائبة؛ كان معاوية يراقب الأمور ويستطلع الأخبار ويتداول مع عمرو بن العاص وغيره من مستشاريه مستقبل الصراع وأدواته وكيفياته. وقد عززت الخوارج على علي من عزيمته على ان يتقدم بالمواجهة من حالة الدفاع المترث الصبور الى وضع الهجوم؛ واضعا في خططه ضرورة الاستيلاء على مصر حتى يأمن خلفيته الجنوبية²؛ ومن ثمة يتقدم ضاغطا على علي واهل العراق. وقد كانت الأمور في مصر في البداية مستقرة تحت ولاية قيس بن سعد بن عبادة زعيم الأنصار وكان قد عرف كيف يجعلها تابعة لسلطة علي بواسطة تحييد القوى العثمانية التي اختارت عدم الخضوع لعلي من دون الخوض في صراع مع قيس وكان على رأسها يزيد بن الحارث الكناني ومسلمة بن مخلد الأنصاري ومعاوية بن حديج السكوني. وقد قنع منهم بهذا الموقف وسالمهم منتظرا تطور أوضاع الصراع³. وكان معاوية قلقا من وجود قيس في مصر لأنه كان على دراية تامة بقدراته السياسية وحنكته في الإدارة والتسيير وحل المشكلات⁴؛ بحيث يكفل لعلي سيطرته على مصر بما تمثله من إقليم استراتيجي ومالي يعزز موقع علي في النزاع. فمضى معاوية يدبر المكائد حتى يوقع بين علي وقيس، وأشاع ان بينه وبين قيس مكاتبات ومراسلات سرية تتضمن اتفاقات وتدابير تحدم معاوية، وان احجماه عن مقاتلة عثمانية مصر انما يعود

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص486. المقدسي، المصدر السابق، ج5، ص137. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص722

² مصطفى أبو ضيف احمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ط4، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986م، ص301.

³ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص552. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص390. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص624. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص88. مصطفى أبو ضيف أحمد، المرجع السابق، ص301.

⁴ لما عزل علي قيسا فخرج من مصر والتحق بالمدينة كان مروان والسود بن البخري يخيفانه ويهددانه القتل فالتحق بعلي في الكوفة فكتب معاوية اليهما: أمددتما عليا بقبس بن سعد ومكايد، فو الله لو أمددتموه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأعظ لي من إخراجكما قيسا إلى علي. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص149. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص452.

لعلاقته الجيدة مع اهل الشام¹؛ خاصة وأنه استمر يجري عليهم ارزاقهم واعطياهم ويكرم وفادة كل من قدم من الشام. وحرص على ان تصل هذه المزاعم الى أذن علي. وقد تحقق مراد معاوية لما استغلت بعض العناصر المتنافسة مع قيس في معسكر علي هذه الدعايات وضغطت على علي حتى شوشت على قلبه وجعلته يكتب الى قيس بشأن النهوض الى مقاتلة الكتلة العثمانية المتحيزة في منطقة خربتا حتى يحتبره، فأرسل اليه قيس أنهم في عشرة آلاف مقاتل فيهم وجوه مصر وأشرفها وأنه لا يرى من الحكمة مبادرتهم بالقتال، فعزز موقفه هذا من شكوك علي فقام بعزله وأرسل بدلا عنه محمد بن ابي بكر الذي لم يكن يمتلك قدرات قيس وحكمته². وقد زامنت تولية ابن ابي بكر الفترة التي كف القتال فيها بين علي ومعاوية على إثر موقعة صفين وارتفاع الروح المعنوية لأهل الشام وأنصارهم في مصر فأعلن هؤلاء تمردهم بجسارة في وجه والي علي الجديد وصمدوا لحمالاته³؛ فأرسل علي الى الأشتر النخعي الذي كان على ولاية الجزيرة يدعوه الى الذهاب الى مصر حتى يضبط أمورها فلم يقدر له ذلك؛ لأن معاوية أرسل من دس له السم في شربة عسل مات على إثرها، ففقد علي بموته احد كبار مناصريه الأوفياء وقادته الأبطال المغاوير⁴. وراسل معاوية الكتلة العثمانية المصرية شاكرا لها تعاطفها مع قضية عثمان في الوقت الذي أرسل فيه جيشا من ستة آلاف مقاتل بقيادة عمرو بن العاص؛ فبادر مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج ومن معهم بالانضمام إليهم ومنازلة محمد بن ابي بكر، واستطاعوا هزيمة والي علي وقتله بعد ذلك⁵؛ فصفت مصر لمعاوية تحت اشراف عمرو بن العاص الذي حقق حلمه في العودة الى مصر بعد أن عزله عثمان عنها⁶.

في هذا المنعطف من الصراع تقدم معاوية نحو الأقاليم المجاورة التي كانت خاضعة لسلطة علي وشن جملة من الغارات كان الغرض منها التشويش على سلطة علي واثارة الناس عليه واطهاره في صورة الحاكم الذي لا يستطيع

¹ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص553. ابن عساکر، المصدر السابق، ج49، ص425. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص624. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص88. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص453.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص391. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص554. ابن عساکر، المصدر السابق، ج49، ص429. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص89.

³ يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص89. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص321.

⁴ ابن عساکر، المصدر السابق، ج49، ص428. جون باجوت جلوب، تاريخ الفتوحات العربية الكبرى، المرجع السابق، ص508.

⁵ لقد كانت للفتنة تداعياتها العميقة على العلاقات الشخصية، ولما قتل محمد بن ابي بكر اظهر الأمويون في المدينة شماتة بالغة، فقد روى ابن الجوزي عن يزيد بن أبي حبيب، قال: بعث معاوية بن حديج بمولى له يقال له سليم إلى المدينة بشيرا بقتل محمد بن أبي بكر ومعه قميص محمد بن أبي بكر ودخل به دار عثمان، فاجتمع إليه آل عثمان من رجال ونساء، وأظهروا السرور بمقتله، وأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان بكبش يشوى وبعثت بذلك إلى عائشة وقالت: هكذا شوي أخوك، فلم تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله عز وجل. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص151. ابن عساکر، المصدر السابق، ج49، ص427. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص642.

⁶ ان مصادرها التاريخية لا تتفق على تسلسل واحد للأحداث التي عرفتها مصر في هذه الفترة، سواء في تواريخ قدوم ولاة علي على مصر أو مجريات الحوادث ذاتها. وقد نبه ابن الجوزي الى ذلك. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص150. 151. يعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص95. الذهبي، العبر، المصدر السابق، ج1، ص32. العسكري، المصدر السابق، ج1، ص218. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص92. 93. مصطفى أبو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ الدولة، المرجع السابق، ص301. 302. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص321. جلوب، المرجع السابق، ص509.

حماية ممتلكاته وتأمينه رعيته فيها¹، وهذه النية يكشفها معاوية نفسه في وصيته لسفيان بن عوف الأزدي: قَالَ لَهُ: إن الغارة تنخب قلوبهم وتكسر حدهم وتقوي أنفس أوليائنا². وفي بعضها الآخر كان معاوية يحاول نشر دعايته التي تقدمه في صورة الرجل الذي يحمل على عاتقه مهمة الثأر لمقتل الخليفة المظلوم. وبلغت هذه الحملات السريعة البصرة ومكة والمدينة واليمن وأطراف الجزيرة؛ بحث جاء مجالها الجغرافي يشبه طوقا حول الكوفة. وقد كان يرى أن هيبة علي قد اهتزت في أماكن عدة؛ مثل البصرة ويرى أنه لو وجه قواته إليها لوجد فيها عصبية تميل إليه تكون بداية الانقلاب على علي فيها وكتب إلى عمرو بن العاص في هذا الشأن: إني نظرت في أمر أهل البصرة، فوجدت جل أهلها لنا أولياء، ولعلي وشيعته أعداء، وقد أوقع بهم الوقعة التي قد علمت، فأحقاد تلك ثابتة في صدورهم، والغل بها غير مزايل لقلوبهم، وقد أطفأ الله بقتل ابن أبي بكر وفتح مصر، نيرانا كانت بها الآفاق مشتعلة مشبوبة مستقرّة، ورفع بذلك رؤوس أنصارنا وأشياعنا حيث كانوا من البلاد³.

ولعل أهم الغارات التي نفذت في هذه الفترة هي: غارة الضحّاك بن قيس على القطقطانة⁴؛ حيث وجهه معاوية، وأمره أن يمر بأسفل واقصة، وأن يغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب، ووجه معه ثلاثة آلاف رجل، فسار فأخذ أموال الناس، وقتل من لقي من الأعراب، ومر بالثعلبية فأغار على مسالح علي، وأخذ أمتعتهم، ومضى حتى انتهى إلى القطقطانة، فأتى عمرو بن عَميس بن مسعود، وكان في خيل لعللي وأمامه أهله، وهو يريد الحج، فأغار على من كان معه، وحبسه عن المسير، فلما بلغ ذلك عليًا سرح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف، وأعطاهم خمسين خمسين، فلحق الضحّاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجلاً، وحال بينهم الليل، فهرب الضحّاك وأصحابه، ورجع حجر ومن معه⁵. وغارة عبد الله بن عمرو بن الحضرمي على البصرة. وقد كانت جماعة من العثمانية كتبوا إلى معاوية يهنونه بفتح مصر، وقتل محمد بن أبي بكر، ويسألونه أن يوجه إلى البصرة رجلاً يطلب بدم عثمان ليسمعوا له ويطيعوا⁶. فكانت مهمتها تشوير أهل

¹ مصطفى أبو ضيف أحمد، المرجع السابق، ص302. جلوب، الفتوحات العربية، المرجع السابق، ص510.

² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص441. يقدم الأصفهاني للغارات بقوله: أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حي، وبعث معه جيشاً، ووجه برجل من غامد ضم إليه جيشاً آخر. ووجه الضحّاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وأن يغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج16، ص444.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص423.

⁴ القَطُّطَانَةُ: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطّف به كان سجن النعمان بن المنذر، وقال أبو عبيد الله السكوني: القَطُّطَانَةُ بالطّف بينها وبين الزهيمية مغرباً نيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام ومنه إلى قصر مقاتل ثم القرينات ثم السماوة، ومن أراد خرج من القَطُّطَانَةِ إلى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الفيوم إلى هيت. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص374.

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص437. 438. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص135. مصطفى أبو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ الدولة، المرجع السابق، ص302. بوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص95.

⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص425.

البصرة خاصة القبائل التميمية القوية على علي، واستغلال حالة الفتور التي سادت البصرة بعد معركة الجمل وصفين إزاء قضية علي¹. كما أراد معاوية استغلال غياب ابن عباس عن البصرة لما تركها الى مكة على إثر الخلاف الذي حدث بينه وبين علي، وكان قد استخلف فيها زياد بن أبيه؛ فقدم عبد الله اليها ونزل في بني تميم واجتمع إليه العثمانيّة فحرضهم على الطلب بدم عثمان من عليّ. وقد تمكن من اثاره الفتنة فيها بين العثمانية وأنصار علي². وكانت الحملة من الجدية بحيث ان زياد تراجع حيالها ولم ينحده سوى الاحتماء بقبائل الأزدي فقاموا معه في وجه ابن الحضرمي فهزموه وقتلوه³. وغارة النعمان بن بشير على عين التمر في ألف مقاتل وبها مالك بن كعب مسلحة لعلي في ألف رجل، وكان أغلبهم قد ذهب الى الكوفة فاتاه التُّعمان، ولم يبق معه إلا مائة رجل وقيل ثلاثمائة، فكتب مالك إلى علي يخبره بأمر التُّعمان ومن معه، فخطب علي الناس، وأمرهم بالخروج، فتثاقلوا؛ لكن مالك صمد بمن معه حتى أجلوا النعمان وصدوه خائباً⁴. وفي هذه الواقعة كشف اهل الكوفة من اتباع علي عن عزوفهم عن القتال وانحياز ارادتهم في مواصلة الحرب رغم المحاولات التي ظل علي يقوم بها لاستنهاض همهم. وقد خطب فيهم على إثرها: يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بمنسر من مناسر اهل الشام اظلمكم واغلق بابك انجحر كل امرئ منكم في بيته انجحر الضب في جحره والضبع في وجارها، المغرور من غررتومه، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخبب. لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون. ماذا منيت به منكم. عمي لا تبصرون، وبكم لا تنطقون، وسم لا تستمعون إنا لله وإنا إليه راجعون⁵. وغارة سفيان بن عوف على هيت والأنبار في ستة آلاف مقاتل فلم يجدوا بهيت أحدا فقصدوا الأنبار وبها مسلحة قليلة لم تستطع الصمود لهم؛ فغضبوا أموال أهل الأنبار وعادوا الى دمشق⁶. وغارة عبد الله بن مسعدة الفزاري على تيماء في ألف وسبعمائة مقاتل لغرض اخذ البيعة لمعاوية من قاطنيها البدو واخذ الصدقة منهم فوصلت حملته حتى مكة والمدينة.

¹ لما فتح معاوية مصر بعث عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة داعياً لهم وقد آنس منهم الطاعة بما كان من قتل عليّ أباهم يوم الجمل وأنهم على راية في دم عثمان، وأوصاه بالنزول في مصر يتوّد إلى الأزدي وحذّره من ربيعة وقال إنهم ترائبه يعني شيعة لعليّ. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص643.

² أمر ابن الحضرمي بقراءة كتاب كان معه من معاوية يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبه العافية لهم وسده لتغورهم واعطائه إياهم حقوقهم ويصف حاله وقتل من قتله مسلماً محرماً صائماً بغير دم انتهكه، ويدعوهم إلى الطلب بدمه ويضمن لهم أن يعمل فيهم بالكتاب والسنة، ويعطيهم عطاءين في كل سنة، ولا يحمل عنهم فضلاً من فيهم أبداً. فلما فرغ من قراءة الكتاب قام الأحنف بن قيس وقال: لا ناقتي في هذا ولا جمل واعتزل القوم. وقام عمرو بن مرجوم العبدي فقال: أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تنكثوا بيعتكم ففزع بكم الواقعة، وتصيبكم القارعة وكان عبّاس بن صحرار العبدي مخالفاً لقومه في حب علي، فلما دعا ابن الحضرمي الناس إلى ربيعة معاوية والطلب بدم عثمان قام إليه فقال: إني والذي لهُ أسعى وإياه أحشى لنصرتك بأيدينا وألسنتنا. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص425. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص643.

³ وكثرت غاشية ابن الحضرمي وأتباعه فهال ذلك زياد ابن أبي شُعَيْبٍ ورعبه وراعاه. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص426. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص133. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص95.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص446. 447. مصطفى أبو ضيف أحمد، المرجع السابق، ص302. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص95.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص134.

⁶ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص441. 442. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص134. مصطفى أبو ضيف أحمد، المرجع السابق، ص302. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص95.

وقد تمكن عبد الله من استمالة أناس من قومه فأرسل اليه علي المسيب بن نجبة الفزاري في ألفين من الرجال فهزمه لكنه عزف عن قتله لعلاقة القرى وسمح له ولمن بقي معه بالعودة الى الشام سالما وانتهبت الأعراب ما جمعه من إبل الصدقة¹.

لكن أهم غارة وأكثرها عنفا هي التي قادها بسر بن أرطاة نحو الحجاز واليمن²، حيث كانت هنالك عصابة من العثمانية موالية لمعاوية كانت تتعرض للمضايقة من قبل والي اليمن عبيد الله بن العباس وعماله؛ فبعثوا الى معاوية يستنصرونه على عبيد الله بن العباس. فأمر معاوية بسرا ان يسير إليهم في الفين وستمائة مقاتل بعد أن يمر بالمدينة ومكة. فتحرك بسر من الشام ومر في طريقه بالمدينة فلم يلق بها مقاومة واكتفى بان هدم بعض الدور ثم انتقل الى مكة فهرب منه واليها فتم بن العباس فأقام بها مدة وأكره الناس على البيعة لمعاوية³. ومضى بسر حتى إذا شارف اليمن، هرب عبيد الله وسعيد ليلا فلحقا بعلي، وخلف عبيد الله بن العباس على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فلما قدمها بسر قتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله. ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه له وقتل جماعة من شيعة علي⁴.

لقد استطاع معاوية بهذه الغارات وغيرها⁵ أن يكسب الحرب المعنوية على حساب علي؛ بحيث تطورت قيمته عند الناس الى الحد الذي جعل لفيما كبيرا منهم يرونه مستحقا للخلافة عن جدارة واستحقاق بما أنه أدار حربه مع علي على قدر عالي من حسن التدبير وضبط النفس. في حين كان للغارات تلك وفتور همة مقاتلة الكوفة عن التصدي الجاد لها؛ وقع كبير عند الأمم البعيدة في الشرق؛ بحيث تعززت لديهم إمكانية أن يظهروا الخلاف ويمتنعوا عن أداء الخراج. وقد حدث أنه: لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على علي، طمع أهل فارس وأهل كرمان في كسر الخراج، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم، وأخرجوا عمالهم⁶. وكان من الجلي أن علي المحصور في الكوفة بين مقاتلته الفاترين؛ كان تدريجيا يفقد هيئته ويخسر معركته، وكل الذين ظلوا يتربصون بالأحداث ويتابعون تطوراتها كانوا يلتقطون إشارات النفق المسدود الذي كانت تدخله مهمة علي وأنها يوما بعد يوم كانت تقترب من الفشل والخيبة. وكل هبوط في منحني الصف العراقي كان يقابله صعود في منحني العصبة الشامية، وأن حركة التاريخ كانت تميل الى اختيار معاوية ليكون رجل المرحلة القادمة؛ لأن هزيمة علي كانت إيذانا باكتمال

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص135. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص449.

² لما توجه من المدينة ثم الطائف الى اليمن سار حتى أتى همدان وهم في جبل لهم يقال له شام، فتحصنت فيه همدان، ثم نادوا: يا بسر نحن همدان وهذا شام، فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم، أغار عليهم فقتل وسبي نساءهم؛ فكان أول مسلمات سبين في الإسلام. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج5، ص11.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص454. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص139.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص455. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص140. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج16، ص444.

⁵ لم أحصر كل الغارات التي شنها معاوية على المناطق التابعة لحكم علي مخافة التحويل.

⁶ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص137. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص644.

التحول التاريخي الذي نسخ مرحلة ماضية فيما هو في طريقه لتدشين مرحلة قادمة. وفي الوقت الذي كان معاوية يتهيأ ليكون خليفة المسلمين الجديد كان علي يللم نفسه في نزاعاته مع مقاتليه وانصاره ويشغل زمنه بالشكوى والسخط والاستياء، ليس ذلك فقط وإنما كان يشغله أيضا بالتدبير والاعداد والتجهيز لمواجهة قادمة. وبلغت الأمور من السوء بحيث توترت العلاقة بين علي وعبد الله بن عباس في إحدى الملاحظات الغريبة المتعلقة بإدارة بيت مال البصرة. فشرع ابن عباس بان علي يطعن في ذمته ونزاهته ويبطن شكوكا حول أمانته المالية. فترك البصرة التي كان عاملا عليها وتوجه الى مكة مستصحبا أحواله من بني هلال وكثير من القيسيين حاملا معه أرزاقهم من بيت المال. وقد أثارت حركته هذه لغطا كبيرا بين الناس فتحت الباب لمن وجدوها فرصة في لمزه وغمز أمانته ونزاهته¹.

في هذه المرحلة من الصراع من سنة 40هـ . 660م تذهب بعض المصادر الى ان علي ومعاوية اتفقا على الهدنة وترك القتال من غير أن تحدد آجالها، وقد جاءت الرواية عند الطبري على النحو التالي: وفي هذه السنة جرت بين علي وبين معاوية المهادنة- بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب- على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق وللمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو. قال زياد بن عبد الله، عن أبي إسحاق: لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة كتب معاوية إلى علي: أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام، وتكف السيف عن هذه الأمة، ولا تحريق دماء المسلمين، ففعل ذلك، وتراضيا على ذلك، فأقام معاوية بالشام بجنوده يجيها وما حولها، وعلي بالعراق يجيها ويقسمها بين جنوده². والنص لا يذكر أي مدة تقتضيها الهدنة ولا الى أي اجل تصير، ورغم تشكيك بعض المؤرخين المحدثين في هذه الرواية على أساس ان فكرة تقسيم الأمة الإسلامية الى شطرين لم تكن لتستسيغها روح الإسلام؛ خاصة في هذه الفترة من تاريخه، ولأن الصراع الدامي قام منذ البداية لأجل أن تنضوي كل القوى تحت مظلة الخلافة التي يرأسها شخص واحد هو الخليفة الشرعي؛ فليس من المعقول أن يقبل علي بهذا التسوية بعد كل الذي جرى من الحمل الى

¹ ابن خلدون، التاريخ، المصدر نفسه، ج2، ص645. ويروى أن علي كتب اليه: أما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في أهلي رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إلي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب. وأمانة الناس قد خزيت قلبت لابن عمك ظهر الجن فقارقه مع المارقين وحذلتهم مع الخائنين وحتته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهاذك. وأنت لم تكن على بينة من ربك. وأنتك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم وتنوي غرقهم عن فيهم. فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعرت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم؛ احتطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز؛ رحب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه. كأنك لا أبا لغريك حدرت إلى أهلك ترائك من أيبك وأمك فسبحان الله. أما تؤمن بالمعاد أو ما تخاف نقاش الحساب أيها المعلوم عندنا من أولي الألباب كيف تسبغ شرابا وطعاما وأنت تعلم أنك تأكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الإمام وتكح النساء من أموال اليتامى والمساكين. الخ. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ت حسن الأمين، د ط، دار المعارف للطبوعات، بيروت، 1986م، ج1، ص527.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص140. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص96. 97.

النهروان وما تلاها¹. لكن فكرة الاتفاق على هدنة مؤقتة في هذا الظرف العصيب لأجل التقاط الأنفاس؛ خاصة في معسكر علي؛ لا تبدو امرا نشازا إذا فهمناها على أنها خطوة تكتيكية تمنح الطرفين وقتا يحتاجانه لتنظيم امورها. لكن معاوية فاجأ عليا بخطوة ربما لم تكن بحسبانته؛ اذ أعلن نفسه خليفة للمسلمين في رجب سنة 40هـ. تموز. يوليو 660م وأخذ البيعة من أهل الشام كما تؤكد المصادر العربية والمصادر السريانية². وهي خطوة غير مستغربة رغم صعوبتها لأنها تتضمن افتراض شرعيتين؛ شرعية علي ببيعة المدينة وشرعية معاوية ببيعة أهل الشام ومن على موقفهم في بقية الأمصار. وقد رأينا كيف كان معاوية يعمل على تهيئة خطوته هذه بالغايات وبث الدعاية وتصوير علي في صورة من هو غير جدير بالخلافة. لكن وجود خليفتين على رأس الأمة لم يكن أمرا واردا. ولعله أراد أن يسهل على كثير من المترددين قرار التخلي عن علي والانضمام تحت راية أهل الشام لأنها الراية الأقدر على إدارة أمور الأمة. والواقع أنه. خلف المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان. كان الصراع يبطن نزاعا حول الخلافة تحركه رغبة معاوية والكتلة التي تناصره من أشرف العرب ووجوه الناس وبعض الصحابة، وإذا كان إعلان معاوية عن نفسه خليفة قد تأخر الى هذه الفترة فذلك لأن شرعية علي كانت قوية في البداية ثم راحت تتآكل في وسط الأحداث التي جرت الى غاية التحكيم. أما معاوية فقد راح يكتسب هبة بعد كل طور من أطوار الصراع بما كشفه من مقدرة علي إدارة هكذا نزاع مع علي، حتى صار المنافس الوحيد الذي يمثل عصبه أهل الشام بكل ما يجسدونه من ثقل في الأمة.

. اغتيال علي:

لم يلتزم علي الصمت إزاء هذه مبادرة المستفزة؛ فراح يستنهض همم أنصاره ويحرضهم؛ طالبا منهم النفير العام حتى اجتمع له قرابة أربعين ألف مقاتل. وكان في نيته الدخول في معركة أرادها أن تكون فاصلة حاسمة، لكن القدر لم يمهل³؛ اذ كانت تدار في الخفاء بعيدا عن الأذان والعيون مؤامرة جعلت هدفها الإطاحة برأس علي ومعاوية وعمرو بن العاص نسج خيوطها رهط من الخوارج أرادوا أن يحسموا الفتنة من جذورها ويريحوا الناس من حالة الهرج والانتقام التي طال زمنها. عن الشعبي قال: حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل علي وأصحاب معاوية، فاصطلح الناس على شيبه بن عثمان، فلما انقضى الموسم أقام الخوارج مجاورين فقالوا: كان هذا البيت معظما في الجاهلية، جليل الشأن في الإسلام، وقد انتهك هؤلاء حرمة، فلو أن قوما شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدوا في الأرض، واستحلا حرمة هذا البيت استرحنا واستراحنا

¹ هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص 292.

² يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص 96. 97. هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص 292.

³ هشام جعيط، الفتنة، المرجع السابق، ص 293.

الأمة، واختار النَّاسَ لأنفسهم إماما، فقال عبد الرحمان بن ملجم: أنا أكفيكم عليًّا، وَقَالَ الحجاج بن عبيد الله الصرمي - وهو البرك - أنا أقتل معاوية. وقال داؤويه مولى بني حارثة بن كعب بن العنبر - واسمه عمرو بن بكر - والله ما عمرو بن العاص بدوئهما، فأنا له؛ فتعاقدوا على ذلك¹. وفي رواية أخرى وردت عند الطبري قال: وكان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا، فتذكروا أمر الناس، وعابوا على ولائهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب - وكان من أهل مصر - وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتوآثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم، فسموها، واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب². وقد نجح ابن ملجم في أن يصل إلى هدفه في جامع الكوفة لما كان علي يباشر امامة الناس في صلاة الفجر³. وقد حفلت كتب التاريخ والقصص والأخبار والرقائق وكتب الأدب بكثير من التفاصيل التي صاحبت قدوم ابن ملجم إلى الكوفة تحضيرًا لهدفه الأعظم، وعجت بأخبار غير واقعية تندرج في عالم العجائب والخرافات والميتافيزيقا؛ من قبيل أن عليا كان يعلم سلفًا بحدث اغتياله لنبوءة أخبره إياها النبي، وأن دجاجات كن في بيته أقمن مناحة قبل خروجه إلى الصلاة، وكثير من هذا القبيل⁴. وان دل على شيء فليس إلا الوجد الكبير الذي خلفته حادثة الاغتيال على الضمير الإسلامي عامة وعلى شيعة علي خاصة، ونهاية دراماتيكية لشخصية عظيمة كانت البقية الباقية من عصر النبوة العظيم؛ الذي عجزت عصابة الشام عن كسره فقهرته مؤامرة صغيرة وأسقطته ضربة واحدة. ان عليا في الوجدان الإسلامي

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص487. المراد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص145. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص143. أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادري، كنز الدرر وجامع الغرر، ت بيرند انكه وآخرون، د ط، عيسى الباي الحلبي، مصر، د ت، ج3، ص397. 398.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص144. الدينوري، المصدر السابق، ص214. المراد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص147. Juan Eduardo Campo, Encyclopedia of Islam Facts on File, hermitage, us, 2009, p33

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص145. أبو العرب التميمي، الحن، المصدر السابق، ص95. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص412. المقدسي، البدء والتاريخ، المصدر السابق، ج5، ص232. الأصبهاني، أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ت السيد أحمد صقر، د ط، دار المعرفة، بيروت، د ت، ص47. سرحان بن سعيد الأكوبي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ت محمد حبيب صالح وآخرون، ط2، 2013م، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ج2، ص201.

⁴ سليم بن قيس الهلالي، الكتاب، ت محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط1، مطبعة الهادي، إيران، 1420هـ، ص136. 137. أبو بكر بن ابي الدنيا، مقتل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، ت إبراهيم صالح، ط1، دار البشائر للطباعة والتوزيع، دمشق، 2001م، ص24، 27، 97. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار احياء الكتب الإسلامية، إيران، د ت، ج9، ص190. 200. حرز الشاطري العسكري، مقتل أمير المؤمنين، ت السيد محمود الغريفي، مؤسسة السيدة المعصومة ودار حفظ التراث البحراني، ط1، 1427هـ، ص65. 70. السيد محسن آل السيد أحمد، مقتل علي بن ابي طالب، ت السيد محمود الغريفي، ط1، دار حفظ التراث البحراني، 1431هـ، ص42. 44.

رجلا لا يموت في مواجهة صريحة لأنه أكبر من الهزيمة، وخروجه من هذا العالم لا يتم الا بحدث غير متوقع وضربة خفية جبانة مفاجئة من عمل الشيطان¹. أما على المستوى الاجتماعي القبلي فان من يمه حياة علي رجلا ليس في مستوى مكانة علي القبلية وشرفه الديني ومنقبته الأكيدة وجميل أياديه على الإسلام في عهده الأول ولا في مبارزة شريفة يتواجه فيها خصمان ندان في وضح النهار؛ يكون القتل أو النجاة فيها شرف بجد ذاته؛ وانما كان لزاما أن تتم في غموض الفجر وحلوة الدسيسة والمؤامرة والكتمان. وتشاء مخيلة الرواة والاحباريين أن تجعلها ذات صلة بدوافع أخرى غير دوافع العقيدة والايمان؛ فربطتها بقصة حب جمعت بين ابن ملجم وامرأة من تيم الرباب اسمها قطام²، كأن دوافع العقيدة ليست كافية في ذاتها لتكون سببا معقولا لمقتل علي، او أنه ليس عادلا ان تكون نهاية علي بدوافع الدين الذي ساهم في انتصاره. لكن الروايات الأكثر رصانة لا تعرض لقصة العلاقة بين ابن ملجم المرادي وبين قطام التيمية وتنتقل مباشرة من حدث التآمر الى واقعة الاغتيال دون وساطة عاطفية³.

والروايات على اختلافها في بعض التفاصيل وفي صياغة الخبر الا أنها كلها تجعل من هؤلاء الثلاثة الجهة المسؤولة عن تنفيذ الاغتيال الذي نجح مع علي وأخفق مع معاوية وعمرو بن العاص؛ الشيء الذي صار مذمة تاريخية لحقت بالخوارج ومثلية عظيمة ألصقت بهم واستخدمت في التشهير بهم طيلة العهود الموالية. ولا ندري كيف كانت ستؤول الأمور لو أن عملية الاغتيال التي قصد بها معاوية وعمرو حققت هدفها. لكننا في الواقع لا نستطيع أن نقرأ في مخطط الاغتيال كما حفظته النصوص أي إشارة لوجود اجماع خارجي وخطة رسمية صدرت عن قيادات الخوارج لسبب بسيط هو أن الخوارج بعد النهروان تحولوا الى ما يشبه عناصر وجماعات قليلة العدد مشتتة ومتفرقة في الأمصار لا تكاد تجمعهم قيادة واحدة ولا تنظيم محدد، لأنهم في الأساس لم يكونوا تنظيما وانما مجموعة كانت انتظمت بصورة مؤقتة وفي ظروف خاصة وانتهى أمرها الى السيف الذي جرده عليهم علي في النهروان. وستنتظر الأيديولوجيا الخارجية وصول معاوية الى عرش الخلافة حتى تتشكل كجماعات معارضة متربصة في هوامش العراق والجزيرة والحجاز؛ تتوسل بالسيف والاستعراض محاولاتها اليائسة لقلب نظام الحكم.

¹ أورد ابن ابي الدنيا رواية جاء فيها أن عليا خطب الناس في احدى الجمع قال: أما إني رأيت في ليلتي هذه في منامي أن شيطانا ضربني ضربة فحضب لحيتي من رأسي بدم عبيط فما ساءني ذلك، فماذا ينتظر أشقاها أن يحضب هذه من هذا ثم أمر يده اليمنى على لحيته ثم على رأسه ثم نزل عن المنبر. فلما كانت الليلة التي أصيب فيها خرج يريد صلاة العشاء تصايحت الوز حوله فقال يشبهن صوايحا ونساء نوايحا. ابن ابي الدنيا، مقتل علي، المصدر السابق، ص35.

² فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي الى علي، فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه، وكان علي قد قتل أباه وأخاه يوم النهروان، وكانت أجمل أهل زمانها، فخطبها، فقالت: لا أتزوج حتى تسمي لي، قال: لا تسأليني شيئا الا أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف وبعداً وقبنة، وقتل علي، فقال: ما سألت هو لك مهر الا قتل علي، فلا أراك تدركينه، قالت: فالتمس غزته، فإن أصبته شفيت نفسي ونفعلك العيش معي، وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا، فقال: والله ما جاء بي الى هذا المصير وقد كنت هارباً منه الا ذلك، وقد أعطيتك ما سألت. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص411. والروايات مختلفة في نسب تلك المرأة بين من يجعلها ابنة عمه وبين من ينسبها الى تيم الرباب. أنظر أبو بكر الداوداري، المصدر السابق، ج3، ص398.

³ انظر رواية البلاذري عن مجموعة من الرواة منهم عوانة بن الحكم ولوط بن يحيى. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص489. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص98.

تعتبر مبادرة هؤلاء النفر الخارجيين تحذيراً لصورة أخرى من صور التحكيم، فإذا كانت مداوات التحكيم بين عمرو وابي موسى الأشعري قد توصلت في نسختها السرية الى تجاوز تاريخ الفتنة بخلع علي والعودة الى لحظة مقتل عثمان واجراء الشورى العامة¹؛ فان المحادثات التي تمت بين أولئك الرهط قد دارت حول ضرورة خلع قيادات النزاع خلعا كلياً من الحياة بما أنهم لم يستجيبوا لمقترح انسحابهم من سباق الخلافة فصاروا بذلك أئمة الضلالة، وأن الهدف من ذلك هو راحة الناس والعودة الى مبدأ الشورى الأساسي في اختيار الإمام. والواقع أن مصطلح الخوارج ظل يستخدم كوعاء واسع وضعت فيه مجموعات وعناصر مختلفة من الذين خرجوا سواء على علي او على معاوية وغيره من حكام العهد الأموي؛ كانت تلك المجموعات تختلف عن بعضها في الرؤيا السياسية والأهداف وفهمها لمجريات الواقع والوقائع التي عايشوها وكانوا طرفاً فيها. فليسوا سواء من دعا منهم الى التحكيم في نهاية معركة صفين او رفضه وطالب بضرورة الاستمرار في القتال او من خرج الى النهروان وبعضهم عاد الى صفوف علي وبعضهم الآخر لم يرجع اليه لكنه عاد الى الكوفة موطنه وترك القتال مع علي، وآخرون قبلوا بالتحكيم واقتنعوا بلزوم أن يخضع الطرفان المتقاتلان الى نتيجته. وهذا هو الرأي الذي كان عليه الخزيت بن راشد ومن خرج معه. لكن جميعهم توسل الخروج والانفصال عن مجموع الأمة المنقسمة في تعبيرهم عن رفضهم لما كان يحدث، وصارت الأسس الأيديولوجية لاجتماعهم مؤسسة على الموقف من الخلفاء الثلاثة الراشدين ومن علي ومعاوية والتحكيم؛ بوصفه موقفاً عقدياً يندرج في باب الولاء والبراء الذي يحدد من هو المؤمن ومن هو الكافر.

لقد كان الاغتيال واقعة مستحدة في التعامل مع الخصم المسلم؛ من الوقائع التي أفرزتها الفتنة وقاد اليها الانسداد التاريخي الذي كان يصنعه علي ومعاوية في عجزهما عن أن يقضي أحدهما على الآخر. لأن السنة القرآنية في الجهاد كانت تؤكد على مبدأ: {وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ} [الأنفال: 58]. ورغم شراسة النزاع بين علي ومعاوية الا اننا لم نصادف أي نص يتضمن تفكير أحدهما في اغتيال الآخر حسماً للفتنة ودرءاً للانشقاق، ورغم الدماء التي سالت في صفين وغيرها فان المعهود

¹ لاحظ أن هذا الرأي هو ذاته الذي اقترحه طلحة والزبير على عائشة لما طلبا منها الخروج معها: قالوا: قدم طلحة والزبير على عائشة فدعواها الى الخروج، فقالت: أأمراني أن أقاتل. فقالا: لا ولكن تعلمين الناس أن عثمان قتل مظلوماً، وتدعيهم إلى أن يجعلوا الأمر شورى بين المسلمين فيكونوا على الحالة التي تركهم عليها عمر بن الخطاب وتصلحين بينهم. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص223.

² يشرح الطبري في تفسيره هذه الآية على النحو التالي: قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وإما تخافن من قومك فانهضوا اليهم على سواء، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر إن الله لا يحب الخائنين الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه، قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت احمد محمد شاكر ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 200م، ج14، ص25. ووافقته الرازي في تفسيره الرأي فيقول: وأما قوله: وإما تخافن من قوم خيانة يعني من قوم معاهدين خيانة ونكثاً بأمارات ظاهرة فانبذ إليهم فاطرح إليهم العهد على طريق مستو ظاهر، وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم، ولا تبادرهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة منك إن الله لا يحب الخائنين في العهود. أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج15، ص497.

العربي الإسلامي في تلك الفترة كان يأنف من الاغتيال كسبيل لحسم النزاعات لأنه لا يدل الا على عجز وجبن لا يليقان بمن يرغب في التصدي لإمامة الناس. ولعل واقعة موت الأشتر النخعي عامل علي على مصر بشرية غسل مسمومة؛ والتي يقال أن معاوية دبرها له هي واقعة. على فرض صحتها. منفردة؛ خاصة أن معاوية لم يفعلها مع سلفه قيس بن سعد رغم الهم الذي ركبه من ولاية قيس على مصر.

صار علي الخليفة الثاني الذي يلفظ أنفاسه بسيوف عربية مسلمة جاعلة من القرآن الكريم مرجعها وسندها الأساس في توصيف ما كان يجري بالمنكر؛ الذي ينبغي تغييره ولو اقتضى ذلك تصفية رموز الإسلام الأول؛ ولو جر ذلك الى توصيفهم بالردة ومخالفة هدي النبي. لقد كان سقفا عاليا ذاك الذي بلغته الظاهرة القرآنية في المجتمع الإسلامي؛ بحيث منحت القراء ومن في معناهم شرفا مكتسبا من منيع القداسة لا يدانيه شرف العنصر والمحتد الموصوف بأنه دنيوي زائل. وساعدت بعضهم في ان يتحرروا نفسيا من الهيبة التي كان عليها كبار صحابة النبي وان يتجهوا إليهم بالنقد والتأنيب إذا لزم الأمر. وبالتالي فالتاريخ. الذي يمثله الصحابة. في هذه الحالة منسوخ وملغى لفائدة القرآن ودرجة الارتباط به والنهل منه. لقد قيلت لعثمان في السابق لما كان القارئ كعب بن عتبة يعاتبه ويوبخه: إن إمارة المؤمنين إنما كانت لك بما أوجبه الشورى حين عاهدت الله على نفسك لتسيرن بسيرة نبيه لا تقصر عنها، وإن يشاورونا فيك ثانية نقلناها عنك يا عثمان إن كتاب الله لمن بلغه وقرأه، وقد شركناك في قراءته، ومتى لم يعمل القارئ بما فيه كان حجة عليه¹. وتكررت أيضا في حيثيات مقتل علي؛ فبرغم الهيبة الدينية الكبيرة التي كان يتمتع بها علي واجتماع التاريخ والدين والخلافة والشجاعة في شخصه الا ان ذلك لم يمنع ابن ملجم من ان التفكير في اغتياله غير آبه بكل ذلك لأن عليا صار بحسبه من أئمة الضلالة. وقد جرى حوار بينه وبين أحد مساعديه سجلته غالبية المصادر على النحو التالي: وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة. قال: وما ذاك. قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك. لقد جئت شيئا إدا، كيف تقدر على علي. قال: أضمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفيننا أنفسنا، وأدرنا تأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال: ويحك! لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ص وما أجدني أنشرح لقتله. قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين. قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا،

¹ راجع تمة الخبر لأنها مهمة تكشف عن مدى الالتزام الديني الذي كانت عليه فئة القراء في ذلك العهد والذي مكن افرادها ان تحاطب الخليفة بفحوى ذلك الخطاب: فقال عثمان: والله ما أظنك تدري أين ربك فقال: هو بالمرصاد، فقال مزوان: حلمك أغرى مثل هذا بك وجرأه عليك، فأمر عثمان بكعب فجرد وضرب عشرين سوطاً وسيره إلى دباوند، ويقال إلى جبل الدخان، فلما ورد على سعيد حمله مع بكتر بن حمران الأحمري فقال الدهقان الذي ورد عليه: لم فعل بهذا الرجل ما أرى. قال بكتر: لأنه شرير، فقال: إن قوماً هذا من شرهم لخيار. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص530. 531. أبو العباس، محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط2، دار الكتب العلمية، دت، ج3، ص86.

فأجابه¹. وإذا فان المعنى الذي نستشفه من قتل عثمان ثم قتل علي بيد القراء ثم الخوارج؛ وهما الرجلان المحسوبان من أفاضل الصحابة وأقدمهم اسلاما وهجرة، ولكليهما علاقات نسب ومصاهرة مع النبي، وكلاهما كان يتمتع برضاه ومحبتة. وكلاهما . يا للمفارقة . مشهور بعلمه ومواظبته على الصلاة وعلى القرآن²؛ نستشف التحولات المعقدة التي طرأت على المجتمع الإسلامي المتوزع على الأمصار المختلفة والتي تداخل فيها الديني بالاجتماعي بالعنصري الاثني بالاقتصادي بالوحداني الروحي وبالقطاع السيكولوجي لكل فرد من أفراد القراء وغيرهم؛ كما تداخلت الطموحات الشخصية المعلنة أو الغامضة غير الواعية مع روحانية ما كان القرآن منبعها ومصدرها؛ على الأقل كان هو الإطار الذي وجدت داخله متنفسها وامكانيتها.

في المسافة ما بين خلافة عثمان ومقتل علي كانت الأمة جمهورا واحدا يخضع لخليفة واحد مقره في المدينة يروح البريد بينه وبين الأمصار ويجيء، على الرغم من الخلافات ذات الطابع الاجتماعي . الاقتصادي التي تحدث في كل مكان يشتمل على الثروة وفي كل مجتمع يعيش تحولات بنيوية عميقة متسارعة كالتى عاشها المجتمع العربي الاسلامي؛ فلما قتل عثمان كانت نهايته على يد أفراد قدموا في جماعات من الأمصار المختلفة وجاء قتله فيما يبدو لا عن نية مبيتة وإرادة سابقة وانما عبر سلسلة من الأحداث توالى من دون ضابط، فنتج عنها فعل القتل في صورة انزلاق وخطأ كان من الممكن تلافي تداعياته لو أخذوا وأخضعوا للقصاص. لكن السياق الذي تمت فيه بيعة علي وخلو المدينة من أي قوة عسكرية رسمية جعل تلك الجماعات التي حاصرت عثمان تفرض منطلقها في المدينة وتؤخر بضغطها القصاص وتفرض على علي تأجيله لأنها متورطة³. الى هنا لا تزال الأمة جمهورا واحدا وليس قتلة عثمان الا لفيضا مذنبا من هذا الجمهور يستحق العقاب. لكن الذي حدث طيلة خلافة علي منذ بيعته في المدينة حتى مقتله في الكوفة هو أن الأمة التي كانت جمهورا واحدا تحولت الى كتل اجتماعية . سياسية مختزقة أيديولوجيا؛ بما أنها غدت مستقطبة سياسيا بين الزعامات التي مثلها كل من عائشة وطلحة والزبير وعلي

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص144 . 145. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص46.

² لقد أورد صاحب كتاب طبقات القراء كلا الرجلين في عداد الطبقة الأولى فقال: عثمان بن عفان: أحد السابقين الأولين، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم. علي بن ابي طالب: أجمع المسلمون على أنه قتل شهيدا يوم قتل، وما على وجه الأرض بدري أفضل منه، ضربه ابن ملجم المرادي صبيحة سابع عشرة من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالكوفة، وكان قد جمع القرآن بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم. شمس الدين الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص10 . 12

³ أورد الطبري نضا هو عبارة عن خطبة منسوبة الى علي يجيب فيها من طالبه بالقصاص من قتلة عثمان بعد بيعته مباشرة: فَقَالُوا: يَا عَلِي، إنا قد اشتَرطنا إقامة الحدود، وإن هؤُلاءِ القوم قد اشتركوا في دم هَذَا الرجل وأحلوا بأنفسهم فَقَالَ هُوَ: يَا إِخْوَتَاهُ، إِنِّي لست أَجهل مَا تعلمون، ولكنى كيف اصنع بقوم يملكوننا وَلَا نملكهم! ها هم هؤُلاءِ قد نارت معهم عبدانكم، وثابت إِلَيْهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم مَا شاءوا، فهل ترون موضعا لقدرة عَلِي شَيْءٍ مما تريدون؟ قَالُوا: لا. قَالَ: فلا وَاللَّهِ لا أرى إِلا رأيا ترونه إِذْ شاءَ اللّهُ، إِن هَذَا الأمر أمر جاهلية، وإن هؤُلاءِ القوم مادة، وَذَلِكَ أَن الشَّيْطَان لم يشرع شريعة قط فيرح الأرض من أَخذ بِمَا أبدا. إِن الناس من هَذَا الأمر إِن حرك عَلِي أمور: فرقة ترى مَا ترون، وفرقة ترى مَا لا ترون، وفرقة لا ترى هَذَا وَلَا هَذَا حتَّى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فأهدئوا عني وانظروا ماذا يأتِيكم، ثُمَّ عودوا. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص437

ومعاوية وعمرو بن العاص والخوارج. وكل كتلة كانت تستند الى حق ما هو يمثل نواة تبرير تسمح لها بشرعية الحراك السياسي الذي ترتبه. وعلى أساسها ستنشق الاتجاهات الفكرية العقدية التي ستغذي عالم الإسلامي الفكري لقرون طويلة؛ هي التشيع والخروج والتسنن. كل ذلك حدث في فترة لا تزيد عن خمس سنين هي زمن قصير إذا قيس بعمر الأفراد فما بالك بعمر المجتمعات والشعوب.

كان مقتل علي سيكون فرصة للعودة الى مبدأ الشورى العامة في اختيار خليفة جديد والى النقطة التي انطلق منها علي لكن المفارقات في تاريخ الإسلام في تلك الفترة لا تني تحدث فتزيد في تعقيد الأمور. اذ لو لم يكن معاوية قد أعلن نفسه خليفة في الشام قبيل مصرع علي لكان من السهل أن يعود عقلاء الأمة الى قاعدة الشورى ويتجاوز الجميع هرج الفتنة. لكن ذلك غدا بعيد المنال؛ خاصة في ظل النظام الجديد الذي صارت اليه بلاد الشام ومصر. وهو وضع يشبه خلافة موازية او خلافة بديلة تشكلت في خضم المنعطف الأخير من الفتنة. فهل كان معاوية مستعدا للتراجع وكظم طموحه الجارف للحكم لأجل ضرورة الخضوع الى شرعية الشورى؟ لقد وعد عمرو بن العاص بملك مصر طعمة له نظير اشتراكه معه في محاربة علي ووعد قبائل بأسرها وفئات وعناصر بعوائد ومنح ومكاسب مالية واقطاعية وتنازلات¹، فهل كان سيتغاضى عن كل ذلك ويؤوب الى مظلة الشرعية كفرد من أفراد المسلمين؟

لقد خاط معاوية نسيجا سياسيا جديدا ما كان مستطاعا ترميقه الا عبر سيل من الدماء؛ لأنه لم يكن وهو يصول عليا يمثل شخصه فقط؛ بل كان رمزا للقوى القرشية الأموية، وللقوى اليمنية في بلاد الشام وأحلافها. وهذه بعد كل الجهود التي بذلتها في نصرتها معاوية، ودماء أبنائها التي أهدرت في ميادين القتال الى صفه، لا ترضى أن تخرج من الأمر بدون عوائد؛ وبالتالي فان العودة الى لحظة مقتل عثمان من اجل البناء عليها أصبحت طوي لا تتحقق الا في عالم الخيال. خاصة وأن كل لحظة تمر من عمر الفتنة كانت تغير في وعي كثير من الناس وتفتح أعينهم على الطبيعة السياسية. المادية للرهنات، وكل خطوة كان يتقدم بها معاوية كانت تتم بواسطة صفقات وعهود ووعود؛ بحيث استطاع ان يضع في حساباتهم انهم مشاركون في حكمه بطريقة او بأخرى وأن مصيرهم مرتبط بمصيره. في الوقت الذي كان عليا مستمرا في تجسيده قيم الدين الحق بوصفه ممثلها الشرعي؛

¹ وأنت مُعاوية عيونه بشخص الأشر واليا على مصر، فبعث إلى رأس أهل الحجاج بالقلم فقال له: إن الأشر قادم عليك، فإن أنت لظفت لكفاتي إياه لم آخذ منك خراجا ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص398. ولما بعث ابن الحضرمي الى البصرة أمره بقراءة كتاب كان معه من مُعاوية يذكرهم فيه آثار عُثمان فيهم وحب العافية لهم وسده لثغورهم واعطاءه إياهم حقوقهم، ويصف حاله وقتل من قتله مسلما محرما صائما بغير دم انتهكه، ويدعوهم إلى الطلب بدمه ويضمن لهم أن يعمل فيهم بالكتاب والسنة، ويعطيهم عطاءين في كل سنة، ولا يحمل عنهم فضلا من فيهم أبدا. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص425.

أخذاً مسؤوليته بجدية مثالية وبمسلكية شديدة الحساسية للعدل والأمانة؛ يبدو أنها صارت من الماضي القريب، كما يبدو أن عوائد الناس تغيرت، وان أبا الحسن لم يعد موالياً، ولم يعد رجل اللحظة التاريخية المناسب¹.

بحسه السياسي الأريب تحول معاوية في مأمته بالشام رأساً استقطب جميع من كانت مصالحهم تتقاطع ضد التوجه الذي أعلن عنه علي فور تسلمه البيعة بالمدينة حيث تحولت دمشق ونواحيها مصراً عربياً قرشياً أموياً شديد التجانس ووحدة الرؤيا وكلما كان علي يتقدم بقراراته واجراءاته في سبيل تصفية مخلفات العهد السابق كانت الفئات المحافظة تسرع الى الالتحاق بالشام حيث كان يتقبلها معاوية موسعاً لها في الرزق. او كانت تتراجع أمام علي الى أماكن أخرى مثلما حدث مع قبيلة بجيلة التابعة لزعامه جرير بن عبد الله البجلي والتي فضلت الانتقال من الكوفة الى قريسيه تخلصاً من الضغط الذي مارسه عليها العناصر الموالية لعلي لكونها استمرت موالية لعثمان ولتوجهات السياسة العثمانية. وقد بلغ الغضب بعلي أن قام بحرق دار جرير بن عبد الله بالكوفة تعبيراً منه عن سخطه الشديد من الموقف الذي اتخذته ضده؛ فما كان من معاوية الا استرضاء جرير ومكافأته بأن بنى له داراً جليلاً في دمشق². وقد تعددت حالات الهرب من العراق وغيرها طلباً لمعاوية بالشام لأن علياً لم يبد أي مرونة في تحقيق ما كان قد أعلنه سابقاً. وما حدث لعقيل بن ابي طالب الذي رأى أن مائدة معاوية أدمم فقد روى المسعودي: أخبار معاوية وسياسته، وما أوسع الناس من أخلاقه، وما أفاض عليهم من بره وعطائه، وشملهم من إحسانه: مما اجتذب به القلوب، واستدعى به النفوس، حتى آثروه على الأهل والقربان. من ذلك أنه وفد عليه عقيل ابن أبي طالب منتجعاً وزائراً، فرحب به معاوية، وسرَّ بوروده، لاختياره إياه على أخيه، وأوسعته حلاًماً واحتمالاً، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت علياً. فقال: تركته علي ما يحبُّ الله ورسوله وألفيتك علي ما يكره الله ورسوله، فقال له معاوية: لو لا أنك زائر منتجع جناباً لرددت عليك أبا يزيد جواباً تألم منه، ثم أحبَّ معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخفضه، فوثب عن مجلسه، وأمر له بنزل، وحمل إليه مالاً عظيماً، فلما كان من غد جلس وأرسل إليه فأتاه، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت علياً أخاك. قال: تركته خيراً لنفسه منك، وأنت خير لي منه³. وعبد الله بن عامر الذي كان والياً على البصرة¹. ومثله فعل مصقلة بن هبيرة والذي كان من

¹ حدث ابن أبي رافع، وكان خازناً لعلي على بيت المال، قال: فدخل يوماً وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال فدكان عرفها، فقال: من أين لها هذه. الله علي أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها. فسكت. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص158. عن الأعمش قال: والله تعجبت لعلي واصحابه. انه كان مع علي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مع معاوية اعاريب اليمن لحم وجذام وغيرهم من القبايل. لهم اطوع لمعاوية من أصحاب علي، يستعمل الرجل فاذا أصاب المال فر الى معاوية. وعلي يقسم كذا وكذا أنواع الغلة والله لو بقي لرفع الى معاوية. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الوسط، ت محمود إبراهيم زايد، ط1، دار الوعي، القاهرة، 1977م، ج1، ص99.

² فخر جرير من الكوفة ليلاً في اناس من اهل بيته، فلحق بقريسيه، وهي كوره من كور الجزيرة، فأقام بها. وغضب علي لخروجه عنه، فركب الى داره، فامر مجلس له فاحرق. أبو حنيفة الديوري، المصدر السابق، ص161.

³ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص36.

قصته أنه كان عاملاً لعلي على أردشير خره وأنه حدث أن سبي أحد عمال علي قوم من النصارى والعرب اتهموا بالخروج على الدولة مع الخريت بن راشد فأراد مصقلة تحريرهم فاشتراهم من غير أن يتمكن من دفع ثمنهم فخاف من صولة علي عليه. روى ذهل بن الحارث قال: دعاني مصقلة إلى رحله فقدم عشاؤه، فطعمنا منه، ثم قال: واللّه إن أمير المؤمنين يسألني هذا المال، ولا أقدر عليه، فقلت: واللّه لو شئت ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال، فقال: واللّه ما كنت لأحملها قومي، ولا أطلب فيها إلى أحد ثم قال: أما واللّه لو أن ابن هند هو طالبني بها أو ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان حيث أطمع الأشعث من خراج أذربيجان مائة ألف في كل سنة. فقلت له: إن هذا لا يرى هذا الرأي، لا واللّه ما هو ببازل شيئاً كنت أخذته، فسكت ساعة، وسكت عنه، فلا واللّه ما مكث إلا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية². ولما بلغ عليا صنيع مصقلة لم يزد على أن قال: ما له برحه الله، فعل فعل السيد، وفر فرار العبد، وخان خيانة الفاجر. أما واللّه لو أنه أقام فعجز ما زدنا على حبسه، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه، وإن لم نقدر على مال تركناه. ثم سار إلى داره فنقضها وهدمها³. ففي النهاية لم يكن علي ليعطل حداً من حدود الله وكان سيأخذ مصقلة بخطفه سواء رقت العقوبة أو غلظت وذلك ما كان مصقلة يريد تفاديه. ويبدو أن مقام مصقلة في الشام قد أعجبه فكتب من هناك إلى أخيه نعيم بن هبيرة وكان شيعياً ولعلي مناصحاً: أما بعد، فإنني كلمت معاوية فيك، فوعدك الإمارة، ومناك الكرامة، فأقبل إلي ساعة يلقاك رسولي إن شاء الله، والسلام. فلم يطاوعه أخوه في ذلك⁴. وكان معاوية يعلم شدة حرص عمرو بن العاص على إمارة مصر فكتب إليه يمينه ويجرك رغباته التي أجهضها عثمان فشاور مولاه وردان فكان جوابه: إن مع علي آخرة ولا دنيا معه، وهي التي تبقى لك، وإن مع معاوية دنيا ولا آخرة معه، وهي التي لا تبقى عليك، فاختر لنفسك أيهما أحببت. لكن معاوية عرف كيف يضرب وتر رغائب عمر فقرر الالتحاق بمعاوية، فمنعه عبد الله ولده، ومولاه وردان فلم يمتنع حتى إذا كان بمفرق الطريقين: طريق العراق وطريق الشام، فقال له وردان: طريق العراق طريق الآخرة، وطريق الشام طريق الدنيا، وإن نحن منقلبون عنها، فأيهما تسلك وفقك الله. فقال: طريق الشام يا وردان، والربّ مسامح وغفور، فقم. حتى لحق بمعاوية⁵. وكان أبو هريرة يصلي خلف علي، ويأكل على سباط معاوية، ويعتزل القتال، ويقول: الصلاة خلف عليّ أمّ، وسباط معاوية أدسم، وترك القتال أسلم⁶. ورجال

¹ ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص311-312. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج4، ص259.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص130.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص130.

⁴ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص130. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص418. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص720. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص375.

⁵ الدواداري، المصدر السابق، ج3، ص361-363.

⁶ العكري، المصدر السابق، ج1، ص265.

مثل عبيد الله بن عمر الذي لحق بمعاوية خوفاً من عليّ أن يقيد به بالمرمزان فخرج حتى لحق بمعاوية، فقال معاوية لعمرو: قد أحيا الله لنا ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقدم عبيد الله ابنه علينا. قال: فأراد معاوية علي ان يقوم في الناس فيلزم عليا دم عثمان، فأبى¹. وآخرين مثل بشر بن عصمة المزني². وقيس بن قرة التميمي³.

تقودنا الوقائع الآنفة الى حقيقة أن التحاق العناصر التي اتينا على ذكرها بمعاوية في الشام كانت تعني فيما تعني أيضا حصول معاوية على وفرة من الكفاءات والمواهب في الإدارة والسياسة التي سيعرف كيف يستخدمها فيما بعد لما يتحقق له النصر وتستقر له الأمور لحياكة نسيج دولته. وذلك لأن ترك علي وتفضيل معاوية عليه يتماشى تماما مع منطق المرحلة؛ وهو ذاته المنطق الذي حير علي وأدهشه، وأطاح برأسه في النهاية. فعلي كان يريد أن يحمل القوم على الحق كما تراه حساسيته الدينية التقوية؛ لكن القوم كانوا في واد آخر بعيد صنعته حداثة العهد بالنعمة الجزيلة والنعمة المتوافرة وشتى ثمرات الحكم التي اتاحتها لهم دولة الإسلام الجديدة. كان مرامهم طلب الفرصة واغتنامها، وكان معاوية يروم الأعوان والأركان والنصرة؛ فتوافقا وتآلفا⁴.

ان التشيع حالة تاريخية انسحب عليه ما ينسحب على أي ظاهرة تاريخية ذات أبعاد اجتماعية وعقائدية؛ حيث تتولد من رحم احداث معينة وفي داخل سياقات تاريخية خاصة؛ ثم تأخذ في التطور والتعقيد او في الضمور والانكماش بحسب التحديات التي تواجهها وبحسب طبيعة استجابتها هي للأحداث والوقائع. فقد جاءت ولادته التاريخية في خضم المناخ الذي ساد الأمصار الإسلامية عقب اغتيال الخليفة عثمان بن عفان كموقف سياسي اتخذته القوى الاجتماعية التي اختارت ان تصطف الى جانب علي لما أعلنته المدينة خليفة رسميا بعد عثمان. ومن ثم فقد خضع من . حيث هو موقف سياسي بحت . الى عدة ظروف وتحولات نقلته من البعد السياسي الى الفضائات الدينية والروحية والثقافية. وانتقل من مجرد مساندة سياسية لأحد رجال الإسلام السابقين المستحقين للخلافة الى هوس روحي ديني بشخصه وشخصيته ومناقبه كان يتضاعف ويتعمق ويتجذر تحت لمبيب المحنة التي لحقت به وبآل بيته وأنصاره. لقد ارتبط تفتحته منذ البداية بسياق النزاع والصراع، وانغرس جذوره بعيدا في تربة الكفاح والنضال والمصاولة منذ أيام علي الى آخر علوي تائر من صلبه؛ اذ لو استقرت الأمور لعلي ولم تحدث المنازعات التي حدثت ما كان قيض للتشيع أن يظهر في تاريخ الإسلام. لكن الأمور جرت في الاتجاه الذي جرت

¹ الذهبي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص378. أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص162.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص28.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص29.

⁴ عن سفيان بن عيينة قال: عرض المغيرة بن شعبة بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمر به شاب من الجند فقال: يا غلام زد هذا في عطائه كذا وكذا، قال: فقام شاب كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله هذا ابن عمي لما ليس له علي فضيلة في نسب ولا نجدة فألحقني به، قال: لا، قال فمر من يحط من عطائي ليظن من حضر أن بك علي موحدة، قال: لا، إن أبا هذا كانت بيني وبينه مودة وكان صديقا لي وإن المعرفة تنفع عند الجمل الصوول والكلب العقور فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب. أبو الفرج النهرواني، المجلس الصالح الكافي، المصدر السابق، ص522.

فيه، وصار مسألة حق علي في الخلافة قضية سياسية في بدايتها ثم تطورت بعد ذلك لتحتل مكانها في المجال الديني، وتتحول من التاريخ الى العقيدة.

بين مقتل عثمان الدامي وخيبة علي في الحصول على الاجماع قامت مفارقة تاريخية موجعة ولدت كل التيارات السياسية . الدينية التي عرفها تاريخ الإسلام الباكر واستمرت تتحكم بها وتخضعها لمساراتها وتحولاتها. فالعنف الذي طال عثمان ودماءه التي سالت على مصحفه ظلا يغذيان تاريخ الأمة الإسلامية اللاحق واكتوى الجميع بناره. وافتتح طرقا ومسالك جديدة في تعامل السلطة مع رعيته وفي اشكال خضوع الرعية او عدم خضوعها للسلطة تلك. كما افرز أفكارا وتصورات مستحدثة عن السلطة وطبيعتها وشرعيتها وعلاقتها بالإسلام وتاريخ الإسلام، وأعاد تشكيل الأمة كمجال سياسي وقاعدة اجتماعية ومستندات شرعية جديدة للحكم. وأقحم جل القوى الاجتماعية للأمة في أتون الفعل السياسي من أجل التغيير أو رفض التغيير؛ من أجل توليد واقع جديد تجد فيه القوى التي كانت تشعر بالتهميش منتفسيها وتعثر لها على مكانة ودور، او المحافظة على المكاسب المتحققة في العهد الماضي.

والواقع أن مصادرنا التاريخية الأكثر حيادا تكاد تلتزم الصمت إزاء النشاط السياسي لعلي خلال فترة الخلفاء الراشدين الثلاثة؛ خلا بعض الإشارات الى دوره الاستشاري في خلافة عمر بن الخطاب. ولا نكاد نجد له حضورا في الأمصار خلال تلك الفترة؛ كأنه كان ملتزما بالإقامة في المدينة يدبر شؤونه الخاصة ويراقب تطور الهيمنة القرشية . الأموية على شؤون الخلافة. كما ان ذات المصادر تترك لدينا الانطباع بأن الحيشيات التي أحاطت بوصول عثمان الى الخلافة وتنامي الدور القرشي . الأموي في تدبير شؤونها دفعت بعلي بعيدا عن مراكز صنع القرار وإدارة شؤون الأمة؛ تاركا عثمان وسط مستشاريه ومساعديه الجدد ممن لم تكن له سابقة في الإسلام ولا قرى من النبي، وبالتالي فقد كان عزوفه عن الدنو من محيط سلطة الخلافة يعبر عن موقف سياسي متحفظ إزاء التحولات التي كانت تجري¹، وكانت العصبية القرشية تقف وراءها بدأب ومثابرة. لكنه لم يخرج من المدينة؛ وليس بين أيدينا ما يدل على اتصالات سياسية جادة مع القوى المتوزعة في الأمصار؛ وبعض الروايات التي وصلتنا تشير الى أن القوى الفاعلة في الكوفة كان هواها مع طلحة بن عبيد الله، اما الهوى السياسي للقوى المتنفة في البصرة فكان يتجه الى الزبير بن العوام². وكلا الرجلين كان يجمع بين الانتماء الى قبيلة قريش والسابقة المحيطة في الإسلام، الى جنب أنهما كانا من بين الرجال الستة الذين اقترحهم عمر للامساك بزمام الخلافة من بعده. وقد اشتغل كلاهما بالنشاط التجاري وحققا أرباحا مهمة طيلة الفترة التي حكم فيها عثمان الى جنب ما كان يأخذانه من ديوان العطاء وما

¹ قتل عثمان وعلي بأرض له يقال لها: الأُبَيْعَةُ فَوْقَ الْمَدِينَةِ بِأَرْبَعَةِ فَرَسَاتٍ، البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص206.

² تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص452.

اكتسبها من غنائم الفتوح التي شاركها فيها. واستطاعا في خضم ذلك كله أن يعقدا صلات وروابط متينة مع كثير من اهل الشرف والوجاهة في الأمصار¹.

2. الأدوار التي لعبتها القبائل اليمنية في موقعي الجمل وصفين:

كان علي يتمتع بسمعة قامت على العلم والبطولة والسابقة في الإسلام الى جنب العلاقة الحميمة التي كانت تربطه بالنبي؛ بوصفه الطفل الذي تربى في بيت النبوة وعرف الإسلام باكرا وخاض نضالاته الأولى في مكة قبل أن يشتد عوده ثم صار زوجا لفاطمة بنت النبي الصغرى والأثيرة. وكان باعه طويلا في كل ما عرفه الإسلام في المدينة الى غاية فتح مكة. وكانت اعترافات النبي بفضلها وعلمه يتردد صداها عند المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار والمسلمين الجدد العائدين من الردة ومن جاء بعدهم. وبالتالي كان يتمتع بمهابة شخصية عظيمة بوصفه أحد القيمين على ميراث النبوة وقيم الإسلام الحقبة جعلته محل نظر طلاب الدين والمعرفة. كما لا ننسى انه كان مرشحا قويا للخلافة، واستطاع أن ينافس عثمان الى آخر لحظة في سباق الحصول عليها؛ رغم الدعم القرشي. الأموي الذي كان يقف خلف عثمان؛ وبالتالي فان قسما كبيرا من الأمة كان يضع ثقته فيه ويراه أهلا للخلافة. ان القوائم التي وضعها ابن سعد في طبقاته لحملة العلم الذين تقربوا من كبار الصحابة واخذوا عنهم ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بإشكاليتنا، لأنها تضمنت جملة من الأفراد الذين تقربوا من علي وتعلموا على يديه، ومن جملة ما يلاحظ فيها هو الحضور اليمني الكثيف. وقد أحصيت منهم على سبيل المثال لا الحصر من همدان: سعيد بن نمران الناعطي من همدان². وقيس الخارفي الهمداني³ وسعيد بن وهب الهمداني: وكان لزوما لعلي بن أبي طالب فكان يقال له القراد للزومه إياه⁴. وعبد خير بن يزيد الهمداني روى عن علي بن أبي طالب وشهد معه صفين. وبارز وقتل⁵. وهانئ بن هانئ الهمداني وقد وصفه ابن سعد بأنه كان يتشيع⁶. وعبد الرحمن بن زيد

¹ عن موسى بن طلحة أن معاوية سأله: كم ترك أبو محمد. يرحمه الله. من العين. قال: ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف دينار. وكان ماله قد اغتيل. كان يغل كل سنة من العراق مائة ألف سوى غلاته من السراة وغيرها. ولقد كان يدخل قوت أهله بالمدينة سنتهم من مزرعة بقناة كان يزرع على عشرين ناضحا. وأول من زرع القمح بقناة هو. فقال معاوية: عاش حميدا سخيا شريفا وقتل فقيرا. رحمه الله. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص166. عن أبي حصين أن عثمان بن عفان أجاز الزبير بن العوام بستمائة ألف فنزل على أخواله بني كاهل فقال: أي المال أجد. قالوا: مال أصبهان. قال: أعطوني من مال أصبهان. عن عروة قال: كان للزبير بمصر خطط وبالإسكندرية خطط وبالإسكندرية خطط وبالكوفة خطط وبالبيصرة دور. وكانت له غلات تقدم عليه من أعراض المدينة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج3، ص79. 81.

² كان سعيد بن نمران من أصحاب علي بن أبي طالب. وضمه إلى عبدة الله بن العباس بن عبد المطلب حين ولاه اليمن. وكان ابنه مسافر بن سعيد من أصحاب المختار. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص145.

³ وكان سيد الخارفين. قال: أتيت عمر فقلت: إن أهلي يريدون الهجرة. فكتب إلى ابن أبي ربيعة أن يحملهم وجههم. قال فحملهم. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص181.

⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص210.

⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج6، ص244.

⁶ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج6، ص245.

الهمداني لزم علي في كل وقائعه¹. وعمرو بن شرحبيل الهمداني، ومرة بن شراحيل الهمداني، ووهب بن الأجدع الهمداني، وقيس الخارفي الهمداني، وسعيد بن وهب الهمداني، وخمير بن مالك الهمداني، وعمرو بن عبد الله الأصم الهمداني، وقيس بن عبد الهمداني، وعبد خير بن يزيد الهمداني، وشريح بن النعمان الصائدي الهمداني، وعبيد بن عمرو الخارفي الهمداني. ومن مراد: وعبيدة بن قيس السلماني المرادي²، وعبد الله بن سلمة الجملي المرادي، وأويس القرني المرادي، ومن كندة: حجر بن عدي الكندي، وزاذان أبو عمرو مولى كندة، وميسرة بن عزيز الكندي، وحجبة بن عدي الكندي. ومن الأزدي: ربيعة بن ناجد الأزدي، وعلي بن ربيعة الأزدي، وعبد الله بن سخبرة الأزدي. ومن مذحج: علقمة بن قيس النخعي المذحجي، وعباس بن ربيعة النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي وكان ممن شهد صفين مع علي، وعمير بن سعيد النخعي، وكميل بن زياد النخعي، والحارث بن قيس الجعفي المذحجي، وأبو ظبيان الجني المذحجي وطارق بن شهاب من سعد العشيرة. ومن قضاة: زيد بن وهب الجهني، وكليب بن شهاب الجرهمي، وأبو القعقاع الجرهمي، وعمارة بن ربيعة الجرهمي وميسرة بن حبيب النهدي. ومن خزاعة: عبيد بن نضلة الخزاعي، ومن بجيلة: حبة بن جوين البجلي، وقيس بن حازم من أحمس³. ومن الأنصار: عبد الرحمن بن زيد الأنصاري، وعبد الحمن بن أبي ليلى الأوسي الأنصاري⁴ ومن ربيعة: عبد الله بن أبي الهذيل العنزري، وزيد بن صوحان العبدي وكان قد قام إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك. اعتدل تعتدل أمتك. ثلاث مرار. قال: أسمع مطيع أنت. قال: نعم. قال: الحق بالشام. قال فخرج من فوره ذلك فطلق امرأته ثم لحق بحيث أمره⁵. وصعصعة بن صوحان العبدي، وأبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، وزر بن حبيش الأسدي، ويزيد بن شريك التيمي.

¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج6، ص249.

² عن محمد بن سيرين أن عبيدة كان عريف قومه فقسم بينهم عطاء لهم. قال فضل من ذلك درهم فأمر أن يقرع بينهم في ذلك الدرهم. قال فدنا إليه رجل فقال: إن هذا لا يصلح. فقال: أوليس قد كنا نفعل هذا في مغازينا. قال: فإنكم كنتم إذا فعلتم ذلك قسمتم بين القوم ثم أفرعتم بينهم فلم يخرج أحد من أن يصيبه سهم. وإنك إن قرعت بينهم في هذا ذهب به أحدهم دون أصحابه. قال فقال له: صدقت. قال فأمر بذلك الدرهم أن يشتري به شيء ثم يقسم بينهم. وكان علي يقول: يا أهل الكوفة أتعجزون أن تكونوا مثل السلماني والهمداني. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص152.

³ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج6، ص145.

⁴ حدثنا الأعمش قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد أوقفه الحجاج وقال له: العن الكذابين علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد. قال: فقال عبد الرحمن: لعن الله الكذابين. ثم ابتدأ فقال: علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد. قال الأعمش: فعلت أنه حين ابتدأ فرفعهم لم يعنهم. قال: أخبرنا أبو معاوية الضير قال: حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه كان إذا سمعهم يذكرون عليا وما يحدثون عنه قال: قد جالسنا عليا وصحبناه فلم نره يقول شيئا مما يقول هؤلاء. أولا يكفي عليا أنه ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وختنه على ابنته وأبو حسن وحسين شهد بدرًا والحديبية. كان عبد الله بن عكيم يحب عثمان وكان ابن أبي ليلى يحب عليا. وكانا متواخيين. قالت فما سمعتهما يتذاكران شيئا قط إلا أني سمعت أبي يقول لعبد الرحمن بن أبي ليلى: لو أن صاحبك صبر أتاه الناس. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج6، ص168. 170.

⁵ وكان ممن شهد الجمل مع علي فقتل فيها وأوصى أن يدفن معه مصحفه. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج6، ص178.

يستلقت انتباهنا في هذه القائمة وفرة العناصر الهمدانية التي تكاد تشكل ثلث العدد، ويتلوها في الأهمية العددية كلا من العناصر من مذحج ثم قضاة ثم ربيعة، والحقيقة ان هذه النسب تتوافق تماما مع الخريطة القبلية للعشائر العربية التي أعطت عليا ولاءها السياسي وقاسمته نزاعاته السياسية في مرحلة لاحقة. هذه القبائل التي لم يكن حضورها كثيفا في الفترة التاريخية التي تأسست فيها الكوفة وجل عناصرها لم يسبق له الاشتراك في ملاحم المسلمين الأولى كالأيام والقادسية؛ وبالتالي كانت عوائدها من ديوان العطاء أقل بكثير من عوائد المتقدمين¹. وكانت مرتبتها في الفضل والفخر القائمين على مدى المساهمة في نصرة الإسلام النبوي ومواجهة المرتدين في خلافة ابي بكر وتدشين الحركات الأولى التي انبثقت منها شرارة الفتوح؛ مرتبة متأخرة. وقد أطلقت المصادر عليها صفة الروادف؛ وهم المهاجرون الذين التحقوا سواء بالأمصار او الجيوش في الفترات التي لحقت المعارك الكبرى الفاصلة، وقد التحقوا بمن يعرفون ويألفون ممن يقاربهم النسب والجوار: فلما ردفتهم الروادف، البدء والثناء، وكثروا عليهم، ضيق الناس المجال، فمن كانت رادفته كثيرة شخص إليهم وترك محلته، ومن كانت رادفته قليلة أنزلوهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم، وإلا وسعوا على روادفهم وضيقوا على أنفسهم². وقد أحصى المقرئ خمسة هجرات عربية تمت في عهد عمر وشملها العطاء³.

وقد ذكر الطبري في نص هام رغبة هؤلاء الروادف في التعويض عن تأخرهم التاريخي بالمشاركة الحثيثة في المعارك القادمة مثل معركة نهاوند التي قادها النعمان بن مقرن المزني: وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الروادف، ليلوا في الدين، وليدركوا حظا⁴. وعبارات النص على اقتضاها الا انها صريحة في الإشارة الى ان دوافعهم الى المبادرة بالخروج للقتال كانت تدور حول اكتساب المنقبة الدينية والحصول على الغنيمة؛ يعني الجمع بين حظ الدين وحظ الدنيا. وقد استطاعوا في الحقيقة الحصول على مبتغاهم اذ ينص الطبري على أن عمر: ألحق من شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاء فاضلا في ألفين ألفين، ألحقهم بأهل القادسية⁵. وستظل هذه الدوافع هي ذاتها ما سيحفزهم على الالتفاف حول علي ومصاحبته في كل ما شهدته خلافته. ويبدو أن التفاوت في مراتب الناس الاجتماعية في الكوفة هو الذي كان يقف خلف التوترات التي كانت تشهدها الكوفة منذ البدايات الأولى

¹ ثم فرض لمن ولي الأيام قبل القادسية وأصحاب اليرموك، ألفين ألفين، ثم فرض لأهل البلاء البارح ألف وخمسمائة ألف وخمسمائة، وللروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك ألفا ألفا، ثم لمن ردف الروادف خمسمائة وخمسمائة، ثم لمن ردف أولئك ثلاثمائة ثلاثمائة، وسوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل، قويهم وضعفهم، عريمهم وعجمهم، ثم فرض لمن ردف أولئك خمسين ومائتين، ولمن ردفهم مائتين، وكان آخر من فرض له أهل هجر على مائتين. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج4، ص194. 195.

² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص45.

³ وردت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين، وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين، فكان آخر من فرض له عمر رضي الله عنه أهل هجر على مائتين، ومات عمر على ذلك. المقرئ، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج1، ص175.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص127. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص394.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص137. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص479.

لتاريخها: عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة وشوا بسعد إلى عمر وقالوا: ذهب بحقوقنا واعتدى علينا فعزله وولى عمار بن ياسر¹.

ان تحليلاً سريعاً لتركيبية الجيش الذي صحب علي في موقعة الجمل وصفين يطلعنا على أن أهم الكتل القبلية التي آزرته ونصرته والتفت حوله في الغالب هي كتل ينتمي جلها الى المهاجرين الجدد من الذين عناهم والى الكوفة سعيد بن العاص في رسالته التحذيرية التي أرسلها الى عثمان: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدماء، والغالب على تلك البلاد روادف ردف، وأعراب لحقت، حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتها. فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدماء ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تتاقلوا عن الحق، وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بما يصاب العدل². والواقع أنه حتى كتلة الأنصار التي تفتخر بدورها التاريخي في إيواء النبي ونصرته وجد كثير من قياداتها أنفسهم خارج حسابات الخلافة وعصبتها في عهد عثمان³، يقاسمها ذات المصير عناصر كثيرة من المهاجرين المغمورين نسبياً الذين لا ينتمون الى قريش. فتحول هؤلاء جميعهم الى هوامش مركز القرار واطرافه امام التقدم القرشي. الأموي المكتسح؛ وبالتالي فان التفاهم بعلي كان يعني أنهم كانوا مدركين ان علياً يجسد فرصتهم التاريخية في استعادة اعتبارهم⁴. وبعد انتقاله من المدينة الى الكوفة تحولت هذه الأخيرة الى عاصمة جديدة للخلافة وتحول العراقيون الى عصبه الخلافة التي تدعمها وتنافح عنها. فانتقلت جميع هذه الفئات الى العراق والى الكوفة تحديداً، وبذلك سيصير النزاع بين علي ومعاوية يعبر عنه بالنزاع بين العراقيين والشاميين، او بين العراق والشام، وستستمر المقابلة والمعارضة بينهما حتى بعد أن يستتب الأمر لمعاوية بالكلية.

لما خرج علي من المدينة كان في صحبته سبعمائة من الأنصار ولما بلغ فيد التحقت به جماعة من طيء⁵. ولما عزم على الخروج الى البصرة كان جيشه متشكل من سبع أسباع موزعة كالاتي: كانت همدان وحمير سبعا عليهم

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج10، ص24.

² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص279.

³ فخرج إلى المُسجدِ فبايعه من بايعه، وبايعت الأنصار علياً الا نفرًا يسيراً. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص429. لقد استعمل عثمان بعض العناصر من الأنصار ممن صاروا بعد ذلك يحسبون ضمن الكتلة العثمانية المنحرفة عن علي مثل: زيد ابن ثابت كان عُثْمَانُ قد ولاه الديوان وبيت المال، فلما حصر عُثْمَانُ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: مَا تَنْصُرُهُ إِلَّا أَنَّهُ أَكْثَرُ لَكَ مِنَ الْعُضْدَانِ فَأَمَّا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى صَدَقَةِ مِزْنَةَ وَتَرَكَ مَا أَخَذَ مِنْهُمْ لُهُ. الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص430.

⁴ كان أبو موسى الأشعري والى الكوفة مدركاً لطبيعة النزاع بين القوة القرشية وبين الفئات المهمشة لما خطب في الناس إثر قدوم علي الى الكوفة يحذرهم الفتنة: شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وأرسلوا سهامكم واقطعوا أوتاركم والزمو بيوتكم. خلوا قريشاً - إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالأمرة - ترتق فتقها وتشعب صدعها فإن فعلت فالأنفسها سعت وإن أبت فعلى أنفسها منت. سمنها تحريق في أدمها. استصحبوني ولا تستغشوني، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها. سيف بن عمر، الفتنة، المصدر السابق، ص141.

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص233.

سعيد بن قيس الهمداني ويقال بل كان على السبع غيره. وكانت مذحج والأشعريون سبعا عليهم زياد بن النضر الحارثي، إلا أن عدي بن حاتم، كان على طيء مفردًا، دون صاحب سبع مذحج والأشعريين. وكانت قيس عيلان وعبد القيس سبعا عليهم سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد الثقفي. وكانت كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة، سبعا عليهم حجر بن عدي الكندي. وكانت الأزد وبجيلة وختعم والأنصار سبعا عليهم مخنف بن سليم الأزدي. وكانت بكر بن وائل وتغلب، وسائر ربيعة - غير عبد القيس - سبعا عليهم وعله بن مخدوج الذهلي. وكانت قريش وكنانة وأسد، وتميم وضبة والرباب ومزينة سبعا عليهم معقل بن قيس الرياحي. فشهد هؤلاء الحمل وصفين والنهروان وهم هكذا¹. وبحسب هذا النص فإن الكتلة اليمنية التي تشكل منها جيش علي تنوزع على القبائل التالية: همدان وحمير والأشعر ومذحج وطيء وكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة والأزد وبجيلة وختعم والأنصار. وهي بمجموعها تشكل أربعة أسبع من سبعة وهي نسبة عالية لا ينافسها من حيث العدد الا ربيعة وهي الكتلة الشيعية المهمة التي طالما نافست الحضور اليمني في مساندة علي والوفاء لقضيته. وفي الكتلة اليمنية تعتبر قبيلتي همدان ومذحج هما الأكثر عددا والأوفر مقاتلة². ورغبة منا في تبسيط المشهد القبلي اليمني فإننا سنقوم بإدراج القبائل اليمنية المذكورة ضمن وحداتها الكبرى بحسب ما تنص عليه كتب الأنساب متجاوزين الخلافات والنقاشات التي لا يخلو منها مصدر من مصادر النسب. وبالتالي فإن كلا من طيء والأشعر والنخع تندرج تحت قبيلة مذحج الكبرى. أما مهرة وقضاعة فيعود نسبها الى حمير، في حين ان خثعم وبجيلة وقبيلتي الأوس والخزرج الأنصاريين كلهم يعود الى قبيلة الأزد³. اما حضرموت فقد دخلت في الكوفة في عداد كندة. وتبقى همدان تشكل وحدة كاملة في حد ذاتها لوفرة عددها. وبالتالي فإن الوحدات اليمنية الكبرى في جيش علي هي: مذحج وحمير والأزد وكندة وهدمان. ويلاحظ ان عدد همدان الغفير الذي لعب دورا محوريا في القضية الشيعية على عهد علي وما تلاه. يعتبر أمرا مستجدا في الكوفة لأن عددها تكثف بعد أن تم تمصير الكوفة من طريق المهجرات الرادفة التي سبق الإشارة إليها⁴.

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص235. 236.

² هشام جعيط، نشأة المدينة العربية، المرجع السابق، ص372.

³ محمد بن يزيد المرزوق، نسب عدنان، المصدر السابق، ص21. ابن عبد البر، الانباه على قبائل الرواه، المصدر السابق، ص101.

⁴ فاحرت أهل الكوفة أهل البصرة، حتى وقعوا في القبائل، فكل قبيلة ذكرها أهل الكوفة ذكر أهل البصرة أن جماعة من هذه القبيلة نزلت بالبصرة منهم طائفة أيضا، حتى وصل أهل الكوفة إلى همدان فسكت أهل البصرة واعترفوا أن ليس بالبصرة من بني همدان أحد. السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج13، ص24.

. همدان:

جسدت همدان نواة التشيع السياسي في براءته الأولى من حيث هو التفاف متحمس حول شخصية علي الذي كان يخوض معركته من أجل الحفاظ على حقه في الحكم بمقتضى شرعية البيعة وشرعية السابقة والتاريخ والأفضلية¹. ولقد تحولت بفضل قوتها العددية وولائها الروحي لعلي الى تشكيلا مهما في القاعدة السوسولوجية للدولة لما صارت الكوفة عاصمة لها على إثر انتصار علي في موقعة الجمل؛ وبالتالي نستطيع الكلام عنها بوصفها مرتكزا هاما في عصبية الخلافة الإسلامية بالمنظور الخلدوني، وهو دور هام استطاعت همدان أن تلعبه وتستمر في تحمل تبعاته فيما كان وما سيكون في قابل الأيام؛ فلم تتخلى عن ولائها لعلي في أحلك لحظاته السياسية لما كان يصارع معاوية ومناصريه من أهل الشام وغيرهم، ولما كان يعاني خلل صفوفه التي فككتها اعتراضات من تلمذ عليه من العناصر الخارجية التي حملت السلاح في وجهه، فقد كانت همدان جنته الأرضية التي يود لو يوفيهما حقها بالجنة السماوية كما جاء في شعره:

لهمدان أخلاق ودين يزينهم وبأس إذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بؤابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام²

والعلاقة بين همدان وعلي علاقة قديمة تعود الى الفترة الأولى التي دخل فيها الإسلام الى بلاد اليمن، وكان النبي قد أرسل علي الى همدان يدعوهم الى الإسلام فاستجاب له جميع الهمدانيون واسلموا على يديه³. ولما آلت اليه الخلافة كان وفدهم من أول الوفود التي قدمت اليه للبيعة والتهنئة⁴ ولما خرج أهل الكوفة على راياتهم قاصدين البصرة خرجت فيهم همدان ورايتها يومئذ لسعيد بن قيس الهمداني ومعه من أشرف قومه وفرسانها: يزيد بن قيس الأرحبي، ومالك بن كعب الأرحبي، وسعيد بن نمران، والحارث الأعور وقوم من بكيل وشبام. وحين بدأت وقائع القتال وحمل وطيسه حول الجمل التف الهمدانيون حول علي ووقفوا بين يديه يذودون عنه؛ فقتل علي رايته يومئذ

¹ لقد استعمل علي عناصر من همدان في مهمات إدارية ومثل سعيد بن نمران الهمداني، سيد همدان، كاتب علي بن أبي طالب، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير. ابن حبيب البغدادي، المخبر، المصدر السابق، ص377.

² ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص339. وقال أيضا إذ رأى همدان وغناءها في الحرب يوم صفين: ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان ستي فتحة الباب

كالهندواي لم تغفل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر نفسه، ج1، ص107. أنساب الأشراف للبلاذري، المصدر السابق، ج2، ص322.

³ بعث رسول الله خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكانت فيمن سار معه، فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي ص علي بن أبي طالب، وأمره أن يقفل حالدا ومن معه، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه. قال البراء: فكانت فيمن عقب معه، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فضلى بنا علي الفجر، فلما فرغ صفتنا صفا واحدا، ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ص، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك الى رسول الله، فلما قرأ كتابه خر ساجدا، ثم جلس، فقال: السلام على همدان، السلام على همدان! ثم تابع أهل اليمن على الإسلام. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص132.

⁴ حسن عيسى أبو ياسين، المرجع السابق، ص119.

عشرة فيهم خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن، وبرز منهم فرسان في ذلك اليوم؛ منهم يزيد بن قيس؛ إذ راح يخترق الصفوف شاهراً سيفه يضرب به وجوه الأزد وضبة فيكشفهم عن مواقفهم وهو يرتجز:

قد عشت يا نفسي وقد غنيت دهرًا فقدك اليوم ما بقيت أطلب طول العمر ما حييت¹

وكان بلاؤهم في ذلك اليوم محل إعجاب علي وفخره، ولم يخف اغتباطه بهم: فقال في بني شاكر من همدان لما رأى غناءهم يوم الجمل: لو تمت عدّتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته². وبقيت ذكرى استبسال همدان يوم الجمل في ذاكرة من شهدوا الموقعة سنين طويلة بعدها. فمن ذلك ما رواه الشَّعْبِيُّ قال: أنه أتى البصرة أيام ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذكروا أهل الكوفة وأهل البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل من أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا حولنا؟ استنقذناهم من عبيدهم؛ يعني الخوارج. قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثّلت قول أعشى همدان:

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عشونه وفتى أبيض وضّاح رفل
وعفونا فنسيتم عفونا وكفرتم نعمة الله الأجلّ

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يأهل البصرة، قد فخر عليكم الشعبي وصدق وانتصف، فأحسنوا مجالسته³. ولما عزم علي على التوجه نحو مصاولة أهل الشام كانت همدان في جملة القبائل الأولى التي ساندته في مسعاها رغم وعورة المهمة وصعوبة ان تتواجه القبائل اليمنية الشامية والعراقية في حالة افناء ذاتي. وقد افضت الأمور إلى حدوث القتال بين الطرفين على أرض صفين. وكان لعناصر قبيلة همدان في تلك الأيام مواطن مشهودة سجلتها المصادر، من ذلك أنه: لما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان، وتقدم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في الأنصار وربيعه، وعدي بن حاتم في طيئ، وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس، فخلطوا الجمع بالجمع، واشتد القتال، وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية، وقد كان معاوية صمداً فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان⁴. واستمر القتال دمويًا قدم فيه الهمدانيون ارواحهم. وقد عبر علي عن عميق امتنانه للهمدانيين واعترافه بصدقهم وبلاؤهم في أبيات شعر سجلتها المصادر منها التالي:

¹ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص602. واقتل أهل اليمن، فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة، كلما أخذها رجل قتل خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص515.

² ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج3، ص339.

³ أبو فرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج6، ص328.

⁴ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص382. وهو القائل بصفين أيضاً: لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قلت قدمها حضين تقدما فيوردها في الصف حتى يرد بما حياض المنايا تقطر الموت والدماء. ابن رشيح القيرواني، المصدر السابق، ج1، ص34.

ولما رأيت الخيل ترحم بالقنا نواصيها حمر النحور دوامي
وأعرض نقع في السماء كأنه عجاجة دجن ملبس بقتام
ونادى ابن هند في الكلاع وهمير وكندة في لحم وحي جذام
تيممت همدان الذين هم هم إذا ناب دهر جنتي وسهامي
فجأوني من خيل همدان عصابة فوارس من همدان غير لغام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام

ولما انتهت مداوات التحكيم بين ابي موسى الشعري وعمرو بن العاص الى ما انتهت اليه وعزم علي على استئناف القتال مع اهل الشام دخل يزيد بن قيس الأرحبي على علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين: نحن أولو جهاز وعدة، وأكثر الناس أهل قوة، ومن ليس به ضعف ولا علة، فمر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة، فإن أخوا الحرب ليس بالسئوم ولا النوم، ولا من إذا أمكنته الفرص أجلها، واستشار فيها، ولا من يؤخر عمل الحرب اليوم لغد، وبعد غد¹.

وكان في ذلك يعبر عن موقف جميع الهمدانيين واستعدادهم لمواصلة بذل النفس في خدمة علي، وفي الوقت الذي تسلسل فيه الملل والفتور الى فئات كثيرة من مقاتلة علي واستنكفوا الخروج الى معاودة القتال ظلت همدان على ولائها ووفائها. وقد خطب علي في أهل الكوفة طالبا منهم الصبر والازر خاصة لما رفض جل البصريين الاستجابة لنفيره مفضلين أن يقفوا منه موقف الحيات فكان أول رد يتلقاه من الكوفة هو كلمة سعيد بن قيس قائد همدان: فقال: يا أمير المؤمنين سمعا وطاعة، وودا ونصيحة، أنا أول الناس جَاءَ بِمَا سَأَلْتَ، وبما طلبت². واستمرت مساهمتها في حرب من عاند من خوارج النهروان مساهمة فعالة وبذل فيها أبنائها من دمائهم ما سجله الطبري: ووقع شريح بن أوفى . كان من الخوارج . إلى جانب جدار، فقاتل على ثلثة فيه طويلا من نهار، وكان قتل ثلاثة من همدان، فأخذ يرتجز ويقول: قد علمت جارية عبيسي ناعمة في أهلها مكفيه أني سأحمي ثلثي العشية؛ فشد على قيس بن معاوية الدهني فقطع رجله، فجعل يقاتلهم، ثم شد على قيس بن معاوية فقتله، فقال الناس: اقتتل همدان يوماً ورجل اقتتلوا من غدوة حتى الأصل ففتح الله لهمدان الرجل³.

¹ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، د ط، المكتبة العلمية بيروت، لبنان، د ت، ج 1، ص 319.

² الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 79.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج 5، ص 87.

لأجل ذلك كان علي شديد الحب لهمدان عارفاً بفضلها؛ حريصاً عليها: حدث هشام الكلبي عن أبيه قال: كَانَ عَلِيٌّ يَطْعَمُ الطَّعَامَ فِي الرَّحْبَةِ فَاقْتَتَلَتْ كَنْدَةَ فِيمَا بَيْنَهَا فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ فَخَرَجَ يَمْشِي وَمَعَهُ الدَّرَّةُ فَرَأَى حِمَارًا عَلَيَّهِ إِكَافٌ فَرَكَبَهُ وَأَتَاهُمْ فَتَوَسَّطَهُمْ عَلَى الْحِمَارِ، ثُمَّ جَعَلَ يَضْرِبُ الْأَشْعَثَ وَعَمَهُ عَفِيْفًا وَيَقُولُ: أَصْلِحَا أَمْرَ قَوْمِكَمَا. قَالَ: وَدَخَلَ رَجُلُ الْمَسْجِدِ يَوْمًا وَعَلِيٌّ يَخْطُبُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَتَلْتَ هَمْدَانَ تَمِيمَ الْكِنَاسَةَ. فَمَضَى فِي خُطْبَتِهِ، وَدَخَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَتَلْتَ تَمِيمَ هَمْدَانَ فَأَدْرَكَهَا. فَقَالَ: الْآنَ. فَانْحَدَرَ مَسْرَعًا عَنِ الْمَنِيرِ فَأَتَاهُمْ فَحَجَزَ بَيْنَهُمْ¹. كما كان يتجاوز عن الأخطاء التي تصدر عن الهمدانيين فقد حدث ان خطب مرة في أهل الكوفة ودعا إلى الجهاد، فقال أريد الفزاري: والله لا نجيبك، فضربه قوم من همدان حتى مات، فوداه علي من بيت المال².

ولما اغتيل علي كان وقع الخبر على الهمدانيين اليما فأقبلوا ودخلوا عليه فقالوا يا أمير المؤمنين: لا تقوم لهم قائمة إن شاء الله تعالى، فقال: لا تفعلوا إنما النفس بالنفس³. ربما لذلك تعمد معاوية الانتقام من الهمدانيين لما وجّه بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي في اليمن، فتقول الرواية انه: سار حتى أتى همدان وهم في جبل لهم يقال له شبام، فتحصنت فيه همدان، ثم نادوا: يا بسر نحن همدان وهذا شبام، فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم؛ فكان أول مسلمات سببن في الإسلام⁴. واستمر الهمدانيون في ولائهم لعلي ووفائهم له من خلال نصرتهم للحسن ووقوفهم معه إلى غاية تنازله عن الخلافة⁵.

وقد بادله الهمدانيون ذات المشاعر، ولم يستنكف بعضهم من التعبير عن غصته بانتصار معاوية لما كان يأخذ البيعة من الناس، فقد روي أنه: لما بايع الناس معاوية اتاه رجل من همدان، قال: أما والله لأبايعنك واني لك

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص168.

² قال علافة بن عركي التميمي في ذلك:

معاذ إلهي أن تكون مني كَمَا مَاتَ فِي سَوْقِ الْبِرَادِينَ أُرِيدُ

تَعَاوَرَهُ هَمْدَانُ حَصْفًا نَعَالَهَا إِذَا رَفَعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ يَدُ

أَبُو الْمُعَالِي بْنِ حَمْدُونَ بَهَاءَ الدِّينِ الْبَغْدَادِيِّ، التذكرة الحمدونية، د ط، دار صادر، بيروت، 1417هـ، ج3، ص222. 223.

³ أبو الفتح شهاب الدين الأصبهاني، المستطرف في كل فن مستطرف، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1419هـ، ص229.

⁴ أبو فرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج5، ص11. جاء لدى البكري في ترجمة موضع المصراع: موضع بديار همدان من اليمن. وكان أبو معيد أحمد بن حمزة الهمداني مع بسر بن أرطاة لما قدم اليمن، ففرى الفرى في شيعة علي، وضرب في هذا اليوم من أعناق الأبناء سبعين عنقا، فسَمِيَ الموضع المصراع، وارتدَّت الأبناء عن التشيع من ذلك اليوم.

البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج4، ص1234.

⁵ وقد حز في نفوسهم ان يتخلى عن الحق الذي قتل والده فدونه فقال شاعرهم:

أَتَانِي فَوْقَ الْعَالِ مِنْ أَرْضِ مَسْكِنَ بِأَنَّ إِمَامَ الْحَقِّ أَمْسَى مُسَلِّمًا

فَمَا زِلْتُ مَذَّ تَبَيْتُهُ بِكَأَبَةِ أَرَاغِي النَّجُومِ خَاشِعِ الطَّرْفِ وَاجِمَا

فَرَاجَعْتُ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ لَهَا أَصْبِرِي فَإِنَّ الْإِمَامَ كَانَ بِاللَّهِ عَالِمًا

البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص70. 71. يقال للأتبار وبادوريا وقطربل ومسكن الأستان العال لكونه في علو مدينة السلام. الحموي، معجم البلدان،

المصدر السابق، ج4، ص70.

لكاره، فقال معاوية: بايع فقد جعل الله في الكره خيرا كثيرا. واقبل آخر، فقال: اعوذ بالله من شرك يا معاوية. فقال معاوية: تعوذ بالله من شر نفسك، فشر نفسك عليك أضر من شري. ثم تقدم آخر من همدان فقال: ابايحك على سيرة عمر بن الخطاب، فقبض يده وقال: فأين رجال عمر. بايعني على دهما جامعة¹.

. مدحج:

نظرا لكثرة العشائر التي تنتسب الى مدحج وتتفرع عنها فقد تمتعت هذه القبيلة بوفرة عددها في الكوفة واكتسبت أهميتها الى جنب همدان في نصرة علي والدفاع عن حقه في الخلافة. وبرزت من بين صفوفها عدة شخصيات قيادية اضطلعت بمسؤوليات كبيرة في جميع الوقائع التي خاضها علي وحازت على ثقته وثنائه. ولعل عمار بن ياسر العنسي² هو الشخصية اليمنية الأهم في صفوف علي لسابقته في الإسلام وقديم صحبته للنبي والاحترام الكبير الذي حظي به من المسلمين.

ان الحماس الذي قاتل به عمار الى جنب علي يجعلنا نتحسس سخطا كبيرا لديه من النفوذ القرشي ربما تعود جذوره الى الفترة الباكورة من ظهور الاسلام في مكة والمعاناة الكبيرة التي جرعتها إياه سادة قريش وكبرائها والتي اضطر الى تحملها حفاظا على إيمانه. وقد راقب صعود القوة القرشية بعد وفاة النبي وتعاضم سطوتها؛ خاصة في عهد عثمان؛ فكان من بين الذين أعلنوا استيائهم من سياسته ونبهوا الى خطر الاستبداد القرشي. لذلك فان ولاء عمار لعلي لم يكن خافيا وقد منحه دعمه ومساندته من البدايات الأولى³. ثم تحول مقتله في صفين مقاتلا الى جنب علي بعد ذلك الى احد العلامات التي ظلت محل تداول في سياق الاحتجاج لأحقية علي بالخلافة وتحديد الفئة الباغية من بين جيش العراق او جيش الشام. وقد خاض عمار جميع الوقائع من الجمل الى صفين حاملا راية القتال ومحرضا جيش العراق على منازلة معاوية ومن معه من اهل الشام معتبرا قتاله مع علي نضالا مستمرا في نصرة الحق⁴. ولم يني يسعر الحرب ويهيج حمية مقاتلي العراق حتى سقط على ارض صفين.

¹ ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تعليق من أمالي ابن دريد، ت مصطفى السنوسي، ط1، مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984م، ص182.

² هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الؤذم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عتس. وهو زيد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وبنو مالك بن أدد من مدحج. كان قدم ياسر بن عامر وأخوه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة يطلبون أبا لهم فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص186.

³ نكتفي بالنص التالي الوارد عند ابن سعد في بيان درجة ولاء عمار لعلي: عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ مَطْرَفٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ بِالْكُوفَةِ وَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ إِلَى جَنْبِهِ وَخِيَاظٌ يَخِيطُ إِمَّا قَطِيفَةً سَمُورَ أَوْ ثَعْلَابًا. قَالَ قُلْتُ: أَلَمْ تَرَ مَا صَنَعَ عَلِيٌّ. صَنَعَ كَذَا وَصَنَعَ كَذَا. قَالَ فَقَالَ: يَا فَاسِقُ. أَلَا أُرَاكَ تَذَكُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ فَقَالَ صَاحِبِي: مَهَلًا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ فَإِنَّهُ ضَيْفِي. قَالَ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ عَمَارُ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص193.

⁴ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلْمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عَمَارَ بْنَ يَاسِرٍ يَوْمَ صَفِّينَ شَيْخًا أَدَمَ طَوَالًا وَالْحَرَّةُ بِيَدِهِ. وَإِنْ يَدُهُ لَتَرَعَشُ وَهُوَ يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُونَا سَعْفَاتِ هَجْرٍ لَعَرَفْتُ أَنَّ مَصْلَحَتَنَا عَلَى الْحَقِّ وَأَهْمُ عَلَى الْبَاطِلِ. قَالَ. وَبِيَدِهِ الرَّايَةُ. فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ قَدْ قَاتَلْتُ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّتَيْنِ وَإِنَّ هَذِهِ النَّالَةَ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج3، ص194.

لقد كشف عمار في سيرته عن حماس شديد للثورة الاجتماعية التي تضمنتها رسالة الإسلام، ولعل غريته في مكة واضطراره الى ان يعيش تحت ولائه لبني مخزوم حتى يضمن الحماية في ظل مجتمع فتوي شديد من بين الظروف التي جعلته ينتبه للمغزى الأخلاقي الإنساني في رسالة النبي وللبعد التكافلي التضامني في الدين. وقد عبر عن هذا النزوع ابان امارته القصيرة على الكوفة، واستمر هذا المنحى معه في معارضته لعثمان واهل بيته واختياره الصريح الانضواء تحت راية علي إيماناً بمبدأ التسوية في وجه التراتبية التي كانت تدعمها قريش¹. والنصوص التي تتضمن هذا المعنى في سيرته وافرة فمن ذلك ما ورد عند ابن سعد في روايته عن: عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار بن ياسر أنه قال وهو يسير إلى صفين على شط الفرات: اللهم إنه لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت. ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت. اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقى نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت. **فإني لا أقاتل إلا أريد وجهك. وأنا أرجو أن لا تخيبي. وأنا أريد وجهك**². ووجه الله كما فهمه عمار يتجلى في البرنامج الاجتماعي الذي كان علي يصارع لأجله.

تعتبر قبيلة النخع من قبائل مذحج المشهورة التي كان لحضورها في فتوحات العراق وفارس بالغ الأثر. وقد سبق التعرض الى الظروف التاريخية التي استوطن فيها كثير من ابناءها ارض العراق وجعلوا من الكوفة مستقراً لهم. ولما آلت الخلافة الى علي اختار النخعيون الانضمام الى صفوفه والقتال الى جانبه. وقد برز من بينها عدد من الرجال الذين حفظت أخبارهم مصادر التاريخ، ومن أهمهم: كميل بن زياد، والأشتر النخعي واسمه مالك بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس النخعي³. اما مالك الأشتر النخعي⁴، فكان فارس النخعيين وزعيمهم، واحد الذين محضوا علياً الولاء والوفاء وقدموه للبيعة بعيد مقتل عثمان. وكام ممن حرض على عثمان والى عليه واستمر في الاعتراض على سياسته حتى مقتله. ثم عمل على ان تستقر الخلافة في علي في تلك الأيام التي كانت فيها المدينة خاضعة لسلطة قتلة عثمان. وقد سجل اليعقوبي خطبة نسبها اليه في ذلك لا نستبعد ان تكون موضوعة جاء فيها التالي: أيها الناس: هذا وصيُّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله بجنة الرضوان. من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته

¹ تأمل النص التالي: لما استلحم القتال بصفين وكادوا يتفانون قال معاوية: هذا يوم تقان فيه العرب إلا أن تدركهم فيه خفة العبد. يعني عمار بن ياسر. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج3، ص197. والعبارة واضحة في كشف الابعاد الاجتماعية في ذلك الصراع؛ إذ لم تكن منزلة عمار الدينية وسابقته في الإسلام كافية في ان تمحو ذكرى أصوله الاجتماعية من ذاكرة معاوية.

² ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج3، ص195.

³ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص186.

⁴ اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص239.

وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل¹. ووجه الشك في هذه الخطبة هي المفردات التي سيقنت في وصف علي من قبيل الوصي والوارث؛ اذ تبدو مشحونة بدلالات كلامية لم تتبلور الا في زمن لاحق. لكن الذي لا لبس فيه هو أن الاشتهر كان من السابقين الى مبايعة علي ومن ظل يحفره في قتال مناوئيه حتى النهاية. وكان عضده وفي حرب الجمل وصفين، حتى قتل في مصر عندما بعثه علي والياً عليها فحزن لمقتله وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لله مالك ومالك وهو موجود مثل ذلك ولو كان من حديد كان قيذا ولو كان من حجر كان صلدا على مثل مالك فلتبكب البواكي². ولشدة بأسه ومضائه وصف بانه مسعر حرب³.

وفي حرب الجمل أمر علي بتسوية الصفوف حتى إذا اعتدلت دفع الراية إلى محمد بن الحنفية وقال: تقدم بالراية واعلم أن الراية إمام أصحابك، فكن متقدماً يلحقك من خلفك فإن كان لمن يتقدم من أصحابك جولة رجع إليك. وجعل الناس أثلاثاً: مضر في القلب، واليمن في الميمنة وعليهم مالك الأشتهر، وفي الميسرة عمار بن ياسر⁴. وكانت مساهمته في تلك المعركة الشرسة مساهمة هامة عجلت في هزيمة البصريين وكاد فيها ان يقضي علي عبد الله بن الزبير⁵. وفي الفترة التي تلت موقعة الجمل ظل الأشتهر قريباً من علي يشاركه بالمشورة والرأي ولما عزم علي على التوجه لتقاء الشام لمنازلة معاوية كان الأشتهر ممن أيدته في مسعاه؛ اذ جاء في مصنف ابن ابي شيبة: عن عمير بن سعد قال: لما رجع علي من الجمل، وتهيأ إلى صفين اجتمعت النخع حتى دخلوا على الأشتهر، فقال: هل في البيت إلا نخعي، قالوا: لا، قال: «إن هذه الأمة عمدت إلى خيرها فقتلتها، وسرنا إلى أهل البصرة قوم لنا عليهم بيعة فنصرنا عليهم بنكسهم، وإنكم ستسيرون إلى أهل الشام قوم ليس لكم عليهم بيعة، فلينظر امرؤ أين يضع سيفه⁶. وفي صفين كان بلاء الأشتهر عظيماً؛ سواء في القتال أو في التحريض عليه وتنظيم الصفوف ورسم الخطط. وقد حفظ الطبري في تاريخه روايات عديدة تصف همته ورغبته في النصر، من ذلك ما حدث في بعض المناورات التي تراجعت فيها قوات علي امام هجوم جيش الشام: لما اجتمع إليه عظم من كان أنهرم عن الميمنة

¹ احمد بن ابي يعقوب بن واضح يعقوبي، التاريخ، ت عبد الأمير مهنا، ط1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010م، ج2، ص77.

² وخرج الأشتهر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار، فقال: هذا منزل، وهذا طعام وعلف، وأنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الأشتهر، فأتاه الدهقان بعلف وطعام، حتى إذا طعم أتاه بشرية من عسل قد جعل فيها سما فسقاه اياه، فلما شربها مات وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إن علياً وجه الأشتهر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه. قال: فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتهر، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتهر، فقام معاوية في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، قطعت إحداهما يوم صفين - يعني عمار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم - يعني الأشتهر. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص96. المطهر بن طاهر المقدسي، المصدر السابق، ج5، ص256. ابن عساكر، المصدر السابق، ج56، ص391.

³ ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص122.

⁴ أبو عبد الله بن محمد المشهور بالشيخ المفيد، النصر في حرب البصرة، ط1، المطبعة الحيدرية، النجف، 1983م، ص158، 179.

⁵ المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص367.

⁶ أبو بكر بن ابي شيبة، المصدر السابق، ج7، ص538. وهذا النص رغم أهميته الا انه يكتنفه احتمال ان يكون موضوعاً لأن الأشتهر فيه وصف عثمان بانه خير الأمة، في حين أنه كان من بين المخرضين عليه.

حرضهم، ثُمَّ قَالَ: عضوا عَلَى النواجذ من الأضراس، واستقبلوا القوم بهامكم، وشدوا شدة قوم موتورين ثأرا بأبائهم وإخوانهم، حناقا عَلَى عدوهم، قَدَ وطنوا عَلَى الموت أنفسهم كيلا يسبقوا بوتر، وَلَا يلحقوا فِي الدُّنْيَا عارا، وإيم الله مَا وتر قوم قط بشيء أشد عَلَيْهِم من أن يوتروا دينهم، وَإِنْ هُوَ لَاقَوْمٌ لَا يقاتلونكم إِلَّا عن دينكم ليमितوا السنة، ويحيوا البدعة، ويعيدوكم فِي ضلالة قَدَ أخرجكم الله عَزَّ وَجَلَّ منها بحسن البصيرة فطيبوا عباد الله أنفسا بدمائكم دون دينكم، فَإِنْ ثوابكم عَلَى الله، وَاللهِ عنده جنات النعيم وَإِنْ الفرار من الزحف فِيهِ السلب للعز، والغلبة عَلَى الفياء، وذل الحيا والممات، وعار الدُّنْيَا والآخرة¹.

على خطى الأشتر مضى النخعيون في مؤازرتهم لعلي وبذلوا في ذلك دماء غزيره سجل نصر بن مزاحم بعضها منها في احدى نصوص كتابه من ذلك ما يلي: ثم إن النخع قاتلت قتالاً شديداً، فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوزة، وحنان بن هوزة، وشعيب بن نعيم من بني بكر النخع، وربيعة بن مالك بن وهبيل وأبي بن قيس أخو علقمة بن قيس الفقيه، وقطعت رجل علقمة بن قيس فكان يقول: ما أحب أن رجلي أصح ما كانت، لما أرجو بها من حسن الثواب من ربي. ولقد كنت أحب أن أبصر في نومي أخي وبعض إخواني، فرأيت أخي في النوم فقلت له: يا أخي ماذا قدمتم عليه، فقال: التقينا نحن والقوم فاحتججنا عند الله عز وجل فحججناهم فما سررت بشيء مذ عقلت كسروري بتلك الرؤيا².

ذكر ابن مزاحم ان الأشتر: دعا الحارث بن همام النخعي ثم الصهباني، فأعطاه لواءه ثم قال: يا حارث، لولا أني أعلم أنك تصبر عند الموت لأخذت لوائي منك، ولم أخبك بكرامتي. قال: والله يا مالك لأسرنك اليوم أو لأموتن فاتبعني، فتقدم باللواء وهو يقول:

يا أشتر الخير ويا خير النخع وصاحب النصر إذا عم الفزع

وكاشف الأمر إذا الأمر وقع ما أنت في الحرب العوان بالجذع

فقال الأشتر: أدُّ مني يا حارث، فدنا منه فقبل رأسه وقال: لا يتبع رأسه اليوم إلا خير. ثم قام الأشتر يجرض أصحابه يومئذ ويقول: فدتكم نفسي، شدوا شدة المخرج الراجي الفرج، فإذا نالتكم الرياح فالتوا فيها، وإذا عضتكم السيوف فليعض الرجل نواجذه فإنه أشد لشؤون الرأس، ثم استقبلوا القوم بهاماتكم. قال: وكان الأشتر يومئذ على فرس له محذوف أدهم كأنه حلك الغراب³.

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص123.

² نصر بن مزاحم المقرئ، وقعة صفين، ت عبد السلام هارون، د ط، دار الجليل، بيروت، 1990م، ص286

³ نصر بن مزاحم المقرئ، المصدر نفسه، ص172. 173.

ومن بين مآثره التي حفظتها مصادر التاريخ أن معاوية خاف أن يبرز اليه فدعا معاوية جندب بن ربيعة وكان خطب إلى معاوية ابنته فرده ، فقال له عمرو بن العاص: إن قتلت الأشتر زوجك معاوية ابنته رملة فبرز إليه جندب فقال له الأشتر: من أنت وكم ضمن لك معاوية علي مبارزتي؟ قال: يزوجني ابنته بقتلك فأنا الآن آتية برأسك، فضحك الأشتر وحمل عليه جندب برمحه فأخذه الأشتر تحت إبطه، فجعل جندب يجتهد في جذبته فلم يمكنه حتى ضرب الأشتر رمحه ففقد نصفين وهرب جندب فضربه الأشتر بسيفه فصرعه ثم حمل الأشتر فضاربهم حتى أزال عمرو بن العاص عن موقفه وانكشف أهل الشام، وأفضى الأشتر إلى معاوية، فخرج رجل من بني جمع فضارب عن معاوية حتى أنقذه، وكاد الأشتر يصل إليه وحجز بينهم الليل¹.

ان النصوص التي تتعرض لأخبار الأشتر في ساح الوغى كثيرة وطريقة وجلها يكشف عن شخصية مركبة مثل كل الزعامات التي تتحمل أعباء المسؤوليات العامة؛ إذ لم يكن يقاتل بغرض منافع شخصية فردية، وهي وان وجدت فهي مغمورة في بحر مسؤوليته على قبيلته بوصفه رأساً من رؤوسها كمسؤوليته على نجاح مشروع الرجل الذي محضه إخلاصه وولاءه، وكل ذلك يصدر عن رؤيا دينية تجد الحق الى جنب علي، وترتقي الخلاص في الآخرة بمناصره. والنصوص المتناثرة في المصادر التاريخية وكتب المناقب لا تعوزنا في التدليل على ذلك. فمن بينها ما قاله يرد على تخويف معاوية وقادته إياه:

لعمرك يا جرير لقول عمرو وصاحبه معاوية الشامي

فلست بخائف ما خوفوني وكيف أخاف أحلام النيام

وهمهم الذين حاموا عليه من الدنيا وهمي ما أمامي²

وليس ذلك بغريب عن رجل صحب عليا وخبر سريره وعلايته ان يستوعب المرامي الدينية في مشروع علي السياسي، وان يقتبس بعضاً من مسلكه الروحي وانشغاله بأمر آخرته، ويجعل لنشاطه السياسي والحربي غرضاً يشمل الدنيا والآخرة. وقد ظلت ذكراه حاضرة في وجدان من كانوا معه ومن كانوا عليه زمناً طويلاً؛ حيثما استعاد الناس تلك الوقائع؛ فقد حدث المدائني قال: ذكر الأشتر النخعي عند معاوية، فقال رجل من النخع للذي ذكره: اسكت فإن موته أذل أهل العراق، وإن حياته أذلت أهل الشام، فسكت معاوية ولم يقل شيئاً³.

¹ الموفق بن احمد بن محمد المكي، المناقب، ت مالك الحمودي، ط 2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1411هـ، ص232.

² نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص61.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص35.

وإذا كان قد غلبت على الأشر النزعة السياسية والعسكرية فقد برزت من النخع شخصية أخرى لا تقل أهمية عن الأشر، وهو **كميل بن زياد النخعي** الذي اشتهر في التراث الشيعي بنزعه الروحية الواضحة. وهو: كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك النخع بن مذحج. كان شريفاً مطاعاً في قومه¹ ثقة عابداً وقوراً صلباً عند الحرب له بأس². وقد سبق التعرض لنشاط كميل السياسي في سياق الثورة على عثمان؛ إذ كان من ضمن السachsen على أوضاع الكوفة والمتبرمين من التغول الأموي ومن ورائه القوة القرشبية. وانتهت به الأمور إلى الوقوف إلى جنب علي ومساندته في جميع مراحل مسيرته. وقد عرف بكونه أحد تلامذة علي واصفياؤه، ومن نقل عنه كثيراً من الأخبار والأحوال؛ خاصة منها ما يتعلق بالأمور الدينية الروحية³. ولثقة علي فيه فقد استعمله في النظر في أمور بيت المال ابتداءً ثم وجهه إلى إدارة هيت الواقعة على نهر الفرات، وهي بلدة ذات أهمية استراتيجية لأنها واقعة على الحدود بين الشام والعراق متصلة ببادية الشام ليؤمنها ويصد زحف معاوية في تلك الجهة. وفي هيت ادار كميل معاركه مع جيش الشام ببسالة وتحمل مسؤوليته بوصفه حامي نجر العراق من هذه الجهة بنجاح⁴.

وقد طالت حياة كميل وشهد موت معاوية وابنه يزيد وأدرك عهد عبد الملك بن مروان من دون ان يتغير ولاءه العلوي، فلما تحقق خروج ابن الأشعث على الحجاج خرج مع من خرج في معركة دير الجماجم على رأس كتبية القراء التي كادت بجسارتها ان تعصف بحكم بني مروان. لكن الثورة منيت بالهزيمة واستتر كميل من عيون الحجاج فمنع الحجاج النخع أعطياتهم وعبأهم حتى يأتون بكميل بن زياد فلما رأى ذلك كميل أقبل إلى قومه فقال أبلغوني الحجاج فأبلغوه فقال الحجاج يا أهل الشام أتعرفون هذا، هذا كميل بن زياد الذي قال لعثمان أقدني من نفسك فقال كميل فعرف حقي فقلت أما إذا قدتني فهو لك هبة فمن كان أحسن قولاً أنا أو عثمان فذكر الحجاج علي بن أبي طالب فضلى عليه كميل فقال الحجاج والله لأبعثن إليك إنسان أشدا بغضا لعلي من حيك أنت له فبعث إلى أدهم القيسي من أهل حمص فضرب عنق كميل بن زياد⁵.

¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص217. ابن عساکر، المصدر السابق، ج50، ص247.

² الطبري، المصدر السابق، ج6، ص350.

³ كان كميل يذكر في العباد الزهاد. قال علي بن محمد بن أبي سيف المدائني: وفيهم يعني أهل الكوفة من العباد: أويس القريني، وعمرو بن عتبة بن فرقد، ويزيد بن معاوية النخعي، وربيع بن خيثم، وهام بن الحارث، ومعضد الشيباني، وجندب بن عبد الله، وكميل بن زياد النخعي. ابن عساکر، المصدر السابق، ج50، ص250. أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ج24، ص219.

⁴ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص725.

⁵ فلما ظفر الحجاج أتى بكميل فقال أدنوه مني فأدني منه فقال يا عبد النخع أمقعد الجماعة صحيح في الفتنة لطمت عين أمير المؤمنين عثمان بن عفان فعنى عنك معاوية وأوصل إليك عطاؤك. ثم عفا عنك يزيد. ثم عفا عنك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان. ثم قعدت فغفوت عنك، فلما جاء أعرابي من بني تميم تحضت إلى منبر المسلمين ليس بك إقعاد فزعمت أن شر شيئين في قريش وثقيف؛ الحكمين الحكم بن أبي العاص والحكم بن أبي عقيل. ثم نظر إلى يزيد بن هبيرة الحاربي وهو على أهل دمشق الذين كانوا بالعراق فقال: هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمه الله فاضرب عنقه. فقدمه يزيد بن هبيرة فضرب عنقه. أبو العرب محمد بن أحمد المغربي، المحن، ت عمر سليمان العقيلي، ط1، دار

الى جانب النخع من قبائل مذحج ساهم بعض من رجال قبيلة جعفي في القتال الى جنب علي مثل زحر بن قيس الجعفي الذي كان عاملا بأرض الجبل مع جرير بن عبد الله البجلي فكتب اليهما علي يستقدمهما للبيعة فبايعا واخذ جرير بيعة من قبله، وسار حتى قدم الكوفة¹. وكان شريفا فاضلا وولده اشراف². كان يوم صفين يحمل الراية ومعه أربعة من أهله³. وهو الذي سيّره علي من صفين إلى الققططانة، ليقطع الميرة عن معاوية، فبلغ معاوية، فسير معاوية الضحاك بن قيس إليه فهزمه زحر، فلامه معاوية، فلحق الضحاك بعلي رضي الله عنه⁴. ثم بعثه علي الى المدائن للمرابطة فيها فقتل علي وهو هناك⁵.

وقبيلة مراد التي كان لها حضور في صفين وبرز منها الأسود بن قيس، وقد ورد ذكره عند الطبري في تفاصيل وقعة صفين في الرواية التالية: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْكِنْدِيُّ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ الْمُرَادِيِّ قَتَلَ يَوْمَ صَفِينِ، فَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسِ الْمُرَادِيِّ، فَقَالَ: يَا أَسْوَدُ، قَالَ: لِيَبْكُ وَعَرَفَهُ وَهُوَ بَاخِرُ رَمَقٍ، فَقَالَ: عَزَّ وَاللَّهِ عَلَيَّ مَصْرَعُكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شَهِدْتُكَ لِأَسَيْتِكَ، وَلِدَافِعَتِ عَنكَ، وَلَوْ عَرَفْتُ الَّذِي أَشْعُرُكَ لِأَحْبَبْتِ أَلَا يَتَزَايِلُ حَتَّى أَقْتُلَهُ أَوْ أَلْحِقَ بِكَ ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كَانَ جَارِكَ لِيَأْمَنَ بِوَأْتِكَ، وَإِنْ كُنْتَ لِمَنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، أَوْصِنِي رَحِمَكَ اللَّهُ فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ تَنَاصِحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقَاتِلَ مَعَهُ الْمُحْلِينَ حَتَّى يَظْهَرَ أَوْ تَلْحَقَ بِاللَّهِ قَالَ: وَأَبْلَغُهُ عَنِّي السَّلَامَ، وَقَالَ لَهُ: قَاتِلْ عَنِ الْمَعْرَكَةِ حَتَّى تَجْعَلَهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَصْبَحِ غَدَا وَالْمَعْرَكَةُ خَلْفَ ظَهْرِهِ كَانَ الْعَالِي، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَأَقْبَلَ الْأَسْوَدُ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ جَاهِدْ فِينَا عِدُونََا فِي الْحَيَاةِ، وَنَصَحْ لَنَا فِي الْوَفَاةِ⁶. وورد ذكره فيمن قاتل الخوارج من جيش علي¹. وعبد الله بن كعب² وكان يحمل الراية وقتل في المعركة.

العلوم، الرياض، 1984م، ص229. الطبري، المصدر السابق، ج6، ص350. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص350. ابن عساکر، المصدر السابق، ج50، ص256. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج5، ص320. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج5، ص486. يعقوب بن سفيان القسوي، المصدر السابق، ج2، ص481.

¹ أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص156. الواقع ان زحر يعد من بين الذين تخلوا بعد مقتل علي عن المسعى الشيعي وانخرطوا في صفوف الحكم الأموي حيث نجده من بين الذين شهدوا على حجر بن عدي. كما يرد ذكره في ثنايا تفاصيل مقتل الحسين من ذلك ما أورده الدينوري في روايته التالية: قالوا: ثم ان ابن زياد جهز علي بن الحسين ومن كان معه من الحرم، ووجه بهم الى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة، وثمر بن ذي الجوشن. الدينوري، المصدر السابق، ص260. والنص التالي للطبري جاء فيه: عن الغاز بن ربيعة الجرشي، من حمير، قال: والله انا لعند يزيد ابن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: ويلك. ما وراءك. وما عندك. فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس. الطبري، التاريخ، ج5، ص459. كما نجده في ثورة المختار الثقفي الى جنب مصعب بن الزبير في صف عبد الله بن الزبير. راجع الطبري، التاريخ المصدر نفسه، ج6، ص18، 21. لكن ابنة جبلة بن زحر كان ممن شارك مع ابن الأشعث. انظر الطبري، التاريخ المصدر نفسه، ج6، ص349. وابنه الجهم بن زحر يرد في اخبار غزو الشاش وفرغانة الى جنب محمد بن القاسم الثقفي أحد قادة الحجاج. الطبري، التاريخ المصدر نفسه، ج6، ص484.

² ابن عساکر، المصدر نفسه، ج18، ص443.

³ صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص270. واستمر زحر في عدائه للمؤمنين وشارك في موقعة دير الجماجم في ثورة ابن الأشعث. خليفة بن الخياط، المصدر السابق، ص282.

⁴ كمال الدين بن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ت سهيل زكار، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت، المصدر السابق، ج8، ص3783.

⁵ ابن العديم، المصدر نفسه، ج8، ص3783.

⁶ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص46. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص534. 535. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص666. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص632.

والمخارق بن ضرار وقتل هو كذلك في صفين وكان من رؤسائهم في صفين. صالح بن شقيق وهو أحد الذين رفضوا التحكيم³. وهانئ بن عروة المرادي⁴.

. حمير:

لم تكن قبيلة حمير في الكوفة بذات القوة والعدد والكثرة التي كانت عليها بعض القبائل كهمدان ومذحج وربيعة وغيرهما، لأن عددا كبيرا منها فضل البقاء في دياره الأولى، واعدادا أخرى توجهت نحو مصر والمغرب والاندلس. وقد استأثرت بلاد الشام بعدد غفير منها انتقل إليها في حركة الفتوح الأولى وكانوا يقاتلون إلى جنب معاوية بقيادة ذي الكلاع الحميري الشهير. ونعثر في تفاصيل المعارك الأولى التي جرت في الجبهة الشرقية على بعض من أبنائها مثل نافع بن يزيد الحميري في حصار تستر والأقرع بن عبد الله الحميري في معركة نهاوند⁵. وكثيرا ما يتم ادراجها إلى جنب همدان ككتلة واحدة تعتبر سبع من بين الأسباع التي انتظم عليها تنظيم الكوفة الاجتماعي. وقد مر بنا الكيفية التي نظم بها علي جيشه في موقعة الجمل حيث جعل سعيد بن قيس بن مرة الهمداني على همدان ومن معهم من حمير⁶. والجملة تدل على أن من كان مع علي من حمير لم يكن عددا كبيرا. إلا أن من شهد من أبنائها المعارك مع علي أبلوا بلاءاً حسناً وبالغوا في نصرته. وتطالعا في ثنايا تفاصيل المعارك والمناوشات التي كانت تدور بين جيش علي وجيش معاوية شخصيات حميرية كانت جزء من آلة الحرب تلك؛ حيث كان الجميع يدور في دوامة الصراع الذي اختلطت فيه الدوافع وتعددت، وانشطرت فيه القبائل وانقسمت؛ بسبب الثورة التي حدثت بالإسلام في نظام الولاء وقيمتها ومعاييرها؛ والذي سحب من القبيلة احتكارها إياه. فكان أبناء القبائل من جيش علي ومعاوية ينادون إخوانهم في الجهة الأخرى بأمل استمالتهم صيانة لهم؛ وفرارا من مقتضيات المواجهة التي تفضي إلى القتل حتما. فقد حدث أن: نادى أبو شجاع الحميري وكان من ذوي البصائر مع علي فقال: يا معشر حمير تبت أيديكم، أترون معاوية خيرا من علي أضل الله سعيكم. ثم أنت يا ذا الكلاع فوالله إن كنا نرى أن لك نية في الدين. فقال ذو الكلاع: إيها يا أبا شجاع، والله فاعلمن ما معاوية بأفضل من علي، ولكن إنما أقاتل علي دم عثمان⁷.

¹ الطبري، المصدر السابق، ج 5 ص 86. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج 2، ص 695.

² من كبار عسكر علي، قُتل يوم صفين، ويقال إن له صحبة. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج 3، ص 568.

³ الدينوري، المصدر السابق، ص 197.

⁴ صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص 272.

⁵ يبدو ان اسلام الاقرع الحميري قديم؛ اذ يرد في سياق بدايات الردة في أواخر أيام النبي ضمن الرسل الذين بعثهم النبي إلى رؤوس الفتنة. ويذكره الطبري في هذا الشأن قائلا: وبعث

الاقرع بن عبد الله الحميري إلى ذي زود وذي مران. الطبري، المصدر السابق، ج 3، ص 187. احمد صالح العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص 143.

⁶ نصر بن مزاحم المقرئ، المصدر السابق، ص 117.

⁷ نصر بن مزاحم المقرئ، المصدر نفسه، ص 302.

ان الذي فرق بين الحميريين من جيش علي وحميري الشام الواقفين الى صف معاوية هي المصالح الفتوية قطعاً. لم تعد القبيلة في حد ذاتها؛ بوصفها الكيان الجامع الحاضن هي حامية المصلحة وضامنتها؛ وانما اشكال الحلف والولاء مع السلطة في واقع كان يتحول الى طابع امبراطوري. فالذي فرق بينهما ابتداء هو السبق الديني الذي افضى الى السبق في دخول معترك الفتوح وما اجر عليه من تفاوتات في المخصصات المالية التي استقر عليها العطاء. ثم فرق بينهما لاحقاً التباين بين إقليم الشام وإقليم العراق ودلالة كلا الاقليمين السياسية التي حكمت رهانات كل طرف.

لا نعثر على أسماء كثيرة ولا على اخبار وافرة مفصلة تصف الدور الحميري في مناصرة القضية العلوية، لكن الاستقصاء الطويل في المصادر يمنحنا بعض التفاصيل الهامة عن بعض الرجال الذين اختاروا ان يقفوا الى صف علي في مواجهة إخوانهم الممالئين لمعاوية منهم: أبو شمر بن أبرهة بن الصباح: وهو أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح¹. وهو الوafd على النبي فأفرشه رداءه وقال إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه². وروي كذلك أنه وفد في عهد عمر فتزوج بنت أبي موسى الأشعري³. وكان أبو شمر من الوفد المصري الذي حاصر عثمان في المدينة، فظفر به معاوية وسجنه، وقد أورد ابن عساكر في هذا الصدد: عن الليث بن سعد أن ابن أبي حذيفة خرج من مصر واستخلف وخرج معه قتلة عثمان بأعيانهم فقتلهم معاوية في سجن له فكسروا السجن وخرجوا وأبى أبو شمر أن يخرج من السجن وقال لا أكون دخلته أسيراً وأخرج منه أبقا فأقام في السجن وجعل معاوية جعلاً لمن يأتيه

¹ كان ابرهة بن الصباح من أشرف اليمن الكبار وهو الذي ذكره أبو موسى الأشعري وهو يخاطب عمرو بن العاص أثناء التحكيم: قال ابو موسى: اتق الله يا عمرو، اما ما ذكرت من شرف معاوية، فلو كان يستوجب بالشرف الخلافة، لكان أحق الناس بما أبرهة بن الصباح، فانه من أبناء ملوك اليمن التابعة الذين ملكوا شرق الارض وغربها. الدينوري، المصدر السابق، ص199. وكان ابرهة ممن شارك عمرو بن العاص فتح مصر. وخرج أبو شمر مع عمر بن العاص سنة20 هـ لفتح مصر، واحتط لنفسه وقومه بني أصبح فنزلت يافع الجزيرة فيها مبرح بن شهاب وهمدان وذو أصبح فيهم أبو شمر بن أبرهة، وطائفة من الحجر منهم علقمة بن حنادة أحد بني مالك بن الحجر». ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، المصدر السابق، ص156. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص108.

² نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ملوك حمير وأقيال اليمن وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التابعة، ت علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرائي، ط2، دار العودة، بيروت، 1978م، ص170.

³ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج7، ص175. ورد عند ابن دريد ما يلي: منهم: ابن شمر بن أبرهة بن الصباح، قُتل مع علي رضوان الله عليه بصيغتين، وكان متزوجاً بابنة أبي موسى، وله بقية بالشام. الاشتقاق، المصدر السابق، ص530. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج2، ص543. جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص196.

برؤوسهم فقتل ابن أبي حذيفة وأصحابه¹. أما أبو شمر فأحلى معاوية سبيله لأنه من سادات حمير، ولعله فعل ذلك أكراما لذي الكلاع الحميري أنه كان متزوجا من ضريبة بنت ابرهة بن الصباح².

ويبدو من تضاعيف الروايات انه استمر مقيما في الشام بوصفه أحد سادات اليمن المبجلين حتى كانت احداث صفين التي لا بد انها كانت موضوع نقاش وتسويات بين القبائل الكبرى وبين معاوية. لأن نصر بن مزاحم المنقري يبسط في كتابه قدرا كبيرا من الخطاب التي كانت تدفع اليها حرارة الجدل الذي كان يدور بين زعامات القبائل العربية في الشام حول مدى صحة الانخراط في الحرب ضد علي والتي لا تخلو من ايعازات مصلحة قبلية واضحة. وكان بعضهم يرى التوقف والبقاء على الحياد بين رجلي مضر القرشيين؛ علي ومعاوية وكان ابرهة من بين هؤلاء. ويذكر نصر بن مزاحم: أن أبرهة بن الصباح بن أبرهة الحميري قام فقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن، والله إني لأظن أن قد أذن بفنائكم، ويحكم خلوا بين هذين الرجلين فليقتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً.. فبلغ ذلك علياً فقال: صدق أبرهة بن الصباح.. وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله: إني لأظن أبرهة مصاباً في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: والله إن أبرهة لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً، ولكن معاوية كره مبارزة علي، فقال أبرهة في ذلك ابيات منها:

أيهجري معاوية بن حرب وما هجرانه سخط لربي
وعمرو إن يفارقني بقول فإن ذراعه بالغدر رحب
وإني إن أفارقهم بديني لفي سعة إلى شرق وغرب³

ثم يذكر نصر ان ابرهة انحاز الى صفوف علي تاركا معاوية. وانه كان من بين من قتل بصفين: وخرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري، فلحق بعلي في ناس من قراء أهل الشام ففت ذلك في عضد معاوية⁴. وأيد ذلك الشيخ الطوسي في رجاله فذكر التالي: أبو شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري، وكان من أهل

¹ ابن عساکر، المصدر السابق، ج6، ص288. وورد عند ابن حجر العسقلاني الرواية التالية: ثم كان من مسير معاوية بن أبي سفيان إلى مصر لما أراد المسير إلى صفين، فرأى ألا يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة خلفه، فسار إليهم في عسكر كثيف، فخرج إليهم ابن أبي حذيفة في أهل مصر، فمنعوه من دخول الفسطاط، فأرسل إليهم: إنا لا نريد قتال أحد، وإنما نطلب قتلة عثمان، فدار الكلام بينهم في المواعدة، و؟ استخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الضلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، وخرج مع جماعة منهم: عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وأبو شمر بن أبرهة بن الصباح، فلما بلغوا به غدر بهم عسكر معاوية وسجنوهم إلى أن قتلوا بعد ذلك. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج6، ص10.

² ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج4، ص7.

³ نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص457.

⁴ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص222. ويورد نصر في سياق مقتل ابرهة مع علي ما يلي: فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف، وغلب علي على القتلى في تلك الليلة، وأقبل على أصحاب محمد وأصحابه فدفنهم، وقد قتل كثير منهم، وقتل من أصحاب معاوية أكثر، وقتل فيهم تلك الليلة شمر بن أبرهة. نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص369.

الشام، ومعه رجال من أهل الشام لحقوا بأمر المؤمنين يوم صفين¹. ويبدو أن أبرهة أخذ تعاطفه مع علي من صاحبه محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة. وكانت محمد ينزع الى مناصرة علي وتأييده.

أبو نوح الكلاعي الحميري: عدّه الطوسي في رجاله من أصحاب علي². ووصفه السيد الأمين في الأعيان بأنه: من أصحاب علي المخلصين له الولاء، شهد معه الجمل وصفين³. وقد سجل له نصر بن مزاحم في كتابه حواراً طويلاً بينه وبين ذي الكلاع الحميري رئيس اليمنية ببلاد الشام وعمرو بن العاص في جماعة من رهط معاوية يدور حول افضلية علي واحقيته بالخلافة واهمية وجود عمار بن يسار الى صفه بالنظر للأحاديث النبوية التي نصت على خيرية عمار ودوران الحق معه. جاء فيه ما يلي: قال ذو الكلاع الحميري: أخبرني عمرو بن العاص في إمرة عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله يقول: يلتقي أهل الشام وأهل العراق وعمار في أهل الحق تقتله الفئة الباغية. فقلت: إن عماراً فينا. فسألني: أجاد هو على قتالنا. فقلت: نعم والله أجدُّ مني، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحتكم وبدأت بك يا ذا الكلاع. فضحك عمار وقال: هل يسرك ذلك. قال: قلت نعم. قال عمار: أقررت به ذلك. قال: نعم أقررت فأقر. فقال عمار: صدق وليضره ما سمع ولا ينفعه⁴.

نوف بن فضالة البكالي⁵ أبو يزيد الحميري⁶: جاء نسبه لدى الطبري كالأتي: وهو نوف بن فضالة، ابن امرأة كعب الاحبار، ونوف بن مساحق بن عبد الله بن مخزومه بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وهو نوف بن فضالة ابن امراه كعب ونوف بن مساحق بن عبد الله بن مخزومه بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي⁷. من العلماء التابعين، كان حاجب علي وصاحبه، ويبدو انه كان مقرباً من علي الى حد انه كان يبيت معه أحياناً. رويت عنه اخبار كثيرة منها قوله: رأيت علي بن أبي طالب فكان يكثر الخروج والنظر إلى السماء. فقال لي: أنائم أنت يا نوف. قلت: لا بل راقق أرمقك بعيني يا أمير المؤمنين. فقال علي: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة أولئك

¹ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، رجال الطوسي، ت جواد القيومي الاصفهاني، د ط، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1373هـ، ص88.

² الطوسي، المصدر نفسه، ص88.

³ السيد محمد الأمين، المصدر السابق، ج2، ص439.

⁴ نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص332. 333.

⁵ نَوْفُ بْنُ فَضَالَةَ الْحَمِيرِيِّ الشَّامِيِّ الْبَكَّالِيِّ. ويقال انه دمشقي وكانت أمه زوجة كعب الأخبار. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج1، ص344. وصف نوف بأنه من الحكماء وأنه كان صاحب كتب. انظر: ابن عساکر، المصدر السابق، ج62، ص310. أبو الفتح محمد بن حسين الازدي الموصلی، كتاب ذکر اسم كل صحابي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً أو نهياً ومن بعده من التابعين وغيرهم ممن لا أخ له يوافق اسمه من نقلة الحديث من جميع الأمصار، ت أبو شاهد ضياء الحسن محمد السلفي، ط1، دار ابن حزم، د ت، ص278. وكان نوف قاصداً بحمص ثم انتقل إلى الكوفة في إمرة مصعب بن الزبير قتل مع محمد بن مروان شهيداً. ابن عساکر، المصدر السابق، ج62، ص311. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ، ج10، ص90.

⁶ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الأوسط، ت محمود إبراهيم زايد، ط2، دار الوعي، حلب، 1977م، ج1، ص162.

⁷ الطبري، المصدر السابق، ج11، ص664.

الذين اتخذوا أرض الله بساطاً وتراجماً فراشا وماءها طيباً واتخذوا القرآن شعاراً والدعاء ذئاراً قرضوا الدنيا قرضاً قرضاً على منهاج المسيح فإن الله أوحى إلى عبده المسيح عليه السلام أن قل لبني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتى إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وايد نقيه وأخبرهم أني لا أقبل لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي قبله مظلمة¹. وقد روى نوف عن علي أحاديث واخبار كثيرة تتميز بالطول والتفصيل. لعل أهمها وصف علي لشييعته في حديث طويل أختار منه ما يلي: قال علي لنوف الشامي مولاه وهو معه على سطح: يا نوف أنائم أم نبهان. قال نبهان أرمقك يا امير المؤمنين. قال: تدري من شييعتي. قال: لا والله. قال: فإن شييعتي إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا وإن خطبوا لم يزوجوا وإن مرضوا لم يعادوا. شييعتي من لم يهر هرير الكلب. وقال جدي الكلاب. ولم يطعم طمع الغراب ولم يسأل الناس وإن مات جوعاً. إن رأى مؤمناً أكرمه وإن رأى فاسقاً هجره. شييعتي الذين هم في قبورهم يتزاورون وفي أموالهم يتواسون وفي الله تعالى يتبادلون. يا نوف ذرها وذرها حوائجهم خفيفة، أنفسهم عفيفة، قلوبهم محزونة، اختلفت بهم البلدان ولم تختلف قلوبهم. قال قلت يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك فأين أطلب هؤلاء. قال: في أطراف الأرض هؤلاء والله يا نوف شييعتي².

الحكم بن أزهر بن الحميري: هو أحد أشرف الكوفة، شهد مع علي صفين، واستشهد في اليوم السابع؛ وكان من الأيام العظيمة في صفين، ذا أهوال شديدة. جاء في رواية الدينوري ما يلي: فبدر ممن كان مع عمرو فتى من اهل الشام، يسمى حجر الشر، فدعا للبراز، فبرز اليه حجر بن عدى، فأطعنا، فطعنه حجر الشر طعنه اذراه عن فرسه، وحماه اصحابه، فانصرفا وقد جرحه السنان، فخرج اليه الحكم بن أزهر، وكان من أشرف الكوفة، فاختلفا ضربتين، فضربه حجر الشر فقتله³.

عبد الله بن سويد الجرشي: سيد بطن جرش في الشام، وكان في صفين مع معاوية، فلما قتل عمار بن ياسر مال الى معسكر علي، قال نصر بن مزاحم: ومشى عبد الله بن سويد سيد جرش إلى ذي الكلاع فقال له: لم جمعت بين الرجلين؛ عمار وابن العاص قال: الحديث سمعته من عمرو ذكر أنه سمعه من رسول الله وهو يقول لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية. فلما قتل عمار خرج عبد الله بن عمر العنسي وكان من عباد أهل زمانه ليلاً فأصبح في عسكر علي فحدث الناس بقول عمرو في عمار، وكان عبد الله من عباد أهل زمانه، وكاد أهل الشام أن يضطربوا لولا أن معاوية قال لهم إن علياً قتل عماراً لأنه أخرجه إلى الفتنة⁴.

¹ ابن عساکر، المصدر السابق، ج62، ص304. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المصدر السابق، ج8، ص42.

² ابن عساکر، المصدر نفسه، ج62، ص306.

³ الدينوري، المصدر السابق، ص175. نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص243.

⁴ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص344. 345. أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن ابي حديد، شرح نهج البلاغة، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ت، ج8، ص27.

وذكر نصر بن مزاحم جماعة من حمير أصيبوا في صفين من أصحاب علي وهم: الحصين بن سعيد الجرشي، وأبو شريح بن الحارث الكلاعي، والحارث بن وادعة الحميري، وروق بن الحارث الكلاعي، وكريب بن الصباح الحميري، وأبو جهل بن ظالم الرعيني، والربيع بن واصل الكلاعي، والجهم بن معلى الحميري، والحصين بن تميم الحميري¹.

. كندة:

كانت قبيلة كندة أحد القبائل اليمنية ذات الحضور الكثيف في الكوفة؛ حيث تشكل مع مذحج وهمدان الغالبية اليمنية التي اختارت ان تقف الى جنب علي ضد مناوئيه. ورغم ماضيها القريب بوصفها أحد أشرس القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعيد موت النبي؛ إلا انها استعاضت عن سقطتها تلك بمشاركتها الفعالة في مختلف وقائع الفتوح². ولقد تلخص الوجود الكندي في الكوفة في عهد علي في العشائر التالية: بنو معاوية وهم بيت الملك في كندة منهم الأشعث وحجر بن عدي. وبنو الرائش ومنهم القاضي شريح، والسكون وقد استقر قسم كبير منهم في الشام مع أبناء عمومته السكاسك³. وبنو الأرقم وهؤلاء كانوا عثمانية فضلوا الانتقال الى بلاد الشام ومجاورة معاوية لما ساءهم شتم عثمان والوقية فيه فأسكنهم معاوية الرقة ومنها تحول قسم منهم الى الجزيرة الفراتية والرها ونصيبين⁴.

وكان زعيم اليمنية بالكوفة الأشعث بن قيس؛ من أحد أكثر الوجوه حضورا وفعالية في السياسة الإسلامية التي كانت تتبلور في عهد عمر وعثمان. وقد ساهم في معركة نهاوند مساهمة فعالة، وولاه عثمان أذربيجان⁵. وكان يتحرك بوعي سياسي واضح؛ بوصفه أحد كبار ممثلي الكتلة اليمنية في الأمة العربية الإسلامية آنذاك نظرا لتاريخه الملوكي العريق⁶. اما حجر بن عدي الكندي¹ فقد كان نظير للأشعث في زعامة كندة. وكان قريبا من علي محبا

¹ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص316، 556،

² كان عدد كندة في القادسية يقدر بسبعمئة مقاتل كما كان لها دور متميز في المعركة خاصة في يومها الثاني المسمى يوم الهيرير. احمد صالح العلي، المصدر السابق، ص234.

³ جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص383

⁴ أورد ابن الكلبي الرواية التالية: لما قدم علي بن أبي طالب الكوفة أخذ أصحابه ينالون من عثمان ابن عفان، فقال بنو الأرقم: لا نقيم ببلاد يشتم بها عثمان فخرجوا الى الجزيرة، والى الرها وخرج معهم من ولدوا من كندة، فخرج معه بنو أحرمر بن عمرو، وبعض بني الحارث بن عدي، وبنو الأجدم من بني حجر بن وهب فقدموا على معاوية، فقال: هذا حي من كندة عظيم قدموا على ناقمين علي فكان إذا قدم عليه أهل العراق أنزلهم الجزيرة مخافة أن يفسدوا أهل الشام عليه فأنزلهم نصيبين واقطعهم قطائع؛ ثم كتب إليهم إني أخاف عليكم عقاربها، فأنزلهم الرها، وأقطعهم قطائع، وشهدوا صفين مع معاوية. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص149. احمد صالح العلي، المرجع السابق، ص238.

⁵ احمد صالح العلي، المرجع نفسه، ص236.

⁶ تأمل النص التالي: عن تميم بن خدلم، قال: أول ما سلم علي أمير بالكوفة بالإمرة، قال: خرج المغيرة بن شعبه من القصر فعرض له رجل من كندة فسلم عليه بالإمرة، فقال: ما هذا. ما أنا إلا رجل منهم، فتركت زمانا، ثم أفرها بعد. ولعل هذا السلوك من الرجل عائد الى التقاليد الملوكية التي كانت عليها كندة في تاريخها. ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ج7، ص247.

اليه، وكان علي يفضل أن يسند اليه المسؤوليات المتعلقة بالكتلة الكندية في جيشه دون الأشعث. وفي موقعة الجمل جعله على رأس كندة وحضر موت وقضاة ومهرة². وكذلك كان في صفين رأس كندة³. واختاره علي يوم النهروان على ميمنة الجيش⁴. والواقع ان لكليهما مكانة عزيزة داخل المجموعة الكندية من حيث التأثير؛ لكن البون بينهما كان شاسعا في قضايا الولاء والحماسة الدينية؛ فقد كان حجر يأخذ مسألة نضاله مع علي مسلكا دينيا يتعلق بالخطأ والصواب والحق والضلال؛ بخلاف الأشعث. وكانت تقع بعض الحساسيات بين هذه الزعامات في شأن قيادة كندة لما كان علي يسند القيادة الى هذه الشخصية او تلك. وقد حدث في صفين أنه: اسند علي الى حسان بن مخلد⁵ شيخ ربيعة رياسة كندة وربيعة فوجد من ذلك الأشعث وابدى تدمره ومالأه على ذلك بعض من رجال كندة: فتكلم في ذلك أناس من أهل اليمن، منهم الأشر، وعدى الطائي، وزحر بن قيس وهانئ بن عروة، فقاموا إلى علي فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن رياسة الأشعث لا تصلح إلا لمثله، وما حسان بن مخلد مثل الأشعث. فوقع حديث بين رجال كندة ورجال ربيعة. وغضب رجال اليمنية فقال حسان للأشعث: لك راية كندة، ولي راية ربيعة. فقال: معاذ الله، لا يكون هذا أبدا، ما كان لك فهو لي، وما كان لي فهو لك. ثم إن حسان بن مخلد مشى إلى الأشعث بن قيس برايته حتى ركزها في داره، وعرض عليه علي أن يعيدها عليه فأبى فولاه علي ميمنته، وهي ميمنة أهل العراق⁶.

لقد وقفت كندة في صفين تقاتل اقرباءها من السكاسك والسكون الذين كانوا في جيش معاوية⁷. وكان موقفا لا تحسد عليه تلك القبائل التي اضطرتها الاحداث الكبرى الى الدخول في عملية افناء ذاتي؛ وافضت حدة الوعي بالمأساة ببعض سادة هذه القبائل الى التفكير في مخارج بديلة للأزمة تصون البقية الباقية من الأمة، وكان الأشعث بن قيس أحد هؤلاء. وقد روى الشعبي عن صعصعة قال: قام الأشعث بن قيس الكندي ليلة الهريز في أصحابه من كندة فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيتم مثل هذا اليوم قط. ألا فليبلغ الشاهد

¹ حجر بن عدى، وهو الأدبر، بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة، له صحبة فيما قال قوم، وقتله معاوية صبورا؛ وابناه: عبد الله، وعبد الرحمن، ابنا حجر، قتلها المصعب بن الزبير، وكانوا يتشيعون. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص426. سيرد تفصيل أكثر حول حجر بن عدي في موضعه في المبحث الذي خصصته لثورته في عهد معاوية.

² البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج2، ص235. نصر بن عاصم المقرئ، المصدر السابق، ص117.

³ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص206.

⁴ البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج2، ص371.

⁵ حسان بن مخلد الذهلي: كان سيد ربيعة، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكان على ذهل الكوفة وقيل على الدهليين مع رئاسة الحسين - يعني - حي كندة وربيعة، وقيل إن عليا عليه السلام عزل الأشعث بن قيس واستعمل عليها حسان بن مخلد الذهلي، وكان فاضلا ناسكا. ابن العديم، بغية الطلب، المصدر السابق، ج5، ص2238.

⁶ نصر بن عاصم المقرئ، المصدر السابق، ص137. 140. والخبر على علامته لأن القلقشندي ينص على ان حسانا قتل يوم الجمل؛ حيث يقول عن بكر بن وائل: منهم حسان بن مخلد قتل يوم الجمل ومعه اللواء. القلقشندي، نهایة الأرب في معرفة أنساب العرب، المصدر السابق، ص330.

⁷ نصر بن عاصم، المصدر السابق، ص227.

الغائب، أنا إن نحن توافقنا غدا إنه لفناء العرب وضيفة الحرمان. أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحتف، ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غدا إذا فنيينا. اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والرأي يخطئ ويصيب، وإذا قضى الله أمرا أمضاه على ما أحب العباد أو كرهوا. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم¹. وحمل على عاتقه مهمة إطفاء الحرب والركون إلى المودعة². لكن الأطراف الأخرى من كندة وغيرها كحجر بن عدي والأشتر النخعي كانوا يرون ضرورة الاستمرار في قتال معاوية ومن معه من أهل الشام وغيرهم حتى يعود الحق إلى نصابه.

نكاد لا نجد في مصادرنا تفصيلا وافيا عن قتلى كل قبيلة من القبائل التي شاركت محنة الجمل وصفين وغيرها، لكن بعضها يورد أحيانا أسماء نأخذها كعينات نحاول من خلال توقع ما الذي حدث آنذاك. فمن كندة أوردت المصادر بعضا من رجالها ممن شاركوا في صفين منهم: عبد الرحمن بن محرز الطمحي³، وقيس بن عمرو بن عمير بن يزيد العمرطة⁴، أما من قتلوا منهم فقد ذكرت الأسماء التالية: عامر بن حنظلة قتل يوم النهر⁵ والحكم بن حنظلة⁶، شرحبيل بن امرئ القيس⁷.

. طيبي:

لا نكاد نجد إحصاء لعدد أفراد قبيلة طيء في الكوفة كما انه لم ترد إشارة إلى خطتهم هناك؛ رغم ان بعض الروايات تلمح إلى حضورهم الالاف في جنبات المدينة. وكان أبرز فروعها بنو عدي رهط حاتم⁸، وبنو حزم؛

¹ نصر بن عاصم، المصدر السابق، ص 80. 81.

² نصر بن عاصم، المصدر نفسه، ص 484.

³ جاء لدى نصر بن مزاحم الخبر التالي: خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندي ثم الطمحي، فتجاولا ساعة، ثم إن عبد الرحمن حمل على الشامي قطعته في نقرة نحو فصرعه، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه، فإذا هو عبد أسود، فقال: يا لله، لقد أخطرت نفسي لعبد أسود. وقعة نصر بن مزاحم، صفين، المصدر السابق، ص 276. كان ممن شارك حجر بن عدي في ثورته عهد معاوية. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج 5، ص 249.

⁴ تم اضطراب في اسمه في المصادر التي عثرت عليه فيها فهو عند ابن الكلبي: عمير بن يزيد، أخو قيس بن يزيد، وكان شيعياً، قتل مع حجر بن عدي. يوافقه على ذلك البلاذري في انسابه. لكن نصر بن مزاحم أورد في اخبار صفين باسم قيس بن عمرو بن عمير. جاء في الرواية الآتي: وخرج سويد بن قيس بن يزيد الأرحبي من عسكر معاوية يسأل المبارزة، فخرج إليه من عسكر العراق أبو العمرطة قيس بن عمرو بن عمير بن يزيد، وهو ابن عم سويد، وكل منهما لا يعرف صاحبه، فلما تقاربا تعارفا وتواقفا وتساءلا، ودعا كل واحد منهما صاحبه إلى ما هو عليه، فقال أبو العمرطة: أما أنا فوالله الذي لا إله إلا هو لئن استطعت لأضربن بسيفي هذه القبة البيضاء - يعني قبة معاوية التي هو فيها - ثم انصرف كل منهما إلى أصحابه. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج 1، ص 164. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج 5، ص 249 نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص 268.

⁵ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص 557.

⁶ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص 558.

⁷ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص 559. صالح احمد العلي، المرجع السابق، ص 238.

⁸ التسمية إلى عدي بن أحمز بن أبي أحمز بن ربيعة بن جزل بن نعل بن عمرو بن العوث بن طيء بطن من طيء منهم حاتم بن عبد الله ابن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي وائنه عدي بن حاتم. ابن الأثير، اللباب في تحرير الانساب، المصدر السابق، ج 2، ص 329.

وكانوا أكثر عددا من بني عدي¹. ولم يعرف عن طيء ارتدادها عن الإسلام بل يصرح ابن الأثير بأن أنيف بن منيع هو الرجل الوحيد الذي ارتد من طيء وكان مع بني اسد².

وقد جاء انخراط بعض العناصر من طيء في جيش علي مبكرا؛ اذ تذكر الروايات ان قوما من طيء كانوا بالريذة التحقوا بعلي وهو في طريقه من المدينة الى البصرة يطلب أصحاب الجمل، ولم يكذب يصل فيد حتى انجاز اليه جماعة من طيء واسد فصرفهم³. ومن ثمة عقد لواء طيء وجعل على رئاسته عدي بن حاتم. ويعتبر عدي أحد أهم قادة علي الذين يفيء اليهم عند المشورة والتدبير ويحرص على الاصغاء الى اقتراحاتهم؛ كما كان واسطة يتوسل بها من كان يريد ان يعرض على علي امرا او يقترح رأيا؛ بوصفه من المقربين اليه. ولا بد أن للخبرة الطويلة التي اكتسبها عدي من حياته بوصفه أحد رؤساء قبيلة طيء؛ في الجاهلية وفي الإسلام، والمواقع التي شهدتها على رأس قومه في الفتوح؛ قد أهلتها ليكون يمثل هذا المحل في جيش علي.

قبل اسلامه اعتنق عدي المسيحية من دون ان يكون ملتزما بتعاليمها؛ ولا نستبعد ان يكون فعل ذلك بسبب حساباته السياسية مع بيزنطة التي كانت تسيطر على بلاد الشام. ولعل لطيء في تلك الفترة دورا استراتيجيا كانت تلعبه بين البيزنطيين في بلاد الشام وبين عرب الجزيرة؛ لعله كان مجزيا من الناحية المادية. وقد جاء في بعض مصادرنا الجغرافية ما يشير الى وجود بيزنطي في مضارب طيء⁴. يدل على ذلك فراره اليها لما خشي هجوم النبي على موطنه. وفي الحوار الذي جرى بينه وبين النبي ما يشير الى هذه الظنون⁵. ثم حسن اسلامه بسبب ما رآه في سيرة النبي من سجايا لا تكون الا لنبي مرسل لم يكن يشبهها ما كان يراه من كسرى وقيصر. وما دل على اخلاصه في الإسلام وقوفه الى جنب المدينة عندما اشتعلت الجزيرة العربية بالردة؛ وعمل تحت قيادة

¹ احمد صالح العلي، المرجع السابق، ص400.

² ابن الأثير، اللباب في تحرير الانساب، المصدر السابق، ج1، ص415.

وهمت قبائل طيء أن يرتدوا عن دين الإسلام، فقام سيدهم عدي بن حاتم الطائي، فقال: يا معشر طيء، إنكم إن أقمتم على دين الإسلام أصبتم الدنيا والآخرة، وإن رجعتم عنه حسرتم الدنيا والآخرة، واستغنى الله عنكم، وعلمتم أن الله تبارك وتعالى قد قبض نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا خليفته قد قام بأمره في أمته، فوفروا عليه صدقاتكم ولا تمنعوا، فإن منعها يمحى المال ويقرب الأجل، وخفوا إلى قتال أهل الردة من أسد وغطفان وفزارة، فإن الخليفة قد عزم على غزوهم، فإنهم أقيالهم في الجاهلية، وشجعانهم في الإسلام، وأنتم اليوم خير منكم أمس، والسلام. الواقدي، الردة، المصدر السابق، ص63.

³ فلما نزل بنيفد أته اسد وطيء فعرضوا عليه أنفسهم، فقال: الزموا قراركم، في المهاجرين كفاية. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص480. البلاذري، أنساب الاشراف، المصدر السابق، ج2، ص234. وفاء فهمي السديوني، شعر طيء واخبارها في الجاهلية والإسلام، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1983م ج1، ص127.

⁴ ملكان: حكى الأسود عن أبي التدي أن ملكان جبل في بلاد طيء وكان يقال له ملكان الروم لأن الروم كانت تسكنه في الجاهلية، وأنشد لبعضهم:

أبي ملكان الروم أن يشكروا لنا ويوم بنعف القفر لم يتصرم. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص194.

⁵ فقام رسول الله ص فانطلق بي الى بيته، فو الله إنه لعامد بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها قال: فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك، ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته، فتناول وسادة من آدم محشوة ليفا، فقذفها إلي، فقال لي: اجلس على هذه، قال: قلت: لا بل أنت، فاحلس عليها قال: لا بل أنت، فاحلست وجلس رسول الله ص بالأرض قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: يا به عدي بن حاتم. ألم تك ركوسيا. قال: قلت: بلى، قال: او لم تكن تسير في قومك بالمرباع. قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك، قال: قلت: أجل والله؛ وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل. ت الطبري، المصدر السابق، ج3، ص114. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج1، ص244.

خالد بن الوليد في معارك اليمامة وغيرها، وكان من بين القادمين على عمر على رأس طيء لما استنفر الناس الى حرب الفرس¹. ولعل أصل العلاقة بين علي وعدي ترجع الى الظروف التي أسلم فيها عدي؛ فقد روى الطبري ان في سنة تسع للهجرة: وجه رسول الله ص علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سرية إلى بلاد طيء في ربيع الآخر، فأغار عليهم، فسبى وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم، يقال لأحدهما: رسوب، وللآخر المخدم، وكان لهما ذكر، كان الحارث بن أبي شمر نذرهما له، وسبى أخت عدي بن حاتم². وكان علي ممن سعى الى اطلاقها واکرامها³. كان عدي أحد أسياد الكوفة المشار إليهم بالبنان، وممن لا يتعداهم ولاتها وأولي الأمر فيها⁴. فلا نكاد نفتقد حضوره في أي واقعة من الوقائع الكبرى المتصلة ببلاد العراق عموماً والكوفة خصوصاً. ولما اخذ اللغظ يشتد بعثمان وراحت الكوفة تمور بسخط عشائرها المتضررة من الاستقواء القرشي الأموي كان عدي أحد الذين امتألاً بهم المشهد التاريخي آنذاك⁵. ولما كان يوم الجمل أبلى عدي بلاء شديداً؛ خاصة عندما استحر القتال حول عائشة؛ وكانت في حلقة من أهل النجدات والبصائر من أفناء مضر، فكان لا يأخذ أحد بالزمام إلا كان يحمل الراية واللواء لا يحسن تركها. وكان لا يأخذها إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب لها: أنا فلان ابن فلان، وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قتل، أو أفلت ثم لم يعد. ولما اختلط الناس بالقلب جاء عدي بن حاتم فحمل عليه ففقتت عينه ونكل⁶.

وفي صفين واجه عدي رغبة قيس بن عائد الحزمري في ان تكون له راية طيء؛ ربما بسبب أن أكثر عددا من بني عدي رهط حاتم: فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائي البولاني عند علي، فقال: يا بني حزم، على عدي تتوثبون. وهل فيكم مثل عدي أو في آبائكم مثل أبي عدي. أليس بحامي القرية ومانع الماء يوم روية. أليس بابن ذي المرباع وابن جواد العرب. أليس بابن المنهب ماله، ومانع جاره. أليس من لم يغدر ولم يفجر، ولم يجهل ولم ييخل، ولم يمنن ولم يجبن. هاتوا في آبائكم مثل ابيه، او هاتوا فيكم مثله. وقال كلام كثير عدد فيه مناقب عدي وفضله. فسأل علي رؤوس طيء: من كان رأسكم في هذه المواطن. قالت له طيء: عدي. فقال له ابن خليفة:

¹ ثم ان عمر بن الخطاب استنفر الناس الى العراق، فحفوا في الخروج، ووجه في القبائل يستجيش، فقدم عليه مخنف بن سليم الأزدي في سبعائة رجل من قومه، وقدم عليه الحصين بن معبد بن زرارة في جمع من بني تميم زهاء ألف رجل، وقدم عليه عدي بن حاتم في جمع من طيء. الدينوري، المصدر السابق، ص114.

² الطبري، المصدر السابق، ج3، ص112. انظر الخبر مفصلاً لدى ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج2، ص124.

³ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص112.

⁴ قال عمر لزيد الخيل: لله درك يا أبا مكنف فلو لم يكن لطيء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرت بكما العرب. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص163. وكان عدي بن حاتم في أواخر عهد النبي على صدقات طيء وأسد. ابن حبيب البغدادي، الخبر، المصدر السابق، ص126. وكان عدي يعد من اجواد العرب المشهورين وقد ذكره ابن حبيب فيهم. ابن حبيب، الخبر، المصدر نفسه، ص156.

⁵ لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمر بالشخص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوماً يسوق بهم، فقال يرتجز: لا تحسبنا قد نسينا الإيجاف والتشوات من عتيق أو صاف وعرف قينات علينا عراف. فقال عدي: إلى أين تذهب بنا أقم. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج5، ص90.

⁶ سيف بن عمر، المصدر السابق، ص164. ابن حبيب، الخبر، المصدر السابق، ص302.

فسلمهم يا امير المؤمنين، أليسوا راضين مسلمين لعدي الرياسة. ففعل، فقالوا: نعم، فقال لهم: عدي أحقكم بالراية فسلموها له، فقال علي- وضجت بنو الحزمر-: إني أراه رأسكم قبل اليوم، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلمين له غيركم، فاتبع في ذلك الكثرة فأخذها عدي¹.

وهكذا استمر عدي على ولائه لعلي مشاركا إياه جميع الوقائع التي حدثت، ولم ينكص حتى في المعركة التي دخلها علي مع الخوارج وكان طرفه بن عدي مشاركا فيها الى صف الخوارج. وكان خرج معهم فاتبعه عدي فلم يقدر عليه، فانتهى إلى المدائن ثم رجع². ولما انتهت المعركة بين علي والخوارج طلب عدي بن حاتم ابنه طرفه فوجده قتيلا، فدفعه، ثم قال: الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك³.

ترد أسماء أخرى من طيء في ثنايا تفاصيل تلك الأيام من بين العدد الوافر من الرجال المقاتلين، لكننا نجابه كل مرة صمت المصادر عن الاسترسال في التأريخ لهم ولغيرهم. وتقصيرها في الإحاطة بالبيانات الضرورية التي تكشف عن جملة ما كان يدور داخل القبائل من جدال ونقاش لا بد أنه كان متوفرا بصورة دائمة نظرا لأن حياتهم كانت متوقفة على نتائج ذلك الصراع. وبذلك فقد فرض علينا الرواة والاحباريون انتقائيتهم الواضحة فيما يروونه ولا يروونه. فمن العدد الغفير من رجال طيء الذين ظلوا يواجهون الموت من معركة الى أخرى ويعودون الى بيوتهم بمختلف اشكال العطب الجسدي والمعنوي لم تورد المصادر خلا عدد ضئيل جدا. منهم: معن بن قيس بن عائد الذي سبق ذكره في خلافه مع عدي على الراية؛ وابن عمه زيد بن حصن بن وبرة، رأس الخوارج يوم النهروان وكان زيد أحد عباد الكوفة وزهادها المشهورين. وكلاهما من بني سنيس⁴. وقد انحاز بعد صفين الى الخوارج وكان من بين المساندين لاقتراح اسم ابي موسى الأشعري مفاوضا عن علي في التحكيم وذلك لما: قال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: فإننا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعري. فقال لهم علي: إني لا أرضى بأبي موسى، ولا أرى أن أوليه. فقال الأشعث، وزيد بن حصين، ومسعر بن فدكي، في عصابة من القراء: إنا لا نرضى إلا به، فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه. قال علي: فإنه ليس لي برضا، وقد فارقتي وخذل الناس عنى ثم هرب، حتى

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص9.

² الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص75.

³ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص88.

⁴ ابن الكلبي نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص248. ابن حزم، جبهة أنساب العرب، المصدر السابق، ص1، ص402. الأنساب للصحاري، المصدر السابق، ص315. ورد عند نصر بن مزاحم خطبة لزيد قالها بين يدي علي لما تداولوا في شأن معاوية وأهل الشام وشأن القتال جاء فيها: فقام زيد بن حصين الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال: الحمد لله حتى يرضى، ولا إله إلا الله ربنا، ومحمد رسول الله نبينا. إما بعد فوالله لئن كنا في شك من قتال من خالفنا، لا يصلح لنا النية في قتالهم حتى نستدمهم ونستأنيهم. ما الأعمال إلا في تباب، ولا السعي إلا في ضلال. والله يقول: وأما بنعمة ربك فحدث. إنا والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يبتغون دمه، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم، القليل في الإسلام حظهم، أعوان الظلم ومسددي أساس الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار، ولا التابعين بإحسان. نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص98.

أمته بعد أشهر¹. وكان منزل زيد محطة يجتمع فيها القراء ويتداولون عنده شؤونهم الدينية والسياسية². وقد قتل زيد في موقعة النهروان على يد أبي أيوب الانصاري³. وقد بكاه الأحنس بن العيزار الطائي ثم السننسي وهو يرثي أهل النهروان من الخوارج ويذكر زيد بن حصين:

إلى الله أشكو ان كل قبيلة من الناس قد أفني الجلال خيارها
سقى الله زيدا كلما ذر شارق وأسكن من جنات عدن قرارها⁴.

وعبد الله بن خليفة الطائي الذي ينتسب إلى بطن أبي من طيء وكان شاعرا خطيبا⁵. وقد كان حضوره في صفين لافتا. وقد أورد له نصر بن مزاحم خطبا ومواقف متميزة منها ما حدث لما اقتتل الناس قتالا شديدا وتحملت طيء قدرا كبيرا من هجوم جموع أهل الشام، فجاءهم حمزة بن مالك الهمداني فقال: من، أنتم، لله أبوكم. فقال عبد الله بن خليفة الطائي: نحن طيئ السهل وطيء الجبل، وطيء الجبل الممنوع بالنحل، ونحن حماة الجبلين، ما بين العذيب إلى العين، طيء الرماح وطيء البطاح، وفرسان الصباح. فقال له: بخ بخ ما أحسن ثناءك على قومك⁶. وقد كان من بين الذين ناصروا حجر بن عدي في محنته⁷. ومنهم: زييد بن مالك الطائي، علباء بن المخارق الطائي، جعفر بن عفان الطائي⁸، بشر بن العشوش الطائي⁹، الأحنس بن العيزار الطائي¹⁰ كان ممن شهد صفين مع علي، ثم رجع عنه بعد التحكيم، وصار من الشراة، وقاتل عليا يوم النهروان مع الخوارج فقتله علي، وكان شاعرا¹¹.

¹ نصر بن مزاحم، المصدر نفسه، ص499. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص49.

² عن عامر الشعبي قال: لما أراد علي إمضاء أمر أبي موسى الأشعري أتاه حرقوص بن زهير التميمي، وشريح بن أوفى العبيسي، وفروة بن نوفل الأشجعي، وحمزة بن سنان الأسدي وعبد الله ابن وهب الراسي- وكان يقال له: ذو الثغفات لأثر سجوده بوجهه ويديه وشبه ذلك بثغفات البعير فسألوه أن لا يوجه أبا موسى، وأن يسير إلى الشام، فأبى علي ذلك وقال: فارقتا القوم على شيء فلا يجوز تقضه. فانصرفوا إلى منزل عبد الله بن وهب من فورهم- أو منزل زيد بن حصين. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص359.

³ تذهب رواية أخرى إلى ان الذي قتله هو قيس بن سعد. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، ص372.

⁴ انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، ص373.

⁵ ابن الكلبي، نسب معد واليمن، المصدر السابق، ج1، ص264. السمعي، انساب، المصدر السابق، ج2، ص365.

⁶ نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص279.

⁷ وبلغ زيادا أن عبد الله بن خليفة الطائي بالكوفة، وكان قد قاتل مع حجر رضي الله تعالى عنه، فحبس عدي بن حاتم ليأتي به، فلم يبق أحد من نزار واليمن بالكوفة إلا ارتاع واغتم لحبسه. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص252.

⁸ يبدو أن الحياة طالت بجعفر حتى شهد مقتل الحسين. جاء لدى التميمي الرواية التالية: وقد بلغني أنه كان ممن قتل مع الحسين الحر بن يزيد بن ناجية بن قنعب بن عتاب التميمي وكان في خيل عبید الله بن زياد حيث لقوا الحسين بن علي بن أبي طالب فلما سألهم الحسين ما سأل وأبوا إلا قتله تحول إليه الحر فقاتل معه حتى قتل وفيه يقول جعفر بن عفان الطائي

ولم يك فيهم رجل رشيد سوى الحر التميمي الرشيد

فواحزناه إن بني علي وفاطم قد أبيضوا بالحديد. محمد بن احمد التميمي، المصدر السابق، ص157.

⁹ نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص279.

¹⁰ انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص373.

¹¹ ابن العديم، بغية الطلب، المصدر السابق، ج3، ص1323.

الفصل الثالث

مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي: من عام
الجماعة الى مقتل حجر بن عدي (40 هـ . 51 هـ / 661 م . 667 م)

الفصل الثالث: مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي: مقتل علي الى مقتل حجر بن عدي (40هـ . 51هـ / 661م . 667م):

1. سياسة معاوية ودورها في انشطار القبائل اليمنية الشيعية في الكوفة:

أ. الظروف التي قادت الحسن بن علي الى التنازل عن الخلافة:

يتبدى الحسن بن علي في جل المصادر التي عنت بأخباره ومناقبه في صورة الرجل الذي يكاد ان يكون الوجه الآخر النقيض من شخصية والده. شخصا شديد المسالمة والانبساط والرغبة الطبيعية في الحياة؛ رجل سيد من تلك الطبيعة التي عرف بها بنو هاشم¹؛ لكن ملامح سيادته كانت أقرب الى الواجهة الاجتماعية التي يتصف بها الأشراف المياسير من الناس منها الى سيادة الحرب وقيادة الأتباع في ساح القتال. سيد السلم والمصالحة والحياة الوداعة والعلاقات التي ينسجها بأريحية الكرم والتغاضي عن الزلات. كما ان الأخبار التي عرضت له في سياق الفتنة تترك لدينا انطباعا بانه كان الرجل الأقل أدلجة من بين اخوته وأقل حماسا واندفاعا للعنف الذي كان يتولد عن الفتنة. وفي الأوقات التي أطبق فيها الحصار على عثمان كان الحسن من الذين لزموا الدار ينافحون عنه الى آخر لحظة². ولما سقط عثمان قتيلا كان شعور الحسن بالفادحة شعورا حقيقيا ظل يعبر عنه في عتاب خفي يطال كبار الصحابة الذين كانوا في المدينة وقصروا في تلافي ما وقع. والرواية التالية تبين الى أي حد ظل حزن الحسن على عثمان عميقا عصيا عن التجاوز والنسيان: قال علي لابنه الحسن؛ ورآه يتوضأ: أسبغ الوضوء. فقَالَ: قد قتلتهم أمس رجلا كَانَ يسبغ الوضوء. فقَالَ علي: لقد أطل الله حزنك على عثمان³. وكان علي يدرك من ابنه هذا النزوع للسلم وكراهة الحرب وويلاتها فكان يقول: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ فِيْنَا رُكْنٌ⁴ فمن ذلك ان ابني هذا سيخرج من الأمر، وأشبه اهلي بي الحسين⁵. وقال أيضا: أنا أخبركم عن أهلي: أما

¹ وكانت هند بنت سهيل بن عمرو عند عبد الرحمان بن عتاب بن أسيد قبل أن تكون عند ابن عامر، وهو أبو عذرها، فكانت تقول: سيدهم جميعا الحسن، وأسحاهم ابن عامر، وأحبهم إلي عبد الرحمان بن عتاب. البلاذري، أنساب الاشراف، المصدر السابق، ج3، ص21.

² ولما اشتد الحصار على عثمان: أمر أهل المدينة بالرجوع واقسم عليهم، فرجعوا الا الحسن ومحمد بن طلحة وابن الزبير وأشباهها لهم. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص385.

³ البلاذري، أنساب الاشراف، المصدر السابق، ج3، ص12. إذا صحت الرواية فان مقصد الحسن من صيغة الجمعة في فعل قتلتم لا يقصد أنهم باشروا قتل عثمان او دعوا اليه وانما يعني أنهم كانوا مقصرين في حمايته. ويبدو أنهم لم يكونوا يتصورون ان تصل الأمور الى ما وصلت اليه، لأنه حدث لا سابقة له.

⁴ ركن: هو الظن الذي هو عندك كاليقين. ابن منظور، المصدر السابق، ج13، ص198.

⁵ البلاذري، أنساب الاشراف، المصدر السابق، ج2، ص168.

الحسن ففتي من الفتيان صاحب جفنة وخوان وأما عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فصاحب لهو، وأما الْحُسَيْنُ ومحمد فهما مني وأنا منهما¹.

هذا الخلاف الأصيل بين شخصية الحسن وشخصية والده كان ينعكس على رؤية كليهما للأمر السياسي والعسكرية، وعلى قراءتهما للأوضاع، وعلى الطرق التي يستجيبان بها الى ما يحدث حولهما. ومنذ مقتل عثمان الى بيعة علي كان للحسن مقترحاته بشأن الطريقة السياسية المثلى التي يريد من والده أن يتصرف بها؛ وهي سياسية تقوم على اجتناب التورط المباشر في المشكلات واختيار التريث وانتظار الى ما تؤول اليه الأمور: عن طارق بن شهاب: أن الحسن بن علي قال لعلي: يا أمير المؤمنين إني لا أستطيع أن أكلمك وبكى فقال علي: تكلم ولا تحن حنين المرأة. فقال: إن الناس حصروا عثمان فأمرتك أن تعتزلهم وتلحق بمكة حتى تؤوب إلى العرب عواذب أحلامها، فأبيت. ثم قتله الناس فأمرتك أن تعتزل الناس فلو كنت في حجر ضب لضربت إليك العرب أباط الإبل حتى يستخرجوك، فغلبتني، وأنا أمرتك اليوم أن لا تقدم العراق، فإني أخاف عليك أن تقتل بمضيعة فقال علي: أما قولك تأتي مكة فو الله ما كنت لأكون الرجل الذي تستحل به مكة، وأما قولك حصر الناس عثمان فما ذني إن كان بين الناس وبين عثمان ما كان وأما قولك اعتزل الناس ولا تقدم العراق فو الله لا أكون مثل الضبع أنتظر اللدم².

لذلك فانه رغم الاكبار الذي يكنه لوالده واقتناعه بأنه يستحق الخلافة بعد عثمان بمقتضى أمور كثيرة ليس أقلها البيعة الشرعية التي حصل عليها بالمدينة؛ الا أنه لم يكن يشعر انها تستحق أن يخاض اليها في بحر من الدماء. كما كان يعتقد ان انسحاب علي واعتزاله الفوضى التي انجرت عن مصرع عثمان هو الموقف الأسلم الذي يقود اليه الخلافة عن طواعية من الناس ورغبة؛ من دون أن تسيل فيها قطرة دم واحدة. وهو رأي نراه الآن بعد كل ما حدث أقرب الى الصواب وأقل تكلفة. ففكرة الاعتزال والتنحي بعيدا ومراقبة مآلات الأمور واصطناع التريث هي من صميم سياسة الحسن في شؤونه الخاصة والعامة. لذلك فان مضمون العقد الذي صاغه مع معاوية لما قرر ان يتنازل عن الخلافة ويرضى أن يتأخر عنها الى حين وفاة معاوية هو موقف ينسجم مع طبيعته وسياسته وليس ناتجا بالضرورة عن الأحداث التي وقعت بعد مقتل والده³.

¹ المصدر نفسه، ج3، ص6.

² البلاذري، المصدر نفسه، ج2، ص216 . 217. وروي عن علي أن الحسن قال له في مخرجه إلى العراق: إنه غير صواب، فقال: والله لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتخرج فتصاد، وذلك أن الصياد يجيء إلى حجرها فيضرب بحجر أو بيده، فتخرج وتحسبه شيئا تصيده لتأخذه فأخذها، وهي من أحق الدواب؛ أراد أني لا أخدع كما تخدع الضبع باللدم. ابن منظور، المصدر السابق، ج12، ص539.

³ يذكر الطبري النوايا المبدئية للحسن في شأن قتاله لمعاوية فيقول: كان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة، وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافق على رايه، فنزعه وامر عبيد الله بن عباس، فلما علم عبد الله بن عباس بالحسن ع أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها، فشرط ذلك له معاوية. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص158.

تنص الروايات على ان عليا رفض ان يسمي خليفة له بعد موته وترك أمرها للناس، كأنه لم يشأ ان يتورط في تبعاتها بعد ان خبرها في حياته وخبر تنازع الناس حيالها. عن عبد الحمين بن جندب قال: لما ضُرب علي قلت: يا أمير المؤمنين أبايع حسنا. قال: لا أمرك ولا أمهالك¹. وتلك سنة ماضية لم يخالف فيها سوى أبو بكر لما سمى عمر بن الخطاب بعده. لأن الحكم الراشد لا تقوم شرعيته الا بالشورى ومراعاة حق الناس في الاختيار. وتختلف الروايات في اول من اقترح الحسن خليفة بعد ابيه؛ بين من يجعل قيس بن سعد هو البادئ به، وبين من يجعل ابن عباس. وكان قيس بن سعد قد قدم من ولايته على آذربيجان الى علي فشهد مقتله:

لما قتل علي بن ابي طالب بالكوفة، قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم وصف فضل علي وسابقتها وقربته والذي كان عليه في هديه وعدله وزهده، وقرظ الحسن ووصف حاله ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي هو أهله في هديه وحلمه واستحقاقه الأمر بعد أبيه، ورغبتهم في بيعته ودعاهم إلى طاعته وكان قيس أول من بايعه، ثم ابتدر الناس بيعته وقد كان قيس عامل علي على آذربيجان فكتب إليه في القدوم للغزو معه، فقدم فشهد مقتله². اما الرواية الثانية فتنص على ان ابن عباس . بعد ان خطب الحسن خطبته التأيينية في علي . قام بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا له، وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه. ثم نزل عن المنبر³. والواقع أن معسكر علي في هذه الفترة يكاد يخلو من الأسماء ذات الوزن الثقيل التي تستطيع ان تسد الفراغ المهول الذي خلفه غياب علي؛ وإذا استثنينا ابن عباس الذي جرى تخطيطه لأسباب لا ندرىها فان الشخصية التي تستطيع أن تحظى باجتماع الناس لن تكون غير الحسن وهو بالمثل الذي ذكره قيس بن سعد في خطبته المذكورة. وكان قيس بن سعد على رأس الجيش الذي كان علي يريد تسييره الى أهل الشام، لأنه كان من بين الذين أخلصوا لعلي في قتاله معاوية واستمر على ولائه له ولمشروعته حتى بعد مقتله، ولم يكن يرى مهادته ولا الاعتراف بسلطته، لذلك كان على رأس الجيش الذي اجتمع تحت راية الحسن، وتبلغ عدته في بعض الروايات خمسين الفا وهو عدد غير معقول إذا وضعنا في حسابنا أوضاع المعسكر في الكوفة في آخر أيام علي ونكوص كثيرهم عن النهوض معه. لكن روايات أخرى تعطينا أرقاما أكثر معقولية⁴. فخرج بهم الحسن حتى أتى المدائن، وسرح بين يديه قيس ابن سعد واقبل معاوية من الشام مناجزا قاصدا الحرب والمكيدة وكان يعلم حقيقة الأمور في معسكر الحسن لأنها لم تكن أفضل مما تركها عليه عليين واستخدم معاوية

¹ البلاذري، أنساب الاشراف، المصدر السابق، ج2، ص503. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص 146 . 147.

² البلاذري، أنساب الاشراف، المصدر السابق، ج3، ص28.

³ الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص62

⁴ جاء عند الطبري أن قيس بن سعد تحرك في مقدمة الحسن بجيش قوامه اثنا عشرة مقاتل. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص159. كما يذكر الطبري أن الحسن عزل قيس عن رئاسة الجيش وعين مكانه عبيد الله بن عباس لأن قيس لم يكن يرى إقامة الصلح مع معاوية. وهذا ما لا تؤيده الروايات الأخرى. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص158.

مناوراته وجواسيسه واعتمد الاشاعة في زرع الخلاف مجددا في صفوف الحسن، منها ما يلي: فبينما الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا إن قيس بن سعد قد قتل، فانفروا، فانفروا، فانفروا، فنفروا ونهبوا سراق الحسنة حتى نازعوه بساطا كان تحته، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن¹. وتختلف الروايات في عرض السياق الذي انبثق فيه القرار العلني للصلح، لكن جلها يدور حول وصف الجيش الذي جمعه الحسن بأنه لم يكن جيشا منضبطا ولا متحمسا. وأن قسما كبيرا من تشكيلته يضم العناصر السوقية التي يكون خروجها للقتال ليس عن قناعة سياسية ولا دوافع دينية وإنما رغبة في الحصول على ما تتيحه الحرب وفوزها من غنائم أو أسلاب². وجاء في رواية مختلفة بسطها المؤرخ الشيعي المجلسي في بحار الأنوار تضمنت تفصيلا مهما في تركيبة الجيش الذي خرج مع الحسن؛ فذكر أن: معاوية سار نحو العراق ليغلب عليه، فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتناقلوا عنه، ثم خفوا ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين³. فسار حتى أتى حمام عمر، ثم أخذ على دير كعب، فنزل ساباط دون القنطرة وبات هناك. فلما أصبح نخض فيهم خطيبا فكان من بين ما قاله: وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأبي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا. قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؛ قالوا: نظنه والله يريد أن يصلح معاوية، ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه، وانتهبوه، حتى أخذوا مصلاه من تحته⁴.

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص159.

² أورد البلاذري واية أخرى عن الظروف التي أدت الى الصلح بين الحسن ومعاوية: ثم إن الحسن خلا بأخيه الحسين فقال له: يا هذا إني نظرت في أمري فوجدتني لا أصل إلى الأمر، حتى تقتل من أهل العراق والشام من لا أحب أن أحتمل دمه، وقد رأيت أن أسلم الأمر إلى معاوية فأشركه في إحسانه ويكون عليه إساءته. فقال الحسين: أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباك وطقن عليه ورغب عن أمره. فقال: إني لا أرى ما تقول ووالله لئن لم تتابعني لأسندتك في الحديد فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري. قال: فشأنك. فقام الحسن خطيبا فذكر رأيه في الصلح والسلم لما كره من سفك الدماء وإقامة الحرب. فوثب عليه أهل الكوفة وانتهبوا ماله وحرقوا سراقه وشموه وعجزوه ثم انصرفوا عنه ولحقوا بالكوفة. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص51.

³ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، د ط، مؤسسة الوفاء، بيروت، د ت، ج44، ص46.

⁴ أورد اليعقوبي في تاريخه تفاصيل أخرى هامة تنص على المكائد التي استخدمها معاوية من اجل استنزال الحسن للصلح منها أنه: كان معاوية يدس إلى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ويوجه إلى عسكر قيس من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية، وأجابه. ووجه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن أم الحكم، وآتوه، وهو بالمدائن نازل في مضاربه، ثم خرجوا من عنده، وهم يقولون ويسمعون الناس: إن الله قد حقن بابين رسول الله صلى الله عليه وسلم الدماء، وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها. اليعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص122. يأتي الخبر عند الطبري مختصرا لكنه يؤكد أن الحسن تعرض للاعتداء وانه صالح معاوية بعده. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص162.

وتحضي الرواية تصف محاولة الاغتيال التي تعرض لها الحسن من بعض رجال الأزد فنأدى الحسن: ادعو الي ربيعة وهمدان، فدعوا له فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه. وسار حتى مر في مظلم ساباط¹ فتعرض هناك الى محاولة اغتيال ثانية من أحد رجال بني أسد الذي صاح فيه: الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم. فمضى الحسن على سريره الى المدائن فأقام مشتغلاً بمعالجة جروحه وقد كان مقامه بالمدائن عند واليها سعد بن مسعود الثقفي عم المختار فعرض عليه الأخير ان يكيد الحسن ويسلمه الى معاوية ويشترط لذلك خراج جوخي² سنة، فأبى سعد خيانة الحسن³. وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السر واستحثوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به⁴، وبلغ الحسن ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد يخبره أنهم نازلوا معاوية بقرية بإزاء مسكن وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المصير إليه، وضمن له ألف درهم يعجل له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند دخوله إلى الكوفة فانسل عبيد الله في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم⁵، فضلى بهم قيس بن سعد ونظر في امورهم. فكتب معاوية الى الحسن في الهدنة والصلح وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة⁶. وهذه الرواية. على طولها. تجد ما يؤكد في المصادر السنية، وخلاصة القول فيها أن الحسن كان؛ الى جانب استعدادة الشخصي للسلم والموادعة حقناً للدماء؛ يائساً من قدرة العراقيين المشتتين على الصمود في وجه الكتلة الشامية الصلبة التي عبرت طوال مراحل الفتنة عن مؤازرتها التامة لمعاوية. وجاءت احداث الفوضى التي تعرض لها معسكره ومحاولة اغتياله وانسلاخ بعض الوجوه والأشراف الى معسكر معاوية نظير مكاسب مادية؛ لتدفع به نحو الصلح انهاء لحالة الاحتقان والتشنج⁷.

¹ ساباط: بالمدائن موضع معروف وهو ساباط كسرى، والساباط عند العرب: سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص166. ومظلم ساباط مضاف إلى ساباط التي قرب المدائن: موضع هناك. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص152.

² جوخي: بلد بالعراق، وهو ما سقى من نهر جوخي. قال محمد بن سهل: ولم يكن بالعراق عند الفرس كورة تعدل كورة جوخي، كان خراجها ثمانين ألف ألف. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص403.

³ المجلسي، بحار الأنوار، المصدر السابق، ج44، ص47. يوافق البلاذري وياقوت الحموي رواية المجلسي في كل ما ذكره. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص35. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص35. راضي آل ياسين، صلح الحسن، د ط، منشورات الشريف الرضي، د ت، ص215.

⁴ يقول ياقوت الحموي: وتوجه معاوية إلى العراق واستخلف الضحاك بن قيس الفهري وجد في المسير، وقال: قد أتتني كتب أهل العراق يدعونني إلى القدوم إليهم فأومن بريهم، ويدفعون إليّ بغيتي وأتني رسلهم في ذلك فسيروا إليها الناس فإن كدر الجماعة خير من صفو الفرقة. وكانوا يدعونه أمير المؤمنين. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص35. وبلغ ذلك الحسن فقال: يا أهل العراق أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليّ، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فياعوه، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص39.

⁵ يرد هذا الخبر عند الطبري فيجعل انضمام عبيد الله الى معسكر معاوية انما كان بعد أن علم بنوايا الحسن في الصلح. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص163.

⁶ المجلسي، بحار الأنوار، المصدر السابق، ج44، ص48.

لقد تباينت الروايات التي تحدثت عن مضامين الصلح واستحقاقاته، فجاء في بعضها أن: الحسن صالح معاوية على أن جعل له ما في بيت ماله وخراج دارا بجرد على الا يشتم علي وهو يسمع. فأخذ ما في بيت ماله بالكوفة، وكان فيه خمسة آلاف ألف¹. وكتب معاوية كتابا نسخته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ. إِنِّي صَالِحْتُكَ عَلَى أَنْ لَكَ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشَدُّ مَا أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْفِهِ مِنْ عَهْدٍ وَعَقْدٍ أَنْ لَا أَبْغِيكَ غَائِلَةً وَلَا مَكْرُوهًا، وَعَلَى أَنْ أُعْطِيكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَعَلَى أَنْ لَكَ خِرَاجٌ فَسَا وَدِرَاجِرْدٌ² تَبْعَثُ إِلَيْهِمَا عَمَالَكَ وَتَصْنَعُ بِهِمَا مَا بَدَا لَكَ³.

باشر الحسن الصلح وقنع بجملة شروط تعتبر مهينة واضطر الى التنازل عن بعضها الآخر⁴، لكن النواة الصلبة من شيعة علي التي شكلت التنظيم الذي عرف بشرطة الخميس؛ وهو تنظيم شبه فدائي تشكل ردا على نكوص مقاتلة الكوفة وخذلانهم لعلي في آخر أيامه؛ وكان على رأسهم قيس بن سعد؛ عناصر هذا التنظيم لم تشأ قبول الصلح ولا الاعتراف بنتائجه وتبعاته⁵؛ لأنها لم تشأ أن تعترف بوصول معاوية الى سدة الخلافة بعد كل النضال الذي خاضوه والتكلفة الغالية التي دفعوها في صفين وغيرها. والحقيقة أن الحسين كان يشارك هذه العصبية رأيتها ومشاعرها ويأنف أن يعيش ذل الهزيمة وهو ينظر الى معاوية يريح الحرب فيما هم يخسرون، وقد حاجج أخاه الحسن كثيرا في الصلح فكان من بين ما قاله له: نشدتك الله أن تصدق أحداثة معاوية، وتكذب أحداثة علي، فقال له الحسن: اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك⁶.

ولما بلغ خبر الصلح بين الحسن ومعاوية قيس بن سعد خرج الى أصحابه فقال: يا قوم إن هؤلاء القوم كذبوا محمدا وكفروا به ما وجدوا إلى ذلك سبيلا. فلما أخذتهم الملائكة من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم دخلوا في الإسلام كرها، وفي أنفسهم ما فيها من النفاق. فلما وجدوا السبيل إلى خلافه، أظهروا ما في أنفسهم. وإن الحسن

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص160.

² ذرأبجرود: كورة بفارس نفيسة عمرها دراب بن فارس، معناه دراب كرد، دراب: اسم رجل، وكرد: معناه عمل، فعرب بنقل الكاف إلى الجيم، قال الإصطخري: ومن مدن كورة درابجرود فسا، وهي أكبر من درابجرود وأعمر غير أن الكورة منسوبة إلى دار الملك ومدينته التي ابتناها لهذه الكورة درابجرود فلذلك تنسب الكورة إليها، وبها كان المصر في القدم وكان ينزلها الملوك. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص446.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص41.

⁴ كان معاوية يزيد في مشاكل الحسن حتى بعد عقده للصلح من ذلك أنه: أمر ابن عامر أن يغري أهل البصرة بالحسن فضجوا وجعلوا يقولون: قد انفضت أعطيناتنا بما جعل معاوية للحسن، وهذا المال ما لنا فكيف نصرف إلى غيرنا. ويقال إنهم طردوا عماله على الكوريتين فاقصر معاوية بالحسن على ألفي ألفي درهم. ويقال: على ألف ألف درهم من خراج أصبهان وغيرها. البلاذري، المصدر نفسه، ج3، ص47.

⁵ تحدث أبو الغريف قال: كنا مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفا بمسكن مستميتين، تقطر أسيافا من الجد على قتال أهل الشام، فلما جاءنا صالح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ، فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال له رجل منا، يقال له أبو عامر سفيان بن ليلى - وقال ابن الفضل سفيان بن الليل -: السلام عليك يا مذل المؤمنين. قال فقال: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لست بمذل المؤمنين، ولكي كرهت أن أقتلهم على الملك. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المصدر السابق، ج10، ص305.

⁶ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص160.

عجز وضعف وركن إلى صلح معاوية، فإن شئتم أن تقاتلوا بغير إمام فعلتم وإن شئتم أن تدخلوا في الفتنة دخلتم. قالوا: فإننا ندخل في الفتنة¹. حينها بدا لقيس ومن بقي على موقفه عجزهم عن استكمال مسيرة القتال، واتجه تفكيرهم الى ضرورة الحصول على عقد صلح يكون مجزيا ومشرفا²، على أن أهم ما فيه لم تكن المكاسب المالية وما شابهها؛ وإنما ضمان سلامتهم وتأمينهم من المتابعة والملاحقة. وقد استجاب معاوية لشروطهم معتبرا دخولهم في الصلح نصر آخر يسجله في رحلة صعوده المضنية الى عرش الخلافة³. ومن ثمة راح معاوية يعيد ترتيب الواقع السياسي الجديد؛ فولى معاوية عبد الله بن عامر البصرة، والمغيرة بن شعبة الكوفة ومضى إلى الشام، ومن مقره بدمشق استأنف تفكيك ما تبقى للحسن من مكاسب فأمر ابن عامر أن يغري أهل البصرة بالحسن؛ فضجوا وجعلوا يقولون: قد أنقصت أعطياتنا بما جعل معاوية للحسن. وهذا المال ما لنا فكيف نصرف إلى غيرنا. ويقال: إنهم طردوا عماله على الكورتين؛ فاقتصر معاوية بالحسن على ألفي ألفي درهم. ويقال: على ألف ألف درهم من خراج أصبهان وغيرها. فكان حصين بن المنذر الرقاشي أبو ساسان يقول: ما وفا معاوية للحسن بشيء مما جعل له قتل حجرا وأصحابه، وباع لابنه ولم يجعلها شورى وسم الحسن⁴.

ان النهاية التي استقر عليها الصراع المرير بين علي ومعاوية تعود في جوهرها الى طبيعة النسيج السياسي العراقي الذي كان نسيجا مهلهلا لم يقدر له أن يتوحد حول قضية علي الا في فترات محدودة قصيرة زمنيا، ثم تفكك بصورة موجعة بعد معركة النهروان؛ حين اضطر ما تبقى من جيش علي الى تصفية الفصيل الخارجي الذي كان يخوض معهم وقائع الحمل وصفين قبل التوجه لاستئناف النزاع مع أهل الشام. لكن الجمع بعدها انفرط ولم يتجمع أبدا، وقاد تفككه التام الى تنامي حسرة عميقة في نفس علي لم يتحرر منها الى حين مقتله. ولما استلم الحسن الخلافة بعد أبيه استلم ذات الوضعية المربكة فلم يطل به الوقت حتى أدرك أن أفضل وسيلة لفض النزاع هي استئناف المفاوضات مع معاوية والمبادرة الى الصلح حتى ينقذ ما يمكن إنقاذه ويحمي ما تبقى من شيعته المخلصة. والحقيقة ان بنود الصلح تضمنت شروطا لو تحققت كانت ستبقي على أهل العراق ممن ناصر علي في وضعية مريحة لحين استئناف النزاع في ظروف أخرى أفضل لولا

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص52.

² وأمرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعه علي ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص164.

³ لما بايع الحسن معاوية، ركب الحسن إليه إلى عسكره، وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخل العسكر قال الناس: جاء قيس جاء قيس، فلما دخل على معاوية بايعه الحسن ثم قال لقيس: بايع. فقال قيس بيده هذا وجعلها في حجرة ولم يرفعها إلى معاوية ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبته ومد يده حتى مسح على يد قيس وهي في حجرة. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص50.

⁴ البلاذري، المصدر نفسه، ج3، ص47.

الجهد الذي بذله معاوية في اخفاقها والعمل تجاه تصفية ما تبقى من قوة الشيعة. الى غاية موت الحسن السريع والمفاجئ الذي جعل كثير من المتبعين يرمون مسؤوليته على معاوية.

الى هذه اللحظة كان التشيع عبارة عن موقف سياسي من طرف قوى سياسية جعلت من مناصرة علي قضيتها السياسية؛ هي قضية حق رجل امتلكه بوسائل مشروعية عندما تمت بيعته في المدينة وامتلكه بالأفضلية والكفاءة والجدارة والأهلية، فلم يكن الالتفاف حول علي غريبا؛ لكن الذي كان غريبا هو مناهضته والافتيات عليه. واستمر الهوى الشيعي السياسي بعد موت الحسن واستتباب الأمر لمعاوية وأعوانه حاضرا وفاعلا في الكوفة؛ خاصة من طرف نواة قاومت الضغط الذي كان يمارسه معاوية وولاته عليها، وبافتقاد الفصيل الشيعي في الكوفة لقيادة فاعلة تنظمه وتؤطره وتتحرك سياسيا به فقد أخذ يتشكل بعد آخر للتشيع أخذ ينسحب شيئا فشيئا من الفعل السياسي الى الفعل الثقافي متجها صوب ادراج التشيع داخل البنية الدينية بوصفه جوهر للإسلام ذاته. لم يتشكل هذا الأمر دفعة واحدة وانما استهلك إنجازه زمتنا وألما جراء الإخفاقات المتلاحقة التي المت بصفوفه.

أخذت شخصية علي تتعمق وتعظم وتأخذ أبعادا جديدة لدى أنصاره، وتحول حضوره من واقع الى ذكرى وأخذت هذه الذكرى تنعتق من الأبعاد التاريخية وتحول الى الرمزية الأسطورية، وحينها لم تكف عن التطور صوب العظمة التي كانت تقارب عظمة النبي. لم يعد علي مجرد شخصية تاريخية أساسية في تاريخ الإسلام بوصفه حركة مناضلة كان له فيها نصيب وافر، وانما تحول الى فحوى ديني ومضمون روحي، لم يعد هو الشخص التاريخي الذي عاش ومات وانما الرمز الذي تجمعت في سيرته وتكثفت جميع صور ومضامين الإدانة التي كانت توجهها القوى المهمشة نحو السلطة الأموية، وهذا يفسر العلاقة التي اخذت تتشكل بين التشيع والموالي والتي بدورها ستتطور حتى تطيح بالكيان الأموي برمته. لقد تحول ممارسة وجدانية، واعتقد أن فهم جوهر التشيع يظل بعيدا عن الاستكناه خارج استحضر الابعاد الوجدانية التي شكلته وصاغته، لأن الصياغة الفكرية لتعاليمه تمت في عصور تالية، وفي حيثيات تاريخية أخرى. ان النهاية المأساوية لعلي وكآبة أيامه الأخيرة حفظته وثبتته في التاريخ، وما خسره على المستوى السياسي كسبه أضعافا مضاعفة على المستوى الثقافي والديني، ولا ندري كيف ستكون الأمور لو قدر له أن ينتصر على معاوية ويستولي على الخلافة، ربما كان سيلقى ذات المصير من جهات عديدة لن ترضى عن سياساته لكن ذكره لم تكن لتستمر بالصورة والمضمون التي استمرت عليهما.

ب . الانتصار الأموي ونتائجه السياسية على الكوفة:

لقد دشّن معاوية بتوليّه سلطة المسلمين مرحلة جديدة كانت بداية لأنماط جديدة من الحكم والإدارة والتسيير. وطرق جديدة في ممارسة السلطة وفهم معناها ووظيفتها، تتسجم مع الطريقة التي وصل بها الى السلطة والمستندات التي اتكأ عليها في تبريرها وتفسيرها. فلم تكن ولايته عن شوري ولا تزكية من الخليفة السابق ولا بفضل السابقة في الإسلام ولا اجماع الناس، وانما تمت من داخل نزاع مرير وصراع استخدمت فيه جميع الوسائل السياسية والعسكرية المتاحة. مما يعني ان معاوية امتلك السلطة بالسياسة لا بالحق، وهذا ملحظ هام لأنه سيكون مدخلا ثمرا لفهم طبيعة السلطة الأموية ومستجداتها. وقد كشف معاوية في أكثر من مناسبة عن وعيه العميق بهذا الأمر في خطابه لأهل المدينة ولغيرهم ممن كان يساند علي؛ وذلك أنه: لما قدم المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى كعبك. قال: فوالله ما ردّ عليهم شيئا حتى صعد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفاقا شديدا؛ وأردتها مثل سُنَيَات عثمان، فأبت عليّ؛ فسلكت بها طريق لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومشاركة جميلة؛ فإن لم تجدوني خيركم فإنني خير لكم ولاية؛ والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دبر أذني وتحت قدمي؛ وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا زاد عتّى، وإذا قلّ أغنى؛ وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة، وتكدرّ النعمة، ثم نزل¹. وجاء في رواية أخرى أنه لما قدم معاوية المدينة خطبهم فقال: إني رمت سيرة أبي بكر وعمر فلم أطقها، فسلكت طريقة لكم فيها حظ ونفع، على بعض الأثرة، فارضوا بما أتاكم مني وإن قل، فإن الخير إذا تتابع وإن قل أغنى، وإن السخط يكدر المعيشة، ولست بباسط يدي إلا إلى من بسط يده، فأما القول يستشفى به ذو غمر فهو دبر أذني وتحت قدمي حتى يروم العوجاء².

عندما ينكمش الحق والعدل تنبثق السياسة، لأن جوهر السياسة الناجحة يتلخص في القدرة على إدارة الثروة والناس بما يحفظ مصالح الحكم في الثروة ويضمن ولاء عامة الناس، أي إمكانية الجمع بين الماء والنار. لا يحتاج مبدأ العدل الى السياسة، لأنه لا ضرورة للسياسة إذا كان الحق يصل لأصحابه، لكن لا مناص من السياسة إذا أراد الحاكم أن يتصرف في مال الناس فيعطيههم ويمنعهم بمقتضى ارادته لا بمقتضى حقهم فيه، ويحاول أن يضمن مع ذلك استمراره في الحكم

¹ الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج4، ص312. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص141. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج4، ص170.

171. أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ج2، ص182.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص49.

وتفادي الثورة عليه: أوفد زياد عبيد الله بن كعب النميري إلى معاوية فقال معاوية: أخبرني عن زياد، قال: يستعمل على الجرأة والأمانة دون الهوى والمحابة، ويعاقب فلا يعدو بالذنب قدره، ويسمر ويجب السمر ليستجم بحديث الليل تدبير النهار، قال: أحسن، إن الثقل على القلب مضرة بالرأي، فكيف رأيه في حقوق الناس. قال: يأخذ ما له عفوا ويعطي ما عليه عفوا، قال: فكيف عطاياه. قال: يعطي حتى يقال جواد ويمنع حتى يقال بخيل، قال معاوية: إن العدل ضيق وفي البذل عوض من العدل، فكيف الشفاعة عنده. قال: ليس فيها بمطمع، ما أراد من خير جعله لك أو له¹.

لم يكن الحق وسيلة معاوية في امتلاك السلطة، ولم يعتقد يوما أنه كان حقيقا بها، وإنما انتهاز فرصة وعرف كيف يدير أوضاعا مناسبة لمصلحته، وستختزل ممارسة الحكم منذ ذلك الوقت الى موهبة انتهاز الفرص وحذق التدبير؛ وفي ذلك صدرت عنه قرارات لم يكن غرضه فيها احقاق الحق، وإنما حسن السياسة والرأي. وقد كان زياد شديد الاعجاب بكفاءة معاوية في التدبير. وقد صرح زياد ذات مرة فقال: لم يغلبني معاوية بالسياسة إلا في رجل من بني تميم استعملته فكسر الخراج ولحق به فآمنه، فكتبت إليه: إن في هذا مفسدة للعمال وحملا على سوء الأدب، فابعث به إلي، فكتب إلي معاوية: إنه لا يصلح أن أسوس وتسوس الناس سياسة واحدة، إنا إن نشدد جميعا نهلك الناس ونخرجهم، وإن نلن جميعا نبطرهم، ولكن تلين وأشدت وتشدت وألين، فإذا خاف أحدهم وجد بابا فدخله².

ليس الغرض من هذا العرض تحميل معاوية مسؤولية ما حدث؛ إذ لم تكن الطريقة التي وصل بها الى الحكم والتي أدار بها دولة الإسلام الا استجابة طبيعية لما كان متحققا على الأرض الاجتماعية العربية الإسلامية، انه ما نعبر عنه بلغتنا المعاصرة؛ رجل المرحلة؛ فمن الجلي أن معاوية لم يقم بما قام به بمفرده وإنما كان يدعمه كل اهل الشام فضلا عن تأييد قبائل بأكملها تقع خارج الشام، وأزره رجال لهم خبرتهم وحنكتهم وتاريخهم الجيد، مما يعني ان الجميع متواطئ بصورة وبأخرى فيما كان يحدث. ولم يستطع علي برغم شخصيته المهيبه وسمعته العظيمة ان يغير من مجرى التاريخ حتى خر صريعا لتحولات التاريخ ذاته. وقد عبر ابن خلدون عن هذا المعنى في قوله: ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوبوا عليه واستماتوا دونه ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وحالفهم في الانفراد بالأمر لوقوع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة³.

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص90.

² المصدر نفسه، ج5، ص84.

³ ابن خلدون، المقدمة، ت خليل شحادة، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر، 2001م، ص257.

انه لا يتوقع من وضع تحقق بالحرب والقتال أن تدار أموره بمقتضى الحق والعدل، لأن الحرب بطبيعتها تنزع الى التغيير ولا تقوم الا لغرض الثورة على وضع قائم بقصد تحويله؛ فهي بذلك تقلب الموازين، ونتائجها تأتي في صالح طرف منها على حساب الطرف المعادي. لذلك فان معاني الحق والعدل تتغير في مجرى التاريخ لأتبعها قيمتان تتأسسان على الواقع وتهدفان الى تدبير الواقع. لذلك صار الحديث عن سيرة بي بكر وعمر في العهد الأموي سلوكا سياسيا يراد منه الإشارة الى وضع قديم سابق صار تاريخيا وتحول أملا طوباويا تحن اليه فئات وجدت نفسها مهمشة في الخريطة الاجتماعية الجديدة¹. وقد حدث: أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عنز فنهض إليه أبو الحجاج فسلم عليه، وقال له: إني ذاهب إلى أمير المؤمنين، فهل من حاجة لك عنده. قال: نعم. تسأله أن يعزلي عن القضاء. فقال: سبحان الله. والله لا أعلم قاضيا اليوم خيرا منك. ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه: يا أبة أتقوم إلى رجل من تجيب وأنت ثقفي. فقال له: يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله. فقال: والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله، فقال: ولم يا بني. قال: لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئا عند سيرتهما فيخلعونه ويخرجون عليه ويبغضونه، ولا يرون طاعته، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضربن عنق هذا وأمثاله. فقال له أبوه: يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقيا². وكان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يقول: أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر، ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر، نسأل الله أن يعين كلاً على كل³.

استطاع معاوية في نهاية الأمر أن يخرج من مخاض صراعه المرير مع علي ومن بعده الحسن منتصرا ومحققا الهدف الذي ركب لأجله الأهوال. فدان له الملك واستوت له السلطة من دون منازع حقيقي الا حق الحسن في توليها بعده حسب الاتفاق، رغم أن الحسن حاول من خلال عناصر الشروط التي صاغها لمعاوية أن يكفل لنفسه وللطرف الذي

¹ أسر مسلم بن عقبة؛ في موقعة الحرة التي اوقعها بأهل المدينة؛ أسراء فحبسهم ثلاثة أيام لم يطعموا فجاءوا بسعيد بن المسيب إلى مسلم، فقالوا: بايع، فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر، فأمر بضرب عنقه، فشهد له رجل أنه مجنون فخلى عنه. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج6، ص16. حج عبد الملك بن مروان ذات مرة وخطب بالموسم، وكان من البلغاء العلماء الدهاة، فقال: إني رأيت سيرة السلطان تدور مع الناس، فإن ذهب اليوم من يسير بسيرة عمر، وأغير على الناس في بيوتهم، وقطعت السبل، وتظالم الناس، وكانت الفتن، فلا بد للوالي أن يسير كل وقت بما يصلحه، نحن نعلم والله أنا لسنا عند الله ولا عند الناس كهيبة عمر ولا عثمان، وترجو خير ما نحن بإزائه من إقامة الصلوات والجهاد والقيام لله بالذي يصلح دينه، والشدة على المذنب، وحسبنا الله ونعم الوكيل. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج5، ص326.

² ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج9، ص138.

³ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج1، ص62. تأمل النص التالي: عن هشام بن عروة قال: سأل عبد الله بن الزبير معاوية حوائج فمنعه فقال: يا أمير المؤمنين، أو يا معاوية، إني لخليق أن أخرج فأقعد على طريق الشام فلا أشتم لك عرضا ولا أقصب لك حسبا، ولكني أسدل عمامتي بين يدي ذراعا واخلفي ذراعا، وأذكر سيرة أبي بكر وعمر، فيقال هذا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال معاوية: كفى بذلك، وقضى حوائجه. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص66.

يمثله خط الرجعة الى استئناف الصراع في حال اخلال معاوية بها، مما يعني حرصه على المحافظة على التنظيم الشيعي في حالته التي كان عليها تنظيماً؛ رغم هشاشته؛ الا أنه يمتلك قدراً من التماسك الذي يمكنه من احراج صف معاوية مجدداً. لكن معاوية أعلن منذ ان شعر باستتباب الأمر له أن بنود الاتفاق موضوعة تحت قدمه وبالتالي لا يعتبرها ملزمة. لقد أدرك مدى هشاشة الموقف العراقي الذي كان يقود حركة النزاع من خلال ما يبدو تخاذلاً من الحسن في نزوعه الى الصلح مما كان يعني على أرض الواقع أن قوى الطرف العراقي السياسية ومن ورائها العسكرية يعلن هزيمته أمام الكتلة الصلبة التي مثلتها عصابة الشام.

ان الذي حسم جولات الصراع لمصلحة معاوية ظل هو ذاته تماسك العصابة القرشية الأموية بامتداداتها التي حرص معاوية منذ سنوات ولايته على الصقع الشامي على نسجها بواسطة استمالته لوجوه الناس ورؤساء القبائل وأشرافهم واهل الرأي ونفوذ الكلمة فيهم وفق ما صار يبدو خطة منهجية تعمدتها معاوية وأستغل في تنفيذها المدة الطويلة التي استغرقتها خلافة عثمان، وهامش الحرية الواسع الذي تحقق له تحت غطاء توجهات الخلافة آنذاك في استخدام المال والهبات والتصرف في المقدرات المالية التي كانت تحت يديه. استطاع أن يجمع خيوط الطرف القرشي الأموي بيده ويطرح ذاته الممثل الأكثر كفاءة في حراسة المكاسب التي حققوها، وأن يستخدم الفجيرة في عثمان ورقة رابحة يفاوض بها هذا الفريق الجهة التي ستخلف عثمان على رأس الأمة. لم يمتلك أصحاب الجمل كطلحة والزبير وعائشة كامل المصداقية في التمثيل السياسي لقضية عثمان المقتول؛ بسبب أنهم كانوا بشكل أو بآخر متورطين فيما آلت اليه الأمور؛ حيث حفظ عن عائشة تحريضها المتحمس ضد عثمان ورفضها لمناشدة أم سلمة وغيرها لها بالتوسط لدى محاصريه حتى يكفوا عنه، كما لعب طلحة والزبير لفترة على الأقل دوراً تحريضياً معددين جملة التجاوزات التي ارتكبتها في حق الأمة. فلم يكن لديهم الشرعية التي كان يمتلكها معاوية بوصفه الممثل الأقرب رحماً والألصق بعثمان وبسياسته، فتمكن بذلك من أن يكون صاحب حق في المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان.

ج . سياسة معاوية في اختيار الولاة والعمال على الكوفة؛ نموذج المغيرة بن شعبة وزباد:

ان التفكيك الممنهج لحيوب المقاومة الشيعية في الجهة الشرقية من دار الإسلام كان ضرورة ملحة حتى يضمن الكيان الأموي استقراره. وقد عمل معاوية بمؤازرة ولاته وعماله الأكفاء على تنفيذ هذه السياسة؛ بداية بتغيب الحسن بن علي المرشح الأوفر حظاً للخلافة بعد معاوية، وضخ العطاءات والهبات والهدايا لأشراف الناس ووجوههم في المدينة والتوسعة عليهم في الرزق، وجرهم الى دروب جديدة من الرفاه والانفاق والترف؛ حيث شاعت أنماط سلوكية جديدة في المدينة لم تكن لها سوابق، ووجه صرف مستحدثة وعادات لم يألّفها الأولون. لعبت هذه السياسة على افساد أهل المدينة

بالتدليل. لكن التعامل مع أهل الكوفة كان يتخذ منحى آخر؛ إذ لم ينسى معاوية ومعاونوه الاستماتة التي خاضت بها شيعة علي وقائع صفين ولم يكن من السذاجة ليأمن على دولته الوليدة من غدرهم.

كما عرف معاوية كيف ينشر كبار رجاله في حكم الأمصار فربط مصالحهم الخاصة مع مصالحه من خلال إطلاق يدهم في مقدرات المصر الذي يحكمونه والاضغاضع عن ممارسات ما كان علي وعمر قبله ليقبل بها ولم يجد عضاضة في استلحاق زياد بن ابيه الى نسب ابيه لما رأى ضرورة استمالة زياد واستعماله انتفاعا بخبرته وكفاءته العالية. فشجع بذلك على نمو أساليب جديدة في الإدارة ومعاني جديدة للسلطة وطرق استخدامها. فلم تعد السلطة أمانة يتحملها الخليفة والوالي والعامل كعبء ثقيل ومسؤولية شاقة وإنما صارت لها وجهها المغربي وعوائدها الممتعة ومجالا يستفرغ فيه الطموحون قواهم وامكانياتهم للظهور والمجد واصطناع الحسب والشرف وتحقيق الوجاهة والنفوذ ومن ثمة تأكيد مراكزهم بين ذويهم وعشائهم ومن يقف خلفهم.

لقد استعادت القيم العربية القديمة قوتها وانبعثت من السبات الذي أدخلتها فيه حركة الإسلام المكافح الجهادي الذي جمع الناس بواسطة مضامينه الإنسانية التضامنية، وبواسطة مقاصد العدل والمساواة التي تحراها النبي وابو بكر وعمر، وأخذت مقولات الحسب والنسب والعصبيية والرئاسة والمجد ذات الطابع الديني تشهد احياء وتحديثا وتفصيلا في الواقع الجديد. مما يجعلنا نشعر؛ رغم بعد المسافة الزمنية؛ بأثار رغبة سياسي تلك المرحلة في إعادة بناء شاملة لمجمل توجهات الناس واهتماماتهم، وإعادة صياغة رغباتهم واختياراتهم. ولفت انتباههم الى مغريات التمتع بما حققوه طيلة السنين التي تولت. ليس الجهاد وما يتطلبه من تحفز قتالي مستنفر الا مرحلة ضرورية في طريق التمكين والنصر، لكنه لن يعود فلسفة للحياة وطريقة لازمة في العيش، فيما أن التمكين قد تحقق بالاستيلاء على المقدرات الاقتصادية والبشرية للشعوب المفتوحة فان أزمنة التمتع بشمرات كل ذلك قد حلت. المؤاكلة الحسنة والمشاركة الجميلة.

ان الحضور الطاعني لشخصية كثير من الولاة في العهد الأموي ظاهرة نلمسها في وفرة الروايات التي دونتها المصادر التي أرخت لتلك الفترة. والأمر يعد سابقة سياسية لا نستطيع ان نجد لها شبيها في الفترة السابقة الا في حالة معاوية ذاته لما كان واليا على بلاد الشام. ولعل للأمر علاقة بالسياق التاريخي العام الذي ولدت فيه دولة بني امية، والظروف التي تحقق فيها لمعاوية انتصاره الكبير. تصدق الملاحظة خصوصا على المغيرة بن شعبة زياد بن ابيه وعلى الحجاج بن يوسف الثقفي خصوصا. بحيث أن الأدبيات التي تخصهم تكاد تنافس ما كان يروى عن معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك. واللافت أن كلا من المغيرة وزياد والحجاج يجمعهم الانتماء الى قبيلة ثقيف التي كانت تستوطن الطائف، وكلهم حكم

الكوفة وترك فيها آثارا سياسية هامة¹. وتعتبر ثقيف الطائف من القبائل العربية التي ظلت على ولائها للإسلام لما ارتدت بقية العرب؛ رغم ان اسلامها جاء متأخرا بعض الشيء. كما يبدو ان الصلات بين سادة ثقيف وسادة قريش ترجع الى ازمنة قديمة؛ حيث كانت الطائف مصيفا للوجهاء من قريش، وقبلة لطلاب المتعة منهم².

عرفت ثقيف بين العرب بالدهاء والمكر؛ فلم يكن المغيرة بن شعبة ولا زياد ولا الحجاج في دهائهم فلتات شاذة منهم. وقد حفظت لنا المصادر اعتراف أحد سادة العرب في وقته وهو عيينة بن حصن زعيم غطفان بذكاء الثقيفين وكياستهم لما اعترف بأنه لم يساند النبي في غزوه ثقيفا رغبة في نصر المسلمين وانما: أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لي رجلا، فإن ثقيفا مناكير³.

. ولاية المغيرة بن شعبة في الكوفة وسياسته في أهلها:

أول من حكم الكوفة بعد الصلح كان المغيرة بن شعبة الثقيفي نسبة الى ثقيف الطائف. وقد تمكن المغيرة من ان يجد له محلا في تاريخ الإسلام الباكر بفضل مواهبه الإدارية وقدرته على التدبير؛ فقد كان الناس يطلقون عليه مغيرة الرأي لكيدته ودهائه⁴. ووصفه الزهري، قال: كان دهاة الناس في الفتنة خمسة، فمن قريش: عمرو، ومعاوية، ومن الأنصار: قيس بن سعد، ومن ثقيف: المغيرة، ومن المهاجرين: عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي⁵.

وجملة الروايات التي تناقلت سيرته تترك لدينا انطبعا بأنه كان رجلا واسع الرأي والمكيدة طموحا في غير اندفاع ويحسن الوصول الى غاياته من غير تهور. يعرف مواهبه ويقدرها من غير ان يذهب بها أبعد مما يتيح وضعه. فلم يكن في شجاعة خالد ولا حسب معاوية كما أنه لم يكن من كبار المهاجرين والأنصار. لكنه استطاع ان يصل الى ما لم يصله

¹ فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص107.

² كان بين ثقيف وقريش حلف. جاء لدى ابن حبيب: كان سبب حلف ثقيف في قريش أن قريشا حين كثرت رغبت في وج وهو وادي الطائف فقالت لثقيف: نشركم في الحرم وأشركونا في وج. ابن حبيب، المنق في اخبار قريش، المصدر السابق، ص232. وقد استغل أثرياء قريش أموالهم في الطائف، فاشترت فيها الأرضين وغرسوها واستثمروها، واشتروا بعض المياه، وبنوا لهم منازل في الطائف ليتخذوها مساكن لهم في الصيف، وأسهموا مع رؤساء ثقيف في أعمال تجارية رابحة، ورتطوا بحبالمهم، وحاولوا جهد إمكانهم ربط الطائف بمكة في كل شيء. جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص28، 109.

³ ابن كثير، السيرة النبوية، المصدر السابق، ج3، ص662. قدم جواد علي تحليلا طريفا لخصوصية الطائفيين جاء فيه: اختلفت طبائع أهل الطائف عن طبائع أهل مكة مع أنها أقرب إلى مكة من اليمن، وسبب ذلك أن الطائف أرض مرتفعة ذا جو معتدل، بها مياه وفيرة، وبها أشجار وهبتها الطبيعة لأرضها منذ القدم، أرضها خصبة فرحة، لا تسودها كآبة البادية ولا يخيم عليها عبوس البيداء، فصارت أخلاق أهلها من ثم أقرب إلى أخلاق أهل اليمن، وصاروا أذكاء، عقولهم متفتحة نيرة، استغلوا أيديهم، فزاولوا الحرف مثل الدباغة، واستغلوا الأرض، إذ زرعوها حبًا وأشجارًا مشمرة، ورتتوا الماشية، وصارت مدينتهم حتى اليوم مصيف أهل مكة. جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص290.

⁴ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج4، ص214.

⁵ الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص22. 23. وكان المغيرة قبل إسلامه قد صحب قوما في تجارة الى مصر فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا من بني مالك بن ثقيف وأخذ أموالهم، فتهاج الحبان من ثقيف رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عمروة المقتولين ثلاثة عشر دية، وأصلح الأمر. الذهبي، سير اعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج2، ص29. ثم جاء المغيرة الى النبي مسلما فقبل النبي اسلامه وقال: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء الطبري، المصدر السابق، ج2، ص627. ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج4، ص215. الذهبي، سير اعلام النبلاء، المصدر السابق، ج2، ص23.

آخرون أقرب الى النبي وخلفائه زلفى. فقد تمكن من ان يختطف ثقة عمر على الأقل في أمور الحكم والتدبير؛ حيث تولى له أكثر من عمل. ووصفه قبيصة بن جابر فقال: صحبت المغيرة بن شعبة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب، لا يخرج من باب منها إلا بمكر، لخرج من أبوابها كلها¹.

روي أن عمر استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه، فعزله². ثم جعله بعد ذلك على امارة البصرة³. وقد اتهم المغيرة لما كان واليا على البصرة بالزنا وشهد عليه أبو بكر، ونافع بن الحارث، وشبل بن معبد وزباد بن ابيه. فلما وقفوا أمام عمر تراجع زياد عن شهادته مما اضطر عمر الى جلد أبا بكر وصاحبيه⁴. وجاء في بعض الروايات ما يفهم منه ان عمر كان يتمنى ان لا تتحقق التهمة فانه لما رأى زياد مقبلا قال: إني أرى رجلاً لا يجزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين⁵. لكنه في قرارة نفسه كان يشك أن المغيرة فعلها فقد حدث أن رآه مرة فقال له: والله ما أظن أبا بكر كذب عليك، وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء⁶. ولما عزله عن البصرة⁷ عاد فولاه الكوفة بعد ان استعفى عمار بن ياسر منها⁸؛ حتى صار الناس يتندر بعضهم على بعض فيقولون: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة، فولاه الكوفة⁹. وما يدل على اضطرار عمر الى تولية المغيرة ما جاء في بعض الروايات أنه خاطب مستشاريه: ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مشدد. فقال المغيرة: أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المشدد فإن شداذه لنفسه وقوته للمسلمين قال: فإننا باعثوك يا مغيرة فكان المغيرة عليها حتى مات عمر¹⁰.

لما ذر قرن الفتنة إثر مقتل عثمان نهض المغيرة الى علي ناصحاً فقال له: اقعد في بيتك، ولا تدع إلى نفسك، فإنك لو كنت في جحر بمكة لم يبايعوا غيرك. وقال لعلي: إن لم تطعني في هذه الرابعة، لا اعتزلنك، ابعث إلى معاوية عهده، ثم

¹ الذهبي، سير اعلام النبلاء، المصدر السابق، ج2، ص30.

² المصدر نفسه، ج2، ص26.

³ ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص364. كان فتح الأبله على يد عتبة بن غزوان، فلما خرج إلى عمر، قال للمغيرة بن شعبة: صل بالناس. فلما هلك عتبة، كتب عمر إلى المغيرة بإمرة البصرة، فبقي عليها ثلاث سنين. الذهبي، سير اعلام النبلاء، المصدر السابق، ج2، ص27.

⁴ يبدو أن عمر حثها عليه فقد روي أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعني البحرين، فقال: ومن يشهد لك بذلك قال: المغيرة بن شعبة، فأبى أن يجيز شهادته ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص367.

⁵ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص365.

⁶ البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج1، ص492. ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص366.

⁷ واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقي سنتين، ثم رمي بما رمي، واستعمل أبا موسى، وقيل استعمل بعد عتبة أبا موسى، وبعده المغيرة. الطبري، المصدر السابق، ج3، ص597.

⁸ الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص144.

⁹ الذهبي، سير اعلام النبلاء، المصدر السابق، ج2، ص29.

¹⁰ الطبري، المصدر السابق، ج4، ص165.

اخلعه بعد. فلم يفعل، فاعتزله المغيرة. فلما شغل علي ومعاوية، فلم يبعثوا إلى الموسم أحدا؛ جاء المغيرة، فصلى بالناس، ودعا لمعاوية¹. لقد فضل أن يقف من المتنازعين موقف الحياد، ولم يرغب في التورط في قضية لم يكن موقنا من نتائجها، وحضر بهذه الصفة حيثيات التحكيم، لكن في النهاية أفصح عن دعمه وتأييده لمعاوية². ولما استتبت أمور الخلافة لمعاوية عمد الى مكافأة المغيرة على دعمه بأن جعله على ولاية الكوفة ضاربا بذلك أكثر من عصفور بحجر واحد؛ فقد أمل معاوية باختياره للمغيرة على رأس الكوفة أن يتمكن من تهدئتها ونشر الاستقرار بين جنباؤها؛ نظرا لمواهبه الفطرية في الإدارة، وخبرته الطويلة بالكوفة وأهلها. لكن المغيرة أراد العافية، وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى فيقال له: إن فلانا يرى رأي الشيعة، وإن فلانا يرى رأي الخوارج فكان يقول: قضى الله ألا تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عبادي فيما كانوا فيه يختلفون فأمنه الناس³. وقد امتدت ولايته من سنة 41هـ . 661م الى غاية 50هـ . 670م وهي سنة وفاته من غير أن يثير في الكوفة الاستياء الذي أثاره زياد بن ابيه بعده. ويبدو أنه أراد لنفسه ان تكون الكوفة مهمته الأخيرة ومستقره النهائي؛ فعمل على نشر الهدوء بين جنباؤها بفضل ما فطر عليه من الحنكة وسابق خبرته بالمصر. ولما توفي قام جرير بن عبد الله البجلي على قبره فقال مخاطبا اهل الكوفة: أوصيكم بتقوى الله، وأن تسمعوا وتطيعوا حتى يأتيكم أمير، استغفروا للمغيرة، غفر الله له، فإنه كان يحب العافية⁴.

رغم سياسة التهدئة التي سلكها المغيرة مع أهل الكوفة الا ان القوى المتربصة ظلت مستيقظة ولم تهدأ. لكن الخطر انتفض من جهة الخوارج لا من الشيعة، وهو امر لا ندري الى أي حد كانت الإدارة الأموية متنبهة اليه. وكان الذي تولى قيادة الخوارج هو حيان بن ظبيان السلمي، وهو ممن خرج على علي يوم النهروان ولم يقتل فعفا عنه علي ضمن من عفا؛ وكان عددهم زهاء اربعمائة شخص. فأقام عند أهله وعشيرته بالكوفة ثم انتقل منها الى الري في رجال كانوا يرون ذلك الرأي لقتال الديلم، فلم يزالوا مقيمين بالري⁵. فلما بلغهم مقتل علي، قال حيان بن ظبيان لأصحابه: انصرفوا بنا رحكم الله إلى مصرنا، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى جهاد الأحزاب، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولاتنا ظلمة، وسنة الهدى متروكة، وثأرنا الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون، فإن يظفرننا الله بهم نعمد بعد إلى

¹ الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص29.

² وليس ادل على دهاء المغيرة من الرواية التي ساقها الزهري، قال: دعا معاوية عمرو بن العاص بالكوفة، فقال: أعني على الكوفة. قال: كيف بمصر. قال: أستعمل عليها ابنك عبد الله بن عمرو. قال: فنعلم. فبينما هم على ذلك، جاء المغيرة بن شعبة - وكان معتزلا بالطائف - فاجاه معاوية. فقال المغيرة: تؤمر عمرا على الكوفة، وابنه على مصر، وتكون كالقاعد بين لحبي الأسد. قال: ما ترى. قال: أنا أكفيك الكوفة. قال: فافعل. فقال معاوية لعمرو حين أصبح: إني قد رأيت كذا. ففهم عمرو، فقال: ألا أدلك على أمير الكوفة. قال: بلى. قال: المغيرة، واستغن برأيه، وقوته عن المكيدة، واعزله عن المال، قد كان قبلك عمر، وعثمان، ففعلنا ذلك. قال: نعم ما رأيت. فدخل عليه المغيرة، فقال: إني كنت أمرتك على الجند والأرض، ثم ذكرت سنة عمر، وعثمان قبلي. قال: قد قبلت. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص166. ولفظ الرواية للذهبي. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص ص29 . 30.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص174.

⁴ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص98. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص31.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص173. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص168.

التي هي أهدى وأرضى وأقوم، ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وإن نقتل فإن في مفارقة الظالمين راحة لنا، ولنا بأسلافنا أسوة. فوافقوه على رأيه وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة، فلم يزل بما حتى قدم معاوية، وبعث المغيرة بن شعبة واليا على الكوفة. وكانت الخوارج يلقي بعضهم بعضا، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان ويرون أن في الإقامة الغبن والوكف، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر¹. وكانت قيادة هذا الحراك تدور بين ثلاثة نفر، هم: المستورد بن علفه التميمي من تيم الرباب، وحيان بن ظبيان السلمي، ومعاذ بن جوين بن حصين الطائي وكان من بين الأربعمائة الذين عفا عنهم علي. وكانوا يجتمعون في منزل حيان بن ظبيان السلمي، فتشاوروا فيمن يولون عليهم، وحددوا لمن يستحق الولاية شروطا منها ان يكون: أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأشدهم اضطلاعا بما حمل. فتحققت في المستورد بن علفه فبايعوه، وتعاهدوا على الخروج في غرة الهلال؛ هلال شعبان من سنة 43هـ. 663م². بلغ الخبر المغيرة فبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم، ثم قال لهم: إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم، وقد قلت ما قد سمعتم، فليكني كل امرئ من الرؤساء قومه، والا فو الذي لا اله الا غيره لا تحولن عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يلم لائم إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر فخرجت الرؤساء إلى عشائهم، فناشدوهم الله والإسلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة، أو يفارق جماعة³. وقام بمداهمة منزل حيان بجثا عن السلاح فلم يعثر عليه. فقام بجبسه ومن وحده معه سنة، ونجا المستورد ومن معه، وكان مقيما عند بني عبد القيس في الحيرة مستترا؛ حيث اجتمع له نحو ثلاثمائة مقاتل. فمضى صعصعة بن صوحان العبدي الى قومه بني عبد القيس فخطبهم وقال مذكرا إياهم بعداة الخوارج لهم وقتلهم عليا: لا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا، واستحلوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر، فإياكم ان تؤوهم في دوركم، أو تكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من الحي، وأنا باحث عن ذلك وسائل، فإن كان حكي لي ذلك حقا تقرت إلى الله تعالى بدمائهم، فإن دماءهم حلال ثم قال: يا معشر عبد القيس، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لهم عليكم سيلا، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم⁴. وأراد المستورد ان يتجه بهم نحو المدائن فلحقته قوات المغيرة بقيادة معقل بن قيس الرياحي وقد انضم اليه بعض شيعة

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص174.

² الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص175.

³ المصدر نفسه، ج5، ص185.

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص186.

الكوفة منة همدان طلبا لتأثرهم من الخوارج¹. ومن جهته وجه عبد الله بن عامر من البصرة شريك بن الأعور² وكان شيعيا في ثلاثة آلاف انتخب كثيرا منهم من ربيعة لأنهم كانوا شيعة، خالد بن معدان الطائي وبيهس بن صهيب الجرهمي؛ لتعزيز قوات الكوفة، فالتقى الجمعان في المدان في معركة اسفرت عن مقتل المستورد ومعدل، وقتل الخوارج جميعهم فلم ينج منهم خلا خمسة نفر³. ولم ينته نشاط الخوارج عند هذا الحد فقد خرج ايضا أخرج المغيرة معاذ بن جوين الطائي في ثلاثمائة من أصحابه ببانقيا، وهي في حد الكوفة، فوجه إليهم المغيرة بن شعبة أبا الرواع الهمداني وعمرو بن محرز بن شهاب المنقري في ألف وثلاثمائة، فقتل معاذ وأصحابه بجوخي⁴.

ان المضمون الأيديولوجي لثورة هذا الفصل من الخوارج حددته رسالة المستورد الى سماك بن عبيد العبسي والي المدائن جاء فيها: فقد نقمنا على قومنا الجور في الأحكام، وتعطيل الحدود، والاستئثار بالفيء، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه، وولاية أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، والبراءة من عثمان وعلي، لإحداثهما في الدين، وتركهما حكم الكتاب⁵. وهي مأخذ نلاحظ فيها الخلط بين الملاحظات التاريخية الواقعية من قبيل الجور في الاحكام وتعطيل الحدود والاستئثار بالفيء؛ التي قد يشترك في جميع الناس من غير أن تكون خاصة بفريق دون آخر. وبين أمور أخرى تدخل في دائرة الاعتقاد؛ كالدعوة لكتاب الله وسنة نبيه، وولاية أبي بكر وعمر، والبراءة من عثمان وعلي؛ من حيث أنهما أحدثا في الدين وتركنا حكم الكتاب. ولا شيء يميز هذا الفصل الخارجي عن غيره الا الدعوة الى ولاية ابي بكر وعمر والبراءة من علي وعثمان. مما يعني أن مرجعيتهم التاريخية تجمعت في الفترة الأولى من عصر الخلافة وتوقفت عند عهد عمر ولم تتخطاه. لقد جرى لديهم ترفيعا للتاريخ من الأرض والناس الى أفق العقيدة، وصار الموقف من وقائع التاريخ يدخل في دائرة الاعتقاد. وتحول الإسلام الى دين يتوقف صحة الايمان به على صحة النظر في قراءة تاريخ الفترة

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص169. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص183. موقف أشراف الكوفة كان الى جانب المغيرة. منهم عدي بن حاتم، الذي صرح بشأن الخوارج فقال: كلنا لهم عدو، ولرايهم مسفه، وبطاعتك مستمسك، فأينا شئت سار إليهم. ومعدل بن قيس، وكان من رأيه: إنك لا تبعث إليهم أحدا ممن ترى حولك من أشراف المصر إلا وحدته سامعا مطيعا، ولهم مفارقا، ولهلاكهم محبا ولا أرى أصلحك الله أن تبعث إليهم أحدا من الناس أعدى لهم ولا أشد عليهم مني، فابعتني إليهم فإني أكفيهم بإذن الله، وقام صعصعة ابن صوحان بعد معدل بن قيس وقال: ابعتني إليهم أيها الأمير، فأنا والله لدمائهم مستحل، وبجملها مستقل. فقال المغيرة لمعدل: اخرج على اسم الله، فجهز معه ثلاثة آلاف رجل. الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص188.

² من بني دهن بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد: العناب، وهو اول من رأس بني الحارث. منهم: شريك بن الأعور بن الحارث بن عبد يغوث بن خلف بن سلمة بن دهن، كان فارسا، وكان شيعيا، شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام الجمل وصفين، ومات بالكوفة عند هانيء بن عروة المرادي. الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص281. ونزل شريك بن الأعور الحارثي أيضا على هانيء بن عروة، ففرض عنده فعاده ابن زياد، وكان شريك شيعيا شهد الجمل وصفين مع علي فقال لمسلم: إن هذا الرجل يأتيني عائدا فأخرج إليه فقتله. فلم يفعل (مسلم) لكرهه هانيء ذلك. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص79.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص170.

⁴ البلاذري، المصدر نفسه، ج5، ص172. لكن الطبري يذكر ان خروج معاذ تم في ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي سنة 58هـ. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص309.

⁵ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص191.

الراشدة وصحة الحكم عليه. أي أن الموقف من الخلفاء الأربعة أصبح يحدد ماهية المسلم من غيره، ويميز بين المسلمين الحقيقيين من غيرهم.

كما أن حركة المستورد كشفت عن طبيعة الموقف السياسي الذي كانت عليه جميع الأطراف بالكوفة، وتقاطعات الولاءات السياسية. بعبارة أخرى؛ بينت حيثيات الحركة كيف حدد كل طرف عدوه، وكيف رتب اعداءه السياسيين في سلم الأولويات. والذي يتتبع تفاصيل ما جرى يدرك انها كانت مختبرا أولا في تعرية حقيقة ولاء الأطراف جميعها وصدق التزامهم بما انتهى اليه صلح الحسن ومعاوية. لقد كان الأمر مناسبة لاختبار الطاعة وجس نبض الولاء؛ ان لم يكن ولاء القلب؛ فلا أقل من ولاء الفعل والسلوك. وكان سلوك غالبية من ذكرتهم الأخبار يميل الى تأييد السلطة الحاكمة؛ كأنما جميعهم كان يطلب السلامة والأمان. وقد بالغ الأشراف والوجهاء الأعيان من رؤساء العشائر وغيرهم في اظهار هذا الأمر. ولم يسلم منهم حتى كبار قادة علي مثل عدي بن حاتم. وهو أمر سيكون له تبعاته وتداعياته في قضية حجر بن عدي.

اما الفصيل الشيعي في الكوفة فقد انكفأ على نفسه يحاول ان يللم شتاته ويستوعب هزيمته في ظل التحولات الجديدة من دون رضا ولا تسليم. حيث كان لاستعراض السلطة الأموية انتصارها على منبر جامعها وفي دروبها وازقتها فعل الاستفزاز الذي لم تتحمله القيادات الشيعية. ودفع تمللها بسليمان ابن سرد الخزاعي الى أن يلوم الحسن على قبوله الصلح ويفاوضه في استئناف الصراع ويقول به بسخط واضح: ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز¹. ثم استأنف عتابه بالإشارة الى هشاشة الصلح الذي قام به: فلو كنت إذا فعلت ما فعلت أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق والمغرب، وكتبت عليه كتابا بأن الأمر لك بعده، كان الأمر علينا أيسر. ولكنه أعطاك شيئا بينك وبينه ثم لم يف به، ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الناس: إني كنت شرطت شروطا ووعدت عدة إرادة لإطفاء نار الحرب، ومدارة لقطع هذه الفتنة، فأما إذا جمع الله لنا الكلمة والألفة، وآمنا من الفرقة فإن ذلك تحت قدمي. فو الله ما أغيرني بذلك إلا ما كان بينك وبينه وقد نقض، فإذا شئت فأعد الحرب جذعة، وائذن لي في تقدمك إلى الكوفة فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه ونبذ إليه على سواء إن الله لا يحب الخائنين. لكن الحسن رفض مقترحات سليمان وآثر السلامة². ولم يكن المغيرة غافلا عما كان يعتمل في صدور الشيعة من غضب وغيظ كانوا ينفسونه بواسطة الحديث عن فضائل علي وسجاياه والتنقص من عثمان وعصبته على الملاء؛ الأمر الذي كان يتعارض مع توجيهات

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص48.

² المصدر نفسه، ج3، ص48.

معاوية في هذا الأمر¹. فكان المغيرة يسوس الوضع بالنصيحة المبطنة بالتهديد والوعيد. وقد قال مرة لصعصعة بن صوحان العبدى: إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل علي علانية، فإنك لست بذكر من فضل علي شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدا، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية، فإن كنت ذاكرة فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يجتمه الخليفة لنا، ولا يعذرنا به، فكان يقول له: نعم أفعل، ثم يبلغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه².

. ولاية زياد بن أبيه على الكوفة وسياسته في أهلها:

ليس أبلغ في تصوير إمكانيات زياد السياسية وقدراته في الإدارة من وصف الحسن البصري له: أي سائس كان زياد لولا إسرافه على نفسه في العقوبات وسفك الدماء، كان إذا جاء شعبان أخرج أعطية المقاتلة فمألأوا بيوتهم من كل حلو وحامض واستقبلوا رمضان بذلك، وإذا كان ذو الحجة أخرج أعطية الذرية³. أما رؤية زياد لوظيفة الراعي الذي يتولى أمور الناس فتتلخص في الحوار الذي جرى بينه وبين معقل بن يسار وقد سأله: أبا زياد أأنت تعلم أن الأسواق قائمة، وأن السبل آمنة، وأن الأعطيات والأرزاق تخرج إلى شهر معلوم، ويبيع البائع إلى شهر معلوم. قال: بلى، قال: فله الحمد. لا يزال الناس بخير ما كان أمرهم هكذا⁴.

دشن زياد في الفترة التي حكم فيها البصرة والكوفة سيرة الحاكم الجديد الذي لا يستنكف عن استخدام أي طريقة للإيقاع بكل من تسول له نفسه العبث بالنظام العام؛ ولو اضطره ذلك الى القتل على التهمة والظن. والواقع أن زياد بن أبيه يعد نمطا نموذجيا معياريا لطبيعة التحول الذي أصاب الناس؛ فانتقاله السريع من ولائه السياسي لعلي الى اختيار موقف نقيض تجسد في معاداة ذكراه وما تبقى من عصيته أمر غريب ومؤشر قوي على التغيرات التي أخذت تسير فيها حياة الناس في ذلك العهد. لقد مس التحول منظومة القيم العميقة واعدت بتحويلات أخرى تالية ستظهر تباعا فيما سيأتي من الأيام. كما سن زياد بسياسته التي حمل الناس عليها في محل ولايته سننا اتبعها من بعده رجال الدولة الذين تداولوا على حكم الكوفة، وهو النمط الذي لا يعرف له ولاء غير ولائه للكيان السياسي الذي يعمل له، ولا انتماء الا انتماءه

¹ وذلك أن معاوية ان كتب إلى المغيرة بن شعبة: أظهر شتم علي وتنقصه، فكتب إليه المغيرة ناصحا: ما أحب لك يا أمير المؤمنين أن كلما عتبت تنقصت، وكلما غضبت ضريت، ليس بينك وبين ذلك حاجر من حلمك ولا تجاوز بعقولك. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص23.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص189.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص219. المدائني عن جرير بن حازم قال: كان زياد يُن سمية أول من أخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وأحاف الناس في سلطانه، فلما قدم الحاجج سأل عن سيرته فأخذ بشدته وترك لينة. وكان زياد قد آمن الناس حتى إن الشيء ليسقط من الرجل فلا يعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة لا تعلق عليها بأبها، وأدر العطاء. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج5، ص216.

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص219.

للوليفة التي يشغلها، متخففا من النوازع الأيديولوجية التي أخذت تتبلور منذ ذلك العهد، فليست أيديولوجيته الا التمكين للدولة القائمة وأداء ما كلف به بنجاح¹.

ربما كان لخصوصية حياة زياد دور كبير في صياغة شخصيته بالشكل التي ظهرت بها في التاريخ، وقد تصرف بحسب ما يتوقع من رجل يعيش في محيط اجتماعي عربي حساسيته شديدة لقضايا النسب والأصول، يقضي الناس فيه يومياتهم على الفخر والهجاء واجترار القصائد التي كان يدبجها الشعراء في مفاخر ومثالب هذه القبيلة او تلك. واستدعاء التواريخ القديمة وماضي أيام العرب ينبشون فيه عما يمكن استخدامه في معاركهم الراهنة على السلطة وعلى الأرض والمراعي والمياه. في الوقت الذي لم يكن زياد يعرف له والدا خلا ما كان يطرق سمعه من اشاعات تدور حول إمكانية ان يكون ناتجا من احدى غزوات ابي سفيان الجنسية. ليست هذه الحالة بالأمر الذي يرتضيه عربي صميم لنفسه في ذاك الوسط، وما كان ليرفع رأسه ازاءها؛ فاستطاع بموهبته التي ربما اكتسبها من صلب ابي سفيان أن ينقش لنفسه اسما ويحظى بتقدير خليفة متطلب وصلب كعمر. فمن الواضح أن رجلا في حالته هذه لا يعرف له انتماء غير انتماءه لذاته وقدراته ومواهبه، وغير انتسابه لوظيفته ومهنته ومدى النجاح الذي يحققه فيها. لذلك لا نجد غرابة فيما نسب اليه من كونه أول من شرع باب الكلام في مثالب العرب ومعاييرها: قال محمد بن إسحاق قرأت بخط أبي الحسن بن الكوفي أول من ألف في المثالب كتابا زياد بن أبيه فإنه لما ظفر عليه وعلى نسبه عمل ذلك ودفعه إلى ولده وقال استظفروا به على العرب فانهم يكفون عنكم².

تحركت مسيرة زياد السياسية بداية من العمل لعمر الى اكتساب الحضوة عند علي والوقوف الى صفه؛ ومن ثمة قفز الى صف معاوية واجتهد في توطيد حكمه، وفي كل عهد كان يثبت جدارته في الوظيفة التي تسند اليه حتى كان حديث الناس: حدث قوم من أهل فارس قالوا: ورد زياد نواحي فارس، وهي تضطرم. فلم يزل يبعث إلى رؤسائها، يعد من نصره ويمنيه، ويخوف من خالفه ويوعده، ويضرب بعضهم ببعض، ويدارى من يرى مداراته، حتى دلّ بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، يقتل بعضها بعضا، حتى صفت له فارس، فلم يلق فيها جمعا، ولا حربا، ولم يقف موقفا واحدا للقتال. وفعل مثل ذلك بكرمان حتى صفت أيضا له. فقال الناس: ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان، من

¹ BERNAED LEWIS ,P 66-67

history OF the Arab PAGE 190

² أبو الفرج محمد بن إسحاق، ابن الندم، الفهرست، ت إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ص117.

سيرة هذا العربي، في اللين، والمداراة، والعلم بما يأتي¹. فكان يبدل ولاءاته السياسية كما يبدل ثيابه يدون أن يجد حرجا في ذلك، ويغير صداقاته وعداواته وفق ما يقتضيه الموقف الذي يريده: فلما قدم زياد بن أبي سفيان واليا على الكوفة دعا بحجر بن عدي فقال: تعلم أني أعرفك. وقد كنت أنا وإياك على ما قد علمت. يعني من حب علي بن أبي طالب. وإنه قد جاء غير ذلك². وقد اعتبر زياد سادس ستة ممن اشتهر بالدهاء من العرب وهم: معاوية بن أبي سفيان، وزياد بن أبيه، وعمرو بن العاص، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، والمغيرة ابن شعبة الثقفي، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي³. اذن لقد كان تعيين معاوية زيادا على رأس الكوفة والبصرة خيارا يتفق مع مواهب زياد السياسية وكفاءته في إدارة مواطن النزاع والتي كشف عنها أثناء ولايته على فارس في زمن علي. وقد عمل في مدة ولايته على الكوفة والبصرة على تنفيذ هذه السياسة حتى يضعف من قوى مقاومة السلطة الأموية ويفل من حدها. وقد استفرح زياد وسعه في تدبير شؤون الكوفة بما يجعلها تخدم أغراض السلطة الأموية فبادر الى القيام بجملة إجراءات وتدابير مست التركيبة الاجتماعية للكوفيين وطبيعة أنشطتهم اليومية بهدف تفريقهم وتمزيق أوصالهم وشل تكاتفهم؛ فكان من بين ما قرره في هذا الشأن:

. فرض الخروج الإلزامي للغزو، وهو أول إجراء اتخذ عند قدومه الكوفة. قال البلاذري ما نصه: لما استعمل معاوية زيادا حين هلك المغيرة على الكوفة جاء حتى دخل المسجد ثم خطب فقال: الحمد لله الذي رفع مني ما وضع الناس وحفظ مني ما ضيعوا، أيها الناس إنا قد سسنا وساسنا السائسون، فوجدنا هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة في غير عنف، واللين في غير ضعف، ألا فلا أفتحن بابا فتغلقوه، ولا أغلق بابا فتفتحوه، ولا أعقد عقدة فتحلوها ولا أحلها فتعقدوها، ألا وإني لا أعدكم خيرا ولا شرا إلا وفيت به، فمتى وجدتم علي خلفا أو كذبا فلا طاعة لي عليكم، وأي رجل مكتبه بعيد فأجله سنتان ثم هو أمير نفسه، وأي رجل مكتبه قريب فأجله سنة ثم هو أمير نفسه، وأي عقال ذهب فيما بين مقامي هذا وخراسان فأنا له ضامن⁴.

. تغيير نظام الأسباع الذي كان على عهد علي إلى نظام الأرباع، وقد كان ذلك في سنة 50هـ. 670م. وكان نظام الأسباع القديم الذي سبق ذكره يقوم على اعتبار قرابة النسب ومراعاة العلاقات القديمة بين القبائل المراد توطينها في الكوفة؛ فجاء زياد بنظام الأرباع، وفي هذا التوزيع الجديد يبدو أن زياد قصد أن يفرض واقعا جديدا في توزيع التركيبة

¹ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص564. جاء في نص الطبري مختصرا: حدثني شيخ من أهل إصطخر قال: سمعت أبي يقول: أدركت زيادا وهو أمير على فارس وهي تضم نارا، فلم يزل بالمداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة، لم يقف موقفا للحرب، وكان أهل فارس يقولون: ما رأينا سيده أشبه بسيده كسرى انو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص137.

² ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص242.

³ ابن حبيب، المحبر، المصدر السابق، ص184.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص198.

الاجتماعية القبلية وفي طبيعة العلاقات بينها؛ حيث ادمج كل قبيلة يمنية كبيرة بقبيلة أخرى من غير اليمن؛ فجعل تبعثة قبيلة همدان مع قبيلة تميم ربعاً وعليهم خالد بن عرفطة، وربيعة وكندة ربعاً وعليهم قيس بن خالد، ومذحج وأسد ربعاً وعليهم أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وأهل المدينة وهم: قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخنثم وقيس عيلان ومزينة ربعاً وعليهم عمرو بن حرث المخزومي¹. ورغم اختلاف الدارسين في تحديد السبب الحقيقي الذي يقف وراء هذا الاجراء؛ الا انه يقود في النهاية الى تطويق القبائل المعروفة بتشيّعها².

. تسيير خمسين ألف مقاتل عراقي مع عوائلهم إلى خراسان، منهم خمس وعشرون ألف من الكوفة، عيّن عليهم عبد الله بن عقيل، والباقون من البصرة، عيّن عليهم الربيع بن زياد الحارثي، كما عيّنه على الجميع، وكان فيهم بريدة بن الحصيب الأسلمي، وكان فيهم أيضاً أبو برزة الأسلمي عبد بن نضلة، وأسكنهم دون النهر³.

. اعتماد الحمراء قوة أساسية في قوى الامن الداخلي، والحمراء فئة عسكرية كان أفرادها يعملون مع الجيش الفارسي وأصلهم من الديلم، كان منهم مع رستم يوم القادسية اربعة آلاف، ويسمون جند شاهنشاه، فاستأمنوا على ان ينزلوا حيث أحبوا، ويحالفوا من أحبوا، فأعطاهم سعد ذلك، وحالفوا زهرة بن حوية السعدي من بني تميم ونزلوا الكوفة. وقيل في رأي آخر أن الحمراء كانوا حلفاء عبد القيس، وهم أربعة آلاف جندي من الفرس تحت أمرة قائد يلقب ب (ديلم). وقد عرفوا باسم (حمر الديلم). ويعتقد بأنهم كانوا من شرادم جيش الفرس الذين التجئوا إلى سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية، وتحالفوا مع عبد القيس⁴.

كما اهتم زياد بالموجات المتدفقة على الكوفة من العرب الذين هاجروا اليها من الجزيرة العربية واليمن ملتحقين بقبائلهم المستقرة رغبة في تحسين أوضاعهم المعيشية فخطب زياد في شأنهم عرب الكوفة قائلاً: إن عشائركم قد وردت علينا، فاختاروا أن نأخذ نصف أعطياتكم وأرزاقكم فنقومهم بها مع ما لهم عندنا، أو تكفيننا كل عشيرة من فيها، فمنهم من ضم عشيرته، ومنهم من طابت نفسه بنصف عطائه ورزقه وأرزاق عياله، وكان لكل عيل جريبان ومائة درهم، ومعونة

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج2، ص 235. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص268. احسان النص، العصابة القبلية، ط2، دار الفكر، 1973م، ص225.

² صالح محمد الرواضية، زياد بن ابيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام، ط1، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، 1994م، ص132. 133.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص226. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص83.

⁴ ثم غزا البراء بن عازب أهل حصن قزوين، فلما بلغهم قصد المسلمين لهم وجهوا إلى الديلمة يسألونهم نصرتهم، فوعدهم أن يفعلوا وحل البراء والمسلمون بعقوتهم فخرجوا لقتالهم والديلميون وقوف على الجبل لا يمدون إلى المسلمين يدا، فلما رأوا ذلك طلبوا الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أهر فأنتفخوا من الجزية وأظهروا الإسلام فقبل أنهم نزلوا على مثل ما نزل على أساورة البصرة من الإسلام على أن يكونوا مع من شاءوا، فنزلوا الكوفة، وحالفوا زهرة بن حوية فسماوا حمراء الديلم، وقيل: إنهم أسلموا وأقاموا بمكائهم وصارت أرضهم عشيرة، فرتب البراء معهم خمس مائة رجل من المسلمين معهم طليحة بن حويلد الأسدي وأقطعهم أرضين لا حق فيها لأحد. البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص313. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص343.

احسان النص، المرجع السابق، ص220. 221

الفطر خمسين، ومعونة الأضحى خمسين، وكان يعهدهم كل يوم ويقول: لتحسن رعيبتكم، فإنّ العرب إذا سغبت اقتتل¹.

والواقع أن شخصية زياد اعقد من ان تتلخص في صفة واحدة، وسياسته أثرى من ان تصنف في مسلكية واحدة حيث مزج بين الشدة واللين والقسوة والكفاءة والعنف والاهتمام العميق بشؤون الرعية من دون أن تتغلب صفة على الأخرى؛ فلم يكن متساهلا في الأمور التي تتعلق بمصالح الرعية بذات القدر من عدم تسامحه في الأمور المتعلقة بالولاء للدولة وصيانة النظام بدون محاباة ولا مجاملة. وهي الخصال التي تليق برجل الدولة الذي يحكم العراق. جاء في رواية سيرة ابن نحف أنه قال: ما بلغ الناس عاشوراء قط في أيام زياد إلا وطائفة يأخذون العطاء، ولا رأينا الهلال إلا مضينا إلى دار الرزق فأخذنا الأرزاق لعيالاتنا، وكان يأخذ الجزية ممن عجز عن الدراهم عروضا، فكانت خزائنا مملوءة من ذلك². كما جاء في رواية المدائني عن مسلمة وغيره قالوا: كان زياد يؤخر العشاء الآخرة حتى يكون آخر من يصلي، ثم يأمر رجلا فيقرأ سورة البقرة أو غيرها من الطوال ويرتل القرآن، فإذا أمهل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ الخريبة أمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج فلا يرى إنسانا إلا قتله³.

ان الذي يتقصى الروايات والاحبار التي وردت في زياد داخل المصادر الرصينة كالطبري والبلاذري يجد أن تدوين سيرته لم يتم بصورة موضوعية؛ إذ خضعت للتأثيرات التي خضع لها تدوين كل الأحداث والوقائع الجوهرية في تلك الفترة. فلم تسلم فترة حكمه القصيرة نسبيا من تأثير الأهواء السياسية والضغائن الاجتماعية في رواية أخباره وآثاره. وهو المصير الطبيعي الذي تخضع له كل شخصية سياسية او عسكرية. ولما قدم زياد الكوفة حين أتته ولايتها وهو بالبصرة وكان ذلك في سنة 50هـ . 670م⁴، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة، فأردت أن آتيكم في ألف من الشرط ثم نظرت فوجدتكم أهل حق، ووجدت حقكم طال ما دمع الباطل فحجنتكم في أهل بيتي، فالحمد لله الذي رفع مني ما وضع الناس وحفظ ما ضيعوا⁵. ثم كتب إلى معاوية مستنصحا: إن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلي بسيرة أسيرها في العرب، فكتب إليه معاوية: يا أبا المغيرة قد كنت لهذا منك منتظرا، انظر أهل اليمن فأكرمهم في العلانية وأهنتهم في السر، وانظر هذا الحي من ربيعة فأكرم أشرفهم وأهن سفلتهم، فإن السفلة تبع للأشراف، فأما هذا الحي من مضر فإن

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص237.

² المصدر نفسه، ج5، ص219.

³ المصدر نفسه، ج5، ص210.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص235. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج5، ص225.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص235. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص197.

فيهم فظاظة وغلظة، فاحمل بعضهم على رقاب بعض، ولا ترض بالظن دون اليقين، وبالقول دون الفعل، واترك الأمور بينك وبين الناس على أشدها، والسلام¹.

شهدت الفترة التي تولى فيها زياد البصرة والكوفة عدة انتفاضات جل قياداتها كانت من الخوارج خاصة في البصرة. اما الكوفة فإنها لم تشهد سوى بعض الحركات الضعيفة التي لم تتوسع المصادر في خبرها بحيث نفتقد حتى الإشارة الى دوافعها. وهي حركات تفتقد الى الحد الأدنى من الجدوية والتنظيم ومن بينها حركة: حارثة بن صخر القيني: وكان مُعَاوِيَةَ سيره إلى مصر، فلقي قومًا من الخوارج فأمالوه إلى رأيهم فصار خارجيًا، وقدم العراق فأراد الخروج على زياد وتأهب لذلك، فبلغ ذلك زيادا فطلبه فهرب فبعث زياد في طلبه شعيب بن زيد بن السائب، فدخل بلاد قضاة فلم يقدر عليه لأنهم منعوه، وكلّم فيه مُعَاوِيَةَ فأمنه، وكتب إلى زياد في الكف عنه فكف، ومضى مع مسلم بن عقبة إلى المدينة فقتل يوم الحرة². وخرج عليه زياد بن خراش العجلي في سنة 52هـ. 672م في ثلاثمائة رجل، فأتى الأحنونيّة من أرض مسكن بالسواد، فسرح إليه زياد خيالاً عليها سعد بن حذيفة أو غيره³. كما خرج عليه أيضا معاذ الطائي الثاني فأتى نهر عبد الرحمن ابن أم الحكم في ثلاثين رجلاً، في سنة 52هـ، فبعث إليه زياد من قتله وأصحابه وقال بعض الرواة: بل حل لواءه واستأمن. ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن بن أم الحكم⁴.

د. أشرف الكوفة واعيانها:

ان الدارس لهذه الحقبة الحرجة من تاريخ العراق؛ خاصة تاريخ مجتمع الكوفة يشكو من شحة الأخبار. ومصادرنا الأساسية مثل الطبري والبلاذري؛ رغم توسعهما في الاخبار والروايات الا انهما يكادان يلتزمان الصمت فيما يخص الأمور التي كانت تحدث في مجتمع الكوفة على إثر الصلح الذي جرى بين معاوية والحسن وما تلاه. بحيث أن الانطباع الذي نخرج به من متابعة الطبري مثلا يشبه انقطاعا حادا بين ما كان يجري في عهد علي من احداث متسارعة متلاحقة مشحونة بالحماس والعزم والرغبة في الانتصار من الطرفين، ثم فجأة تهدأ الأمور كأنما لم يكن شيئا. كأن الجميع رضخ رضوخا تاما للواقع. فلا نجد لديهما سبل النقاشات التي لا بد أنهما دارت بين أبناء القبائل والعشائر؛ سواء الموالية لعلي او غير موالية. والحوارات التي تكون قد تمت بين رؤساء هذه العشائر. والآراء التي تم بحثها وتداولها، والاحتكاكات التي

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص215

² المصدر نفسه، ج5، ص174. 175

³ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص85.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص177. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص85.

تكون قد حدثت بين الناس فتفضي الى المعارك والخصومات؛ كالتى تحدث في كل المجتمعات لما يخوض الناس القضايا السياسية الحامية التي يختلفون حولها.

تأتي أهمية أشرف الكوفة ووجاؤها الى الأدوار السياسية والاجتماعية الهامة التي لعبوها في هذا العهد، ولا يكاد يخلو حدث من الاحداث المفصلية من تاريخ الدولة الأموية من حضورهم؛ خاصة المتعلق منه بأوضاع الكوفة تحديدا. وقد ارتبطت فاعلية بعضهم بالنكوص عن أي ثورة كانت تقوم ضد السلطة الأموية، وخيانة كل محاولة للتغيير تقوم بها الفئات المهمشة التي كانت تجد في الدعوة الخارجية والشيعية متنفسا لها. والروايات تعرض غالبيتهم في صورة الخادم الأمين للجهاز السياسي الأموي بما يوحي بصلافة العلاقة التي انعقدت بينهم وبين ولاة الكوفة الممثلين عن معاوية ويزيد من بعده الى غاية عهد عبد الملك بن مروان. نعر عليهم في حركة حجر بن عدي ممالئين لوالي الكوفة زياد بن ابيه في ايقاعه بحجر؛ ومن ثمة إعدامه. ثم في حركة الحسين لما كان بصدد القدوم الى الكوفة لقيادة الثورة المفترضة. كما نجدهم ضمن القوى التي ناهضت التوابين الذين أرادوا التكفير عن ذنبهم الذي ارتكبه بتخليهم عن الحسين وتركه فريسة لعبيد الله بن زياد. ويلوحون في ثنايا الأحداث التي وقعت بين المختار الثقفي وبين مصعب بن الزبير، وبين المختار والقوة الأموية. وفي وقائع أخرى جرى التعرض لبعضها كالذي حدث في حركة المستورد بن علفة التميمي الخارجي. والواقع أن اشرف الكوفة ممن كانوا منحازين الى علي وجدوا أنفسهم في مواجهة وضع جديد كان عليهم أن يحسنوا التعامل معه، وبإزاء تحولات في بنية السلطة الإسلامية كان من الضروري أن يعثروا فيها على مسالك تصون لهم وللعشائر التي كانوا يمثلونها موضع قدم في الخريطة الجديدة. ولأنهم لم يكونوا مسؤولين عن مصائرهم الشخصية فقط فقد بات لزاما عليهم ان يديروا العلاقة مع معاوية وممثليه في الكوفة بطريقة تحفظ لهم ماء وجوههم.

استمرت الكوفة على ما كانت عليه؛ المصر الأكثر حساسية والأشد تسييسا من بين جميع الأمصار، وكان على اشرفها ان يكونوا في مستوى تعقيد اللعبة السياسية فيها. ولا نكون مبالغين إذا اعتبرناهم أحد عوامل تعقيد الوضع هناك. لذلك جسدت بديناميتها السياسية مختبرا للولادة والعمال. ولم يكذب ينجو أحدا ممن تولوا من نارها. وفي هذا الصدد ورد في احدى الروايات أن الوليد بن عقبة والي الكوفة في عهد عثمان؛ دخل الكوفة في أيام معاوية زائرا للمغيرة بن شعبة؛ فأتاه أشرف الكوفة فسلموا عليه وقالوا والله ما رأينا بعدك مثلك فقال أخيرا أم شرا. قالوا: بل خيرا. قال: ولكني ما رأيت بعدكم شرا منكم. فأعادوا الثناء عليه. فقال بعض ما تأتون به فو الله إن بغضكم لتلف وإن حبكم لصلف¹.

¹ الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج5، ص100.

وروي أن معاوية سأل الهيثم بن الأسود أبي العريان؛ وكان عثمانيا: يا هيثم أهل العراق كانوا أنصح لعلي في صفتين أم أهل الشام لي، فقال: أهل العراق قبل ان يضربوا بالبلاء كانوا انصح لصاحبهم. قال: كيف، قال: لأن القوم ناصحوه على الدين، وناصحك أهل الشام على الدنيا، وأهل الدين اصبر، وهم أهل بصيرة وإنما أهل الدنيا أهل طمع، ثم والله ما لبث أهل العراق ان نبذوا الدين وراء ظهورهم ونظروا الى الدنيا، فالتحقوا بك¹. ولا نكاد نعثر على هوية اشراف الكوفة لهذا العهد مجموعين في نص تاريخي مثل الذي ورد في حيثيات قضية حجر بن عدي. فقد جمعهم زياد بن ابيه في نص الخطاب الذي ارسله الى معاوية وهو بصدد القضاء على حجر من أجل إضفاء الشرعية السياسية على قراره.

قائمة بأهم أشراف الكوفة:

. من قيس مضر:

أ. من قريش:

. عمرو بن حريث المخزومي²:

قدم سدرة المحجمي واسمه الهملع بن أعفر الكوفة، وكان حافيا، فرأى بالكناسة عمرا، وعليه ثياب خز مضاعفة، فقال: هذا سيد القوم، فأتاه فسأله فقال له عمرو: إن كنت تريد الخبز، فهو حاضر، وإن كنت تريد النقد فعليك بصاحب البرذون الأشهب، قال: الدال على الخير كفاعله. فقال: ومن هو. قال: أسماء بن خارجة، وعن يمينه لبيد بن عطار، وحجار بن أبجر، وشمر ذي الجوشن³

. يزيد بن أسد

. إسحاق بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، يبدو أنه كان بكريا، وكان متزوجا من بنت ابي موسى الأشعري.

وتظهره الروايات رجلا واسع العلاقات تربطه أواصر المودة والثقة مع معاوية كما مع الحسن بن علي؛ وقد ولاد معاوية خراج خراسان⁴.

¹ ابن ابي حديد، المصدر السابق، ج4، ص92.

² من بني مخزوم: عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، كان ولي الكوفة، وكان شريفا. وكان عمال العراق؛ زياد وغيره يستخلفونه على الكوفة إذا خرجوا منها، ويتولى أمرهم وشرطهم إذا حضروها، وكان عمرو ابتاع سفضا كان للنخريجان فريح فيه، فكان أول من اعتقد مالا عظيما بالكوفة وله بما عقب. وكان عمرو قد صاهر عدي بن حاتم الطائي. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 10، ص 216 . 217.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج10، ص219.

⁴ إسحاق بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة. ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم التابعين - المصدر السابق، ص392. جاءت عنه في البخاري الرواية التالية التي ربما تسلط الضوء على توجهاته السياسية: اسحاق بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي سأل عبد الله بن عباس فقال: أبو بكر خير كله. البخاري، التاريخ الكبير، المصدر السابق، ج1، ص393. ابن ماكولا، الاكمال، المصدر السابق، ج1، ص113. أورد ابن عساکر الرواية التالية: عن شعيب بن يسار أن الحسن بن علي أتى ابنا لطلحة بن عبيد الله فقال قد أتيتك لحاجة وليس لي مرد. قال: وما هي قال تزوجني أختك. قال: إن معاوية كتب إلي يخطبها على يزيد. قال: ما لي من مرد إذ أتيتك. فزوجها إياه، ثم قال: ادخل بأهلك. فبعث إليها بجملة ثم دخل

- . موسى بن طلحة: يبدو أنه كان عثمانيا، وقد وردت فيه روايات يشير بعضها الى كرمه ووقاره وتوقيه من الفتنة وكراهته القتل. ولم ينقل عنه ما يشير الى عداوته مع علي وآله¹.
- . المنذر بن الزبير بن العوام الأسدي².
- . محفز بن ثعلبة العائذي؛ من عائلة قريش. واحد من الذين ساهموا في القضاء على الحسين واستاق اهل بيته الى يزيد مستشفيا³.
- . عبد الرحمن بن قيس الأسدي.
- . عمارة بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، كان عثمانيا متعصبا⁴.
- . عبد الرحمن بن هناد.
- . عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري السعدي، وكان منحرفا عن علي وآله وقد سيره عبيد الله بن زياد قائدا للجيش الذي قتل الحسين⁵.
- . عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي، كان أموي الهوي⁶.
- . محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، يرد ذكره في هذا العهد لكن بعض المصادر تذكر مقتله يوم الجمل¹.

بحا. فبلغ ذلك معاوية فكتب إلى مروان أن خيرها فاختارت حسنا. وقد ولاه معاوية خراج خراسان، فمات بالري سنة 56هـ. ويقال أنه مات بعد هذا التاريخ ابع ابن عسكار، المصدر السابق، ج8، صص 229. 232.

¹ موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي؛ أبو عيسى كان يقيم بالمدينة والكوفة معا فحدثه عند أهل المصرين. مات بالكوفة سنة أربع ومائة. أبو حاتم الدارمي البستي، مشاهير علماء الأئصار، المصدر السابق، ص124. ذكر له ابن سعد الرواية التالية: عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: رأيت عثمان بن عفان والمؤذن يؤذن وهو يحدث الناس. يسألهم ويستخبرهم عن الأشعار والأخبار. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص43. وروي عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة انه قال: صحبت عثمان ثنتي عشرة سنة. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الأوسط، ت محمود إبراهيم زايد، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1977م، ج1، ص257. وكانت عائشة بنت موسى زوجة لعبد الملك بن مروان. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص173. وكان موسى يعد من فضحاء الناس، ويبدو من خلال الروايات رجلا وقورا يخشى الفتن. ابن عسكار، المصدر السابق، ج49، ص248. ج60، ص431.

² تذكره الروايات في سياق علاقته الجيدة؛ حيث أنه كان ممن دعم استلحاق معاوية لزيد بشهادته التي نسبها الى علي. مع معاوية حيث كان من جلسائه، ومع زياد. كان من أهل المدينة يذكر في الوفد الذي قدم من المدينة الى يزيد بن معاوية فأجازهم وأكرمهم. لكن المنذر كان معارضا لزيد شديد الانكار عليه. وقد كان منحازا الى أخيه عبد الله بن الزبير؛ وقد تولى المدينة نيابة عنه فقتل في إحدى المعارك ضد جيش الشام. انه الطبري، المصدر السابق، صص 480. 481. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص80، ج5، ص112. ابن عسكار، المصدر السابق، ج19، ص131.

³ محفز بن ثعلبة بن مرة بن خزيمه بن لوي. هو الذي قدم ببيت الحسين بعد مقتله الى يزيد مناديا: هذا محفز بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللثام الفجرة، قال: فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أم محفز شر وألأم. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص460. الدارقطني، المؤلف، المصدر السابق، ج4، ص2139.

⁴ كانت بنته ام أيوب قد تزوجت المغيرة ثم زياد بعد ذلك. وكان مخالفا لعلي شديد العداوة لشيئته، ولما قدم زياد الكوفة أتاه عمارة بن عقبة بن أبي معيط، فقال: إن عمرو بن الحمق يجتمع إليه من شيعة أبي تراب. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص180. ج5، ص236. ابن عسكار، المصدر السابق، ج45، ص498.

⁵ النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وهي من قريش. السمعاني، المصدر السابق، ج6، ص350. وقد كان عمر على قيادة الجيش الذي خرج لقتال الحسين. وقد قتله المختار الثقفي بسبب ذلك سنة 67هـ. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص389. ج6، ص61.

⁶ أحد أشرف الكوفة منعوتا بالحمق. وقد تولى لابن الزبير على الكوفة بعد موت يزيد بن معاوية. ابن الأثير، الكامل، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص236.

ب . من ثقيف:

- السائب بن الأقرع الثقفي²

. عبد الله بن أبي عقيل الثقفي. لا وجود لسيرة عبد الله في المصادر التي أتت لنا دراستها، لكنها تتعرض لذكر ابنه المغيرة وكان من عمال الحجاج وثقاته³، وكان إذا خرج من الكوفة يستخلفه عليها. ولذلك نرجح أن يكون أموي الهوى. وقد ورد عند البلاذري خبرا جاء فيه: عن قابوس ابن أبي ظبيان، عن أبيه قال: وقع مغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي في الحسن بن علي وشتمه⁴.

ج من تميم: . لييد بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي⁵. وصفه البلاذري فقال: كان لييد بن عطارد بن حاجب شريفا سيديا، يكنى أبا نعيم، وكان جوادا كريما، وكان مع المصعب بن الزبير فوفى له⁶. وكانت وقعت بينه وبين المنذر بن الزبير مشاكسات وخصام؛ افضت الى خصومة بين تميم وأسد⁷.

. محمد بن عمير بن عطارد التميمي: حمل ألف رجل انهمزوا إليه من بكر بن وائل بأذربيجان على ألف فرس في غداة واحدة⁸. ولم يكن له ولد فكان يقال: ليس لبني تميم حظ سيدهم بالكوفة محمد بن عمير بن عطارد ابن حاجب بن زرارة ولا عقب له. وسيدهم بالبصرة الأحنف بن قيس. ولا عقب له⁹. وتذهب بعض الروايات الى أنه كان على رأس ريع تميم وهمدان بالكوفة في عهد عبد الملك بن مروان¹⁰. وكان الحجاج قد تزوج بنت محمد بن عمير في قصة ذكرها الأصفهاني، بعد زواجه من هند بنت أسماء بن خارجة¹¹.

¹ استعمله عمر بن الخطاب واليا على مكة ثم عزله. ويبدو أنه شارك في موقعة الجمل وفقد ولدا هنالك. والغريب أن ابن عبد البر يعده فيمن قتل ذلك اليوم. ابن عبد البر، الاستيعاب، المصدر السابق، ج4، ص1461. ويتابعه على ذلك ابن حجر. ابن حجر، الإصابة، المصدر السابق، ج5، ص581. والراجح أن المقصود في قضية حجر العلاء بن عبد الرحمن بن محرز. كان على ريع من الكوفة أيام ابن الزبير، وولده بالكوفة في سكة يقال لها سكة بني محرز. ابن حجر، الإصابة، المصدر نفسه، ج5، ص581.

² أحد قادة المسلمين ولاء عمر بن الخطاب قبض الأحماس من غنائم أموال الفرس. وورد المدائن واليا عليها. كما كان واليا لعثمان على اصبهان. سيف بن عمر، الفتنة، المصدر السابق، ص86. خليفة بن خياط، التاريخ، المصدر السابق، ص147. الطبري، المصدر السابق، ج4، ص422. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المصدر السابق، ج1، ص566. قال ابن عباس: لم يكن في العرب أمرد ولا أشيب أشدّ عقلا من السائب بن الأقرع. الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، ج2، ص181.

³ ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص199.

⁴ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص27.

⁵ لييد بن عطارد بن حاجب واسمه زيد ويكنى أبا عكرشة بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة التميمي. من وجوه أهل الكوفة وأشرافهم. تين عساکر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج50، ص290. السمعاني، المصدر السابق، ج3، ص77.

⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج12، ص22.

⁷ المصدر نفسه، ج12، ص23. 26.

⁸ ابن حبيب، الخبير، المصدر السابق، ص154.

⁹ ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص425.

¹⁰ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج7، ص454.

¹¹ الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج20، ص457. 458.

. حصين بن تميم الطهوي التميمي، وكان على شرطة عبيد الله بن زياد¹.
. سويد بن عبد الرحمن المنقري التميمي من بني سعد: كان على شرطة ابن زياد لما ارسله لمراقبة الناكصين عن الخروج لمواجهة الحسين من الناس². ثم جعل ولاءه لابن الزبير في أيام حركة المختار بن عبيد الثقفي³. ثم نجده مع الحجاج يقاتل شبيب بن يزيد الخارجي⁴. ثم صار عاملا للحجاج على حلوان وماسبذان وهناك واجه ثورة المطرف بن المغيرة من غير رغبة منه⁵.
. شيبث بن رعي اليربوعي: كان علويا واستمر على حبه لعلي وآله⁶. وكان فيمن راسل الحسين من اشراف الكوفة يعلنون ترحيبهم بمقدمه⁷. لكنه لم ينخرط مع المختار الثقفي في ثورته وانما انحاز مع بقية اشراف الكوفة المختار الثقفي الى ابن الزبير⁸. حيث كان عبد الله بن مطيع والي الكوفة عن ابن الزبير يستخلفه إذا خرج للقتال⁹. وكان ابنه عبد المؤمن بن شيبث ممن خرج على الحجاج مع الابن الأشعث في ثورة القراء¹⁰.

من بكر بن وائل:

. عناق بن شرحبيل بن أبي دهم التيمي تيم الله بن ثعلبة.
. مصقلة بن هبيرة الشيباني¹¹: كان علوي الهوى واستعمله علي على أردشير خره¹؛ لكنه فر الى معاوية في حادثة سردناها في الفصل السابق. ويبدو أنه استمر على هواه في علي من دون أن يمنعه ذلك من الولاء للسلطة الأموية وقد ذكر له المسعودي شعرا يصف ندمه على تركه عليا جاء فيه قوله:

¹ الطهوي: نسبة إلى بني طهية، وهم بطن من تميم، وطهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة ابن تميم. السمعاني، المصدر السابق، ج9، ص110. وفي تميم: جحشيش بن مالك بن حنظلة. منهم: حصين بن تميم كان شرط ابن زياد بالعراق. الدارقطني، المؤلف والمختلف، المصدر السابق، ج2، ص895. كان ممن وجهه عبيد الله بن زياد لأخذ الحسين. ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص463.
² الدينوري، المصدر السابق، ص254.
³ الطبري، المصدر السابق، ج6، ص21.
⁴ المصدر نفسه، ج6، ص236. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص182.
⁵ الطبري، المصدر السابق، ج6، ص290. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص466. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص200.
⁶ النسبة إلى بني يربوع وهو بطن من تميم. السمعاني، المصدر السابق، ج13، ص48. عن العريان بن الهيثم كان عثمانيا وكان شيبث بن رعي علويا قال: فلما مرض شيبث ابن رعي مرضه الذي مات فيه، بعثني أبي إليه فقلت له: أبي يقرئك السلام ويقول لك: كيف تجددك. - قال: وكان أبي يعيب عليه مشهده يوم صغين كثيرا- فقال: أنا في آخر يوم من الدنيا، فأقرأ أباك السلام وقل له: أنا لم أندم على قتال معاوية يوم صغين، ولقد قتلت بالسلام كله إلا الهراوة والحجر. قال: فأتيت أبي فأخبرته ومات شيبث. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص342. وكان شيبث قد مال إلى الحرورية، ثم أب فرجع إلى علي.
⁷ الدينوري، المصدر السابق، ص229.
⁸ الطبري، المصدر السابق، ج6، ص30.
⁹ المصدر نفسه، ج6، ص29.
¹⁰ المصدر نفسه، ج6، ص336.
¹¹ شيبان: وهي قبيلة معروفة في بكر بن وائل. السمعاني، المصدر السابق، ج8، ص198.

تركت نساء الحي بكر بن وائل وأعتقت سبياً من لؤي بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد لمالٍ قليل لا محالة ذاهب²

وفي الكوفة لم تكن علاقة مصقلة مع واليها المغيرة جيدة. ووقد اضطره خصامه مع المغيرة الى أن يرحل عن الكوفة بسبب حادثة رواها زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتى طمع فيه مصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدمه المغيرة إلى شريح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البينة، فضربه الحد. فألى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيا، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثم دخل الكوفة، فتلقيه قومه، وسلموا عليه. فما فرغ من التسليم حتى سألمهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا. قالوا: ظننا أنك تريد أن ترحم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنت ما علمت نافعا لصديقك، ضائرا لعدوك³. وكان فيمن تولى معاوية امعالا عسكرية وإدارية⁴. وكان ممن صالح بين زياد ومعاوية لما كان زياد لا يزال محسوبا على علي⁵. وكان ابنه بسطام بن مصقلة ممن انحاز الى ابن الأشعث ضد الحجاج في ثورة القراء⁶.

. القعقاع بن شور الذهلي⁷. كان رجلا يوصف بالفصاحة والكرم وحسن الوجه⁸. وكانت تربطه علاقات جيدة مع السلطة الأموية ويرد ذكره في الأحداث التي صاحبت خروج الحسين الى الكوفة، وقتل ابنه النضر بن القعقاع مع الحجاج في صراعه مع شبيب الخارجي⁹. لكن يبدو من الروايات أنه كانت تجمععه علاقة ودية بشبيب الخارجي قبل خروجه¹⁰.
. حجار بن أجز العجلي¹. سيد من سادات بكر بن وائل، وما يدل على شرفه الرواية التي أوردها الدينوري وجاء فيها أن أباه أجز بن جابر العجلي توفي وهو على دين النصرانية، فاتبع اشراف الناس جنازته لسؤدد ابنه حجار، واتبعها

¹ قال البشاري: أردشير خزه كورة قديمة، رسمها نمروذ بن كنعان ثم عمرها بعده سيزاف بن فارس، وأكثرها تمتد على البحر، شديدة الحر كثيرة الثمار، قضبتها سيزاف. ومن مدتها: جور وكانت دار مملكة اردشير الفارسي، وميمند وناثن والصيمكان وخير وخوزستان والغندجان وكران وشميران وزرياد ونجيم. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص146.
² المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2، ص402.
³ الأصبهاني، الاغانى، المصدر السابق، ج16، ص329.
⁴ الدينوري، المصدر السابق، ص223. وولاه معاوية طبرستان، فمات بها. فيقال في المثل: حتى يرجع مصقلة من طبرستان. وله عقب بالكوفة، ودار بالبصرة. ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص403. البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص326.
⁵ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص41. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص9.
⁶ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص347. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص63.
⁷ ذهل: قبيلة معروفة وهو ذهل بن ثعلبة، وإلى ذهل بن شيبان. السمعاي، المصدر نفسه، ج6، ص21.
⁸ السمعاي، المصدر السابق، ج1، ص49.
⁹ ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص193.
¹⁰ جاء لدى البلاذري: ان شيبيا حج فأنى الكوفة فنزل على القعقاع بن شور الذهلي في بدأته فيه وأكرمه. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج8، ص18.

النصارى لدينه². وكانت تربطه علاقات وثيقة مع الأمويين. وقد وصفه الأصفهاني بأنه: كان عظيم المنزلة عند بشر بن مروان³. وتذكر بعض الروايات ان علاقته كانت سيئة مع غريمه محمد بن عمير التميمي؛ وكان مكان حجار من ربيعة مثل مكان محمد من مضر⁴. وقد جرت بينهما مناوشات ومكائد⁵. ويرد خبره في خدمة زياد في الوقائع التي صحبت خروج قريب وزحاف الحروريين وكانا من الخوارج⁶. وكان فيمن كتب الى الحسين من أشرف الكوفة يستقدمونه ثم خذلوه⁷. وكان ممن قاتل المختار الثقفي مع جيش ابن الزبير⁸. ثم قلب ولاءه الى عبد الملك بن مروان⁹.
شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلابي العامري¹⁰، قاتل الحسين¹¹، لا يشك في أمويته وقد شارك في مواجهة المختار مع جيش ابن الزبير وبصحبتة من الأشراف: عمر بن سعد، ومحمد بن الأشعث، وأخاه قيس بن الأشعث، وكانوا هربوا من المختار، لأنهم كانوا الرؤساء في قتال الحسين، فصاروا مع اهل الكوفة، وتولوا امر الناس¹². وكانت نهايته على يد المختار¹³.

. شداد بن الهيثم الهلالي، كان على شرطة زياد بالكوفة، مما يشير الى أن هواه كان أمويا¹⁴.

. مروان بن الهيثم الهلالي¹⁵.

من اليمن:

أ. من مذحج:

¹ عجل: قبيلة ترجع الى بني عجل بن لجم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج9، ص239.

² الدينوري، المصدر السابق، ص214.

³ الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج14، ص422.

⁴ سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص81.

⁵ الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج14، ص423. 424.

⁶ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص146. الدينوري، المصدر السابق، ص222.

⁷ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص425. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص178.

⁸ الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص122.

⁹ وكتب عبد الملك إلى المرواني من أهل العراق، فأجابهم كلهم، وشرط كل واحد ولاية إصبهان، فأنعم بما لهم. منهم: حجار بن أبحر، وعتاب بن ورقاء، والغضبان بن القعترى، وزحر بن قيس،

ومحمد بن عمير، وغيرهم. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص234. 235.

¹⁰ الضباب بن كلاب: بطن من بني عامر بن صعصعة، من العدنانية، وهم: بنو الضباب، واسمه معاوية بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن

عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. كحالة الدمشقي، المرجع السابق، ج2، ص660.

¹¹ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص118.

¹² الدينوري، المصدر السابق، ص300. الطبري، المصدر السابق، ج6، ص18.

¹³ الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص53.

¹⁴ خليفة بن الخياط، التاريخ، المصدر السابق، ص212. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص266. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص70.

¹⁵ الهلالي: هذه النسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. قبيلة كبيرة. أبو الحسن علي عز الدين بن

الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ج3، ص396.

كثير بن شهاب بن حصين الحارثي المذحجي¹. كان أحد القادة الذين كان يستعملهم المغيرة فيما ينوبه من خطوب. وقد أرسله لمواجهة شبيب بن بجرة الأشجعي لما خرج بالكوفة². وهو أحد الأشراف الناشطين سياسيا وعسكريا؛ حيث نعثر عليه كثيرا في الأحداث التي شهدتها تلك الفترة. وقد وصفه ابن البلاذري بأنه كان مبالغا في التخذيل عن الحسين لما قدم الكوفة³. وقد تولى معاوية ثغر الري ثم عزله⁴. وقد لخص البلاذري حياته السياسية في سطور في التالي: كان كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة الحارثي عثمانيا يقع في علي بن أبي طالب ويشبط الناس عن الحسين. ومات قبيل خروج المختار بن أبي عبيد أو في أول أيامه، وله يقول المختار بن أبي عبيد في سجعه: أما ورب السحاب، شديد العقاب، سريع الحساب، منزل الكتاب، لأنبش قبر كثير بن شهاب، المفتري الكذاب، وكان معاوية ولاءه الري ودستبي حينما من قبله ومن قبل زياد والمغيرة بن شعبة عامليه، ثم غضب عليه فحبسه بدمشق وضربه حتى شخص شريح بن هانئ المرادي إليه في أمره فتخلصه⁵، وكان يزيد بن معاوية قد حمد مشايعته وأتباعه لهواه فكتب إلى عبد الله بن زياد في توليته ماسبذان ومهرجا نقذف وحلوان والماهين. وأقطعه ضياعا بالجبل فبنى قصره المعروف بقصر كثير، وهو من عمل الدينور⁶. قطن بن عبد الله بن حصين الحارثي⁷: كان عثمانيا. وقد أتى عثمان وهو محصور فدعاه الى دفعهم عن نفسه بمن أطاعه ومال إليه فقال: أنا أكلهم إلى الله ولا أقاتلهم فإن ذلك أعظم لحجتي عليهم فانصرف محمودا رشيدا، فكان يقول: لوددت أني قتلت مع عثمان⁸. تولى لعبد الملك بن مروان الكوفة في اعقاب قتل مصعب بن الزبير وهذا يدل على ولائه المرواني فلم يكن عبد الملك ليولي رجلا على غير هواه⁹. كان في الكوفة على رأس ريع مذحج وأسد¹⁰.

¹ أبوه: الحصين ذو الغصة بن مرثد بن شداد بن قنان، وهو رأس بني الحارث، عاش مائة سنة، وكان يقال لبنيه: فارس الأرباع، قتله همدان. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص344. ويبدو أن هذه النسبة يمنية بدليل النص التالي: ضرب عبد الله بن حجاج كثير بن شهاب بقضيب حديد على وجهه فكسر فمه أجمع، فكتب ناس من أهل اليمن إلى معاوية: إن سيدنا ضربه رجل خميس من غطفان، فأقدنا من أسماء بن خارجة، فقال معاوية: ما رأيت كتاب قوم أحق من هؤلاء. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج13، ص151. وصفه ابن الكلبي فقال: وكثير بن شهاب بن الحصين، كان سيد مذحج بالكوفة، وولاه معاوية الري، ودستبي، وكان أبخل الخلق. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص283.

² خليفة بن الخياط، التاريخ، المصدر السابق، ص209.

³ غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغا يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة، ويحذرهم الفتنة والفرقة ويخذل عن الحسين. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص178. دعا ابن زياد كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص369.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج13، ص151.

⁵ ذكر أن معاوية وثى كثير بن شهاب المذحجي خراسان، فاختان مالا كثيرا. ثم هرب فاستتر عند هانئ بن عروة المرادي. فبلغ ذلك معاوية فهدر دم هانئ. فخرج هانئ إلى معاوية. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج1، ص120.

⁶ البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص301.

⁷ قطن بن عبد الله بن الحصين، كان عثمانيا. وابنه خالد بن قطن، كان شريفا بالكوفة. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص283.

⁸ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص563.

⁹ وكان قطن عثمانيا لم يمل إلى عبد الملك أحد ميله. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص476. 477. ج7، ص107. 110.

¹⁰ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج7، ص94.

السري بن وقاص الحارثي¹.

شريح بن هانئ الحارثي: كان من فضلاء بني الحارث. وصفه ابن سعد فقال: كان شريح من أصحاب علي بن أبي طالب. وشهد معه المشاهد². وجعله علي رأس الوفد الذي بعثه مع أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم³. قتل في سجستان سنة 78هـ في ولاية الحجاج على الكوفة وكان حينها على رأس أهل الكوفة الذين بعثهم الحجاج لمقاتلة رتبيل لما أعلن العصيان⁴. ووصفه الجاحظ لأنه: كان معمرًا وكان شيعيًا⁵. ولم تكن علاقته مع زياد جيدة⁶. وهو الذي وفد على معاوية في قضية وسأله الافراج عنه⁷. ولما أدرج زياد اسمه ضمن الذين شهدوا على حجر كتب الى معاوية يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ أما بعد، فإنه بلغني أن زيادا كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويدم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه⁸.

ب. من حضرموت:

عبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي⁹.

وائل بن حجر الحضرمي¹⁰. وكان عثمانى الهوى، جاء لدى البلاذري: أن وائل بن حجر الحضرمي، كان عثمانيا فاستأذن عليا في إتيان اليمن ليصلح له ما هناك، ثم تعجل الرجوع فأذن له في ذلك فذهب فمالاً بسرا وأعانه على شيعة

¹ ذكر البلاذري أنه تولى نجاوند. وكان فيمن عارض المختار وقتله. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج6، ص348.

² ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص180. ابن عبد البر، الاستيعاب، المصدر السابق، ج2، ص702.

³ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج4، ص193. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص250.

⁴ خليفة بن الخياط، الطبقات، المصدر السابق، ص250. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج7، ص305.

⁵ الجاحظ، العثمانية، ت عبد السلام هارون، ط1، دار الجليل، بيروت، 1991م، ص124.

⁶ عن الشعبي قال: أثنى شريح بن الحارث على زياد، فقال له شريح بن هانئ الحارثي: أمثلك يعني على زياد. فقال: إنه لو ولاك ما ولاني لأثنت عليه. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص235.

⁷ البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص301.

⁸ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص272.

⁹ هذه النسبة إلى حضر موت وهي من بلاد اليمن من أقصاها. السمعاني، المصدر السابق، ج4، ص180.

¹⁰ وائل بن حجر الحضرمي الكندي، كان ملكا عظيما بحضرموت، بلغه ظهور النبي فترك ملكه ونحس إليه. السمعاني، الأنساب، ج4، ص180. راجع نسبه عند ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص460.

علي¹. وكان من الذين أقطع لهم عثمان قطائع². كان من المقربين الى المغيرة بن شعبه في ولايته الأخيرة على الكوفة³. عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: كان من أشرف مذحج بالكوفة⁴. ويعد من غلاة العثمانية وقد عبر عن بغضه لعلي وآل بيته في مواضع كثيرة. وكان فيمن جاء بهاني بن عمرو الى ابن زياد، وصاح بمدى صوتته: انا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة⁵. كما كان في جيش ابن زياد الذي حاصر الحسين ومنعه الماء⁶، وكان يقول حينها: يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام⁷. وكان فيمن خرج من أشرف الكوفة لقتال المختار أيام ابن زياد⁸. وطلبه المختار فهرب ودخل بعض المفازات فمات عطشاً⁹.

ج. من همذان:

. الحارث بن الأزعم الهمداني الوادعي، أورده ابن حزم في الجمهرة مع أخيه شداد، ووصفه بأنه: ثقة من أصحاب عليّ وابن مسعود¹⁰. توفي سنة 59هـ قبل معاوية بقليل¹¹.

. شداد ابن الأزعم الهمداني الوادعي: توفي في ولاية بشر بن مروان سنة 74هـ¹². لا لا يكاد يرد له ولأخيه ذكر في المصادر خارج قائمة الشهداء الذي شهدوا على حجر بن عدي.

. عمر بن قيس ذي اللحية الوادعي: يرد في قائمة من شهد على حجر بن عدي¹³.

. هانئ بن أبي حية الوادعي: هو ممن حمل راس هانئ بن عمرو الى يزيد بأمر من ابن زياد¹. وممن وشى بالمختار الى عمرو بن حريث خليفة ابن زياد على الكوفة².

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص458.
² أول من أقطع العراق عثمان بن عفان، أقطع قطائع من صوافي كسرى وما كان من أرض الحالية فأقطع طلحة النشاستج وأقطع وائل بن حجر الحضرمي ما والى زارة، وأقطع خباب بن الارت أسبينا وأقطع عدي بن حاتم الطائي الروحاء، وأقطع خالد بن عرفطة أرضاً عند حمام أعين وأقطع الأشعث بن قيس الكندي طيزناباد، وأقطع جرير ابن عبد الله البجلي أرضه على شاطئ الفرات. البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص269.
³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص215.
⁴ ابن الكلبي، نسب معد، المصدر السابق، ج1، ص327.
⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص367.
⁶ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص181. الدينوري، المصدر السابق، ص255.
⁷ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص435.
⁸ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص398.
⁹ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص308.
¹⁰ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص395.
¹¹ خليفة بن الخياط، التاريخ، المصدر السابق، ص227.
¹² المصدر نفسه، ص273.

¹³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص270. الدينوري، المصدر السابق، ص242. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص380.

د. من جعفي:

. كريب بن سلمة بن يزيد الجعفي: أحد أشرف الكوفة³، وكان فيمن شهد علي حجر⁴.
. عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي: كان على ربع مذحج وأسد في الجيش الذي خرج بقيادة عمر بن سعد لمواجهة الحسين⁵. ابنه خيشمة أشهر منه كان عالما عابدا زاهدا، ورث مائتي ألف درهم فأنفقها على الفقهاء والقراء⁶.
. زحر بن قيس الجعفي: كان من أنصار علي⁷. وكان في القائمة التي شهدت ضد حجر بن عدي، كما نجده على رأس الحرس الذين جعلهم ابن زياد في الكوفة كي يراقبوا أي محاولة لمساعدة الحسين⁸. ولما قتل الحسين نصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفة ثم دعا زحر بن قيس الجعفي فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه وأهل بيته إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي. فلما قدموا عليه قال: لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. ولم يصل زحر بن قيس بشيء⁹. ثم كان زحر من ضمن قادة مصعب بن الزبير¹⁰. ثم كان بعد ذلك في جيش عبد الملك بن مروان¹¹. كما كان من بين أعوان الحجاج أيام خروج شبيب الخارجي¹².

هـ. من الأزدي:

. قدامة بن العجلان الأزدي: كان من اتباع علي¹³، وتولى له علي البحرين¹⁴، وكان فيمن تولى الشهادة على حجر بن عدي¹⁵.

و. من بجيلة:

. عزرة بن قيس الأحمسي¹⁶

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص85.

² البلاذري، المصدر نفسه، ج6، ص376. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص569

³ ابن الكلبي، نسب معد، المصدر السابق، ج1، ص312.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص270. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص254.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص422. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص168. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص131.

⁶ ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص213.

⁷ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص502. الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، ج3، ص56.

⁸ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص179.

⁹ المصدر نفسه، ج3، ص212.

¹⁰ المصدر نفسه، ج5، ص468.

¹¹ المصدر نفسه، ج7، ص454.

¹² المصدر نفسه، ج8، ص23.

¹³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص61.

¹⁴ خليفة بن الخياط، التاريخ، المصدر السابق، ص200.

¹⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص270.

¹⁶ هذه النسبة إلى أحس وهي طائفة من بجيلة نزلوا الكوفة. السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص125.

. آخرون خارج القائمة:

. معقل بن قيس الرياحي

. مطر بن ناجية الحميري الرياحي: كان مطر على شرطة علي¹، وفي سنة 77هـ . 696م نجده على ميمنة جيش الحجاج في قتال شبيب الخارجي² ثم صار عاملاً الحجاج على المدائن وناحياتها، وفي سنة 82هـ . 701م لما وقعت الفتنة بين الحجاج وابن الأشعث أراد مطر ان يستغل سوء الأوضاع فأتى الكوفة وأراد أن يتغلب عليها؛ فخطب في أهلها: إن ابن الأشعث قد هزم أهل الشام، فهلموا نخرج من عندنا منهم، فكثرت تابعته³. لكن دخول ابن الأشعث الكوفة فوت عليه هذه الفرصة وتحول فارساً من فرسانه⁴.

. يزيد بن الحرث بن يزيد بن رويم وابنه حوشب؛ من بني سعد بن مرة من بني شيبان من بكر بن وائل: كانا من اشرف الكوفة، أسلم يزيد بن رويم الشيباني الجد على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوهب له جارية فولدت له حوشباً⁵. وكان يزيد على شرطة مصعب بالبصرة وكان حوشب على شرطة الحجاج بالكوفة⁶، وكان حوشب يوصف بالسوء، وله ابن اسمه خراش كان على شرطة يوسف بن عمر⁷. وكان عدي بن الحرث أخو يزيد واليا على بخرسير لعلي بن ابي طالب قتله الأشرس بن عوف الشيباني لما خرج مع من خرج على علي⁸. وكان يزيد فيمن كتب للحسين يستعجله القدوم الى الكوفة⁹. وقد وجهه ابن زياد على رأس ألف مقاتل لمواجهة الحسين¹⁰. ثم كان ممن قاتل المختار الى جانب ابن الزبير¹¹. وولاه مصعب بن الزبير الري مدة¹². اما حوشب فقد تولى لعبد الملك الري¹³. وما يدل على أموية حوشب خطابه للحجاج يجرضه ضد عباد بن قيس القيسي وكان من صالحى البصرة: إن منا امرأ صاحب فتق ووثوب

¹ ابن دريد، الاشتقاق، المصدر السابق، ص223.

² الطبري، المصدر السابق، ج6، ص275

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج7، ص331.

⁴ خليفة لن الحياض، التاريخ، المصدر السابق، ص294.

⁵ أسلم بن سهل الرزاز الواسطي، تاريخ واسط، ت كوركيس عواد، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1406هـ، ص103.

⁶ ابن الكلبي، نسب معد، المصدر السابق، ج1، ص30.

⁷ العجلي، الثقات، المصدر السابق، ج2، ص195.

⁸ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص361.

⁹ البلاذري، المصدر نفسه، ج3، ص158. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص353. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص29.

¹⁰ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص179.

¹¹ المصدر نفسه، ج6، ص381. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص561. المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج3، ص84. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص294.

¹² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج7، ص168.

¹³ المصدر نفسه، ج7، ص110.

على السلطان لم تكن فتنة بالعراق قط إلا وثب فيها وهو تراي يلعن عثمان وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه مواطنه كلها يحرص الناس حتى إذا أهلكهم الله عز وجل جلس في بيته فبعث إليه الحجاج فضرب عنقه¹.

. عتاب بن ورقاء الرياحي اليربوعي التميمي: أحد عمال الدولة الأموية، ومن قادة الحجاج الثقفي في حربه مع شبيب الخارجي؛ حيث قتل في مواجهته. وقد لخص ابن قتيبة سيرته فقال: كان يكنى: أبا ورقاء، وكان من أجود العرب، وكان الفرخان صاحب الرّي، كفر، فوجه إليه عتاب فقتله، وفتح الري. وولى أصبهان في فتنة ابن الزبير. ووجهه الحجاج على جيش أهل الكوفة في قتال الأزارقة. ووجهه المهلب على جيش أهل البصرة في قتالهم. وولى المدائن وناحياتها. وبيته شبيب، فتفرق عنه جيشه فقتل². توفي سنة 77 هـ³.

ومن خلال النظر في مواقف اشراف الكوفة نستطيع ان نميز بشيء من التحوز بين الاشراف الخاضعين الى توجهات السلطة الأموية في الكوفة خصوصا مثل: عدي بن حاتم الطائي وجريير بن عبد الله البجلي وخليفة بن عبد الله الجعفي⁴ وعمرو بن الحجاج الزبيدي⁵ وهانئ بن عروة المرادي وثابت بن قيس النخعي⁶ وخالد بن عرفطة العذري⁷. وبين فئة أخرى من اشراف الكوفة فضلت أن تحتفظ باستقلالية نسبية إزاء السياسة الأموية ومخططات ولائها وعمالها نذكر منهم:

¹ ابن عساكر، المصدر السابق، ج49، ص442.

² ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص415.

³ الجاحظ، الحيوان، المصدر السابق، ج7، ص468.

⁴ ينتسب عبد الله بن خليفة الجعفي الى قبيلة جعفي بن سعد العشيرة من مذبح اليمينية. ومن اللافت أن ننسب الى أن عائشة بنت خليفة بن عبد الله كانت زوجة للحسين. وترد عند الطبري في احداث ثورة المختار الثقفي: أما فرات بن زحر بن قيس فإنه لما قتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية- وكانت امرأة الحسين بن علي- إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى جسده، ففعل، فدفتته. الطبري، المصدر السابق، ج6، ص52. راجع ابن الكلبي، نسب معد واليمن، المصدر السابق، ج1، ص306. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص308.

⁵ الزبيدي: نسبة الى زيد وهي قبيلة قديمة من مذبح أصلهم من اليمن نزلوا الكوفة. وزيد اسمه منبه بن صعب، وهو زيد الأكبر، وإليه ترجع قبائل زيد. السمعي، المصدر السابق، ج6، ص263. سيلع دورا هاما في مقتل الحسين حيث كان مسؤولا عن منعه الماء. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص181. وقبل مقتل الحسين تحمل بعض الروايات عمرو بن الحجاج مسؤولية مقتل هانئ بن عروة المرادي بسبب استضافته مسلم بن عقيل مبعوث الحسين الى الكوفة. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص348.

⁶ يرد اسم ثابت بن قيس النخعي مع الجماعة التي خالفت والي الكوفة سعيد بن العاص: فسير سعيد الأشتر ومن كان وثب مع الأشتر وهم: زيد وصعصعة ابنا صوحان وعائذ بن حملة الطهوي من بني تميم وكميل بن زياد النخعي وجندب بن زهير الأزدي والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني من بني حوث بن سيع بن صعب إحوه السبيع بن سيع بن صعب ويزيد بن المكفف النخعي وثابت بن قيس بن المنقع بن الحارث النخعي وأصغر بن قيس بن الحارث بن وقاص الحارثي من بني المعقل. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص529. 530.

⁷ خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان بن صيفي بن الهيلة بن عبد الله بن غيلان بن أسلم بن حجاز، وهو حليف لبني زهرة؛ كان سعد بن أبي وقاص قد وأه أمر الناس يوم القادسية. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج2، ص719. كان أيام زياد على ريع تميم وهدان بالكوفة. ويروي الأصبهاني عنه خبرا: بينما علي على المنبر، إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات. إذ دخل رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب هذا المسجد، يعني باب الفيل برائة ضلالة يحملها له حبيب بن عمار، قال فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن عمار وأنا لك شيعه. قال: فإنه كما أقول. فقدّم خالد بن عرفطة على مقدّمة معاوية يحمل رايته حبيب بن عمار. أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص77. 78.

شَبَّثُ بْنُ رَبِيعِ الْيَرْبُوعِيِّ¹ ومحمد بن عمير بن عطار بن حاجب التميمي وحجار بن أبحر العجلي² ويزيد بن الحرث بن يزيد بن رويم الشيباني³ وعزرة بن قيس الأحمسي⁴ وغيرهم؛ رغم ما في هذا التمييز من عدم دقة بالنظر الى تعقيد اللعبة السياسية التي كان الجميع يلعبها حسب ما تقتضيه المواقف وحسب الظروف التفصيلية التي كانت تحيط بالوقائع الحادثة في ذلك العصر المضطرب. خاصة في ظل تنازل الرجل الوحيد الذي يمتلك شرعية الاستمرار في الصراع، وتحت ضغط الشرعية الجديدة التي امتلكها معاوية ومن ورائه الكتلة التي ناصرته بواسطة الصلح. وبما أن التشيع في ذلك العهد لم يكن يعدو كونه موقفا سياسيا قائما على الاقتناع بأحقية علي في الخلافة من دون تعقيدات نظرية فقد راح الأشراف يصوغون مواقفهم بواقعية من يريد أن يحتفظ بذاكرة التاريخ ومكاسب الواقع الراهن ما وجدوا لذلك سبيلا؛ مازجين بين الرفض والقبول والتحفظ يحاولون أن يكونوا في مستوى تعقيد الأمور.

2. المساهمة اليمنية في حركة حجر بن عدي ومقتله:

أ. حركة حجر بن عدي وموقف الأشراف منها:

عندما تنهزم الجيوش وتنكسر ارادتها القتالية فان ذلك لا يعني موت القضية التي كانت تقاتل لأجلها، وفي أحيان كثيرة فان فشلها السياسي والعسكري يقودها الى تلمس أسباب البقاء والنضال في دروب أخرى وبأدوات بديلة، وتظل تجدد ذاتها بصور وكيفيات تحفظ لها البقاء سواء في العلن أو الخفاء تنتظر فرصتها لتعود الى مسرح الأحداث مجددا لتأخذ حقها ونصيبها. لذلك فان مقتل علي وانفراط جيشه كان هزيمة سياسية منيت بها جموعه وانصاره وفشلا واقعا في مهمته التي نذر لها ما تبقى من حياته. لكن خلف تلك الخيبة ومن وراء استتباب الأمر لمعاوية ومن ورائه الأمويين واحلافهم كانت تنسج خيوط أخرى لأشكال جديدة من المقاومة وديمومة القضية العلوية ستكون لها تبعاتها على من تبقى من أنصار علي وعلى من استمر على إيمانه بالمظلومية العلوية، كما على من فضل الخضوع لضرورات الواقع وانحاز الى الصف الأموي وأشياعه. وفي هذا السياق فإننا نلاحظ أن المصريين الذين احتضنا في عهد معاوية بذور المعارضة هما المدينة والكوفة وكلاهما ظل يشكل وجعا في حاصرة السلطة الأموية لأنهما جسدا على الدوام رمزية الشرعية النبوية وشرعية

¹ اليربوعي: نسبة الى بني يربوع وهو بطن من تميم. السمعاني، المصدر السابق، ج13، ص488.

² العجلي: هذه النسبة الى بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. السمعاني، المصدر نفسه، ج9، ص239.

³ الشيباني: نسبة الى شيبان، وهي قبيلة معروفة في بكر بن وائل، وهو شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان. السمعاني، المصدر نفسه، ج8، ص198.

⁴ الأحمسي: نسبة حدث فيها خلاف بين النسابة، منهم من ينسبها الى أحمس وهي طائفة من بجيلة نزلوا الكوفة، في حين يذهب آخرون الى نسبتهم الى أحمس ضبيعة بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان. السمعاني، المصدر نفسه، ج1، ص125.

الخلافة فكانا بذلك المصيرين الأكثر خطورة من بين جميع الامصار التي طالها الحكم الأموي. ففي الوقت الذي احتفظت فيه المدينة بمبيتها من حيث هي مقرا لمن بقي من كبار الصحابة وأبنائهم وزوجات النبي والميراث التاريخي للخلفاء الراشدين الثلاثة الأول؛ فان الكوفة ظلت مشحونة ومتوترة بفضل من بقي فيها من كبار أنصار علي وأتباعهم ومن كان يشايعهم. ويبدو أن معاوية اختار ان ينتهج سياستين مختلفتين حيال البلدين فاختار أن يسلك سبيل المؤاكلة الحسنة والمشاركة الجميلة والمهادنة اللينة واصطناع التجارة والتكرمة ودر العطاء على من كان في المدينة؛ في حين سلك مع الكوفيين مسالك أخرى ميزتها سياسة الحذر الشديد والمراقبة الدؤوبة تمهيدا لاجترار تغييرات بنوية في النسيج الاجتماعي لمجتمع الكوفة بغرض افراغ النواة الشيعية من قوتها وتدمير كتلتها التي كانت تمدّها بالصلافة والتماسك ومن ورائها استمرارية المظلومية العلوية. وكانت تعييناته للولاة الذين يقع على عاتقهم تسيير شؤون الحكم والرعية في هذه الأمصار محكومة بهذا الغرض؛ حيث توخى ان تكون شخصية الوالي ومواهبه تتناسب والمهمة المؤكدة له في هذا المصر او ذاك. فكان أكثر ما كان يوكل لولاية الحجاز اهل السن والخبرة من شيوخ البيت الأموي ممن لهم بصيرة بالسياسة والتدبير واستمالة الخصوم كمرّوان بن الحكم وسعيد بن العاص. اما العراق فقد قصد أن يولي على البصرة والكوفة رجال يحسنون إدارة النزاع كما يستطيعون اللجوء الى العنف إذا لزم الأمر.

لم يرض معاوية من أهل الكوفة الا البيعة والبراءة من علي¹. وأصدر أوامره الى المغيرة بن شعبه بسب علي على المنابر فأقام المغيرة واليا في الكوفة سبع سنين وأشهرا لا يدع ذم علي والوقوع فيه، وكان الغرض من ذلك اضعاف معنويات أنصار علي وكسر حدتهم². وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي فاستعمل عليهم زياد ابن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي فقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل

¹ وجلس معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي رحمه الله، فجاءه رجل من بني تميم، فأراده على ذلك فقال: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من مرتاكم. فالتفت إلى المغيرة فقال: إن هذا رجل، فاستوص به خيرا. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج2، ص72.

² وأقام المغيرة على الكوفة عاملا معاوية سبع سنين وأشهرا، وهو من أحسن شيء سيرة، وأشدّه حبا للعافية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان، واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتزكية لأصحابه. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج5، ص254. يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة، ط2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ت، ص ص64. 65.

ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم وكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والخباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا¹. ولما توفي المغيرة اختار معاوية ان يضع زياد بن أبيه خلفا للمغيرة وصار اذلال الكوفيين هدفا لتوخته سياسة معاوية، وحرص ولاته على تحقيقه؛ فعن أبي إسحاق، قَالَ: أدركت الناس وهم يقولون: **إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر بن عدي، ودعوة زياد².**

ان النواة التي استمرت على ولائها لعلي بعد ان انفرط جمعه هي ذاتها التي بقيت ملتفة حول الحسن على امل ان ينجح فيما أخفق فيه ابوه، لكنها واجهت فشلا ذريعا في شحذ همم من نكص عن القتال وآثر السلامة. قاد الانحلال التام الذي أصاب جيش العراق الحسن الى ان يكف عن منازلة معاوية وأن يجنح للسلام والتنازل وأن يبادر الى صلح يحقن الدماء ويؤجل النزاع الى حين؛ فضمن الاتفاق شروطا لا تخفي الارتياح ونية المعاوذة في حال واتت الظروف. لكن معاوية او الأقدار كانت أعجل فلم يقدر للحسن أن يشهد فرصة أخرى لأنه لم يلبث أن مات بعد ان ترك الكوفة خائبا واستقر في المدينة.

استمرت النواة الشيعية في الكوفة كأنها فصيل ثوري في حالة سكون مليء بالترقب؛ تتحرق حنقا على ما آلت اليه الأمور من استتباب يكاد يكون تاما لمعاوية؛ جاهزة للانفجار اليائس، لا تكف عن التمللم واستعراض سخطها واستيائها أمام رموز الإدارة الأموية في الكوفة كلما لاحت فرصة. فلم تتقبل عناصرها الهزيمة ولم تتجرع غيظ الخضوع الى معاوية وأهل الشام؛ خاصة في ظل الإجراءات المستفزة التي دشنها الامويون إزاء علي وأهل بيته من سب ووشتم ووقعية من علي المنابر وفي المجالس الخاصة والعامية، حتى صار لعن علي والبراءة منه تقليدا واجب العمل به بعد كل خطبة وصلاة، كذا التفتيش الاستخباراتي على ضمائر الناس وحملهم على المشاركة في لعن علي، وتأكيد الولاء لبني أمية. لقد قصد معاوية الى تعزيز هذه السياسة حتى يززع من الروح المعنوية للذين ثبتوا على ولائهم لعلي ومن كان يتخوف منهم الثورة في حال واتت فرصتها. لذلك كان يردد على مسامع من حوله: يرحم الله أمير المؤمنين عثمان لو كان قتل الطعانين عليه لكان ذلك خيرا له، فما الذي يقول قائلهم. فقال أبو الأسود: يقول قائلهم أنكرنا منكرنا فقتلنا شهيدا وحيننا ثائر، فسكت معاوية³.

¹ ابن ابي حديد، المصدر السابق، ج11، ص44.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص279.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص35.

كان أشهر رجال هذه العصبة هو حجر بن عدي الكندي. وقد أسلم في مقتبل شبابه حينما قدم إلى المدينة مع أخيه هاني بن عدي إلى النبي وشهد الفتوحات في الشام والعراق وكان له فيها بلاء كبير¹ وكان يلقب بـ"حجر الخير" لشدة ورعه بينما كان له ابن عم اسمه حجر أيضا و اسمه حجر بن يزيد كان يلقب بـ"حجر الشر" وكان من جنود معاوية في صفين. يعد حجر من أنصار علي بن ابي طالب المخلصين؛ حيث أسرع إلى مبايعته حينما تولى الخلافة وبقي ملازما له. وحارب معه في معركة صفين والنهروان وكان من قيادات الجيش حيث كان قائد مذبح والأشعريين. كما استعمله علي في قيادة كندة وحضرموت وقضاة ومهرة. وكان أول فارسين برزا والتقيا بصفيين في السابع من شهر صفر سنة 37هـ. 657م عندما واجه حجر بن يزيد من معسكر معاوية وكان حجر بن يزيد هو الذي طلبه لأنه ابن عمه فتبارزا وكاد حجر بن عدي ان يقتله لولا تدخل خزيمة بن ثابت الأسدي من معسكر معاوية الذي ضرب حجر الخير ضربة كسر بها رمحه. وقتل حجر بعد ذلك الكثير من قيادات جيش معاوية مبارزة. وجعله علي في النهروان قائدا لميمنة جيشه. وقد لعب حجر أدوارا مهمة في مجريات الصراع بين المعسكرين ووضع نفسه تحت تصرف علي يتوجه أينما يوجهه، ولما أرسل معاوية الضحاك بن قيس سنة 39هـ. 659م في ثلاثة آلاف مقاتل ليشن الغارات على المناطق الواقعة تحت حكم علي. وقام بنهب الأموال وقتل من لقي من الاعراب وأغار على الحجاج بالثعلبية فاخذ أمتعتهم، نهض اليه حجر بن عدي في أربعة آلاف مقاتل وانتصر عليه ورده الى الشام.

بعد مقتل علي وتنازل الحسن وارتباك العصبة التي بقت على ولائها للحق العلوي خلا العراق لمعاوية، لكنه كان يعلم أن كثيرا من السيوف التي ارتفعت في صفين تريد استتصاله لا تزال في اغمادها جاهزة للقضاء عليه فيما لو واتها الفرصة، وان الجرح الذي تسببه الغياب المفاجئ لعلي من ساحة الصراع سيظل نازفا لا يرقأ، وانه لا مناص من استعمال السياسة في تدبير الشأن العراقي حتى يكف شره ويمح نفسه مهلة التفكير في انجع الطرق لاحتواء القوى الاجتماعية السياسية العراقية عموما والكوفية خصوصا، وتوفير الأدوات السياسية اللازمة لتجفيف منابعها والانقضاض عليها من دون العودة الى الفتنة مجددا. لذلك فضل معاوية أن يضع المغيرة بن شعبة الثقفي على رأس الكوفة واليا عليها بالنظر للخصال الإدارية العالية التي كان يتمتع بها المغيرة ونظرا لخبرته في إدارة الكوفة التي كان واليا عليها زمن عمر بن الخطاب وتمرسه بشؤون الحكم وإدارة النزاعات، مع ما تعنيه هذه الولاية من اعتراف معاوية بالخدمات الجليلة التي قدمها له المغيرة ابان مراحل نزاعه الأخير مع علي.

¹ وكان حجر بن عدي جاهليا إسلاميا. قال وذكر بعض رواة العلم أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع أخيه هاني بن عدي. وشهد حجر القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذرى. وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص242.

اختار المغيرة بن شعبه في ادارته شؤون الكوفة أن يسير في أهلها سيرة الأناة والعفو وطول النفس وغض الطرف عن التحركات التي ظلت تقوم بها النواة الشيعية في جناباتها، وشتى مظاهر الاستياء والسخط والبرم بمعاوية وعماله وبعض السلوكات المستفزة التي تصدر عن افرادها؛ خاصة القيادات منهم؛ ما دامت لم ترتفع الى مستوى المجاهرة وإعلان العصيان العلني. إدراكا منه لضرورة استعمال التهذئة وامتصاص الغضب إذا أراد أن يستقر له المصر وتنضبط له الأمور ويستمر في ولايته، وقد كان يفضي الى المقربين منه برغبته في أن ينهي حياته طاهرا من الدماء. وقد أجاب من كان يجرضه ليقتل حجر بن عدي: إني قد قتلته، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيها بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة، إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، ولا أحب أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة، ولكني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئهم، وحامد حلیمهم، وواعظ سفيهم، حتى يفرق بيني وبينهم الموت، وسيدكرونني لو قد جربوا العمال بعدي قال أبو مخنف: سمعت عثمان بن عفبة الكندي، يقول: سمعت شيخا للحبي يذكر هذا الحديث يقول: قد والله جربناهم فوجدناه خيرهم، احمدهم للبريء، وأغفرهم للمسيء، وأقبلهم للعدر¹.

لذلك لم يجتهد في تتبع العناصر الشيعية النشطة وتقصي أسرارها، وان كان حريصا على ان تظل أخبارها متصله من طريق عماله وأدوات استخباراته². وفي هذا الجو من المرونة السياسية والحرية النسبية استمرت العناصر الشيعية تعبر عن غيظها ونقمتها بالتفافها حول من تبقى من القيادات التاريخية كحجر بن عدي، وبواسطة استعراضها رفض الاعتراف بالسلطة الأموية خاصة في الأماكن العامة ومواقع اجتماع الناس في الجمعات والأعياد والمناسبات. ويبدو أن صفة الخذلان التي صار يوصم بها الجناح الشيعي في الكوفة لها ما يبررها في الأحداث التي وقعت منذ موقعة النهروان اذ تحولت الى ما يشبه آلية تكرارية يتلخص عملها في قيام القاعدة الشيعية بشحن القيادات وتحريضها ودفعها الى اعلان ثورتها، وحين يتحقق لها ذلك تنكص على أعقابها تاركة قياداتها في وجه الموت؛ ومن ثمة يصير الشهداء الجدد مظلومية جديدة ووقودا لثورة موعودة تظل تفشل وتخبو ولا تتحقق. وهو ما صنع تاريخا كاملا من مقاتل الطالبين واشياعهم. كأن لعنة عدم التجانس التي عاناها علي في صفوفه استمرت لدى اتباعه بعده. وفيما يخص القوى اليمنية الكوفية فان الروايات لا تسعفنا في رسم صورة دقيقة مشبعة بالتفاصيل عن التحولات التي حدثت للقبائل اليمنية في الكوفة منذ خضوعها لسلطة

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص255.

² أورد الطبري رواية عن المحدث الكبير الشيعي قال: ما ولينا وال بعده مثله، وإن كان لاحقا بصالح من كان قبله من العمال. وأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرًا، وهو من أحسن شيء سيرة، وأشدّه حبا للعافية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقوع فيه والعيب لقتله عثمان، واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتزكية لأصحابه. الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص254.

معاوية ولا ندري على وجه اليقين ما الذي تغير وما الذي ظل ثابتا في ولائها لميراث علي، ومن الذي استبدل الولاء ومن بقي حاضرا له لأن الروايات تفضل أن تتكلم عن القيادات على وجه العموم ولا توردها الا في سياق عرضها للأحداث الكبيرة التي استمرت تقع في حياة الأمة الإسلامية، فتفرض علينا ان نستبدل اليقين بالتحمين ونحاول ترميم الفجوات بالاستفادة من الإشارات التي تأتي في تضاعيف الأخبار وثنايا سردها للوقائع. وفي جملتها ما وقع لحجر بن عدي مع زياد. وقد اجمع الاخباريون الذين نقلوا تفاصيل نشاط حجر بن عدي في الكوفة في عهد المغيرة ثم في عهد خلفه زياد على الإشارة الى جماعات وفئات شيعية شبه منظمة كانت تتحرك في السر وفي العلن أحيانا؛ كأنها تبحث عن من يلم شعنها ويقودها مجددا في مواجهة مع رموز السلطة الأموية؛ خاصة في ظل التهديد الذي كانت يمارسه الخوارج على الدولة الأموية وعلى المتخاذلين في البصرة والكوفة خصوصا. كأنهم كانوا يتلمسون في ثنايا الواقع من حولهم على إمكانية ما تتيح لهم استرجاع ما فقدوه. لذلك ما فتئت هذه الفئات تتردد على حجر بن عدي في بيته وفي أماكن أخرى تحت سمع المغيرة ثم زياد وتحت بصرهما. ويسجل الطبري في احدي رواياته عن تلك الفترة ما يلي: وأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا، وهو من أحسن شيء سيرة، وأشد حبا للعافية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقوف فيه والعيب لقتلة عثمان، واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتركية لأصحابه، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: بل إياكم فذم الله ولعن. ثم قام فقال: إن الله عز وجل يقول: «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله»، وأنا أشهد أن من تدمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون أولى بالذم فيقول المغيرة: يا حجر، لقد رمي بسهمك، إذ كنت أنا الوالي عليك، يا حجر ويحك. اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان أحيانا مما يهلك أمثالك كثيرا ثم يكف عنه ويصفح¹. كما أورد أيضا روايات أخرى تصف جملة من المواجهات التي ظلت تقع بين حجر والمغيرة تأتي كلها في سياق الاستفزاز الذي مضت الإدارة الأموية تمارسه على اهل الكوفة من على منبر مسجدها الجامع والمتمثل في الوقعة في علي والتفنن في سبه وشتمه والترحم على عثمان ولعن قاتليه والمعينين عليه، وكان اهل الكوفة من المتشعبة المحافظين على ولائهم لعلي يتلقون هذه الممارسات بكثير من السخط والرفض وكان على رأسهم حجر بن عدي فقام حجر بن عدي في مرة من المرات والمغيرة ماض في لعن علي: فنعرة بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجا منه، وقال: إنك لا تدري بمن تولع من هرمك أيها الإنسان، مر لنا بأرزاقنا وأعطيأتنا، فإنك قد حبستها عنا، وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعا بدم أمير المؤمنين، وتقريظ المجرمين قال: فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق والله حجر وبر، مر لنا بأرزاقنا وأعطيأتنا، فإننا لا ننتفع بقولك هذا، ولا

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص 254.

يجدي علينا شيئاً، وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه فنزل المغيرة، فدخل واستأذن عليه قومه، فأذن لهم، فقالوا: علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة، ويجترئ عليك في سلطانك هذه الجراءة. إنك تجمع على نفسك بهذا خصلتين: أما أولهما فتهمين سلطانك، وأما الأخرى فإن ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط له عليه¹.

لم يكن حجر في انكاره على المغيرة وعلى زياد من بعده ينطق بلسان نفسه وإنما كان لسانا ناطقا عن الصامتين الساخطين الذين استنكفوا ان يضطروا الى الاصغاء الى اذلالهم المتعمد كل جمعة، وفي الروايات الشحيحة ما يشير الى انه أخذ يطور موقفا متصلبا آخذا في التحول الى حركة عملية رغم أنها تبدو بدون أفق تاريخي². وقد راح يستقبل مختلف العناصر الساخطة التي تجد عنده فرصتها في التنفيس عن غيظها. خاصة في ظل سلوك الإدارة الأموية إزاء أرزاقهم؛ إذ انها كانت تتعمد تأخير اعطياتهم وحبسها أحيانا امعانا في قهرهم³. ويبدو أن نفوذه في الكوفة كان يتسع كلما تمدت الإدارة في سوء معاملتها للمناوئين لها، وقد جاء في الرسالة التي بعثها عمرو بن حريث نائب زياد على الكوفة الى واليه في البصرة يقول له فيها أنه لم يعد يملك مع حجر في الكوفة الا دار الامارة⁴. ويذهب بعض الباحثين الى أن مجتمع الكوفة في تلك الفترة كان قد تمايز الى ثلاثة قوى رئيسية تمثلت في: قوة السلطة التي تمثلها الإدارة المتكونة من الوالي واعوانه وقوة الأشراف والوجهاء ورؤساء الأرباع ومن في معانهم وقوة البقية ممن كان يأنس الى حجر وشجاعته في مواجهة السلطة⁵. كما يبدو

¹ المصدر نفسه، ج5، ص 254. 255.

² ترد لدى البلاذري رواية الحوار الذي دار بين حجر وعدي بن حاتم وقد كان يحاول ان يشبهه عن الاستمرار في مجاهدة زياد ونوابه وفيه أن حجر كانت تمتلكه قناعة ما بقدرته على هزيمة الأمويين وتمتعه بغنائمهم: فَقَالَ لَهُ عدي بَنُ حاتم: قد علمت يا أبا عبد الرحمن ما كان من كلام الأمير لك ومن ردك عليه ما رددت، وهذه عشيرتك، نسألك بالله والقراءة أن لا تفجعنا بنفسك، فهب لنا هذا الأمر، واكظم غيظك حتى يرى غيرك ما أنت عليه، فَقَالَ حجر: يا غلام اعلف البكر - لبكر كان في جانب داره - فَقَالَ عدي: أمجنون أنت؟ نكلمك وتقول هذا القول غير مكترث لكلامنا فَقَالَ: أما والله إني لأرجو أن أوقره من الغنائم غداً، قَالَ عدي: فنحن نوقره لك الآن فضة وذهباً، وتكف عن هذا الأمر. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص247.

³ فلما أراد زياد أن يشخص من الكوفة إلى البصرة دعا حجراً فَقَالَ له: إن غب البيغي والغي وخيم، وقد بلغني أنك تلقح الفتن، ولو صح ذلك عندي لم أبرح حتى أقتلك، فاتق الله في نفسك وأربع على ظلمك، فو الله لئن أفرغت من دمك قطرة لآتين على آخره، وقد أعذر من أنذر، وقد ناديتك وناجيتك، فَقَالَ حجر: أبلغت، دون هذا يكفيني أيها الأمير. وكان حجر وطائفة من أصحابه يجتمعون في المسجد بعد شخوص زياد، ويجمع الناس إليهم، فيذمون مُعاوية ويشتمونه، ويذكرون زياداً فينتقصونه ويجدون به حتى تعلو أصواتهم بذلك. البلاذري، المصدر نفسه، ج5، ص245.

⁴ فأتى عمرو بن حريث المسجد فصعد المنبر وقد اجتمع اليه رؤوس أهل المصر فَقَالَ: ما هذه الأصوات العالية، فوثب إليه عنق من أصحاب حجر، فضجوا وشتموا، ودنوا منه فحصبوه حتى دخل القصر، وكتب إلى زياد مع سنان بن حريث الضبي بخبر حجر وأصحابه، وأنه لا يملك من الكوفة معهم إلا دار الإمارة. البلاذري، المصدر نفسه، ج5، ص246.

⁵ تأمل النص التالي من انساب الأشراف: لما قدم زياد الكوفة بعث إلى حجر فَقَالَ: يا هذا كنا على ما علمت، وقد جاء أمر غير ذلك، أمسك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، فإياك أن تستزلك هذه السفلة أو تستفرك، إني لو استخففت بحقك هان علي أمرك، ولم أكلمك من كلامي هذا بحرف. فلما صار إلى منزله اجتمعت إليه الشيعة فقالوا: أنت شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر. البلاذري، المصدر نفسه، ج5، ص247. والمثير في هذا النص هو ربط زياد بين الفئات والعناصر التي كانت تجتمع عند حجر وبين نعت السفلة وهي كلمة تستعمل في وصف الفئات الاجتماعية المهمشة التي يكون مستواها في القاع الاجتماعي. وهذا ما يعزز فرضية القوى الاجتماعية الثلاث الواردة في المتن.

أن سياسة السلطة الأموية التي يديرها معاوية من مقره بالشام وينفذها ولاته في الكوفة وغيرها قد عملت على عقد أواصر المصلحة المتبادلة بينها وبين رؤساء القبائل ووجوه الناس والأعيان المتنفذين وأصحاب الكلمة في عشائرتهم بواسطة تقريبيهم من مجالس الحكم وشراء ذمهم بالعطايا والأموال التي تعزز من مواقعهم داخل قبائلهم فصنعت بذلك شبكة ولاء مهمة يجوز نعتها بالولاء المادي تستطيع ان تقف سياسيا في وجه شبكة الولاء الروحي. ولعل هذه السياسة هي التي قادت الى التمييز الاجتماعي الذي سبق ايراده، كما أفضت في بعض نتائجها غير المقصودة الى تقريب عامة الناس ممن لم تدركه منافع هذه السياسة. عاطفيا على الأقل. من رموز المعارضة والتي كان حجر بن عدي على رأسها. والنص التالي الذي ساقه الأصفهاني في كتابه يشير الى هذا الحراك: إنّ الشيعة تختلف إلى حجر، وتسمع منه، ولا أراه عند خروجك إلا نائرا، فدعاه زياد فحدّره ووعظه. وخرج إلى البصرة، واستعمل عمرو بن حريث، فجعلت الشيعة تختلف إلى حجر، ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة، حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه، وتطيف بهم النظارة، ثم يمتلى المسجد، ثم كثروا، وكثر لغطهم، وارتفعت أصواتهم بدمّ معاوية وشتمه ونقص زياد¹. في حين تقدر روايات أخرى نسبة من آزر حجر في اعتراضه على المغيرة في الجامع بأنهم كانوا ثلثي الحاضرين، وهي إشارة الى تنامي عدد من كان يتعاطف مع حجر.

ان قراءة معمقة للنصوص تجعلنا نفكر في المضمون السوسولوجي لكلمة الشيعة التي تتكرر في المصادر في هذه الفترة؛ اذ يبدو أن التشيع العقدي لم يتبلور بعد وأن الحركة الشيعية ما زالت حركة سياسية تشكل من القبائل والعناصر التي آزرت عليا وقاتلت الى جانبه والتي تعرضت الى الاستهداف من طرف معاوية واعوانه بغرض تشتيتها وفك وحدتها بمختلف وسائل الترغيب والتهديد، ومن خلال إعادة تشكيل المجتمع القبلي الكوفي بتحويله من نظام الأسباع الذي صممه علي الى نظام الأرباع الذي فرضه زياد. لكن قوة الأشراف والوجهاء التي فقدتها الحركة بسبب رضوخهم للأمر الواقع واستسلامهم للاستراتيجية الأموية؛ استطاعت تعويضها من جهة الفئات المهمشة والعناصر المهضومة. وبالتالي فقد تعرضت الكتلة الشيعية الى تغيير متدرج في محتوياتها السوسولوجية والى تعديل مستمر في عصبيتها وقاعدتها البشرية، ولعل فئة الموالي التي سيكون لها دور أساسي في حركة المختار الثقفي القادمة تجذور انتسابها للمطالب الشيعية في هذه الفترة؛ الأمر الذي يجعلنا نفكر في التحولات التي أخذت تطرأ على أغراض الحركة الشيعية وأهدافها ومراميتها، وعلى الوظيفة السياسية التي كانت تؤديها في تلك الفترة. فخلف مظاهر الولاء لعلي والوفاء لسيرته ومسيرته والإصرار على المحافظة على ذكره وعلى أحقيته في الامامة كانت تتشكل برامج مطلبية اجتماعية تصوغها تلك الفئات المحرومة طالبة

¹ أبو فرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص91.

الحق والعدل والمساواة، من هنا فقد أخذت القضية الشيعية تتأسس في الحقيقة لا على الحق التاريخي الذي أصبح من الماضي فقط وإنما راحت تتغذى من مظلوميات جديدة وتتجدد دماؤها بقوى اجتماعية حديثة. والواقع أننا نستطيع في هذه المرحلة من التاريخ ان نفترض أن الإدارة الأموية نجحت الى حد ما في تشتيت الكتلة الشيعية من خلال عزل كثير من القيادات القبلية عن الصف وتحويلها الى أدوات في خدمة المشروع الأموي رافعة بذلك سقف الولاءات والعلاقات من مستوى القبيلة الى مستوى المصالح الفئوية، ونقل الارتباط الوجداني الروحي والوفاء للتاريخ القريب الى ارتباط من نوع آخر قوامه المصلحة المتبادلة. وقد كان زياد والي البصرة والكوفة ذاته نموذجا واضحا لهذه التحولات¹.

والواقع ان معاوية في ظل الظروف التي استلم فيها السلطة على الأمة الاسلامية عمل على صياغة دولته من حيث هي دولة متأسسة على سلطة مدعومة بعصبية معينة تسجها أدوات الولاء والحلف والاصطناع وتكفي في ديمومتها على شبكة من العلاقات ذات المصالح المتبادلة². ولذلك فان فئات كثيرة ومتنوعة من الرعية أخذت تتمثل هذا التحول وتستبطنه وتعيد انتاجه فيما فضلت فئات أخرى لم تستطع هضم الذي يجري او لم تجد لها مكانا في ظل ان تصطف في جهة المعارضة وان تمارس فعل الاحتجاج بأدوات مختلفة ومن داخل تنظيمات متباينة، وان كانت المعارضة الحقيقية في هذه المرحلة قد تحملها الخوارج والشيعية. لكنه خروج او تشيع من حيث هما إطار أيديولوجي يكاد تنحصر وظيفته في فعل الجمع واللم والاستيعاب على قاعدة الاستياء والسخط الانفعاليين من دون تعمق نظري لأن تكوينه الفكري لا يزال بسيطا ولم يتطعم بعد بالقضايا والتصورات التي ستتشكل فيما بعد.

انبثقت حركة حجر بن عدي في ظل هذه التغيرات بوصفه شخصية تاريخية قائمة تتغذى أهميته من الإنجازات التي حققها في مرحلة الفتوحات والأدوار التي لعبها تحت راية علي بإخلاص وتفاني لم يتزعزعا قط، كما تتغذى من موقعه الاجتماعي القيادي في قبيلة كندة اليمانية فهو بهذا يعد من الأشراف لكنه الشرف الذي لم يرغب في الاستفادة منه في ظل الوضع الجديد وفاء للمسيرة الماضية وإخلاصا للقضية العلوية. والأخبار المتناثرة في المصادر لا تعرض لنا حجر في صورة الثائر الذي يظهر نفسه للناس ويطلب دعمهم في سبيل قضية يؤمن بها بقدر ما تحاول ان تلمح الى وصفه بشيء

¹ لخص أبو فرج الأصبهاني في نضاه ما أوردته في المتن عندما عرض للحوار الذي دار بين زياد وحجر: ثم هلك المغيرة سنة خمسين، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد، فدخلها، ووجه إلى حجر فجاهه، وكان له قبل ذلك صديقا، فقال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك؛ وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبدا، أرأيت ما كنت تعرفني به من حب عليّ وودّه، فإنّ الله قد سلخه من صدري فصيرَه بغضا وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإنّ الله قد سلخه من صدري وحوّله حبا ومودة وإني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غدوة، وحاجة عشية، إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يمينا وشمالا تهلك نفسك وتشط عندي دمك، إني لأحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة، اللهم أشهد. فقال حجر: لن يرى الأمير مني إلا ما يحب، وقد نصح، وأنا قابل نصيحتك. أبو فرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص91.

² ابن إبراهيم، المرجع السابق، ص338. 339.

من السلبية والخفة والطيش نجدها مضمرة داخل السرد، حيث يبدو كرجل موتور ساخط من بقايا العهد الماضي انسحب كل شيء من تحت أرجله في لحظة غياب علي وتنازل الحسن وصرورة الأمور لمعاوية وعصبته. عاجزا عن تقبل نهاية التطلعات التي حلم به: لم يزل حجر بن عدي منكرًا على الحسن بن علي بن أبي طالب صلحه لمُعَاوِيَةَ، فكان يعذله على ذلك ويقول: تركت القتال ومعك أربعون ألفًا ذوو نيات وبصائر في قتال عدوك. ثم كان بعد ذلك يذكر مُعَاوِيَةَ فيعيبه ويظلمه، فكان هذا هجيره وعادته¹. ينفس عن غيظه بفورات غضب يلقيها على المغيرة الوالي بشجاعة من لم يعد يجد شيئًا يخسره ويجد تعاطفا من المحرومين والمفضولين. وبالتالي فان توحى بفكرة أن صنيعه ذاك كانت تقوده الانفعالات وردود الأفعال أكثر مما هو نتاج عمل منظم وأهداف محكمة، وهي ذاتها الحالة التي ستبقى تميز الفصيل الشيعي الى غاية ظهور حركة المختار الثقفي التي ستعرف مستوى من التنظيم والتدبير جديدين. لم يكن حجر يقف في الجامع يخطب في الناس طالبا عونهم لأجل الثورة على الحكم الأموي وانما كانت العناصر الحانقة والفئات الغاضبة هي التي تأوي اليه وتجتمع عنده، فالفعل التاريخي هنا يحسب لها وينسب اليها أكثر مما ينسب اليه². وليس أدل على هذا الرأي من اجماع المصادر التي تحدثت عن لقائه بزياد على انه كان يؤكد بصوت جهير على التزامه البيعة لمعاوية وان امسكه بهذه التهمة هو فعل باطل³. وبذلك نستطيع أن نستشف من خلال استقراء القضية برمتها وبواسطة الجمع بين الروايات أن دوافع السلطة الأموية في معالجة قضية حجر ومن معه معالجة عنيفة كانت دوافع سياسية محضة أكثر مما هي تطبيقا لأحكام قانونية شرعية. وهي بادرة جديدة من البوادر التي أخذت تتكاثر بحكم التحول الذي اشترت اليه أنفا في بنية السلطة وتركيباتها ومصادر شرعيتها؛ دولة الملك العضوض حيث السياسة هي ما يدير الأمور لا الحق⁴. ولهذا السبب وجدت

¹ البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج5، ص243. ويضيف البلاذري رواية أخرى عن رفض حجر للصلح جاء فيها: وَكَانَ حَجْرُ بْنُ عَدِيِّ أَوَّلَ مَنْ يَذَمُ الْحَسْنَ عَلَى الصَّلْحِ وَقَالَ لَهُ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنَ الْكُوفَةِ: خَرَجْنَا مِنَ الْعَدْلِ وَدَخَلْنَا فِي الْجَوْرِ، وَتَرَكْنَا الْحَقَّ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ وَدَخَلْنَا فِي الْبَاطِلِ الَّذِي كُنَّا نَذَمُهُ. وَأَعْطَيْنَا الدِّينَةَ وَرَضِينَا بِالْحَسْبِيسَةِ، وَطَلَبَ الْقَوْمُ أَمْرًا وَطَلَبْنَا أَمْرًا، فَرَجَعُوا بِمَا أَحْبَبُوا مَسْرُورِينَ، وَرَجَعْنَا بِمَا كَرِهْنَا رَاغِمِينَ .. وَأَتَى الْحَسِينَ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ شَرِيتُمُ الْعِزَّ بِالذَّلِّ. وَقَبِلْتُمُ الْقَلِيلَ بِتَرْكِ الْكَثِيرِ. أَطْعَمَنِي الْيَوْمَ وَأَعْصَنِي سَائِرَ الدَّهْرِ دَعَا رَأَى الْحَسْنَ وَاجْمَعَ شَيْعَتَكَ ثُمَّ ادَّعَى قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَعْتَهُ فِي الرِّجَالِ، وَأَخْرَجَ أَنَا فِي الْخَيْلِ فَلَا يَشْعُرُ ابْنُ هِنْدٍ إِلَّا وَنَحْنُ مَعَهُ فِي عَسْكَرِهِ فَنَضَارِبُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، فَانْهَمَّ الْآنَ غَاثُونَ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّا قَدْ بَايَعْنَا وَنَحْنُ لَيْسَ إِلَيْنَا مَا ذَكَرْتَ سَبِيلًا. البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج3، ص151. وجاء لدى ابن ابي حديد الرواية التالية: التفت حجر بن عدي إلى الحسن فقال لوددت أنك كنت مت قبل هذا اليوم ولم يكن ما كان إنا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا فتغير وجه الحسن وغمز الحسين ع حجرا فسكت فقال الحسن ع يا حجر ليس كل الناس يحب ما تحب ولا رأيهم كرايتك وما فعلت إلا إبقاء عليك والله كل يوم في شأن. ابن ابي حديد، المصدر السابق ج16، ص15.

² وكان زياد يدينه ويكرمه، والشيعية في ذلك تختلف إليه وتسمع منه. البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج5، ص245.

³ ما خلعت يدا عن طاعة، ولا فارقت جماعة، وإني لعلى بيعتي. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ص17، ص96.

⁴ قال سعيد بن المسيب أن معاوية أول من غير قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من خطب قاعداً لأنه كان يظنناً بادناً وأول من قدم الخطبة على الصلاة تخشي أن يتفرق الناس عنه قبل أن يقول ما بدا له وأول من نصب المخراب في المسجد، وتوفي وله من الأموال التي استصفاها من مال كسرى وقبض خمسون ألف ألف درهم. ابن المطهر المقدسي، المصدر السابق، ج6، ص5.

قضيته تعاطفا في أرجاء الدولة الإسلامية وسببت عتابا شديدا لمعاوية من شخصيات كثيرة لها هيبتها. بل تذهب بعض الروايات الى أن معاوية نفسه لم يكن راضيا عن الطريقة التي أدار بها هذه القضية¹. لأن التوصيف المناسب للتهمة التي الصقت بنشاط حجر ومن معه هو الشغب وعدم الانضباط أكثر مما هو خلع للطاعة ونكث للبيعة؛ وبالتالي فان العقوبة ما كان لها أن تصل الى حد القتل². كان حجر اول رجل يقتل صبورا في تاريخ الإسلام من دون محاكمة تمكنه من الدفاع عن نفسه وايصال صوته وكان رأس صاحبه عمرو بن الحمق الخزاعي الذي قاسمه السخط على بني امية هو اول رأس مسلم يقطع ويحمل الى دمشق قصبه السلطان في صورة استعراضية تقول الكثير عن الطبيعة الجديدة للسلطة وطريقة الحكم والإدارة والتدبير. وعن المعنى العميق لتحويلها من دولة الخلافة الرشيدة الى دولة الملك. والتحول المستجد في طبيعة الدولة ذاتها كمؤسسة كبرى غدت كيانا معنويا له حقوقه واستحقاقاته على الرعية التي ينتظر منها أن تخدم الدولة وتمنحها الولاء المطلق كما كان الأفراد يخدمون القبيلة من حيث هي كائن معنوي يعبر عن جميع افرادها. صارت الدولة الأموية قبيلة كبرى تتوقع من رعيته ان يحضوها الولاء الخالص، ومصير من لا يكون في مستوى التطلعات ان يساس بما كانت تسوسه الزعامات القبلية العربية القديمة فيمن يصر على تمرده على سلطتها فتحرمه حمايتها وعزها وتلفظه ليوواجه مصيره الفردي في واقع قاسي³. وقد أثارت تفاصيل مقتله حمية كثير من الرجال ممن لم يستطيعوا أن يهضموا الأمر وجلهم خبروا مسلكية عمر الورعة وحساسيته البالغة فيما يخص حقوق الرعية وخبروا مرونة عثمان وتخرجه من الدماء. وبلغ بعضهم

¹ المَدَائِنِي قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى زِيَادٍ: أَنَّهُ قَدْ تَلَجَّحَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ حَجْرٍ، فَابْعَثْ إِلَيَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرَ لِي فَضْلٌ وَدِينٌ وَعِلْمٌ، فَأَشْخَصَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَأَوْصَاهُ أَنْ لَا يَقْبَحَ لَهُ رَأْيُهُ فِي أَمْرِ حَجْرٍ، وَتَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ إِنْ فَعَلَ، قَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى: فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ رَحْبُ بِي وَقَالَ: اخْلَعْ ثِيَابَ سَفْرِكَ وَالْبَسْ ثِيَابَ حَضْرِكَ، فَفَعَلْتُ وَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَتَلْتُ حَجْرًا، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَبْسَتَهُ وَأَصْحَابَهُ أَوْ فَرَقْتَهُمْ فِي كَوْرِ الشَّامِ فَكَفَّتْهُمْ الطَّوَاعِينَ، أَوْ مَنَنْتُ بِهِمْ عَلَى عَشَائِرِهِمْ. فَقُلْتُ: وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَا كَفَعَلْتُ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْخَالَ، فَوْضَلْتِي فَرَجَعْتُ وَمَا شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ لِقَاءِ زِيَادٍ.. وَقَالَتْ عَائِشَةُ لِمُعَاوِيَةَ، وَقَدْ حَجَّ فَدَخَلَ إِلَيْهَا: أَقْتَلْتِ حَجْرًا وَأَصْحَابَهُ. فَقَالَ: أَنَا قَتَلْتُهُمْ. إِنَّمَا قَتَلْتُهُمْ مِنْ شَهْدِ عَلِيٍّ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ: لَمَّا قَتَلَ مُعَاوِيَةَ حَجْرَ بْنَ عَدِيِّ قَالَ أَبِي: لَوْ رَأَى مُعَاوِيَةَ مَا كَانَ مِنْ حَجْرٍ يَوْمَ عَبْرَ فَنَطَرَةَ حُلْوَانَ لَعَرَفَ أَنَّ لَهُ غَنَاءً عَظِيمًا عَلَى الْإِسْلَامِ. وَرَوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ الرَّبِيعِ قَالَ: رَبُّ إِنْ حَجْرًا قَتَلَ صَبْرًا، فَإِنْ كُنْتُ مَغْبِرًا ذَلِكَ وَإِلَّا فَاقْبِضِي إِلَيْكَ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ. الْبَلَاذِرِيُّ، أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ، الْمَوْصِلِيُّ، ج 5، ص 267. 268. وَدَخَلَ مَالِكُ بْنُ هَبِيرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسَأْتُ فِي قَتْلِكَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، وَلَمْ يَكُونُوا أَحَدُثُوا مَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ الْقَتْلَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: قَدْ كُنْتُ هَمَمْتُ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّ كِتَابَ زِيَادٍ وَرَدَ عَلَيَّ يَلْمِي أُنْجَمَ رُؤَسَاءِ الْفِتْنَةِ، وَإِنِّي مَتَى قَتَلْتُهُمْ اجْتَنَنْتُ الْفِتْنَةَ مِنْ أَصْلِهَا. وَلَمَّا قَتَلَ حَجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَأَصْحَابَهُ اسْتَفْظَعَ أَهْلَ الْكُوفَةِ ذَلِكَ اسْتَفْظَاعًا شَدِيدًا. أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيُّ، الْمَوْصِلِيُّ، ج 3، ص 224. تَأْمَلْ أَمِيَّةُ أَنَّ يَصِفُ فِقِيهَ مُحَمَّدَ بْنَ شَامِيٍّ مُتَشَدِّدَ حَجْرٍ بِالشَّهَادَةِ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّهِيدِ. لَهُ صَحْبَةٌ وَوَفَادَةٌ. الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، الْمَوْصِلِيُّ، ج 3، ص 463.

² فَشَهِدُوا أَنَّ حَجْرًا جَمَعَ إِلَيْهِ الْجَمْعُ، وَأَظْهَرَ شَتْمَ الْخَلِيفَةِ، وَعَيْبَ زِيَادَ، وَأَظْهَرَ عَذْرَ أَبِي تَرَابٍ وَالتَّرَحُّمَ عَلَيْهِ، وَالبَرَاءَةَ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَهْلَ حَرَبِهِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ رُؤُوسُ أَصْحَابِهِ، وَعَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ. فَنَظَرَ زِيَادٌ فِي الشَّهَادَةِ فَقَالَ: مَا أَظُنُّ هَذِهِ شَهَادَةً قَاطِعَةً، وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الشُّهُودُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةٍ. فَكُتِبَ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا شَهِدَ عَلَيْهِ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى/لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، شَهِدَ أَنَّ حَجْرَ بْنَ عَدِيِّ خَلَعَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَلَعَنَ وَدَعَا إِلَى الْحَرْبِ وَالْفِتْنَةِ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الْجَمْعُ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَكْثِ الْبَيْعَةِ، وَخَلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ، وَكَفَرَ بِاللَّهِ كُفْرًا صُلْعَاءً». فَقَالَ زِيَادٌ: عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ فَاشْهَدُوا. الْأَصْبَهَانِيُّ، الْأَغْنِي، الْمَوْصِلِيُّ، ج 17، ص 98. وَقَدْ كَتَبَ شَرِيحُ بِنِ هَانِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَطْلُبُ مِنْهُ تَصْحِيحَ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَتَبَتْ بِاسْمِهِ قَالَ فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. لَعِبَدَ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ شَرِيحِ بِنِ هَانِيٍّ. أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ زِيَادًا كَتَبَ إِلَيْكَ بِشَهَادَتِي عَلَى حَجْرٍ، وَإِنْ شَهِدْتَنِي عَلَى حَجْرٍ أَنَّهُ مَنَّ بِقِيَمِ الصَّلَاةِ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، حَرَامَ الْمَالِ وَالْدَمِ، فَإِنْ شَتَّ فَاقْتُلْهُ، وَإِنْ شَتَّ فَدَعُهُ. الْأَصْبَهَانِيُّ، الْأَغْنِي، الْمَوْصِلِيُّ، ج 17، ص 100.

³ ابن إبراهيم، المرجع السابق، ص 339.

الغضب الى حد التفكير في الثورة، من ذلك ما رواه الحسن وكان مع الربيع بن زياد بناحية خراسان، قَالَ، قَالَ الربيع لما بلغه قتل حجر وأصحابه: ألا إن الفتنة قد كانت تكون ولم يكن قتل الصبر، وقد قتل حجر وأصحابه صبراً، فهل من نائر، هل من معين، هل من منكر؟ قَالَ ذلك مراراً، فلم يجبه أحد، فَقَالَ: أما إذ أبيتم فستبتلون بالقتل صبراً علي الظلم¹.

ب. انجياز اشراف الكوفة الى السلطة الأموية في تعاملها مع حجر واصحابه:

لقد أشارت التفاصيل القليلة التي أوردتها الأخبار في قضية حجر الى حدوث شروخ وتصدعات في البنيان الأيديولوجي اليمني؛ كأنما فضلت الزعامات اليمينية ان تنسى قضيتها او تتناساها وتطوي ذاكرتها النضالية الى جنب علي لتفتتح عهدا جديدا لا مكان فيه للعاطفة العلوية، وتدعن لصوت والي الكوفة سواء المغيرة او زياد ونوابه يسوقون مختلف انواع السباب واللعنات يصبونها على اسم علي ومن شايعه². وذلك من أجل يؤسسوا صلة ود مع الحكم الجديد وحد من الثقة تسمح لهم بالاستمرار في العيش الكريم تحت مظلة المؤاكلة الحسنة والمشاركة الجميلة. وقد وجدت مسوغها الذي يجنبها حرج العيب في تنازل الحسن عن حقه في الخلافة بمقتضى الاتفاق الذي وقع بينه وبين معاوية؛ فاذا كان صاحب الشأن قد وجد متسعا في النكوص عن مشروع والده ولم يستنكف عن التنازل عن القضية التي سقطت في خدمتها رؤوس مهمة كثيرة من اجل تخطي الفتنة ورأب الصدع؛ فانه من غير المتوقع ان تكون الزعامات القبلية أكثر منه ولاء؛ خاصة في ظل مسؤوليتها المباشرة عن مصائر عناصرها القبلية التي تمثلها وتستمد منها وجاهتها ونفوذها. لقد أقرت بجزئيتها التاريخية ولم يبق لديها من سبيل الا ان تغير لبوسها وتبدل مواقعها وتعديل في مواقفها وتطلعها بما يتناسب ومقتضيات الواقع

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص267. عن أبي نضرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر بن الخطاب فأعجبته هيئته ونحوه فشكا عمر طعاما غليظا أكله. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بطعام لين ومركب لين وملبس لين لأنت. فرفع عمر حريدة معه فضرب بها رأسه وقال: أما والله ما أراك أردت بما الله وما أردت بما إلا مقاربتني إن كنت لأحسب أن فيك وبحك هل تدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ قال: وما مثلك ومثلهم؟ قال: مثل قوم سافروا فدفنوا نفاقهم إلى رجل منهم. فقالوا له: أنفق علينا. فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: فكذلك مثلي ومثلهم. ثم قال عمر: إن لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم وليشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم ولكني استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم. فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي ليرفعها إلي حتى أقصه منه. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص212. 213. والربيع بن زياد الحارثي هو الربيع بن زياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الدَّيَّان بن عبد المَدَّان. من مذحج، ولي خراسان وفتح بعضها، وكان عمر رضي الله عنه يقول: دُلُوبِي على رجلٍ إذا كان وهو أمير فكأنه ليس بأمير، وإذا كان ليس بأمير فكأنه أميرٌ بعينه، من تواضعه. وكان خيرا وكانت له منزلة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أبو بكر بن دريد، الاشتقاق، المصدر السابق، ص399.

² لما اختار معاوية المغيرة لولاية الكوفة اوصاه قائلا: وَقَدْ أُرِدْتُ إِيْضَاءَكَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَأَنَا تَارِكُهَا اعْتِمَادًا عَلَى بَصْرِكَ بِمَا يَرْضِيَنِي وَيَسْعُدُ سُلْطَانِي، وَيَصْلِحُ بِهِ رِعْيَتِي، وَلَسْتُ تَارِكًا إِيْضَاءَكَ بِخَصْلَةٍ: لَا تَحْتَمُّ عَنْ شَمِّ عَلِيٍّ وَذِمَّةِ، وَالتَّحَرُّمِ عَلَى عُثْمَانَ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَالعَيْبِ عَلَى أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَالإِقْصَاءِ لَهُمْ، وَتَرْكِ الإِسْتِمَاعِ مِنْهُمْ، وَبِإِطْرَاءِ شِيعَةِ عُثْمَانَ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَالإِدْنَاءِ لَهُمْ وَالإِسْتِمَاعِ مِنْهُمْ. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص253. وقد جاءت عند الطبري في سياق خروج المستورد بن علفة الخارجي رواية تتضمن موقف المغيرة الحقيقي في قضية لعن علي، فقال محاورا صعصعة بن صوحان العبدي: إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عُثْمَانَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شَيْئًا من فضل علي علانية، فإنك لست بذاكر من فضل علي شَيْئًا أَجْهَلَهُ، بل أنا أعلم بِذَلِكَ، ولكن هَذَا السُّلْطَانُ قَدْ ظَهَرَ، وَقَدْ أَخَذْنَا بِإِظْهَارِ عِيْبِهِ لِلنَّاسِ، فنحن ندع كثيرا مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدا، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية، فإن كنت ذاكرة فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا به. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص189.

الجديد. ومن جهة أخرى عرف معاوية كيف يستميلها الى صفه عبر انتهاجه سياسة فتح الباب امام الراغبين في الانضمام الى عصبية الدولة بشرط اظهار الولاء المتضمن البراءة من علي والندم على مساندته؛ متجاوزا بذلك حزازات الماضي القريب ومستفيدا منها في ذات الوقت بوصفها أدوات ضبط وترويض عليها ان تتحمل امامه مسؤوليتها عما يجري في قبائلها¹.

وقد لخص زياد في قوله لحجر وهو ينصحه نصحا مخلوطا بوعيد: يا أبا عبد الرحمن إن الأمر الذي كنا فيه مع علي كان باطلاً، وإنما الأمر ما نحن فيه الآن، فقَالَ حجر: كلا والله يا أبا المغيرة، ولكن الدنيا استمالتك وأفسدتك، فالله المستعان². لخص جوهر لعبة الولاءات المتحولة التي كانت تقع بين السلطة الجديدة وبقايا رؤوس المعارضة على قاعدة مراعاة المستجدات الراهنة واعتبار الأمر الواقع. وفي هذا المنعطف من تاريخ الحركة الشيعية في الكوفة خصوصاً وفي قضية حجر بن عدي وأصحابه نتلمس بدايات الانشطار بين الطابع السياسي . الاجتماعي للتشيع وبين الطابع العقدي الروحي، وبداية تحول التشيع الى قضية دينية تتجاوز مسوغاتها التاريخية السياسية السابقة لتتأسس في بعد جديد هو بعد الدين والروح. والواقع ان سياسة البراءة من علي التي انتهجتها السلطة الأموية وحولتها الى سلوك ديني يمارس من على منبر الصلاة عجلت في انبثاق الروحية الشيعية، وعلقت النقاش حول أحقية علي بالخلافة من نقاش سياسي يستخدم بعض مفردات الدين الى نقاش ديني يتوسل أدوات السياسة؛ وهو انقلاب صميمي ومصيري في حركة التشيع بوجهيها الديني والسياسي. لقد كان مشروع علي الذي جذب اليه قبائل اليمن وربيعة في الكوفة والبصرة يتلخص في العدالة الاجتماعية وفق مبدأ التسوية؛ وهو ما يعني أن خطاب العدالة والمساواة الذي تظافر مع أهمية مناقب علي هو ما اغراهم بالانخراط في صفه والنضال معه³، ولما سقط مشروعه بتنازل الحسن وآلت السلطة الى معاوية عنى ذلك تاريخياً هزيمة لبرنامج التسوية وتمكيناً للقوى التي كانت ضد التسوية. وبالتالي تعين على كثير من القيادات ان ترضخ للأمر الواقع وان تتعلم كيف تتعامل معه وتستفيد من الإمكانيات التي يتيحها. اما حجر بن عدي ومن يشبهه كسليمان بن صرد

¹ منذ الأيام الأولى لحكم معاوية اظهر كثير من اشراف الكوفة الولاء والرغبة في خدمة السلطة الجديدة. وقد كان أثرهم مهما في التصدي لثورات الخوارج. من ذلك ما حدث في عهد المغيرة بن شعبة من مبادرة الخوارج بالثورة وتهديد المغيرة لأشراف الكوفة بسوء المعاملة إذا لم يتعاونوا معه: فقام إليهم معقل بن قيس الرياحي فقَالَ: أيها الأمير، هل سمى لك أحد من هؤلاء القوم؟ فإن كانوا سموا لك فأعلمنا من هم؟ فإن كانوا منا كفييناكهم، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة من أهل مصرنا، فأنتك كل قبيلة بسفهايتها .. أصلحك الله فإني أسير في قومي، وأكفبك ما هم فيه، فليكنك كل امرئ من الرؤساء قومه فنزل المغيرة بن شعبة، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم، ثم قال لهم: إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم، وقد قلت ما قد سمعتم، فليكني كل امرئ من الرؤساء قومه، والا فوالذي لا اله الا غيره لا تحولن عما كنتم تعرفون إلى ما تكفون، وعما تحبون إلى ما تكفون، فلا يلم لائم إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر فخرجت الرؤساء إلي عشائهم، فناشدوهم الله والإسلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة، أو يفارق جماعة. الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص184.

² البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج5، ص242.

³ وأعطى علي الناس بالسوية لم يفضل أحداً على أحد، وأعطى الموالي كما أعطى الصلبة، وقيل له في ذلك، فقال: قرأت ما بين الدفتين، فلم أجد لولد إسماعيل علي ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عودا من الأرض، فوضعه بين إصبعيه. اليعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص82. روى صاحب كتاب الغارات عن عطاء بن السائب قال: قال رجل لأبي عبد الرحمن السلمي أنشدك بالله إن سألتك لتخبرني قال نعم فلما أكد عليه قال بالله هل أبغضت عليا إلا يوم قسم المال في الكوفة فلم يصلك ولا أهل بيتك منه بشيء قال أما إذ أنشدتني بالله فلقد كان كذلك. ابن ابي حديد، المصدر السابق، ج4، ص100.

الخزاعي¹ و عبيد الله بن سبيع الهمداني والمسيب بن نجبة الفزاري² ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وعبد الله بن وال التيمي³ وعبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي وقيس ابن مسهر الصيدواوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحي⁴ وعمارة بن عبيد السلولي⁵ وسعد بن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مالك الطائي⁶ و عبد الله بن الحنظل الطائي ثم الحزمري وظيفان بن عمارة التيمي⁶ من بني سعد والمثنى بن مخزبه العبدي⁷ وعبيد الله بن عبد الله المري⁸ و هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي⁹ ومن أشرف الكوفة؛ شَبَثُ بْنُ رَبِيعِ بْنِ يَرْبُوعِ¹⁰ ومحمد بن عمير بن عطار بن حاجب التيمي وحجار بن أبجر العجلي¹¹ ويزيد بن الحرث بن يزيد بن رويم الشيباني¹² وعزرة بن قيس الأحمسي¹³ وعمرو بن الحجاج الزبيدي وغيرهم؛ فقد رفضوا الإذعان لإملاءات السلطة كما رفضوا الخضوع الى برنامجها

¹ الخزاعي: نسبة الى خزاعة هو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر؛ وإنما قيل لهم خزاعة؛ لأنهم اتخذوا من ولد عمرو بن عامر في إقبالهم من اليمن؛ وذلك أن بني مازن من الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد- نزل بنو مازن على ماء بين زيد ورمع يقال له غسان؛ فمن شرب منه فهو غساني؛ وأقبل بنو عمرو فاتخذوا من قومهم فنزلوا مكة؛ ثم أقبل أسلم ومالك وملكان بنو أقصى بن حارثة فاتخذوا؛ فسموا خزاعة، وافترق سائر الأزد، فالأنصار وخزاعة وبارق والهجن وغسان: كلها من الأزد، فجميعهم من عمرو بن عامر. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص331.

² الفزاري: نسبة فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص255. السمعاني، المصدر السابق، ج10، ص212.

³ التيمي: هذه النسبة الى قبائل اسمها تيم وهم تيم اللات بن ثعلبة، وتيم الرباب وهم من بني عبد مناة بن اذ بن طابخة، وتيم ربيعة، وتيم بن مرة، فأما تيم اللات يقال لهم تيم الله. السمعاني، المصدر السابق، ج3، ص121. لكن فيما يخص عبد الله بن وال يرد نص عند الطبري يؤكد على انه من بكر بن وائل. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص605.

⁴ هذه النسبة الى بني أرحب وهو بطن من همدان، وأرحب ومرهبة اخوان ابنا دعام بن مالك بن معاوية بن صعب ابن دومان بن بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان. السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص156.

⁵ تنسب سلول الى بني مرة بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. وبذلك فان نسبهم يعود الى مضر. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص305. 306. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص271.

⁶ التيمي: نسبة الى تيمم بن مرة بن اذ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. السمعاني، المصدر السابق، ج3، ص77.

⁷ العبدي: نسبة الى عبد قيس، وهذه النسبة الى عبد القيس في ربيعة بن نزار، وهو عبد القيس بن أقصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. السمعاني، المصدر نفسه، ج9، ص190.

⁸ المري: هذه النسبة الى جماعة ويطون من قبائل شتي، منهم: مر بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر، أبو تميم ومر بن حسين بن عمرو بن الغوث بن طيء وفي جهينة: مر بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة وفي همدان: مر بن الجابر بن عبد الله بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم وفي قضاة مر بن خشين بن النمر بن وبرة وفي همدان أيضا مر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة. السمعاني، المصدر نفسه، ج12، ص213.

⁹ الحنفي: هذه النسبة الى بني حنيفة، بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ينتهي نسبهم الى نزار. وهم قوم أكثرهم نزلوا اليمامة. السمعاني، المصدر السابق، ج4، ص288. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص309.

¹⁰ اليربوعي: نسبة الى بني يربوع وهو بطن من تميم. السمعاني، المصدر السابق، ج13، ص488.

¹¹ العجلي: هذه النسبة الى بني عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أقصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. السمعاني، المصدر نفسه، ج9، ص239.

¹² الشيباني: نسبة الى شيبان، وهي قبيلة معروفة في بكر بن وائل، وهو شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان. السمعاني، المصدر نفسه، ج8، ص198.

¹³ الأحمسي: نسبة حدث فيها خلاف بين النسابة، منهم من ينسبها الى أحمس وهي طائفة من بجيلة نزلوا الكوفة، في حين يذهب آخرون الى نسبتهم الى أحمس ضبيعة بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان. السمعاني، المصدر نفسه، ج1، ص125.

الترويض وفضلوا ان يحتفظوا بمسافة الأمان الروحي بينهم وبينها. تحول موقفهم من السلطة الى مسألة دينية لا تناقش وفقا للحسابات السياسية والاعتبارات المادية الدنيوية وانما قاعدة نقاشها تتحدد في الإسلام ذاته؛ وهي الرؤيا التي حملها جواب حجر لزياد: كلا والله يا أبا المغيرة، ولكن الدنيا استمالتك وأفسدتك، فالله المستعان. بذلك فانهم اعتبروا نضالهم الى جنب علي جهادا لا يليق بهم التبرؤ منه والتنصل من تبعاته ولم يستسيغوا الصبر على الاذلال المتعمد الذي كانت السلطة الأموية ماضية فيه.

لقد كان موقف أشرف الكوفة من قضية حجر في عامته موقفا متحاذلا لا يكاد يبدي مقاومة ولا استنكارا، ولا نكون مبالغين اذا قرأنا فيه نوعا من التواطؤ والاستكانة المريبة؛ الأمر الذي يجعلنا نفكر في ان لفيفا من الأشراف والزعامات القبلية ربما صارت تجد في إصرار حجر ومن معه على الوفاء للماضي النضالي مع علي ورفضهم التنكر لذاكرتهم عقبية في وجه التصالح مع السلطة الجديدة ومشاركتها ثمرات الحكم، وأنه لا مناص من المباشرة في كس الماضي بواسطة ابعاد مخلفاته؛ ولم يكن حجرا وصحبه سوى تلك المخلفات التي تعمل على ديمومة الماضي وترسيخ الإشكال. وكأنهم كانوا يترقبون فرصة مناسبة تحملهم الى بساط المصالحة مع السلطة الأموية، ينتهزونها لإبداء التعاون وتأكيد الولاء. لقد كان في استطاعتهم ان يخلصوا رقبة حجر ومن معه من حد السيف لو بذلوا جهدا كافيا ومارسوا ضغطا على زياد ومعاوية لكنهم بدلا من ذلك فضلوا ان يعالجوا القضية بطريقة تجنبهم حرج المواجهة مع السلطة وتحفظ لهم حدا من ماء الوجه لدى اتباعهم وتزحج من طريقهم الصوت الذي لا يبي يذكرهم بذلم وجبنهم ونكوصهم. وإذا كان حجر قد واجه الحسن بن علي بأحد عبارات اللوم والتقريع تعبيراً عن رفضه للصلح؛ فلا بد أنه كان يلقي أضعافها على مسامعهم فيستجيش غيظهم وحنقهم².

ان المواقف التي صدرت عن عدي بن حاتم الطائي بوصفه زعيما لقبيلة طيء ورأسا من الرؤوس اليمينية وأحد اهم أشراف الكوفة ووجهائها تلخص في ارتباكها واضطرابها طبيعة وضع هذه الفئة. جاء لدى البلاذري أن زيادا لما تلقى رسالة نائبه عن الكوفة عمرو بن الحرث بشأن حجر وجماعته: أغذ السير حتى قدم الكوفة، فبعث إلى عدي بن حاتم الطائي وجرير بن عبد الله البجلي وخليفة بن عبد الله الجعفي³ وعمرو بن الحجاج الزبيدي¹ وهانئ بن عروة المرادي

¹ الزبيدي: نسبة الى زياد وهي قبيلة قديمة من مذحج أصلهم من اليمن نزلوا الكوفة. وزبيد اسمه منه بن صعب، وهو زياد الأكبر، وإليه ترجع قبائل زيد. السمعاني، المصدر نفسه، ج6، ص263.

² وكتب الى زياد يخبره بما صنع حجر واصحابه، فركب زياد البريد حتى واثى الكوفة، ودخل المسجد، واخرج له سريره من القصر، فجلس عليه، فكان أول من دخل عليه من اشراف الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس، فسلم عليه بالإمرة. فقال زياد: لا سلم الله عليك، انطلق فاتني باين عمك الساعة. قال محمد بن الأشعث: ما لي ولحجر، إنك لتعلم التباعد بيننا. أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص223. ولعل التباعد المذكور صادر عن الاختلاف في الموقف من السلطة الأموية.

³ يتنسب عبد الله بن خليفة الجعفي الى قبيلة جعفي بن سعد العثيرة من مذحج اليمينية. ومن اللافت أن ننتبه الى أن عائشة بنت خليفة بن عبد الله كانت زوجة للحسين وترد عند الطبري في احداث ثورة المختار الثقفي: أما فرات بن زحر بن قيس فإنه لما قتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية- وكانت امرأة الحسين بن علي- إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن

وثابت بن قيس النخعي² وخالد بن عرفطة العذري³ فقَالَ: ائتوا هذا الشيخ المفتون فإني خائف أن يحملنا من أمره على ما ليس من شأننا، فأتوه، فقَالَ له عدي بن حاتم: قد علمت يا أبا عبد الرحمن ما كان من كلام الأمير لك ومن ردك عليه ما رددت، وهذه عشيرتك، نسألك بالله والقرباة أن لا تفجعنا بنفسك، فهب لنا هذا الأمر، واكظم غيظك حتى يرى غيرك ما أنت عليه، فقَالَ حجر: فقال حجر: يا غلام اعلف البكر- لبكر كان في جانب داره- فقال عدي: أجنون أنت. نكلمك وتقول هذا القول غير مكترث لكلامنا. فقال: أما والله إني لأرجو أن أوقره من الغنائم غدا، قال عدي: فنحن نوقره لك الآن فضة وذهبا، وتكف عن هذا الأمر، فقال حجر: لك أول ما سمعت، فقال عدي: ما ظننت أن الضعف بلغ بحجر ما أرى، وكلمه القوم فلم يكلم منهم أحدا، فأتوا زيادا فقال: مهيم، قال عدي: أيها الأمير استذمه فإن له سنا، فقال: لست لأبي سفیان إذا، ثم أرسل إليه الشرط فقتلوا⁴. وفي رواية أخرى للبلاذري: أرسل زياد حين قوتل أصحابه إلى عدي بن حاتم وخريم بن أوس بن حارثة بن لام⁵ وسعيد بن قيس الهمداني⁶ وهانئ بن عروة المرادي وزياد بن النضر الحارثي⁷ وشريح بن هانئ⁸ وكثير بن شهاب الحارثي⁹ ووائل بن حجر الحضرمي¹⁰ وثابت بن قيس

تواري جسده، ففعل، فدفتته. الطبري، المصدر السابق، ج6 ص52. راجع ابن الكلبي، نسب معد واليمن، المصدر السابق، ج1، ص306. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص308.

¹ أصله يمني، سيلعب دورا هاما في مقتل الحسين حيث كان مسؤولا عن منعه الماء. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص181. وقيل مقتل الحسين تحمل بعض الروايات عمرو بن الحجاج مسؤولية مقتل هانئ بن عروة المرادي بسبب استضافته مسلم بن عقيل مبعوث الحسين الى الكوفة. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص348.

² يرد اسم ثابت بن قيس النخعي مع الجماعة التي خالفت والي الكوفة سعيد بن العاص: فسر سعيد الأشتر ومن كان وثب مع الأشتر ولهم: زهد وضعفة انا صوحان وعائد بن حملة الطهوي من بني تميم وكميل بن زياد النخعي وحند بن زهير الأزدي والحارث بن عبد الله الأعرابي الهمداني من بني حوث بن سيع بن صعبة إبرة السبيع بن سيع بن صعبة ويزيد بن المكلف النخعي وثابت بن قيس بن المقفع بن العارث النخعي وأصر بن قيس بن الحارث بن وقاص الحارثي من بني المغل. البلاذري، انساب

الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص529. 530.

³ خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان بن صيفي بن الهيلة بن عبد الله بن غيلان بن أسلم بن حراز، وهو حليف لبني زهرة؛ كان سعد بن أبي وقاص قد ولّاه أمر الناس يوم القادسية. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج2، ص719. كان أيام زياد على ريع تميم وهدان بالكوفة. ويروي الأصبهاني عنه خبرا: بينما علي على المنبر، إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات. إذ دخل رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات. إذ دخل رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب هذا المسجد، يعني باب الفيل براءة ضلالة يحملها له حبيب بن عمار، قال فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن عمار وأنا لك شيعه. قال: فإنه كما أقول. فقَدّم خالد بن عرفطة على مقدّمة معاوية يحمل رايته حبيب بن عمار. أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص77. 78.

⁴ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص247. 248.

⁵ ينتسب الى قبيلة طيء، أسلم بعيد غزوة تبوك. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج3، ص371.

⁶ كان من اتباع علي وأحد قاده الملعودين وشهد معه معاركه. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص79.

⁷ قاتل في صف علي وكان في معركة الجمل على رأس مذبح والأشعريين. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص235.

⁸ شريح بن هانئ بن يزيد بن كعب الحارثي من اليمن الكوفي. البخاري، التاريخ الكبير، المصدر السابق، ج4، ص228. حضر المشاهد مع علي وكان من قاده وكان أحد شهود التحكيم. أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص197.

⁹ شارك في القادسية. يرد ذكره في حوادث مقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وكان ممن خذل عنه الناس. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص178. استعمله المغيرة بن شعبه على الري فكان مسرفا في سب علي وأقره عليها زياد. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص13.

¹⁰ أبو هنيذة وائل بن حجر الحضرمي الكندي، كان ملكا عظيما محضوم، بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فترك ملكه وتحض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشر النبي صلى الله عليه وسلم بقدمه الناس قبل أن يقدم بثلاثة أيام، فلما قدم قرب مجلسه وأداناه ثم قال: هذا وائل ابن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت طائعا غير مكره راغبا في الله وفي رسوله وفي دينه بقية أبناء الملوك، اللهم بارك في وائل وفي ولده. ثم أقطع أرضا. وله قصة مع معاوية رضى الله عنهما، وعاش إلى إمارة معاوية حتى قدم عليه ومات في إمارته. كان عثمانيا

النخعي وجماعة غيرهم من وجوه اليمانية فَقَالَ: هذا عَنْ مَلَأْ مِنْكُمْ، فقالوا: معاذ الله، قَالَ: فاكفوني بوائقكم، فخرجوا فخوفوا أصحاب حجر وأعلموهم أنه لا ينصرهم أحد فتفرقوا، وأرسل زياد إلى كندة يتهددهم إن لم يسلموا حجرًا¹.
تفصح الروايان عن حالة الاستكانة التي بلغتها فئة الأشراف في خضوعها لإرادة السلطة الأموية خاصة في ظل وطأة زياد الشديدة، ورغبتها في تبرئة ساحتها من أي عمل قد يشم منه رائحة التآمر. وبقية الوقائع التي أدت الى تطويق هذه الحركة والقبض على رجالها مشبعة بكل هذه المعاني؛ فقد راح زياد يخطب فيهم متوعدًا: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَتَشْجُونَ بِيَدٍ وَتَأْسُونَ بِأُخْرَى، أَبْدَانَكُمْ مَعِيَ وَأَهْوَاؤَكُمْ مَعَ حَجْرٍ، هَذَا الْمَهْجَاهُ الْأَحْمَقُ الْمَذْبُوبُ، أَنْتُمْ مَعِيَ وَإِخْوَانَكُمْ وَأَبْنَاؤَكُمْ وَعَشَائِرَكُمْ مَعَ حَجْرٍ، هَذَا وَاللَّهِ مِنْ دَحْسِكُمْ وَغَشِكُمْ وَاللَّهِ لَتُظْهِرَنِي لِي بِرَاءَتِكُمْ أَوْ لَا تَبْرَأْتُمْ بِمَنْ أُوْدِكُمْ وَصَعْرَكُمْ فَوَثِبُوا إِلَى زِيَادٍ، فَقَالُوا: معاذ الله سُبْحَانَهُ ان يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننا أن فيه رضاك، وما يستبين به طاعتنا وخلافنا لحجر فمرنا به، قَالَ: فليقم كل امرئ مِنْكُمْ إِلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ حَوْلَ حَجْرٍ فليدع كل رجل مِنْكُمْ أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حَتَّى تَقِيمُوا عَنْهُ كُلٌّ مِنْكُمْ أَنْ تَقِيمُوا ففعلوا ذَلِكَ، فَأَقَامُوا جُلًّا مِنْ كَانٍ مَعَ حَجْرٍ بِنِ عَدِي². ويبدو أن الرعب الذي قصد زياد ان يبعثه في أهل الكوفة ويكسر به حدتهم قد آتى أكله؛ اذ تغلغت هيئته وحضوره السلطوي الكثيف داخل الفئات البعيدة عن دوائر السلطة وشاع فيها الخوف والحذر، وفل حتى من قوة التضامن القبلي الذي هو أميز ما يميز الحياة القبلية؛ فقد خرج قيس بن فهدان الكندي لما اشتد الطلب على حجر وبانت نية زياد في قتله على حمار له يسير في مجالس كندة ويقول:

يَا قَوْمَ حَجْرٍ دَافِعُوا وَصَاوَلُوا وَعَنْ أُخْيَكُم سَاعَةَ فَقَاتَلُوا
لَا يَلْفِيَا مِنْكُمْ لِحَجْرٍ خَاذِلٍ أَلَيْسَ فَيْكُمْ رَامِحٌ وَنَابِلٌ
وَفَارِسٌ مُسْتَلْتَمٌ وَرَاجِلٌ وَضَارِبٌ بِالسَيْفِ لَا يَزِيلُ
فَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ كَنْدَةَ كَثِيرٌ أَحَدٌ³.

لقد أدار زياد الأزمة بطريقة حازمة نفهم منها عزمه على ان يرسخ عرفا سلطويا يريد له أن يكون تقليدا تسير على منواله الأمور لتنضبط له الرعية ويستتب له الأمر، وقصد أن يستعرض عنف السلطة وقدرتها على ردع كل من تسول له نفسه زعزعة أركانها كائنا من يكون. كما يبدو أنه تقصد أن يأخذ الجميع بجريرة رجل واحد، ويجعل من أمن الكوفة

فاستأذن غلبًا في إتيان اليمن ليصلح له ما هناك، ثم تعجل الرجوع فأذن له في ذلك فذهب فمالاً بسراً وأعانه على شيعة علي. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص458. السمعاني، المصدر السابق، ج4، ص180. وكان ممن أقطعه عثمان قطائع. البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص269.

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص250.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص257. 258.

³ المصدر نفسه، ج5، ص260.

وطاعتها مسؤولية جميع قاطنيها؛ محولا بذلك القبائل من اشرافها الى سوقتها أدوات أمنية في خدمة الدولة¹. فقال وهو على المنبر ليقم همدان وتميم وهوازن وأبناء أعصر ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة، فليمضوا من ثم الى حجر فليأتوني به. ثم إنه كره أن يسير طائفة من مضر مع طائفة من أهل اليمن فيقع بينهم شغب واختلاف، وتفسد ما بينهم الحمية، فقال: لتقم تميم وهوازن وأبناء أعصر وأسد وغطفان، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة، ثم لينهضوا إلى حجر فليأتوني به². في هذا المنعطف من الأزمة فضل ان يستثنى كندة قبيلة حجر من هذا الأمر درء لتعقيدات الموقف ومراعاة لحساسيته. لكننا نفهم من رغبته في اشراك القبائل في عملية القبض على حجر غرضا سياسيا يرمي به الى تكريس حالة من توازن الضغط بين القبائل وبين السلطة؛ بحيث تنشغل القبائل بعضها ببعض وتتحول من تركيز مسؤولية الحياة ومشكلاتها على السلطة الى توزيعها على الجميع. ربما لهذا الغرض عاد وطلب من سائر أهل اليمن ان يسيروا حتى ينزلوا جبانة الصائدين ويأتوه بحجر؛ فخرجت الأزدي وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة وقضاعة، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليمن لمكانهم من كندة، وذلك أن دعوة حضرموت مع كندة، فكرهوا الخروج في طلب حجر³. فبلغ ذلك زيادا، فأثنى على مذحج وهمدان ودم سائر أهل اليمن⁴. اما ما تبقى من تفاصيل مطاردة حجر وملاحقة أتباعه فقد حفلت بإشارات كثيرة الى مقاومة محتشمة من طرف بعض العناصر اليمنية لقرار السلطة تجلّت في محاولة حماية حجر ومن معه وتقديم يد العون لهم من خلال تهيئة ظروف الاختفاء والفرار منتقلا من دور بني حرب الى دور بني العنبر ثم الى دور بني ذهل ومن ثمة قصد النخع ثم خرج من عندهم الى الأزدي. وهناك قرر تسليم نفسه الى زياد حتى يعفي الأزدية من مغبة حمايتهم له على شرط تأمينه حتى يصل الى معاوية فيرى فيه رأيه فخرج ابن الأشعث إلى حجر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخي الأشتر، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلموه وطلبوا إليه أن يؤمنه حتى يبعث به إلى

¹ لقد سبق المغيرة بن شعبة والي الكوفة السابق زياد في انتهاج هذه الخطة فقد خطب في أهل الكوفة لما جاءه الخبر بتجهز الخوارج للنورة: فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا النَّاسُ أَيْ لَمْ أَرَلْ أَحَبَّ لِمَجَاعَتِكُمُ الْعَاقِبَةَ، وَأَكْفَ عَنكُمْ الْأَذَى، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَدَبُ سَوْءِ لِسْفِهَاتِكُمْ، فَأَمَّا الْحُلَمَاءُ الْأَتْقِيَاءُ فَلَا، وَإِيْمَ اللَّهُ لَقَدْ خَشِيتُ الْإِجْدَادَ مِنْ أَنْ يَعْصِبَ الْحَلِيمَ التَّقِيَّ بِذَنْبِ السَّفِيهِ الْجَاهِلِ، فَكَفُّوا أَيُّهَا النَّاسُ سَفَهَاتِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَشْمَلَ الْبِلَاءُ عَوَامَكُمْ. وَقَدْ ذَكَرَ لِي أَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي الْمَصْرِ بِالشَّقَاقِ وَالخِلَافِ، وَإِيْمَ اللَّهُ لَا يَخْرُجُونَ فِي حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الْمَصْرِ إِلَّا أَبْدَتْهُمْ وَجَعَلَتْهُمْ نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ، فَظَنُّوا قَوْمَ أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ النِّدْمِ، فَقَدْ قَمَتِ هَذَا الْمَقَامَ إِرَادَةَ الْحِجَّةِ وَالْإِعْذَارِ. الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص184. فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: أيها الأمير، هل سمي لك أحد من هؤلاء القومز فإن كانوا سموا لك فأعلمنا من هم. فإن كانوا منا كفييناكهم، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة من أهل مصرنا، فأنتك كل قبيلة بسفهاثها، فقال: ما سمي لي أحد منهم، ولكن قد قيل لي: إن جماعة يريدون أن يخرجوا بالمصر، فقال له معقل: أصلحك الله! فإني أسير في قومي، وأكفيك ما هم فيه، فليكنك كل امرئ من الرؤساء قومه. الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص184

² الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص261.

³ جاء في احدي روايات الطبري: قال أبو مخنف: حدثني يحيى بن سعيد بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: إني لمع أهل اليمن في جبانة الصائدين إذ اجتمع رءوس أهل اليمن يشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مشير عليكم برأي إن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللاتمة والإثم، أرى لكم أن تلبثوا قليلا فإن سرعان شباب همدان ومذحج يكتونكم ما تكرون أن تلووا من مساءة قومكم في صاحبكم قال: فأجع رأيهم على ذلك، قال: فوالله ما كان إلا كلا ولا حتى أتينا، فتليل لنا: إن مذحج وهمدان قد دخلوا فأخذوا كل من وجدوا من بني جبلة قال: فمر أهل اليمن في نواحي دور كنده معذره. الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص261.

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص261.

معاوية فيرى فيه رأيه، ففعل، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أن قد أخذنا الذي تسأل، وأمروه أن يأتي، فأقبل حتى دخل على زياد فقال زياد: مرحبا بك أبا عبد الرحمن. حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس. على أهلها تجني براقش قال: ما خالعت طاعة، ولا فارقت جماعة، وإني لعلى بيعتي، فقال: هيهات هيهات يا حجر تشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكن الله منك أن نرضى. كلا والله. قال: ألم تؤمني حتى أتى معاوية فيرى في رأيه. قال: بلى قد فعلنا، انطلقوا به إلى السجن، فلما قفي به من عنده قال زياد: أما والله لولا أمانة ما برح أو يلفظ مهجة نفسه¹. فحبسه عشر ليال، وزياد ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حجر حتى جمع اثني عشر رجلاً في السجن. ثم أخذ زياد يصوغ بيان الاتهام بمعية الشهود فدعا رؤوس الأرباع: عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة. وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان. وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة. وأبو بردة بن أبي موسى على مذحج وأسد. فقال: اشهدوا على حجر بما رأيتم منه. فشهد هؤلاء الأربعة أن حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه وعلى مثل رأيه وأمره. فقال زياد: ما هذه بقاطعة. فقام أبو بردة بن موسى الأشعري فشهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عز وجل كفره صلعاء. فقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، أما والله لأجهدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق، فشهد رؤوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل شهادته. ولم يقنع زياد بشهادة رؤساء الأرباع وأراد أن يدعم اتهامه بشهادات رجال آخرين تعطي القضية قوة الاجماع بوصفها قضية أمن عام، فجمع فئة من رؤوس الناس وقال: اشهدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع. فقرأ عليهم الكتاب، فقام أول الناس عناق بن شرحبيل بن أبي دهم التيمي تيم الله بن ثعلبة فقال: يتنوا اسمي. فقال زياد: ابدؤوا بأسامي قريش، ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود، ومن عرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنصيحة والاستقامة. فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله التيمي، وموسى بن طلحة، وإسماعيل بن طلحة بن عبيد الله والمنذر بن الزبير بن العوام الأسدي. وعمارة بن عقبة بن أبي معيط. وعبد الرحمن بن هناد. وعمر بن سعد بن أبي وقاص العذري. وعامر بن مسعود بن أمية بن خلف. ومحرز بن جارية بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس. وعبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي. وعنق بن شرحبيل بن أبي دهم التيمي تيم الله بن ثعلبة. ووائل بن حجر الحضرمي. وكثير بن شهاب بن حصين الحارثي. وقطن بن عبد الله بن حصين الحارثي. والسري بن

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص264.

وقاص الحارثي، وكتب شهادته وهو غائب في عمله. والسائب بن الأقرع الثقفي. وشبث بن ربعي. وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي. ومصقلة بن هبيرة الشيباني. والقعقاع بن شور الذهلي. وحجار بن أبجر العجلي. وعمرو بن الحجاج الزبيدي. ولبيد بن عطارذ التميمي. ومحمد بن عمير بن عطارذ التميمي. وسويد بن عبد الرحمن التميمي من بني سعد. وثمر بن ذي الجوشن العامري. وشداد ومروان ابنا الهيثم الهلاليان. ومحفز بن ثعلبة من عاتذة قريش. وعبد الرحمن بن قيس الأسدي. والحارث وشداد ابنا الأزعم الهمدانيان، ثمّ الوادعيان. وكريب بن سلمة بن يزيد الجعفي. وعبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي. وزحر بن قيس الجعفي. وقدامة بن العجلان الأزدي. وعزرة بن عزرة الأحمسي. وعمر بن قيس ذي اللحية، وهانئ بن أبي حية الوادعيان. وآخرون، وبلغ عدد الشهود على حجر سبعين رجلاً. وكتبت شهادتهم في صحيفة ثمّ دفعها إلى وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب الحارثي، وبدفع اليهما حجراً وأصحابه، فأخرج القوم عشية، وسار معهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة. فمضوا بهم حتى نزلوا مرج عذراء فحبسوا بها. ثمّ أتبعهم زياد برجلين آخرين مع عامر بن الأسود العجلي؛ هما عتبة بن الأحنس من بني سعد بن بكر بن هوازن، وسعيد بن نمران الهمداني ثمّ الناعطي فتمت عدتهم أربعة عشر رجلاً.

قرأ معاوية كتاب زياد على أهل الشام فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان. أمّا بعد فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فكاد له عدوه وكفاه مؤنة منّ بغى عليه. إنّ طواغيت من هذه الترابية السبئية رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرفهم، وذوي السن والدين منهم فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا. ثم طلب معاوية مشورة من كانوا في مجلسه فقال له يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرّقهم في قرى الشام فيكفيكهم طواغيتهم. ودفع وائل بن حجر كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ. أمّا بعد، فإنه بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأنّ شهادتي على حجر أنّه ممّن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويدم الحج العمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه. فقال معاوية: ما أرى هذا إلاّ قد أخرج نفسه من شهادتكم. فحبس القوم بمرج عذراء، وكتب معاوية إلى زياد: أمّا بعد، فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه، وشهادة منّ قبلك عليهم، نظرت في ذلك؛ فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم. والسلام. فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجية بن ربيعة التيمي: أمّا بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم وقد شهد عليهم بما قد سمعت منّ هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً وأصحابه إليّ. فأقبل

يزيد بن حجية حتى مرّ بهم فقال: يا هؤلاء، أما والله ما أرى براءتكم، ولقد جئت بكتاب فيه الذبح، فمروني بما أحببت مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطق به. فقال حجر: أبلغ معاوية أنا على بيعتنا لا نستقبلها ولا نقبلها، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظناء. فقدم يزيد بالكتاب إلى معاوية فقرأه، وبلغه يزيد مقالة حجر، فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر. وأقبل عامر بن الأسود العجلي وهو بعذرءا يريد معاوية؛ ليعلمه علم الرجلين اللذين بعث بهما زياد، فلما وليّ ليمضي قام إليه حجر بن عدي يرسف في القيود، فقال: يا عامر اسمع مني أبلغ معاوية أنّ دماءنا عليه حرام، وأخبره أنّا قد أومنا، وصالحنا وصالحناه، وأنّا لم نقتل أحداً من أهل القبلة فيحلّ له دماؤنا فليقت الله ولينظر في أمرنا¹. فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستة وبقتل ثمانية فقال لهم رسول معاوية: إنّنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم، وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك فابروا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم. قالوا: اللهم إنّنا لسنا فاعلي ذلك. فأمر بقبورهم فحُفرت وأدנית أكفانهم وقاموا الليل كلّه يصلّون، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان. قالوا: هو أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحق. فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم. ثمّ قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتله ووقع قبيصة بن ضبيعة في يدي أبي شريف البديّ فقال له قبيصة: إنّ الشرّ بين قومي وقومك آمن فليقتلني سواك. فقال له: برّتك رحم. فأخذ الحضرمي فقتله. وقتل القضاعي قبيصة بن ضبيعة. وقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقالتهم، فبعث إليهم: أن اثتوني بهما. فلما دخلا عليه قال الخثعمي: الله الله يا معاوية فإنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ثمّ مسؤول عمّا أردت بقتلنا، وفيهم سفكت دماءنا. فقال معاوية: ما تقول في علي قال: أقول فيه قولك، أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به. فسكت وكره معاوية أن يجيبه، وقام شمر بن عبد الله من بني قحافة فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي ابن عمّي. قال: هو لك، غير أنّي حابسه شهراً. فكان يرسل إليه بين كلّ يومين فيكلّمه، وقال له: إنّني لأنفس بك على العراق أن يكون فيهم مثلك. ثمّ إنّ شمرأ عاوده فيه الكلام، فقال: نمرك على هبة ابن عمك. فدعاه فخلّى سبيله على ألاّ يدخل إلى الكوفة ما كان له سلطان. فقال: تخيّر أي بلاد العرب أحبّ إليك أن أسيرك إليها. فاختار الموصل فكان يقول: لو قد مات معاوية قدمت مصر. فمات قبل

¹ ورد في بعض الروايات إصرار حجر على براءته مما نسب اليه منها ما جاء عن شرحبيل بن مسلم قال: لما أتى معاوية بحجر بن عدي وأصحابه حبسهم بمرج عذراء، فأوصى حجر فقال: ادفوني وما أصاب الأرض من دمي، ولا تطلقوا حديدي، فإني سألقى معاوية غداً، إني والله ما قتلنا أحداً، ولا أحدث حدثاً، ولا آويت محدثاً. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص262. ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ج6، ص446.

معاوية بشهر. ثم أقبل على عبد الرحمن العنزي فقال: إيه يا أبا ربيعة. ما قولك في علي. قال: دعني ولا تسألني فإنه خير لك. قال: والله لا أدعك حتى تخبرني عنه. قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، ومن الأمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان. قال: هو أول من فتح باب الظلم، وارتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت ولا ربيعة بالوادي. يقول حين كلم شمر الخثعمي في كريم بن عفيف الخثعمي، ولم يكن له أحد من قومه يكلمه فيه. فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: أما بعد، فإن هذا العنزي شر من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها، واقتله شر قتلة. فلما قدم به علي زياد بعث به زياد إلى قس الناطف فذفن به حياً. قال أبو مخنف: ولما حمل العنزي والخثعمي إلى معاوية قال العنزي لحجر: يا حجر، لا يبعدك الله، فنعم أخو الإسلام كنت. وقال الخثعمي: لا تبعد ولا تفقد، فقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. ثم ذهب بهما.

د. الحضور اليمني في حركة حجر بن عدي:

اجتمع في سجن زياد من الشيعة أربعة عشر رجلاً وهم: حجر بن عدي الأديب، الأرقم بن عبد الله الكندي، شريك بن شداد الحضرمي، صيفي بن فثيل الشيباني، قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي، كريم بن عفيف الخثعمي، عاصم بن عوف البجلي، وفاء بن سمي البجلي، ويقال: ورقاء بن سمي، وكدام بن حيان العنزي، وأخوه عبد الرحمن بن حيان من بني هميم، ومحرز بن شهاب المنقري، وعبد الله بن حوية الأعرجي - وبعضهم يقول حوية الأول أثبت - وعتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر وسعيد بن نمران الناعطي من همدان¹.

قتل منهم بعداء: حجر بن عدي، شريك بن شداد الحضرمي ثم التبعي، صيفي بن فثيل الشيباني، قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي، محرز بن شهاب المنقري، كدام بن حيان العنزي من بني هميم - وكان بعضهم يقول العصري من عبد القيس - عبد الرحمن بن حيان دفن حيا بالكوفة. وعددهم سبعة رجال. وكان من نجا منهم: كريم بن عفيف الخثعمي، عبد الله بن حوية السعدي، عاصم بن عوف البجلي، وفاء بن سمي البجلي، الأرقم بن عبد الله الكندي، عتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر، سعيد بن نمران الهمداني. وعددهم سبعة رجال. وصلي على حجر ومن قتل معه ودفنوا، يرحمهم الله².

ان قدرتنا على الاقتراب من حقيقة كل ما وقع في تلك الفترة الهامة من تاريخ تشكل الأيديولوجيات الإسلامية تبقى أسيرة المعطيات التي تمنحنا إياها الروايات الموثوقة في المصادر؛ بحيث لا نتجرأ على وضع الفروض والتكهنات التي لا

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص253.

² المصدر نفسه، ج5، ص262.

نستطيع أن نجد لها مستندا فيها. لذلك لا مناص من استخلاص أسماء الشخصيات التي وردت في ثنايا اخبار حركة حجر حتى تتمكن من اضاءة خلفيتها القبلية في علاقتها بالتشيع مع التركيز على فحص العناصر اليمنية فيها. والواقع أن الذين تمكننا من التعرف على هويتهم ينتمون الى قبائل مختلفة. وفيما يلي قائمة بأسمائهم مشفوعة بأصولهم القبلية:
. من اليمنية:

. من الأزد: أبو سفيان بن العويمر، العجلان بن ربيعة، ربيعة بن ناجذ الأزدي، عبد الرحمان بن عبد الله بن ذي الكدر. وعدتهم أربعة رجال.

. من بجيلة: عاصم بن عوف البجلي، ورقاء بن سمى البجلي، أبو عاصم رفاعة بن شداد الفتياني، وفتيان بطن من بجيلة من اليمن. وعدتهم ثلاثة رجال.

. من طيء: عبد الله بن خليفة الطائي.

. من كندة: الأرقم بن عبد الله الكندي، سليمان بن يزيد الكندي، قيس بن فهدان الكندي، عبد الرحمن بن محرز بن مرة الكندي ثم الطمحي وقيس بن سمى الكندي ثم البدي وعبيدة بن عمرو البدي الشاعر. وعدتهم ستة رجال.
. من همدان: سعيد بن نمران الهمداني الناعطي.

. من جعفي: عبد الله بن الحر الجعفي.

. من حضرموت: شريك بن شداد الحضرمي.

. من خثعم: كريم بن عفيف الخثعمي.

. من كلب: أبو العمرطة عمير بن زيد الكلبي.

. من النخع: عبد الله بن الحارث أخي الأشتر النخعي، قيس بن يزيد. وعدتهم رجالان.

. من خزاعة: عمرو بن الحمق. وعدة جميع اليمنية في هذه القائمة واحد وعشرون شخصا. وقد جاءت اغلبية الرجال اليمنيين من كندة والأزد

من المضربة:

. من تميم: عبد الله بن حويّة التميمي

. من بني سعد: عتبة بن الأخنس السعدي

. من بني منقر السعديين التميميين: محرز بن شهاب المنقري

. من بني عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار: كدام بن حيّان، وعبد الرحمن بن حسان. وعدتهم رجالان.

. من عبس من مضر النزاريين: قبيصة بن ضبيعة العبسيّ

. من شيبان من بكر بن وائل من ربيعة: صيفي بن فسيل الشيباني. وعدة الرجال المضريين سبعة أشخاص.

يكشف مضمون القائمة عن اغلبية يمنية من دون ان يعني أن الحركة في الواقع كانت حركة يمنية خالصة بدليل مساهمة الأسماء التي تنتمي الى ربيعة ومضر فيها، ولعل وفرة العناصر اليمنية خاصة من كندة والأزد يعود الأهمية التي تتوفر عليها شخصية حجر بن عدي والهبة التاريخية التي اكتسبها عبر تاريخ نضالي طويل بوصفه أحد أعلام قبيلة كندة الذين تعرفوا الى النبي عن قرب وواحد من رجال كندة الأوائل الذين خاضوا فتوحات الإسلام الأولى وأبلى فيها بلاء حسنا. إضافة الى انه كان من بين الرجال المقربين من علي وسيفا من سيوفه. لذلك يعد حجر رأسا من رؤوس الشيعة المهمين في الكوفة وأحد ساداتها المبجلين؛ ووجهها من الوجوه التي تلتف حولها العناصر الشيعية وتصدر عن رأيها. ورغم الغموض الذي لا يزال يلف بقضيته الا أن الوقائع التي توفرت لنا معرفتها تجعلنا لا نرى فيها حركة يمنية خالصة تعبر عن خصوصية يمنية داخل النضال الشيعي في الكوفة بقدر ما هي ردة فعل شيعية قامت بها عناصر عدة من قبائل مختلفة يجمعهم ولاؤهم الذي لا يتزعزع لعلي وابنائهم وقناعتهم بأحقيتهم في السلطة، كما يجمعهم ذاكرة نضال مشترك تعود الى أيام الجمل وصفين والنهروان وغيرها.

يبدو أن معاوية تعمد أن يدير قضية حجر وأصحابه إدارة سياسية بعيدا عن وضعها القانوني الشرعي؛ فاستعملها كذريعة لكي يمرر من خلالها رسائل عدة الى قوى اجتماعية يعلم أنها تضطرم بمثل ما كان بحجر من استياء ناتجا عن أمور كثيرة كانت تصدر عن معاوية وعماله. وقد حفظ لنا البلاذري رواية كشفت عن موقف أحد كبار القادة من الذين فهموا مضمون الرسالة جاء فيها أن: الربيع بن زياد الحارثي كان بناحية خراسان لما قُتل حجر فقام يصيح: هل من ثائر؟ هل من معين؟ هل من منكر؟ قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد، فقال: أما إذا أبيتم فستبتلون بالقتل صبورا على الظلم. وصار إذا ذكر حجر بن عدي يقول: لا تزال العرب تقتل صبورا بعده، ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبورا، ولكنها أقرت فذلت. وتذكر الرواية أنه مكث بعد هذا الكلام جمعة، ثم خرج في ثياب بياض في يوم جمعة، فقال: أيها الناس، إني قد مللت الحياة، وإني داع بدعوة فأمنوا ثم رفع يده بعد الصلاة، وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلا وأمن الناس فخرج، فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته¹. وصلت رسالة معاوية الى رجال مثل الربيع وغير الربيع وكان مضمونها التحذيري يشير الى أن السلطة جادة في حماية نفسها وضمان دوامها، ولو اضطرها الأمر الى تجاوز الخطوط الحمراء التي حرص الخلفاء السابقون على عدم تخطئها. وأن على الجميع ان يرضخوا الى توجيهاتها، وكل

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص291.

من تسول له نفسه الاعتراض عليها يكون مصيره كمصير حجر. ولم يكن هذا التحول في فهم السلطة وممارستها ليلقى قبولا لدى الفئات التي شاركت النبي في تأسيس الإسلام وخاضت معه غزواته ودافعت عن دولته في حروب الردة وخاضت ملحمة الفتوحات، وكان الخلفاء السابقون يتعاملون معها بوصفها شريكا في سلطة كان هدفها الأساس خدمة الناس وفقا لمقتضيات الدين بدلا من استخدامه في استغلالهم. فلم يكن بيدهم إزاء هذا التحول الا الثورة او العزلة او الرغبة في موت ينهي الوضع الكئيب.

عاش زياد بعد مقتل حجر زهاء ثلاث سنوات اتجه فيها الى محاصرة الكتلة الشيعية في الكوفة وتصفية وجوهها البارزة. وقد بالغ في ذلك حتى بقيت مدة ولايته على الكوفة راسخة في اذهان شيعتها. وقد أورد ابن ابي حديد نصا عن أبي الحسن علي بن محمد بن ابي سيف المدائني يؤرخ فيه لسياسة زياد في الشيعة جاء فيه: .. فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم ايام على فقتلهم تحت كل حجر ومدبر واخافهم وقطع الأيدي والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية الى عماله في جميع الافاق الا يجيزوا لأحد من شيعة علي واهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم. واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته¹. وقد لخص أبو جعفر محمد بن علي الباقر عذاب شيعة علي في عهد معاوية في حديثه مع أحد أصحابه فقال: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهروا علينا وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس .. فبويع الحسن وعوهده ثم غدر به واسلم ووثب عليه اهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره فوادع معاوية وحقق دمه ودماء اهل بيته وهم قليل ثم بايع الحسين من اهل العراق عشرون الفا ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في اعناقهم وقتلوه ثم لم نزل - اهل البيت - نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء اوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به الى اوليائهم وقضاه السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالاحاديث الموضوعية المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا الى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والارجل على الظنة وكان من يذكر بجنابنا والانقطاع اليها سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد². وقد نفى زياد صعصعة بن صوحان إلى الجزيرة أو إلى البحرين، وقيل: إلى جزيرة بني كاوان فمات بها. وسير آمنه بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي إلى معاوية فسجنها، ولما ألقى القبض على عمرو بن الحمق في الموصل بعد اختفاء طويل وقُتل، أرسل زياد رأسه إلى معاوية، وهو

¹ ابن ابي حديد، المصدر السابق، ج11، ص44.

² ابن ابي حديد، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

أول رأس يحمل في الإسلام، بعث به معاوية إلى زوجته آمنة بنت سويد¹، فقالت: الصحيح غيبتموه طويلاً، وأهديتموه قتيلاً، فمرحباً به من هدية غير مقلية. ونفاها معاوية إلى حمص فماتت بجمص². وكان آخر ما عزم على فعله زياد في الكوفة سنة ثلاث وخمسين، هو أن جمع الناس فملاً منهم المسجد والرحبة والقصر؛ ليعرضهم على البراءة من علي، فمن أبي ذلك عرضه على السيف. ولكنه انشغل عنهم بعد اصابته بالطاعون حتى مات. ومن جملة من قتلهم زياد بتهمة ولاية علي:

. رشيد المحجري:

كان ممن صلبه زياد على باب دار عمرو بن حريث وقطع لسانه. روى ابن أبي الحديد قال: قال إبراهيم: وحدثني إبراهيم بن العباس النهدي، حدثني مبارك البجلي، عن أبي بكر بن عياش، قال: حدثني المجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد وقد أتني برشيد المحجري، وكان من خواص أصحاب علي، فقال له زياد: ما قال خليلك لك إننا فاعلون بك. قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني. فقال زياد: أما والله لأكذبن حديثه، خلوا سبيله. فلما أراد أن يخرج قال: ردوه؛ لا نجد شيئاً أصلح مما قال لك صاحبك، إنك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت؛ اقطعوا يديه ورجليه. فقطعوا يديه ورجليه، وهو يتكلم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه. فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه. فقال زياد: اقطعوا لسانه. فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال: نقسوا عني أتكلم كلمة واحدة، فنقسوا عنه، فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه³. والرواية في صياغتها قريبة من المشاهد المسرحية لما تتضمنه من مبالغة وغرابة مثيرة لشبهة الوضع. ولعله قصد بها التشنيع على زياد ومن ورائه معاوية وبني امية من طرف متأخري الشيعة، والرواية السنينة في سبب مقتله تبدو أقرب للمنطق لأنها تندرج في سياق الأحداث التي كانت تعيشها الكوفة تحت ولاية زياد وعزمه على استئصال شأفة شيعة علي. فقد جاء لدى المحدث ابن حبان الرواية التالية: رشيد المحجري يروي عن أبيه عداة في أهل الكوفة كان يؤمن بالرجعة قال الشعبي: دخلت عليه يوماً فقال: خرجت حاجاً فقلت لأعهدن بأمير المؤمنين عهداً. فأتيت بيت علي عليه السلام فقلت لإنسان: استأذن لي على أمير

¹ تكتبها بعض المصادر أحياناً آمنة بنت سويد.

² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص273. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص52. وهناك رواية أخرى للحدث أكثر تفصيلاً جاء فيها: عن الزهري وسهيل بن أبي سهيل التميمي عن أبيه قال لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام بعث في معاوية في طلب شيعة وكان ممن طلب عمرو بن الحمق الخزاعي فراغ منه فأرسل إلى أمراته آمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثم ان عبد الرحمن ابن ام الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله وبعث براسه إلى معاوية، وهو أول راس حمل في الإسلام. فلما أتى معاوية الرسول بالرأس بعث به إلى امرأته آمنة بنت الشريد وقال للحرس: احفظ ما تتكلم به حتى تؤديه الي واطرح الرأس في حجرها. فلما اتاها الرسول بالرأس وطرحه في حجرها ارتاعت له ساعة ثم وضعت يدها على راسها ثم قالت: واحزنانه لصغره في دار هوان وضييق مجلس سلطان نفيتموه عني طويلاً ثم اهديتموه إلى قتيلاً فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وأنا اليوم له غير ناسية. ارجع ايها الرسول إلى معاوية وقل له ولا تطوه: ايتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك. العباس بن بكار الضبي، أخبار الوفادات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، المصدر السابق، ص53. ابن عساکر، المصدر السابق، ج69، ص40. عز الدين بن الأثير، اسد الغابة، المصدر السابق، ج4، ص205.

³ ابن ابي حديد، المصدر السابق، ج2، ص294.

المؤمنين. قال: أوليس قد مات. قلت: قد مات فيكم. والله إنه ليتنفس الآن تنفس الحي. فقال: أما إذ عرفت سر آل محمد فادخل. قالك فدخلت على أمير المؤمنين وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذبا فلعنك الله. وبلغ الخبر زيادا فبعث إلى رشيد المهجري فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث¹.
. جويرية بن مسهر²:

روى إبراهيم بن ميمون الأزدي، عن حبة العُرَني، قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالحاً، وكان لعلي بن أبي طالب صديقاً، وكان علي يحبه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناده: يا جويرية، الحق بي فإني إذا رأيتك هويتك. قال: فركض نحوه، فقال له: إني محدثك بأمر فاحفظها. ثم اشتركا في الحديث سراً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين، إني رجل نسي. فقال له: إني أعيد عليك الحديث لتحفظه. ثم قال له في آخر ما حدثه إياه: يا جويرية، أحب حبيبتنا ما أحبنا، فإذا أبغضنا فابغضه، وابغض بغيضنا ما أبغضنا، فإذا أحبنا فأحبه. قال حبة: دخل جويرية على علي يوماً وهو مضطجع، وعنده قوم من أصحابه، فناده جويرية: أيها النائم استيقظ، فلتضربن علي رأسك ضربة تُخضب منها لحيتك. قال: فتبسّم أمير المؤمنين، قال: وأحدثك يا جويرية بأمر، أما والذي نفسي بيده لتعتلن إلى العتل الزنيم، فليقطعن يدك ورجلك، وليصلبنك تحت جذع كافر. قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله، وصلبه إلى جانب جذع بن مكعب، وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه³.

ولاية الكوفة بعد زياد

عبد الله بن خالد بن أسيد: هو عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية⁴. أحد رجالات بني أمية المعدودين وزوج عثمان ابنته وطلب من عبد الله بن عامر أمير البصرة آنذاك أن يعطي إلى عبد الله بن خالد ستمائة ألف درهم من بيت مال البصرة⁵. وكان عبد الله كريماً سمحاً متوقياً عن الكبر الذي عرف به بنو أمية. ولما كانت فتنة علي ومعاوية كلم أهل مكة عثمان بن شيبه من بني عبد الدار أن يتولى أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة ففعل، وكلم أهل

¹ أبو حاتم محمد بن حبان، المجروحين، ت محمود إبراهيم زايد، ط1، دار الوعي، حلب، 1396هـ، ج1، ص298. ووردت عند ابن عساکر رواية أخرى شبيهة بما جاء عند ابن حبان مفادها ما رواه بعض ممن يعرفه قال: وأما رشيد المهجري فإن صاحبا لي قال انطلق بنا إلى رشيد فأتيناه فدخلنا عليه فنظر إلى صاحبي وكان يعرفه فقال بيده هكذا فحركها فقال له صاحبي هكذا وعقد مجالد بيده ثلاثين. فقلنا: حدثنا رحمك الله قال: نعم أتينا حسين بن علي بعدما قتل علي فقلنا استأذن لنا على أمير المؤمنين وسيد المؤمنين قال ذاك قد قتل قلت إنه ما قتل وإنه الآن ليعرف من الديار النصل، ويتنفس بنفس الحي، قال: فضحك حسين وقال: أما إذ علمتم هذا فادخلوا عليه ولا تحيروه. قال عامر: فما الذي أتعلم من هذا أو من هؤلاء. ابن عساکر، المصدر السابق، ج24، ص100. محمد جواد مغنية، المرجع السابق، ص81.

² لا توجد ترجمة لجويرية بن مسهر في المصادر السننية سواء منها كتب التاريخ او الحديث ورجاله، اللهم الا شذرات قليلة لا تغني في التأريخ له؛ منها ما جاء عند ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: جويرية بن مسهر العبدي ويقال ابن بشر بن مسهر كوفي روى عن علي وعنه الحسن بن محبوب وجابر بن الحر ذكره الكشي في رجال الشيعة وقال كان من خيار التابعين. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، د ط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، 1971م، ج2، ص144.

³ ابن ابي حديد، شرح فتح البلاغة، المصدر السابق، ج2، ص291. محمد جواد مغنية، السابق، ص81.

⁴ ابن حزم. جهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص91. انظر تفاصيل السبب الذي غضب معاوية على عبد الله في: ابن بكار، الاخبار الموقيات، المصدر السابق، ص107. 108.

⁵ تاريخ يعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص168. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص300.

الطائف عبد الله بن خالد بن أسيد وسألوه أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة فأجابهم إلى ذلك. وهناك أقام حد الخمر على عتبة بن ابي سفيان بشهادة الشهود مما أثار حفيظة معاوية عليه¹. وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب الورع إذا ذهب إلى مكة ينزل ضيفا على آل عبد الله بن خالد ثلاثة أيام، ثم بعدها ينزل إلى السوق فيشتري حوائجه ولوازمه².

ولما حضرت زياد الوفاة سنة 53هـ كتب الى معاوية: اما بعد، فاني كتبت إليك وانا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، وقد وليت الكوفة عبد الله بن خالد بن اسيد، ووليت البصرة سمره بن جندب الفزاري، والسلام. فقيل له: لم تولى ابنك عبيد الله أحد المصريين، وليس بدون واحد من هذين. فقال: ان يك فيه خير فسيسبق الى ذلك عمه معاوية، ثم مات، وصلى عليه ابنه عبيد الله بن زياد، ودفن في مقابر قريش. فتولى عبد الله بن خالد بن اسيد الكوفة ثمانية أشهر³. ثم عزله معاوية⁴. ولما سمع خالد بن عبد الله بعزله ذهب إلى بيت المال فأخذ منه ألفي درهم مقابل قطائع اخذها معاوية منه بسبب ضربه أخاه عتبة، ثم ذهب إلى مكة⁵. ولقصر مدة عبد الله في امارته على الكوفة فان مصادرها لم تورد أي خبرا لافتا يتعلق بموضوعنا، ولا يبدو أنه أساء السيرة فيهم نظرا لطبيعته المتزنة وشخصيته السمحة.

الضحّاك بن قيس الفهري:

هو الضحّاك بن قيس بن خالد الفهريّ القرشيّ⁶. كان الضحّاك عثمانيا أموي الهوى وشارك الى جنب معاوية في صراعه مع علي وفي حرب صفّين كان الضحّاك بن قيس على الرّجالة كلها⁷. وقد صار الضحّاك من رجال معاوية المقربين، ومن بين الذين عملوا في موضوع ولاية العهد ليزيد وكان فيما قاله لمعاوية لما استشاره: يا أمير المؤمنين، إنه لا بد للناس من وال بعدك، والأنفس يغدى عليها ويراح، وإن الله قال: كل يوم هو في شأن، ولا ندري ما يختلف به العصران؛ ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن معدنه وقصد سيرته، من أفضلنا حلما وأحكمتنا علما، فوله عهدك، واجعله لنا علما

¹ ابن عسّاكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج19، ص208

² ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص195

³ جاء لدى البلاذري في وصف عبد الله بن خالد التفاصيل التالية: فأما عبد الله بن خالد فكان ذا قدر، ولاه زياد أردشير خره من فارس، ويقال ولاه فارس بأسرها، ووهب له ابنة جوانبوزان بن المكعب فولدت له الحارث بن عبد الله، وكتب زياد إلى معاوية وعبد الله بن خالد عنده أن ابعث إلى رجلا من قريش يكون بقربي فإن حدث بي حدث استخلفته، فكتب إليه: اختر من شئت، فاختار عبد الله بن خالد، فكان عند زياد وهو صلى عليه حين مات، وجعله خليفته فلم يزل قائما بعمله حتى قدم الضحّاك بن قيس الفهري واليا على الكوفة. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص458. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص225. ابن عسّاكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج19، ص207. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص18

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص300. ابن بكار، الأخبار الموفقيات، المصدر السابق، ص107. 108. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص279

⁵ ابن بكار، الأخبار الموفقيات، المصدر السابق، ص107. 108

⁶ وكنيته: أبو أمية، وقيل: أبو أنيس، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو سعيد. وقيل في نسبه أنه: الضحّاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب ابن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص300. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج7، ص287

⁷ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص504

بعدك، فإننا قد بلونا الجماعة والألفة، فوجدناها أحقن للدماء، وآمن للسبل، وخيرا في العاقبة والآجلة¹. ولّاه معاوية إمارة الكوفة سنة 53هـ للهجرة في شهر صفر²، وقيل سنة 55هـ³ وذلك بعد عزل عبد الله بن خالد بن أسيد⁴. ثم عزله سنة 58هـ وقيل سنة 57هـ⁵، وعيّن مكانه عبد الرحمن بن أمّ الحكم⁶. ثم ولّاه إمارة دمشق بعد عزله عن الكوفة.

لم تسجل المصادر التي اطلعت عليها أي أخبار مهمة في فترة إمارة الضحّاك على الكوفة ولم تشهد أحداثا تستحق التدوين اللهم بعض الأخبار الهامشية مثل الخبر الذي رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان الضحّاك بن قيس على الكوفة فخطب قاعدا فقام كعب بن عجرة فقال: لم أر كاليوم قط إمام قوم مسلمين يخطب قاعدا⁷. وهذه الحادثة تروى أيضا في والي الكوفة التالي ابن ام الحكم. كما ورد في خبر آخر ان معاوية استعمل ذكوان مولى ابن الخطاب على عشور الكوفة فمكث زمانا ثم بلغه عنه بعض ما كره فعزله فلما استعمل الضحّاك بن قيس الفهري على الكوفة أمره أن يقيمه للناس ويأخذ منه خمسين ألفا ففعل ذلك به⁸. والخبر التالي الذي أورده البلاذري وفيه ان الضحّاك بن قيس خطب بالكوفة- وكان معاوية ولّاه إياها حين مات زياد فقال: إنه بلغني أن فيكم رجالا يشتمون أئمة الهدى ويتقصون أمير المؤمنين عثمان، والله لئن لم ينتهوا لأضعن فيكم سيف زياد وقلوسه ثم لا تجدوني ضعيف السورة، ولا كليل الشفرة، والله إني لأول من غزا بلادكم وأغار عليها في الإسلام، أنا الضحّاك بن قيس أبو أنيس، قاتل ابن عميس فاتقوني⁹. وهو كما ترى يدور حول سياسة التمكين للعثمانية في الكوفة في وجه الناقمين من عثمان وسيرته. كما ساق البلاذري خطبة رواها هيثم بن عدي عن ابن عياش قال: قال الضحّاك بن قيس بالكوفة في خطبة خطبها: بلغنا عن يعقوب النبي عليه السلام أنه قال لولده: إذا دخلتم على السلطان فأقلوا الكلام، وإنكم لتكثرون الكلام حتى تملوني فاقصدوا لحوائجكم بإيجاز اللفظ وحذف الفضول¹⁰. وهي تكاد ان تكون عظة لمن كان يحضر مجلسه بالكوفة ويثقل عليه بالكلام.

وظل الضحّاك قريبا من دوائر الحكم في دمشق معدودا من اهل النصيحة والتدبير والمشورة؛ لذلك ارسل اليه معاوية عندما شعر بدنو أجله فقال: بلغ وصيتي هذه الى يزيد وجاء فيها: أنظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك

¹ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص27. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص118

² الذهبي. سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص243

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص300. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص170

⁴ ذكر ابن بكار بأن الذي ولي إمارة الكوفة بعد عبد الله بن خالد هو: عبد الرحمن بن أمّ الحكم. الموفقيات. ص298.

⁵ ابن عسّاكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج24، ص289

⁶ ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص21

⁷ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، المصدر السابق، ج5، ص309

⁸ ابن عسّاكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج17، ص322

⁹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص438. 439

¹⁰ المصدر نفسه، ج11، ص55

منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعبيك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم، وإني لست أخافها من قريش إلا ثلاثة: حسين بن عليّ وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير¹. ولما مات معاوية سنة 60هـ غسله الضحّاك وكفّنه وخطب في الناس قائلا: إن ابن هند قد مات، وهذه أكفانه على المنبر ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربّه، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، ولو كان يزيد حاضرا لم يكن للضحّاك ولا لغيره أن يفعل من هذا شيئا². وكان الضحّاك بن قيس أول من بايع يزيد بن معاوية بالخلافة، وذلك حينما عهد معاوية بولاية العهد لأبنة يزيد سنة 59هـ.

عبد الرحمن بن أمّ الحكم³:

الناظر في الأخبار المتناثرة في المصادر تتشكل لديه صورة عن شخصية عبد الرحمن تتميز بالتهور وضعف الاتزان وعدم الكياسة، وكان بنو أمية إذا شاهدوه يلقبونه بالبغل حتى غلب عليه⁴. وعبد الرحمن بن أمّ الحكم هو الذي قتل عمرو بن الحمق في الجزيرة لما كان عاملا لمعاوية على الموصل، وأرسل رأسه الى معاوية فكان رأس عمرو أول رأس حمل في الإسلام⁵. ولأه خاله معاوية إمارة الكوفة سنة 57هـ⁶، وقيل سنة 58هـ مّ عزله سنة 58هـ⁷ ثم عين مكانه النعمان بن بشير الأنصاري⁸. وقد كان معاوية يوليه لقربته منه ثم يضطر الى عزله. لذلك قلما كان يستمر في ولاية يتولاها لسوء سيرته، من ذلك أنه حينما وصل إلى الكوفة أخذ يعامل أهلها معاملة سيئة فغضب عليه أهل الكوفة وطرده، وقالوا له: الحق بخالك⁹. وجاء في بعض الروايات أن سبب عزله عن الكوفة أنه قيل لمعاوية: إن ابن أختك خطب في يوم جمعة قاعدا، وإن كعب بن عجرة رآه فقال: ألا ترون هذا الأحمق وما فعل، والله يقول (انفضوا إليها وتركوك قائما) الجمعة: 11 وإنه اشتد في أمر الخراج حتى قتل ابن صلوبا، وكان صاحب شراب يشرب مع سعد بن هبار. وقدم أبو بردة بن أبي

¹ الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص226. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص119

² أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص212. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص226. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص123

³ هو عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة، وقيل: هو عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وأمه أم الحكم أخت معاوية. ولد بالطائف. وكان جدّه عثمان بن عبده، يحمل لواء المشركين في معركة حنين فقتله عليّ بن أبي طالب. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص519

⁴ أبو الفرج الأصبهاني. الأغاني، المصدر السابق، ج14، ص249

⁵ ابن سعد. الطبقات الكبرى. المصدر السابق، ج6، ص25. ابن حبيب، الخبر، المصدر السابق، ص292

⁶ تاريخ خليفة بن خياط، التاريخ، المصدر السابق، ج1، ص269. ابن بكار، الأخبار الموقفات، المصدر السابق، ص298

⁷ ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص22

⁸ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص315. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص136

⁹ أبو الفرج الأصبهاني. الأغاني، المصدر السابق، ج14، ص222

موسى الأشعري على معاوية فقال له: أيشرب عبد الرحمن. قال: لا، قال: أفيسمع الغناء. قال: لا، قال: فما تنقمون عليه. قال: إنكاره بيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وظنه أن الفيء له وأنه أحق به، فعزله وولى النعمان بن بشير الأنصاري الكوفة¹.

وكان عبد الرحمن بن أمّ الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركته يسأل إلخافا، وينفق إسرافا، وكان محمّقا، ولاه معاوية خاله عدّة أعمال، فذمّه أهلها وتظلموا منه، فعزله وأطرحه، وقال له: يا بئّي، قد جهدت أن أنقّك وأنت تزداد كسادا².

وعند ما رجع عبد الرحمن إلى الشام، قال له معاوية: سأوليك خيرا منها، فولّاه إمارة مصر، وعند ما وصل إلى مصر لقيه معاوية بن خديج فقال له: ارجع إلى خالك، فو الله لا تسير فينا سيرتك في إخواننا أهل الكوفة³. فرجع عبد الرحمن إلى معاوية فولّاه الجزيرة. وبقي عليها إلى أن مات معاوية⁴. وذهب معاوية بن خديج إلى الشام، فدخل على معاوية بن أبي سفيان، وكانت عنده أخته أم الحكم، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين. قال معاوية: هذا معاوية بن خديج. فقالت أم الحكم: لا مرحبا به تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فرد عليها معاوية بن خديج: على مهلك يا أم الحكم، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا، فيسير كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، ما كان الله ليبريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يبطأ منه، وإن كره ذلك الجالس. فالتفت معاوية إلى أخته، وقال لها: كفى⁵.

وفي إمارة ابن أم الحكم على الكوفة خرجت الخوارج الذي كان المغيرة بن شعبة حبسهم فجمعهم حيان بن ظبيان السلمي ومعاذ بن جوين الطائي فخطباهم وحثاهم على الجهاد، فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا إلى بانقيا، فسار إليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعا. وكان ذلك في سنة 58هـ⁶.

. النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي¹:

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص137. جاء الخبر في رواية أخرى كالتالي: قدم وفد أهل الكوفة على معاوية يشكون ابن أم الحكم إليه وزعيمهم هاني بن عمرو، فقال: عليكم لعنة الله من أهل بلد لا ترضون عن أمير، فقال أبو بردة: قد سمعتم وأنا أعزله لكم، فدخلوا على يزيد، فقال هاني: ما ننقم على عبد الرحمن أن لا نكون أحظى أهل المصر عنده، ولكننا غضبنا لك، وذلك أنه أتى بجم من مها- أي بلور- فقال: أرفعوها حتى نهدبها إلى يزيد يشرب فيها الخمر بماء بردى، فقال يزيد: ومن سمع ذلك؟ قال أبو بردة: أنا، وقال غيره: أنا، فقام يزيد فدخل إلى معاوية فأخبره بقولهم، فقال: هذا أمر مصنوع، فالله الله في ابن عمك، فقال: ما شاء فليكن، أليس قد سمع به الناس؟ فعزل ابن أم الحكم وولى النعمان بن بشير الأنصاري. البلاذري، المصدر نفسه، ج5، ص141. 142.

² الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج14، ص402

³ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص108

⁴ ابن بكار. الأخبار الموقفيات. المصدر السابق، ص298

⁵ الجاحظ. البيان والتبيين. المصدر السابق، ج2، ص108

⁶ ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص290. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص108. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص21

ولد النعمان بن بشير في المدينة، وهو أول مولود في الإسلام ولد في المدينة من الأنصار، وهو ابن أخت الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة². وكان أبوه بشير بن سعد اول من بايع أبا بكر بالخلافة³. وكان النعمان بن بشير عثمانياً؛ فلما صارت الخلافة الى علي بايعه جميع الأنصار ما عدا نفر قليل كان من جملتهم النعمان بن بشير الأنصاري وقد أخذ قميص عثمان وذهب به إلى معاوية في الشام⁴. وحضر مع معاوية حرب صفين. ولم يكن مع معاوية من الأنصار الا فئة قليلة، ولذلك كان يثمن مساندة النعمان إياه في حربه مع علي لما يمثله بوصفه من الأنصار من رمزية هامة في الصراع على الشرعية فكان يقول: صحبني أربعة من الأنصار: النعمان بن بشير فوليته حمص، ومسلمة بن مخلد فوليته مصر، وعمرو بن سعيد فوليته فلسطين، وفضالة بن عبيد فوليته القضاء، ولو زادوني لزدتهم، ولأنا خير لهم من أبي بكر وعمر⁵. وظل النعمان من المقربين إلى معاوية وكذلك عند يزيد بعده⁶.

ولاه معاوية بن أبي سفيان إمارة الكوفة سنة 59هـ وذلك بعد عزل عبد الرحمن بن أمّ الحكم عنها، ثم أقرّه يزيد بن معاوية سنة 60هـ ثمّ عزله وبعث بدله عبيد الله بن زياد⁷.

لعب النعمان أدوارا سياسية الى جنب معاوية في صراعه مع علي وقد بعثه مرة مع أبي هريرة الدوسي إلى علي يدعوانه إلى أن يسلم اليه قتلة عثمان بن عفان ليقتلوا به فيصلح أمر الناس ويكف الحرب، وكان معاوية عالما بأن عليا لا يفعل ذلك، ولكنه أحب أن يشهد عليه عند أهل الشام بامتناعه من إسلام أولئك، والتبري منهم فيشرع له أن يقول: إنه قتله فيزداد أهل الشام غيظا عليه وحنقا وبصيرة في محاربتة وعداوتة، فلما صارا إليه فأبلغاه ما سأله معاوية امتنع من إجابتهما إلى شيء مما قدما له فانصرف أبو هريرة إلى الشام فأمره معاوية بأن يعلم الناس ما كان بينه وبين علي وأقام النعمان بعد أبي هريرة أشهرها وهو يظهر لعلي انه معه⁸، ثم التحق بمعاوية فيما بعد. وكان النعمان من أعوان معاوية الفاعلين واحد الذين اعتمد عليهم معاوية في حرب الغارات التي شنّها على قوات علي⁹.

¹ هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، الخزرجي. ابن بكار، الأخبار الموقفيات، المصدر السابق، ص228. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص122. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص49. ابن حبيب، المحبر، المصدر السابق، ص276.

² ابن سعد الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص338. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج1، ص244. أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج16، ص41. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص221. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج1، ص580.

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج4، ص562. ابن حبيب، المحبر، المصدر السابق، ص294. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص50.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص160.

⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص122.

⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص348. ابن حبان، الثقات، المصدر السابق، ج3، ص410. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص412. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص131.

⁷ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص245.

⁸ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص133. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص246.

لم يكن النعمان خلال فترة ولايته على الكوفة يحجل من الشمامسة بعلي وأنصاره واستفزازهم أحيانا. وقد امره معاوية بزيادة رواتب أهل الكوفة عشرة دنانير لكل واحد منهم فكان النعمان يتماطل في دفعها لهم، وكان ينفذ بعضا ويرد بعضا ويقول: أنا قفل مفتاحه بالشام، وذلك لأنه يكرههم لحبهم عليا. وكان يكثر تلاوة القرآن على المنبر ويقول: إن فقدتموني لم تجدوا أحدا يحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم جاءوا بكتب من معاوية فعمهم بالزيادة¹.
ولما ورد مسلم بن عقيل رسول الحسين الى الكوفة وصارت الشيعة تختلف اليه حتى فشا امره وبلغ النعمان بن بشير فقال: لا اقاتل الا من قاتلني، ولا اثب الا على من وثب علي، ولا آخذ بالقرفة والظنة، فمن ابدى صفحته ونكث بيعته ضرته بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم أكن الا وحدي. وكان يحب العافية ويغتنم السلامة². فكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ومحمد ابن الأشعث الكندي وغيرهما إلى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل، وتقدم الحسين إياه إلى الكوفة أمامه، وبما ظهر لهم من ضعف النعمان بن بشير، وعجزه ووهن أمره. فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان بولاية الكوفة إلى ما كان يلي من البصرة³.
وعزل النعمان بن بشير الأنصاري عن إمارة الكوفة، عزله معاوية، فولاه القضاء في دمشق، ثم ولاه إمارة حمص فبقي فيها إلى ان قتل⁴. (راجع الملحق رقم 9).

هـ. ملاحظات حول تفكك وحدة الموقف السياسي للقبيلة اليمنية في الكوفة

الذي يجعل الأمصار تجربة اجتماعية مختلفة عن الصحاري والبادي والقرى التي احتوت القبائل العربية قبل الإسلام هو الطابع المدني الذي يعني أمورا كثيرة تعتبر مستجدة في حياة العرب ليس أقلها اختبار التعايش المنفتح على الآخر العربي وغير العربي والاستقرار في مجال جغرافي محدد وممارسة أنشطة اقتصادية لم تكن متاحة في المضارب الأولى والخضوع لمنظومة تشريعية متطورة بالمقارنة مع منظومة العرف التي كانت سائدة؛ وغيرها من خصائص التوطن والتمدن. لكن مزايا المدينة تأتي متزامنة مع منغصات تأنفها التقاليد العربية وأهمها مسألة السلطة بوصفها ناتج من نواتج التمدن وأحيانا سببا فاعلا فيه كما هو الحال في التجربة العربية الإسلامية. وقد كان موضوع السلطة وصلاحياتها حاضرا في النقاشات التي اندلعت على عهد عثمان واستمرت كذلك في العهود التالية والذي كانت القبيلة وعاداتها في تدبير شؤونها طرفا فيه؛ وبالتالي لا يمكننا القول ان تجربة الإسلام المدنية استطاعت ان تفكك سلطان القبيلة بوصفها اطارا للتجمع البشري

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص14

² الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص231. الطري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص348، 356. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5 ص325. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص30.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص78

⁴ ابن بكار، الأخبار الموقيات، المصدر السابق، ص228

المترايط بالقرابة الدموية لأن القبيلة ظلت هي الوحدة الأساسية للاجتماع العربي طوال صدر الإسلام واستمرت كذلك خارج المدن الكبرى فيما بعد، لكن الإسلام بخصوصيته التوحيدية والتشريعية استطاع أن يضعف من سلطانها ويستقطب ولاء أبنائها فأدرجهم في أفق تاريخي جديد صار الانتماء فيه للدين اهم أحيانا من الانتماء للقبيلة وحلت القيم الدينية الجديدة محل قيم القبيلة التقليدية التي وصفت بالجاهلية. وصارت الأمصار بما احتوته من قبائل مختلفة ومتباينة في أصولها وثقافتها مختبرا لتجربة الانفتاح والتعايش واختبار القيم الدينية وممارستها. وفيما يخص القبائل اليمنية الكوفية التي منحت ولاءها لعلي في سياق الصراع مع قريش ومن في فلکها فإننا لاحظنا كيف أن بعضا منها قد اختار موقفا سياسيا مغايرا كما تبدى في حالة جرير بن عبد الله البجلي الذي اضطر الى الالتحاق بمعاوية في حين أن قسما آخر من أبنائها قد توردوا على هيبة علي وسلطة أشرفهم وسادتهم واختاروا الالتحاق بالتشكيل الخارجي الوليد ولم يمنعهم تقليد الولاء للقبيلة من اجتراح هذا السلوك. ثم ان تجربة الفشل الذي عانته في مواجهة صلابة الكتلة الشامية واضطرابها الى التعامل مع واقع الهزيمة وتداعياتها وتقديم بيعتها لمعاوية قد هز وحدة موقفها السياسي الى حد ما؛ الأمر الذي انعكس على أدائها أيام مطاردة حجر بن عدي ثم بعد ذلك قتله. وبالتالي فإننا نعتبر أن قضية حجر بن عدي والمصير الذي انتهت اليه لحظة تاريخية كاشفة عن التغيرات التي اخذت تعمل عملها في الجسد القبلي بالكوفة الذي كان يتحرك طيلة خلافة علي على أساس القبيلة. الموقف بحيث كانت القبائل اليمنية وغيرها تصطف في موقف واحد جوهره نصره علي والذود عن حقه في الخلافة، ومن وراء هذا الموقف رؤيا سياسية قوامها مشاركة القوى المتنفذة ثمرات الحكم ومقاسمتها الثروة المادية الهائلة التي كانت توفرها الموارد الضخمة للعالم الإسلامي الآخذ في الاتساع. وتعبير آخر كانت القبيلة جسدا سياسيا واحدا يتضافر أبنائها في نصره الموقف وتعزيزه ودعمه خلف قياداتها التاريخية التي كانت تتصرف بتوجيهات علي. لكن سياسة الترغيب والترهيب الذكية والدؤوبة التي انتهجها المغيرة ثم زياد من بعده في الكوفة بتكليف من معاوية استطاعت ان تتغلغل في عمق النسيج القبلي وتشطر ولاءاته السياسية ساحبة منه وحدة الموقف الذي كان سببا في قوتها وخطورة تأثيرها.

كان علي بوصفه الامام والقائد السياسي المركز الذي يستقطب كل طاقات القبيلة والنقطة التي تتحد فيها جميع عناصرها وفي ظلّه كانت تتكثف القبيلة متجاوزة تراتبياتها وانقساماتها؛ وبالتالي كان ثقل شخصيته التاريخية وحضوره المهيب سدا مانعا يحول دون تفجر الصراعات الداخلية في القبيلة بفعل تباين حظوظ عناصرها المادية ومطامحها الاجتماعية. وقد كشف اغتياله هذه الحقيقة اذ لم يستطع الحسن أن يلعب هذا الدور وعجز عن أن يكون كلمة اجماع فأخذت التوليفة القبلية بالانفراط وانفتح الباب للخلاف والشقاق الامر الذي عرف معاوية وولاته كيف يستثمرونه في ترويض الكتلة العلوية التي لم يعد موقفها السياسي موحدا وظهرت بوادر هشاشته في المقاومة الهزيلة التي أباتتها القيادات

اليمنية إزاء تهديد زياد ووعيده وسياسته الحازمة في تطويق الحركة من غير حساب للحساسية القبلية واعراف العشيرة العربية التي تحمي أبناءها. لقد اختار جل الشيوخ والسادات والأعيان والوجهاء اليمنيين ان يمالؤوا السلطة وينحنوا لعاصفتها حتى لا يضطرون الى مواجهة لا يكون لهم نصيب من النصر فيها فيخسرون مواقعهم. وما كان متاحا لهم أن يلعبوا ذلك الدور لو لم يكونوا ضامنين لمساندة العناصر الأكثر أهمية في عشائرتهم؛ بحيث لم تكن التفاهتهم ناحية السلطة حركة معزولة خاضعة للحسابات الفئوية الضيقة بقدر ما كانت تعبيرا عن التحولات التي أخذت تعتمل في ذلك المصر. ففي ظل النجاح الذي كانت تحققه القيادة الأموية وأعوانها في امصار العالم الإسلامي والارتباك الذي كانت عليه الكتلة العلوية الآخذ في التحذر والحركات الثورية العفوية غير المنظمة التي كانت عليها حركة الخوارج كانت تشكل بوادر بروز أطر جديدة للولاء الاجتماعي الذي ستكون له نتائجها السياسية؛ وهو ولاء يتجاوز المحدد القبلي الذي ظل يسيطر على المجتمع العربي حتى ذلك الحين؛ خاصة في ظل التحولات الاجتماعية التي أخذت تشهدا الامصار بفعل حركة الانتقال البشري التي مثلتها العناصر غير العربية من الموالي ممن كانوا يجهدون لتحسين مستوياتهم المعيشية من خلال الاشتغال في الحرف والمهن المطلوبة التي ظل العرب يتحاشونها¹. الأمر الذي يشير الى بدايات وعي اجتماعي راح يتكون ببطء بين الفئات والعناصر اليمنية المهملشة التي قدم بعضها في هجرات متأخرة الى الكوفة ملتحقة بقبائلها الأصلية التي لم تكن تملك استعدادات مادية كافية لاستقبالها واستيعابها²، وقد القت هذه المستجندات على كاهل القيادات اليمنية أعباء إضافية زادت على ما كانت تعانيه من حصار وتضييق فرضته عليهم سياسة معاوية العقابية في سنوات حكمه الأولى. ولعل رغبة هؤلاء الأشراف في مد يد العون الى تلك الفئات المعوزة بمقتضى سنة الأعراف العربية القاضية بضرورة الرشد والاعمال والحماية كانت دافعا من بين الدوافع التي ساقتهم الى اقدام السلطة الأموية مستجدين عونها والتي قادتهم في الأخير الى تمتين حبل العلاقة معها. لكن البوادر الطيبة مهما كانت درجة صدقها فإنها لا تصلح أن تكون حلا جذريا للمعضلات الاجتماعية ولا خلاصا من الأزمات والتوترات التي يولدها التفاوت الفئوي في أنماط المعاش والملكية، كما لا تصلح الوعود السياسية في هدفة الشكاوى الا بصورة مؤقتة، فمثل هذا النوع من المشكلات لا يمكن حله الا عبر القرارات الثورية التي تعيد تشكيل المجتمع من خلال إعادة توزيع الثروة ولم يكن متوقعا من السلطة الأموية أن تبادر بمثل هذه الإجراءات خاصة في الكوفة التي تمثل جبهة المعارضة وميراث خصمها السياسي.

¹ نجم حيدر أصول الشيعية، المرجع السابق، ص16. يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، المرجع السابق، ص148. جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص386. إبراهيم الحيدري، الشخصية

العراقية: البحث عن الهوية، ط1، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 2013م، ص61. جيفري، أصول التشيع الاسلامي، المرجع السابق، ص146

² جعيط، الكوفة، المرجع السابق، ص358

في هذا السياق أخذت الأيديولوجيا تتشكل كضرورة تعبيرية عن فشل القبيلة في صيانة كل أبنائها وعجز السلطة عن الوفاء بكل التزاماتها وإطّار للانتظام والتعبئة والحشد لتستقطب الفئات والعناصر المتباينة من الناحية الاثنية لكنها المتجانسة من حيث الوضعي المعيشي ومن حيث المعاناة المادية والتطلعات. وقد تجلّى كل ذلك في سياق حركة حجر بن عدي حيث لاحظنا أن المواجهة بينه وبين السلطة الأموية دارت حول أمرين هاميين: أولهما امر مادي يتعلق بعبث السلطة المقصود في توقيت صرفها للأعطيات؛ حيث كانت أحيانا تقوم بتأخير إخراجها لمستحقيها كشكل من اشكال العقاب ضد الفئات المتمردة على سيطرتها وكانت هذه الأخيرة ترى فيها سلوكا استفزازيا مهينا لا ينبغي السكوت عليه. أما الأمر الثاني فقد كان أمرا معنويا يتعلق باللعن المتكرر الذي كان يلحق اسم علي على منبر المسجد الجامع وعلى رؤوس الاشهاد وجلهم ساندوا عليا وقاتلوا الى جانبه وقد عدوا شتمه وتنقصه سلوكا عدوانيا ليس بالمستطاع تجاهله واغفاله. والأمران كلاهما متضفران اذ ان تأخير الأعطيات وما يتبعها من اختلال في أمور المعاش كان مرتبطا بحقيقة الاستمرار في الولاء لعلي والولاء لأبنائه من بعده والإصرار على حقهم في السلطة بعد معاوية. فالتصرف في الحقوق المادية للرعية خدمة للأغراض السياسية وتصفية الحسابات كان أمرا مستجدا وسابقة لم يكن لها مثال وليست بالأمر الذي تقبله الحمية العربية؛ خاصة وأن حقوقها تلك استحققتها بسيفها في ميادين الفتوح. هذه المستجدات التاريخية هي التي شكلت المناخ التاريخي لظهور التشيع في نسخته الجديدة الذي لم يعد تشيع القبائل اليمنية السياسي المنبثق من ظروف عهد عثمان ومفاعيله السياسية والاقتصادية وانما هو تشيع العناصر والفئات من مختلف العشائر اليمنية والقيسية المدعومة فيما بعد بفئات الموالي التي ظلت ترزح تحت نير السياسة الأموية والتي ستجد فرصتها التاريخية في مستقبل الأيام في حركة المختار الثقفي. لن نصادف مرة أخرى الوضع الذي كانت عليه القبائل اليمنية والقيسية في جيش علي لما كانت تقاتل بكل كتلتها ضد اخوتها في الطرف الشامي ولن يتكرر هذا المشهد مرة أخرى في أي قضية من قضايا آل البيت حيث يصير التشيع يتغذى من مساندة الفئات والعناصر الساخطة من مختلف العشائر ومختلف الاثنيات من غير العرب من غير أن يكون أيديولوجية حصرية لقبيلة او عدة قبائل.

ان التصور الذي نُخرج به من قضية حجر هو أن معاوية وولاه على العراق استطاعوا أن يفرضوا واقعا جديدا صارت القوة والغلبة فيه من نصيب الدولة التي تملك التصرف في مصائر الناس عن طريق مؤسساتها واعوانها المختارين بعناية ومقدرتها على استمالة وجوه الناس وأصحاب الرأي والدراية في تدبير سلطنتها¹، كما تمكنا من قلب المعادلة السياسية القديمة القائمة على مركزية القبائل وألويتها في امتلاك سلطة إدارة امورها لما كان الخليفة لا يعدو أن يكون مشرفا عاما

¹ إبراهيم بيضون، من دولة عمر الى دولة عبد الملك، المرجع السابق، ص 148 . 149

عليها ومسؤولا منها على الحفاظ على مصالحها بمقتضى الاتفاق. وبالتالي لم تعد مهمة الدولة مقتصرة على الوظيفة التنسيقية التنظيمية بين القبائل بل تخطتها الى صيرورتها قوة تمتلك من الموارد المادية والبشرية ما تستطيع به ان تفرض سلطاتها على بقية القبائل، وان تمارس القتل والنفي والتشريد وتحريك الناس من مواطنهم الى مواطن جديدة رغما عنهم. وإزاء الدولة لا يمتلك الناس سوى خيار أن يكونوا معها تأييدا وطاعة والتزاما او ينخرطوا في صفوف المعارضة متعرضين لكل صنوف الرقابة والترهيب.

الفصل الرابع

مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي: من ثورة الحسين الى ثورة المختار الثقفي (61هـ . 69هـ / 680م . 688م)

الفصل الرابع: مساهمة يمنية الكوفة في حركات المعارضة الشيعية في العصر الأموي: من ثورة الحسين إلى ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي (61هـ / 680م . 688م)

1. الدور اليمني في ثورة الحسين:

أ. ولاية العهد ليزيد: مقدمات واشكالات:

أسس عام الجماعة فاصلة تاريخية صارت مرجعية معيارية دستورية جديدة قطعت إلى حد ما مع مرجعية الفتوح وأسست لطبيعة الواقع الذي تلاها. وقد رأينا في الفصل السابق السياق التاريخي المحتدم الذي جاء بمعاوية إلى رأس السلطة الإسلامية؛ حيث استمر في الحكم قرابة عشرين سنة. وهي مدة تعتبر طويلة نسبياً إذا قارناها بمدد الخلفاء من قبله. كما أننا نستطيع أن نستشف منها دلالة على الطبيعة الوقائية للسياسة التي انتهجها في تدبير شؤونه كإنسان وشؤون كسلطان.

استمر معاوية في الحكم قرابة عشرين سنة ولم يكذب يبلغ منتصفها حتى كانت الأمور قد استقرت له تماماً خاصة بعد موت الحسن سنة 50هـ . 670م ومقتل حجر بن عدي سنة 51هـ . 671م¹. عشرين سنة غيرت فلسفة الحكم نهائياً؛ حيث أصبحت السلطة امتلاكاً ومكسباً يتم بالصراع والمغالبة بواسطة العصبية وذلك من أجل اتخاذ مال الله دولا وعباد الله خوفاً. هذا التوجه الذي عبر عنه معاوية في خطبته التي القاها في النخيلة على أنصار علي لما استتب له الأمور: إني والله ما قاتلتكم لنصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك. وإنما قاتلتكم لتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون². الأمر الذي كان ينبئ عن تحول جذري في معنى السلطة ووظيفتها وطرق الحصول عليها؛ إذ كانت السلطة في العهد الراشدي محصلة لاختيار الناس من حيث هي أداة ضرورية ولازمة لتدبير شؤونهم التي كانت تتضاعف وتتعدد، لذلك كانت الشورى هي الأسلوب المتوقع استخدامه؛ فليس الخليفة إلا ممثلاً عنهم من حيث هو شخص متفرع لإدارة شؤونهم ويأخذ نظير خدماته تلك ما يكفل له ولأهله معيشتهم. فالدولة دولة الناس والمال ما لهم ولا حق لأحد فيه إلا بالحق الذي تكفله له التشريعات، وبالتالي لم تكن السلطة مؤسسة خاصة. لكن الذي حدث بعد

¹ أورد الأصبهاني الخبر التالي: عن عمر بن بشير الهمداني، قال: قلت لأبي إسحاق: متى ذل الناس. قال: حين مات الحسن، وادعى زياد، وقتل حجر بن عدي. وهو يتضمن أهم الأحداث التي دلت على التحولات التي أشرت إليها في المتن. الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص83. إبراهيم بيضون، ثورة الحسين حدثاً واشكاليات، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2007م، ص23.

² الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر نفسه، ص77. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص140. محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، ط7، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م، ص116.

ذلك هو ان الخلافة تحولت الى مؤسسة قائمة بحد ذاتها ومستقلة عن الرعية التي تحكمها فراحت ترمي عن نفسها رداء الخلافة لتتلفع بلبوس الملك. ولم يعد منصب الخليفة وظيفه شخص فرد تختاره الأمة بواسطة الشورى وانما صار مغنما تتجشم عناء الحصول عليها كتلة اجتماعية مسيسة هي عبارة عن عصابة تجمعها المصالح الواحدة والهدف الواحد؛ فليس الخليفة الا واجهة تقف خلفها هذه الكتلة تعززه وتدعمه بما أنها تدعم مصالحها التي تشابكت معه. وقد اجتهد معاوية في إعادة ترتيب المجال السياسي الاجتماعي للأمة الإسلامية عن طريق توظيف الإدارة والاقتصاد؛ بواسطة شبكة من الأنصار والموالين الذين ارتبطت مصالحهم مع مصالح الدولة الجديدة. كما حرص على تركيز المال بيده بوصفه القوة التي ظل يستخدمها في تدبير الشأن السياسي¹. ومن حنكته السياسية انه كان يعتمد الى استخدام أساليب متنوعة في التعامل مع المعارضة؛ جامعا مرة وخالطا أخرى بين سياسة الاذلال الخفيف الناعم الى الحد الذي لا يؤدي الى الهياج والثورة وبين القسوة واستعمال الشدة. ومضى في مشروع التفضيل الذي ورثه عن عثمان في شأن توزيع الثروة المالية بدلا عن التسوية لكنه حوله الى تفضيل مبني على مقدار القرب والبعد من عصبية الحكم ومقدار الولاء للدولة².

لا غرابة في المستجدات التي حفلت بها دولة معاوية لأنها في الأساس قامت في سياق تاريخي ميزه الصراع بين أهل العراق وأهل الشام دون بقية الناس، فأما الكتلة الشامية فان سلطته عليها لم تتحقق بمقتضى آليات الاختيار والشورى وانما تمهدت له من خلال المدة الطويلة التي قضاها واليا عليها، واما الكتلة العراقية فقد فرض سلطته عليها بواسطة التغلب الذي تحقق له على إثر تنازل الحسن له بالخلافة؛ وبالتالي فان جمهور الأمة الإسلامية لا يدين له بشيء يخص سلطته عليه الا ما تقتضيه السياسة من استرضاء للناس يجنبه مغبة الثورة والاضطراب؛ خاصة أنه استطاع في مدة خلافته ان يحول مشروعية الحكم ومركزيته من الأمة الى الدولة وان يجعل القرار السياسي يولد من رحم الواقع المفعم بالصراع والتدافع لا من خلال الأفكار والمبادئ. لذلك فان قراره تولية يزيد من بعده لم يكن حدثا غريبا في هذا السياق. وقد تم تسويق ولاية العهد ليزيد بوصفها اجماعا إسلاميا وذلك بواسطة استنهاض همم الخطباء والشعراء الذين كانوا جهاز دعاية شديد التأثير، واستمالة وجوه الناس واعيانهم ممن يخشى اعتراضه وكتم الأصوات المعارضة بواسطة التهديد الجاد. وقد لخص معاوية كل هذه الأمور في وصيته ليزيد وهو يتداول معه شأن خلافته من بعده: إني مهدت لك الأمور، ولم يبق أحد لم يبايعك غير هؤلاء الأربعة، فأما عبد الرحمن، فرجل كبير، تمابه اليوم وغداً، وأما ابن عمر، فرجل قد غلب عليه

¹ ابن إبراهيم، المرجع السابق، ص 327.

² إبراهيم بيضون، من دولة عمر الى دولة عبد الملك: دراسة في تكون الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1991م، ص 145 . 146.

الورع، وأما الحسين فله قرابة، فإن ظفرت به، فاصفح عنه، وأما ابن الزبير، فإن ظفرت به، فقطعه إزياً¹. وكانت نتيجة هذه المساعي أنه تمكن من تقديم يزيد في صورة المرشح الذي يتمتع بالرضا والقبول ومن تسول له نفسه الاعتراض عليه فانه يعتبر خارقاً للإجماع وخارجاً عن القانون وهو الرأي الذي عبر عنه بعد ذلك الفقيه والمتكلم المالكي أبو بكر بن العربي لما كتب ان الحسين قتل بسيف جده². وبهذه الأساليب فان معاوية يعتبر اول من سن من الخلفاء سياسة الأمر الواقع التي تقوم على القهر والتغلب واستخدام الحيلة في تمرير وقائع وأوضاع لا تتوفر على الرضا العام لكنه كان يراها ضرورية لاستقرار الأمور. وبذلك فانه فرض على المعارضة أن ترتب أوراقها من جديد وتعيد النظر في نقاط اعتراضها؛ فلم تعد مطالبها متوقفة على امر المفاضلة والتسوية في المردود المادي فقط وانما تقدمت الى الاحتجاج على السياسة ذاتها بما هي طريقة إدارة الحكم؛ أي على الممارسة ذاتها كما اتضح مغزاها في طرق حماية السلطة وضمن تداولها في عصبية محددة. اذن فقد كان معاوية فيما يخص توليته العهد ليزيد يدرك جيداً مسارات الانحراف التي مضى فيها؛ وأن فعله ذلك سابقة في تاريخ الإسلام لم يسبقه اليها أحد ممن ولي الخلافة قبله، رغم أن عثمان قرب اليه بني أمية وقدمهم في الولايات الا أن أمر الخلافة كان شأنًا عامًا تستمد شرعيته من الناس. لكنه كان رجلاً سياسياً بامتياز يعنيه أكثر ما يعنيه اعتبارات الواقع وممكناته أكثر مما تعنيه المبادئ في حد ذاتها، لذلك عرف كيف ينتهج سياسة واقعية قامت على لعبة الولاءات والأحلاف والمصاهرات وضرب القوى السياسية بعضها ببعض؛ على طريقة السياسيين المحترفين من الأمم الأخرى والتي كان معاوية كثير الاطلاع عليها بواسطة الإخباريين ممن كانوا يزينون مجلسه³. كان معاوية يعرف السيرة التي أدار بها أبو

¹ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر، المصدر السابق، ج1، ص187. أبو حفص عمر بن الورد، تاريخ ابن الورد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج1، ص161.

² علق ابن العربي على مقتل الحسين وذكر الذين قاتلوه فقال: وما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيم على الرسل، المخبر بفساد الحال، المخذر عن الدخول في الفتنة. أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ت محب الدين الخطيب وآخرون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م، ص244.

³ أورد المسعودي في مروجه نبذة عن عادات معاوية بعد أن تولى الخلافة جاء فيها: ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية، فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدرًا من ليلتهم، ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيته وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيته، وغير ذلك من اخبار الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيته، وغير ذلك من اخبار الأمم السالفة.. ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايده، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص31.

بكر وعمر وعثمان رعيته، لكنه لم يكن يريد ان يهتدي بمهديها؛ لأنه فضل أن يكون ملكا وافتخر بكونه أول الملوك¹، فوضع بذلك الحد الفاصل بين طبيعتين وطريقتين للحكم والسلطة؛ الطريقة الراشدة والملك العضوض². صار الحكم لديه غاية بحد ذاتها وان يبقى في السلطة ويرثها بنوه من بعده هدفا ظل يسعى اليه، واستخدم في ذلك كل مهاراته على طريقة القياصرة والأباطرة الذين كانوا قريين منه جغرافيا وقريين من بلاد الشام ثقافيا نظرا لكونها كانت بلدا رومانيا وبيزنطيا لقرون طويلة.

اختلفت الروايات التي عرضت لموضوع توريث معاوية السلطة ليزيد في ايرادها للظروف التي انبثقت فيها الفكرة والتفاصيل التي أحاطت بولادتها. وتنوعت الأخبار في ذلك تنوعا لا يسلم من الوضع والاختلاق والدس. وقد وجد فيه الأعداء التاريخيين للدولة الأموية فرصة لعرض مثالب معاوية وابنه وتأكيد انحرافهما عن جادة الصواب. وجل هذه الروايات تضع الأمر في سياق التنافس على السلطة والملك وفي سباق إرضاء معاوية وعصبته. ومن بين أكثر الروايات شيوعا في المصادر الخيرة التالي: قدم المغيرة على معاوية فشكا إليه الضعف، فاستعفاه فأعفاه وأراد أن يوِّلي سعيد بن العاص وقال أصحاب المغيرة للمغيرة: إنّ معاوية قلاك، فقال لهم: رويدا ونهض إلى يزيد وعرض له بالبيعة. وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش ورادوا أسناتهم، وإنما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وسياسة، وما أدري ما يمنع أمير المؤمنين من العهد لك فأدّى ذلك يزيد إلى أبيه واستدعاه وفاوضه في ذلك. فقال: قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان وفي يزيد منك خلف، فاعهد له يكون كهفا للناس بعدك فلا تكون فتنة ولا يسفك دم وأنا أكفيك الكوفة ويكفيك ابن زياد البصرة فردّ معاوية المغيرة إلى الكوفة، وأمره أن يعمل في بيعة يزيد فقدم الكوفة وذاكر من يرجع إليه من شيعة بني أمية فأجابوه، وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه إلى عقد البيعة ليزيد. فقال:

¹ ذكر ابن ابي شبة في مصنفه قال: حدثني الفضل بن دكين قال: حدثنا ابن أبي غنية عن شيخ من أهل المدينة قال: قال معاوية: أنا أول الملوك. ابن ابي شيبه، المصدر السابق، ج6، ص207. ابن عبد البر، الاستيعاب، المصدر السابق، ج3، ص1420. ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج59، ص177. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص157.

² الخلافة بعد منقرض الأربعة الراشدين شابتها شوائب الاستيلاء والاستعلاء، وأضحى الحق المحض في الإمامة مرفوضا، وصارت الإمامة ملكا عضوضا. أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ت عبد العظيم الديب، ط2، مكتبة امام الحرمين، 1401هـ، ص139. عن سفينة مولى رسول الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا وفي رواية: ثم يؤتي ملكه من يشاء. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج6، ص220.

المقام الثالث وهو الانقلاب الكلي إلى الملك البحث: وذلك عند ذهاب معاني الخلافة ما عدا اسمها وجريان طبيعة التغلب إلى غايتها في استعمال أغراضها من القهر والتحكم في الشهوات والملاذ. قلت يدل عليه حديث أن هذا المر بدأ نبوة ورحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبرية وفسادا في الأمة. أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبغي الأندلسي المشهور بابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ت علي سامي النشار، ط1، وزارة الاعلام، العراق، دت، ص96.

أوقد رضيتموه. قالوا: نعم. نحن ومن وراءنا. فقال: ننظر ما قدمتم له ويقضي الله أمره، والأناة خير من العجلة¹. وقد تداولت المصادر التاريخية هذه الرواية بتنويعاتها المختلفة جاعلة من المغيرة بن شعبه والي الكوفة المسؤول الأول عن هذا الاقتراح الذي صادف رغبة عند معاوية. لكن مصادرنا لم تبخل علينا بروايات أخرى توازن هذه الرواية تجعلنا نقرأ الأمر في ضوء أوسع وتجعل مقترح التوريث يندرج في حسابات المصلحة العامة حقنا للدماء ودرءاً للفتنة. وتصوره قراراً تم نتيجة مباحثات ومشاورات معمقة أجراها معاوية مع رؤساء الناس واعيانهم متحسسا من خلالهم قوى الموالاتة وقوى الرفض ومستبصرا مآلات القرار وتبعاته². وما كان ليقدم معاوية على هذه الخطوة من دون ضمانات كافية تجعل الأمر ممهدا. ولعل في الرواية التي ساقها الطبري ما يؤكد هذا المعنى: لما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستحلاف يزيد ان حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهد، فاستوسق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر³. وقد أورد ابن عبد ربه في هذا الصدد رواية طويلة ضمنها تفاصيل بعض المشاورات التي كان معاوية قد عقدها مع وجوه الناس مثل محمد بن عمرو بن حزم والضحاك بن قيس وعمرو بن سعيد ويزيد بن المقنن والأحنف بن قيس ومن كان يهيمه امره كابن الزبير وابن عباس والحسين وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن عمر⁴.

ان الأخبار التي سيقنت في هذا الشأن تكاد تخلو من الإشارة الى أي معارضة جادة في وجه معاوية ومشروعه الجديد عدا الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وكلاهما كان يرى نفسه أحق بالخلافة من يزيد ويجدان ان صيرورة الخلافة اليه أمر يتعذر قبوله. اما بقية الناس من الأشراف والاعيان ممن كانوا يحسبون في المعارضين مثل الأحنف بن قيس شيخ تميم فقد فضلوا عدم المواجهة واكتفوا بالتلميح عن التصريح وصاغوا اعتراضهم في صورة النصيحة والارشاد⁵. وفي ذلك دلالة على التحول الذي مس حياة الناس وأثر في طرق إدارة الشأن العام كما سبق عرضه. صار الأمر سابقة في الدولة الإسلامية سار على خطاها كل من حكم الأمة الإسلامية وتحولت الى موضوع لنقاش طويل لدى كل من تصدى للكتابة في شأن الاحكام السلطانية وقضايا السلطة من وجهة نظر فقهية. وصيغ الموقف برمته في صورة جدل فقهي وكلامي دار حول

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص301. 303. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص19. محمد بن عبد الهادي بن رزان الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية 60. 64هـ، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2009م، ص99.

² جاء في العقد الفريد أن أبا الحسن المدائني قال: لما مات زياد، وذلك سنة ثلاث وخمسين، أظهر معاوية عهدا مفتعلا فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد، فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين، ويشاور، ويعطي الأقارب ويداني الأبعاد، حتى استوثق له من أكثر الناس. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص117.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص303.

⁴ ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص117. 120.

⁵ ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر نفسه، ج5، ص120. 121. أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص223. 224.

امامة المفضول وما يترتب عليها شرعا بغية إيجاد مخرج شرعي لهذه الواقعة وما شابهها¹. وكان ابن خلدون ممن ساهم في هذا الجدل وعرض في مقدمته تفسيراً لما حدث جاء فيه: والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحلّ والعقد عليه حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فأثره بذلك دون غيره ممن يظنّ أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهمّ عند الشارع².

لقد تمكن معاوية في نهاية الأمر من تهيئة البيعة ليزيد ظاهرياً بواسطة أدوات السياسة بكل ما تتضمنه من ترغيب وترهيب واستقواء فخضعت له أعناق خاصة الناس وعامتهم. لكن الأمر الذي ظل بعيد المنال ولم يتمكن معاوية من تحصيله هو الرضا الحقيقي عن يزيد وحسن رأي الناس فيه؛ خاصة في خضم الأخبار المشينة التي كانت تروى عنه وما كان يتناقله العارفون بخباياه من مجون وترف لم يكن يليق بمنصب الخلافة. لسنا هنا في مقام تصديق تلك الأخبار أو تكذيبها بسبب تعذر الوصول إلى حقيقة بشأنها والفصل فيها لكن الذي يهمنا هو كيفية توظيفها من طرف القوى التي ظلت تعارض هذا المشروع واستخدامها حجة تدعم توجهاتها، وسوف نرى كيف استثمر عبد الله بن الزبير وأهل الحجاز

¹ أجمل ابن حزم آراء الناس في مسألة امامة المفضول فكتب: ذهب طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاي ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة إلى أنه لا يجوز إمامة من يوجد في الناس أفضل منه وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع أهل السنة إلى أن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه. أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، د ت، ج4 ص126. ولمزيد من التوسع في آراء الفرق الإسلامية في المسألة يرجع إلى: الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص150. 161.

ولخص الماوردي المسألة كالتالي: ولو ابتدأوا بيعة المفضول مع وجود الأفضل نُظر، فإن كان ذلك لعذر دعا إليه من كون الأفضل غائباً أو مريضاً، أو كون المفضول أطوع في الناس وأقرب في القلوب، انعقدت بيعة المفضول وصحت إمامته. وإن بويع لغير عذر فقد اختلف في انعقاد بيعته وصحت إمامته؛ فذهبت طائفة منهم الجاحظ إلى أن بيعته لا تنعقد؛ لأن الاختيار إذا دعا إلى أولى الأمرين لم يجز العدول عنه إلى غيره مما ليس بأولى كالاتجاه في الأحكام الشرعية. وقال الأكثر من الفقهاء والمتكلمين: تجوز إمامته وصحت بيعته، ولا يكون وجود الأفضل مانعاً من إمامة المفضول إذا لم يكن مقصراً عن شروط الإمامة. أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي الشهير بالماوردي، الأحكام السلطانية، د ط، دار الحديث، القاهرة، د ت، ص27. وعرض امام الحرمین الجويني للمسألة فذكر مختلف الآراء حولها ثم سجل رأيه فكتب: لا خلاف أنه إذا عسر عقد الإمامة للفاضل، واقتضت مصلحة المسلمين تقلب المفضول، وذلك لصغو الناس، وميل أولى البأس والنجدة إليه، ولو فرض تقلب المفاضل لاشترأت الفتن، وثارت المحن، ولم نجد عدداً، وتفرقت الأجناد بدداً، فإذا كانت الحاجة في مقتضى الإيالة تقتضي تقلب المفضول، قدم لا محالة؛ إذ الغرض من نصب الإمام استصلاح الأمة، فإذا كان في تقديم المفاضل اختباطها وفسادها، وفي تقديم المفضول ارتباطها وسدادها، تعين إيثار ما فيه صلاح الخليفة باتفاق أهل الحقيقة. الجويني، غياث الأمم، المصدر السابق، ص167. راجع كيف استخدم أبو بكر بن العربي هذه المسألة في سياق الاحتجاج لشرعية حكم يزيد. أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص228. 230.

² ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج1، ص263.

هذه الأقاويل في حق يزيد بوصفها مستندا يدعم ثورتهم عليه ويبرر تبرؤهم من بيعته وخلعهم إياه؛ الأمر الذي قاد إلى عنف شديد غير مسبوق اكتسح المدينة ومكة واخترق حرمتها.

ب . خروج الحسين ومقتله:

ظلت قوى المقاومة طيلة أيام معاوية؛ شبه نائمة كأنها الجمر المدفون تحت الرماد؛ خاصة بعد الأسلوب الحازم الذي أجازه معاوية لولاته في معالجة أي محاولة تريد التشويش على سلطته، وكانت قضية حجر بن عدي وأصحابه نموذجاً عملياً لهذا التوجه؛ حيث لم يتورع معاوية عن ضرب أعناقهم؛ كإشارة إلى العنف الذي تستطيع السلطة أن تستخدمه فيما لو تجاوزت الأمور حدها. وإشارة إلى أن الحوار في شأن أسسها وشرعيتها من جديد غير وارد بالمرّة. فوضع بذلك لنشاط قوى المعارضة سقفها الذي لا ينبغي لها أن تتجاوزه. لعبة العصا والجزرة والترغيب والترهيب واستمالة جميع الأطراف من طريق تفعيل الرغبة والخوف.

لقد فطن معاوية مبكراً لخطر التنظيمات السرية وأوعز إلى عماله باستخدام الحزم واليقظة في التنقيب عنها وشلها وتفكيكها، في حين كان يستند إلى عصيته المتوزعة ببلاد الشام والتي كانت أكثر تنظيماً وأشد تماسكاً وتكاتفاً من قوى المعارضة المشتتة. وقد أدرك الفائدة من الرفض المتبادل بين الشيعة والخوارج فاستفاد منه في تجييش قوى الشيعة من اليمنية وغيرهم لما كان يستنفدهم بواسطة واليه على الكوفة والبصرة للانضمام إلى جند السلطة وقتال الخوارج؛ الأمر الذي فوت عليهما إمكانية التفاهم والاجتماع على مناهضة حكمه. وبالتالي بين الخوف والطمع وضعف التنظيم وافتقاد القيادة المناسبة بقيت المعارضة في حالة إرجاء وتأجيل تترقب إلى ما تصير إليه الأوضاع. كما أن قطاعاً آخر ممن لعب في مراحل سابقة أدواراً سياسية إلى صف علي أو صفوف الخوارج الأولين أو ممن بقي على طرف الحياد السياسي أثر الانسحاب من النشاط السياسي استجابة لضرورات السن أو دواعي نوازع جديدة بدأت تتبلور داخل المجتمع الإسلامي في الأمصار وغيرها؛ كنزعات الزهد والانصراف إلى العبادة أو الاشتغال المنقطع إلى العلم والرواية والاهتمام أكثر بالقضايا الاجتماعية ومحاولات تحسين ظروف الناس من خلال استخدام مبدأ الوساطة والشفاعة لدى السلطة. ولعل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وأبا هريرة من الرموز المهمة لهذه الفئة.

جاء في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري أن معاوية لما أحس بدنو أجله أوصى إلى ابنه يزيد وصية تضمنت ما يشبه برنامجاً سياسياً عاماً في العلاقة مع القوى السياسية المتوزعة بين الأمصار المهمة جاء فيها ما يلي: أبلغا يزيد وصيتي، واعلماه أني أمره في أهل الحجاز أن يكرم من قدم عليه منهم، ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم، فإنهم أصله، وأنني أمره في أهل العراق أن يرفق بهم ويداريهم ويتجاوز عن زلاتهم، وأنني أمره في أهل الشام أن يجعلهم عينيه وبطانته، ولا يطيل

حبسهم في غير شامهم، لئلا يجروا على اخلاق غيرهم¹. وهي كما نرى مفعمة بالرفق والتحمل وإرادة الصفح والعفو والتجاوز؛ وذلك ربما حتى لا يثير القوى السياسية المتربصة والتي تنتظر أي بادرة للقمع حتى تتخذها ذريعة حتى تتملص من البيعة التي قدمتها مرغمة. كما لم ينس معاوية ان يضمنها مصادر الخطر التي يتوقعها على مستوى الأفراد فقال: واعلماه اني لست اخاف عليه الا اربعة رجال: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن ابي بكر، وعبد الله بن الزبير. فأما الحسين ابن علي فاحسب اهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه، فان فعل، فظفرت به، فاصفح عنه، واما عبد الله بن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة، وليس بطالب للخلافة الا ان تأتبه عفوا، واما عبد الرحمن بن ابي بكر فانه ليس له في نفسه من النباهة والذكر عند الناس ما يمكنه طلبها، ويحاول التماسها الا ان تأتبه عفوا، واما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك روغان الثعلب، فان امكنته فرصه وثب فذاك عبد الله بن الزبير، فان فعل وظفرت به، فقطعه اربا اربا الا ان يلتمس منك صلحا، فان فعل فاقبل منه، واحقن دماء قومك بجهدك، وكف عاديتهم بنوالك، وتغمدهم بحلمك².

الوصية تكاد تكون ملخصا عن الأسلوب الذي انتهجه معاوية طوال حكمه في التعامل مع حلفائه ومناوئيه مازجا بين الحزم والحلم ما وجد الى ذلك سبيلا؛ غير متعجل للعنف ولا للمجابهات ما لم يكن له منها مناصا. لكن الذي وقع من يزيد في مدة حكمه القصيرة جاء على الخلاف من وصية معاوية له؛ اذ انزلق الى سلسلة من القرارات العنيفة التي مست بعض الرموز والمقدسات³ فأشعل في العراق والحجاز جملة من حركات المعارضة التي راحت تنفخ في رماد التاريخ القريب لإعادة تحريك لحظة الصلح التاريخية بين معاوية والحسن بن علي والتي اتفق فيها الطرفان على أن يتولى معاوية الحكم في حياته على أن يتولاه الحسن من بعده، وبما أن كلا الرجلين لم يعودا من بين الأحياء؛ فان قوى المعارضة ترى أن الأمر ينبغي أن يعود مجددا الى إرادة الأمة وحققها في الاختيار بمقتضى الشورى الحقيقية؛ لأن بيعة يزيد تمت بالإكراه والضغط؛ وبذلك فان شرعيتها مهتزة، وتعتبرها زلة من زلات معاوية يجب تجاوزها كأنها لم تكن⁴. غاضة الطرف او غافلة

¹ أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص226.

² أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ابن سعد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ت محمد بن صامل السلمي، ط2، مكتبة الصديق، الطائف، 1993م، ج1، ص226. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص38.

³ ربما أراد يزيد أن يبدو في صورة الحاكم الحازم حتى لا يطمع فيه الطامعون لكن سياسته أثمرت لدى رموز المعارضة مقاومة صامدة. تأمل النص التالي: فلما ورد نعي معاوية قال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة ابعث إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما. المطهر بن طاهر المقدسي، المصدر السابق، ج6، ص9.

⁴ جاء في بعض الحوارات التي كانت تدور بين عبد الله بن الزبير والحسين رأي ابن الزبير في شرعية خلافة يزيد فكان مما قاله: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولادة هذا الأمر دونهم. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص383.

عن طبيعة التحولات التي مست شبكة الولاء السياسي طيلة عشرين سنة من حكم معاوية. فانطلقت قوى الثورة من عقابها في كل من الحجاز والعراق تريد تصحيح المسارات المنحرفة. ولم تهدأ نارها الا بالقبضة الحديدية التي أدار بها عبد الملك بن مروان الأمور فور استلامه السلطة خلفا عن أبيه مروان.

لما مات معاوية في رجب من سنة 60 هـ . 680م، في دمشق صعد الضحاک ابن قيس الفهري المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن معاوية أمير المؤمنين كان عود العرب وحدها ونابها، قطع الله به الفتنة وجمع به الكلمة، وملكه خزائم العباد وفتح له البلاد، ألا وإنه قد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ثم مدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين ربه، ثم هو الهرج إلى يوم القيامة¹. وكان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعلى العراق عبيد الله بن زياد فلما ورد نعي معاوية قال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة ابعث إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما فاستدعاهما في جوف الليل ونعى اليهما معاوية وأخذهما بالبيعة ليزيد فقال له الحسين أخرجني وارفق، فأخره، فخرج إلى مكة².

تذهب بعض الروايات الى ان شيعة الكوفة لم تنقطع آمالهم في الحسين فكانوا: يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية، وهو يأبى³، فلما بويع يزيد أتته رسل أهل الكوفة: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا. وجاء في رواية أشمل أن: الشيعة اجتمعت في منزل سُلَيْمَانَ بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فَقَالَ لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، وَقَدْ خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصرته ومجاهدوه وهاجدهم فكتبوا إليه، وإن خفتهم الوهل والفضل فلا تغروا الرجل من نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه⁴. فكتبوا إليه جملة وفيرة من الرسائل كانوا يرسلونها تباعا مع

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص155. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص324، 328. ابن حبيب، المخبر، المصدر السابق، ص21. كمال الدين بن العدم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ت خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص24. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص152. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج4، ص317. أبو الفرج غريغوريوس المطي المعروف بابن العربي، مختصر تاريخ الدول، ت أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت، 1992م، ص110. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص151. يجعل خليفة بن الخياط وفاة معاوية سنة 59هـ. خليفة بن الخياط، التاريخ، المصدر السابق، ص226.

² المطهر بن طاهر المقدسي، المصدر السابق، ج6، ص9. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص151. أبو العرب التميمي، المصدر السابق، ص148.

³ ابن سعد، الجزء المتمم للطبقات، المصدر السابق، ج1، ص439. السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص157.

Lesley.Hazleton,ibid, P 184-185

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص352.

ثقافتهم إلى مكة حيث استقر الحسين بعد خروجه من المدينة. جاء في بعضها: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب ابن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر على غيرها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنيائها، فبعدنا له كما بعدت ثمود. إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك¹. جعلت هذه الرسالة وغيرها من الحسين في حيرة شديدة وأقام أياما مهمومًا يجمع الإقامة مرة ويريد المسير إليهم مرة أخرى، فطلب المشورة من العبادلة الذين كانوا متواجدين بمكة فأشار عليه ابن الزبير بالخروج، وكان عبد الله بن عباس يقول له: لا تفعل، أما ابن عمر فقال له: لا تخرج، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنك بضعة منه ولا تنالها - يعني: الدنيا- واعتنقه وبكى وودعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا الحسين بالخروج، ولعمري قد رأى في أبيه وأخيه عبرة². ولما عزم على النهوض إلى العراق زاره جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد الليثي وغيرهم ليشنوه عن عزمه فلم يطع أحدًا منهم وصمم على المسير، فقال له ابن عباس: والله إني لأظنك ستقتل بين نساءك وبناتك كما قتل عثمان، فلم يقبل منه، فبكى ابن عباس، وقال: أقررت عين ابن الزبير³. أما عبد الله بن جعفر فإنه قام إلى والي مكة حينها عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه وقال: اكتب إلى الحسين كتابا تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع، فقال عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له: اختمه، وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن يطمئن نفسه إليه، ويعلم أنه الجدد منك، ففعل. لكن الحسين رفض جميع المحاولات واستمر في عزمه⁴. وقبل خروجه أرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة ليتحقق من نوايا الناس ومدى استعداد أنصاره للثورة. فخرج حتى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي، وفي رواية أخرى انه نزل على المختار بن عبيد

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص 157. 158.

² ابن سعد، الجزء المتتم للطبقات، المصدر السابق، ج1، ص 439. السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 157.

³ السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 157.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص 388.

الثقفي¹. فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفا وتسامع الناس بمقدمه فقام رجل ممن يهوى يزيد يقال له عبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي إلى النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة آنذاك وكان النعمان عثمانيا متشددا، فقال له: إنك ضعيف أو متضعف، قد فسد البلاد فقال له النعمان: أن أكون ضعيفا وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قويا في معصية الله، وما كنت لأهتك ستره الله². ويبدو ان النعمان رغم عثمانيته ومجانفته لأنصار علي الا أنه كان يفضل أن يتحاشى مواجهة الحسين ومن معه حتى لا يتحمل مسؤولية أي مكروه قد يصيبهم تلحقه بسببه اثما ومعة³. وكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ومحمد بن الأشعث الكندي وغيرهما إلى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل وبما ظهر لهم من ضعف النعمان بن بشير وعجزه ووهن أمره⁴. فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان بولاية الكوفة إلى ما كان يلي من البصرة⁵، وأمر عبيد الله بطلب ابن عقيل ونفيه إذا ظفر به أو قتله، وأن يتيقظ في أمر الحسين ويكون على استعداد له. وقد كان الحسين كتب إلى أشرف البصرة ووجوهها ورؤوس أحماسها مثل: مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر وآخرين يدعوهم إلى كتاب الله، ويقول لهم: إن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد احييت ونعشت. فكتبوا كتابه إلا المنذر بن الجارود العبدي فإنه خاف أن يكون عبيد الله بن زياد، دسه

¹ الدينوري، المصدر السابق، ص231. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص134.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص347. جاء لدى ابن ربه في العقد الفريد أن عدد من بايعه بلغ ثلاثين الفا وهو رقم مبالغ فيه. ابن عساکر، المصدر السابق، ج14، ص213. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص136. ابن حبان، الثقات، المصدر السابق، ج2، ص307. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص54. ابن العديم، بغية الطلب، المصدر السابق، ج6، ص2614. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج4، ص364. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج2، ص69. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، المصدر السابق، ج2، ص349.

³ ورد عند البلاذري ان: النعمان بن بشير الأنصاري يومئذ كان عامل يزيد بن معاوية على الكوفة، وكان رجلا حليما يحب العافية، فلما بلغه خبر قدوم مسلم خطب الناس فدعاهم إلى التمسك بالطاعة والاستقامة، ونهاهم عن الفرقة والفتنة، وقال: إني والله لا أقاتل إلا من قاتلني ولا آخذ أحدا بظنة وقرق وإحنة. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص77.

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص77. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج2، ص70.

⁵ جاء في بعض الأخبار ان يزيد كان غاضبا على عبيد الله بن زياد وكان يفكر في عزله عن البصرة لكنه رآه أصلح من النعمان في إدارة الوضع المتطورة في الكوفة فولاه عليه. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص348. جمال الدين يوسف بن عمر المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ج6، ص423.

إليه، فأخبره به وأقرأه إياه¹. وتشير بعض الأخبار إلى وجود قاعدة شيعية في البصرة كانت تضم رجالا ونساء لكنها كانت اشبه بخلية صغيرة نائمة، ولم تكن من الأهمية بحيث تهدد السلطة الأموية في البصرة².

ولما قدم عبيد الله بن زياد واليا على الكوفة خلفا للنعمان بن البشير شدد في أمر مسلم وأتباعه وأخذ العرفاء والناس أخذًا شديدًا، فقال: اكتبوا إلي الغبراء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحدا، فيضمن لنا ما في عرفته الا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأبما عريف وجد في عرفته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، والقيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزارة³. وبهذه الصرامة والحسم يذكرنا عبيد الله بالطريقة التي أدار بها أبوه زياد قضية حجر بن عدي؛ حيث لم يستنكف عن اخذ البريء بالمخطئ ولم يتردد في استخدام نفوذ الوجهاء والأشراف وسادة القبائل في الالتفاف على الثورة وتطويق عناصرها. وقد عرف كلاهما كيف يمسكان بتلابيب فئة الأشراف ويوجهانها في خدمة مقاصد السلطة.

دفعت عيون عبيد الله المتيقظة مسلم بن عقيل إلى أن يغير مكان اقامته إلى دار هانئ بن عروة المرادي شيخ قبيلة مراد اليمنية رغم التخوف الذي أبداه هانئ من تبعاته لأنه كان مقربا من دوائر السلطة ولا يرغب في حدوث مواجهة بينه وبينها تحرمه المكاسب التي حصلها لنفسه ولقومه⁴؛ إذ كان هانئ لوجهته يركب في اربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل من مراد، وإذا إجابتها احلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع⁵. لكنه سكت على مضض اكراما للحسين وذكرى ابيه. وكتب مسلم من محبته إلى الحسين يخبره بما انتهت إليه مساعيه وبيعة اثني عشر ألف مناصر له ويطلب منه القدوم⁶. لكن حدثا يمثل هذه الأهمية في الكوفة لا يبقى سرا الا بعض الوقت في ظل حرص السلطة وعيونها على تقصي جلية الأمور. وتذهب بعض الروايات إلى أن مسلم وبعض أنصاره فكروا في اغتيال عبيد الله بن زياد في دار هانئ الا أنهم

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص78. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص357.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص353.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص359. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص42. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص137.

⁴ وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد الكوفة، فأقبل حتى أتى دار هانئ بن عروة ابن نمران المرادي فدخل من بابه ثم أرسل إليه أن أخرج إلي. فخرج إليه فقال له مسلم: يا هاني إني أتيتك لتجبرني وتضيفني. فقال هانئ: والله لقد سألتني شططا، ولولا دخولك داري وثقتك لي لأحببت أن تصرف عني ولكنه قد وجب علي ذمامك. فأدخله داره. وكانت الشيعة تختلف إليه فيها. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص79.

⁵ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص59.

⁶ المري، تحذيب الكمال، المصدر السابق، ج6، ص424. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج2، ص468.

تراجعوا عن مرادهم اتقاء للحرج الذي قد يصيبه¹. ومضى عبيد الله بن زياد يبحث أعوانه في تقصي جلية الأمور حتى تبين له الدور الذي لعبه هانئ في إيواء مسلم والتكتم عليه فتحايل عليه حتى جلبه الى قصره ثم قتله رغم المحاولات المحتشمة التي قامت بها بعض العناصر المذحجية لتخليصه². ولما تناهى الى مسامع مسلم المصير الذي حل بهانئ سارع الى الخروج من مخبئه معلنا الثورة واتجه بأنصاره الى القصر بقصد القضاء على ابن زياد وأعوانه وتحرير هانئ. لكن حركته المتعجلة هذه انتهت الى ما انتهت اليه شبيهاًها من الفورات التي سرعان ما تنطفئ نارها حالما تواجه مقاومة منظمة وتدير يحاك على نار هادئة. فقد استطاع ابن زياد أن يتماسك مع قلة من الرجال الذين كانوا معه وأرسل في طلب أشرف الناس: ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويجذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويجذرهم عقوبة السلطان، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشم بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلعة عدد من معه من الناس³. ولما اشتد عليه الحصار وخشي انفلات الأمور جمع الأشرف وطلب منهم أن يجدوا في تفريق الناس عن مسلم فكان فيما قاله لهم: أشرفوا على الناس فمنا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم⁴. فقام كثير بن شهاب خطيباً في الجموع الغاضبة فقال: أيها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن أتممت على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلم الأشرف بنحو من كلام هذا، فلما سمع مقاتلهم الناس أخذوا يتفرقون، وأخذوا ينصرفون⁵. وبهذه الحركة الذكية انفض الناس عن مسلم فلم يبق معه سوى ثلة قليلة من الناس لم تستطع مواجهة أنصار

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص79. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص360. 361. الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص101. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص24.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص350. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص140. 141. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج4، ص170. 171. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص166. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص25.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص369. الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص103. العصامي المكي، المصدر السابق، ج3، ص170.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص370.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص370. 371.

عبيد الله بن زياد وما كاد يجل الليل حتى بقي مسلم وحده منفردا امام الطلب حائرا في أزقة الكوفة يطلب الايواء¹. وسرعان ما تعرفت عليه قوات عبيد الله فقبضوا عليه وقادوه الى القصر فضربت عنقه وسحب مع ابن هانئ فصلبا بالكناسة². وبهذه السرعة الخاطفة انتهى مصير مسلم بن عقيل في جناب الكوفة مفتتحا عهدا جديدا من خيبات الطالبين الذين سيقعون تباعا في ساحات متعددة وأماكن متفرقة وأزمنة مختلفة من تاريخ الإسلام بين أنصار متخاذلين وسلطة قوية متحفزة وخطط هشة متعجلة وأهداف لم يكن أوانها بعد.

حرص مسلم قبل مقتله على إيصال رسالة الى الحسين يعلمه فيها بمآلات الأمور وتشردم القوى التي راهنا عليها؛ طالبا منه ان يعود من حيث جاء لأن أهل الكوفة قوم غدر لا تصدق عهدهم ولا يؤتمن جانبهم³. وقد وصلت الرسالة الى الحسين وهو يجد السير باتجاه العراق فتوقف وطاب المشورة من أصحابه معلنا رغبته في الانصراف فقام أبناء مسلم وقرباته في وجهه واضطروه الى اكمال المسير حتى يأخذوا بثأرهم من قتلة مسلم فنزل عند رأيهم⁴.

ان تصميم الحسين على التوجه الى العراق في الوقت الذي كانت جموع المسلمين تقضي مناسك الحج وعزمه على مجابهة السلطة الأموية رغم كل المؤشرات التي تدل على فشل مسعاه ورغم المصير الأليم الذي انتهت اليه حركة مسلم وغدر الأنصار وعنت السلطة يبقى أمرا مستعصيا على التفسير؛ اذ من الجلي أن رياح الغلبة والتمكين كانت تهب لفائدة العصبية الأموية واحلافها وان تغييرا بالحجم الذي كان يطلبه الحسين كان أمرا متعذرا. كما أنه من الواضح أن أهل الكوفة لوحدهم؛ على فرض أنهم كانوا يدا واحدة مع الحسين؛ ما كانوا ليتمكنوا من اجهاض كتلة التحالفات القوية التي

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص350. ابن حبان، الثقات، المصدر السابق، ج2، ص308. 309.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص350. ابن حبيب، المحبر، المصدر السابق، ص480. الدينوري، المصدر السابق، ص240. المزني، المصدر السابق، ج6، ص427. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج4، ص171. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج2، ص71. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص170. أبو الخير شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط1، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ج1، ص295. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص166.

³ اوصى مسلم قبل مقتله عمر بن سعد بن ابي وقاص عدة وصايا كان منها ما يلي: وابعث الى الحسين بن علي رسولا قاصدا من قبلك، يعلمه حالي، وما صرت اليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنهم شيعته، وأخبره بما كان من نكتهم بعد ان بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل، لينصرف الى حرم الله، فيقيم به، ولا يغتر باهل الكوفة. الدينوري، المصدر السابق، ص241.

ولقي الحسين ومن معه رجل يقال له: بكر بن المعنقة بن رود فأخبرهم بمقتل مسلم بن عقيل وهانئ وقال: رأيتهما يجران بأرجلهما في السوق. فطلب إلى الحسين في الانصراف، فوثب بنو عقيل فقالوا: والله لا ننصرف حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا. فقال الحسين: ما خير في العيش بعد هؤلاء. فعلم أنه قد عزم رأيه على المسير. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص168.

⁴ حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد. قال: أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيرا أرجوه، فهم أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص389.

نجح معاوية في نسجها واقام عليها دولته؛ فكيف بهم وقد تأكلهم الانقسام والتشردم في وجه سلطة منظمة وعتية¹. كما أننا لا نستطيع الاتكال بسهولة على الأخبار والروايات المتنوعة التي صورت الأيام الأخيرة من حياة الحسين وصحبه لأن أغلبها يفوح برائحة الوضع والتأليف الخاضع للدوافع العاطفية وانفعالات الأسي والندم بعد سقوط المأساوي على أرض **الطف**². ونجد حرجا في الاستناد الى المرويات التي تناقلتها مصنفات الشيعة في العصور المتأخرة ليس عن تحيز أيديولوجي وإنما لأنها غارقة في عوالم اسطورية متخيلة بعيدة عن عالم التاريخ واشراطات الوقائع التاريخية بحيث أن المؤرخ لا يستطيع أن يخرج منها بأي قيمة تفيد البحث التاريخي النزيه³. ان حركة الحسين بوصفها محاولة تصحيحية للمسار السياسي لم تكن أمرا غريبا ولا مستهجننا ولم يتحفظ عليها عقلاء الناس الذين ناصحوا الحسين الا من حيث تعذر نجاحها وغلبة احتمالات فشلها وهي في ذلك تشبه الى حد بعيد حركة الخوارج في النهروان ومحاولة حجر بن عدي الخائبة. ورغم وجوه التباين بين هذه الوقائع المختلفة الا انها تتشابه في طابعها الانفعالي وحركتها العفوية الارتجالية البعيدة عن رصانة التحضير والاعداد؛ إضافة الى ضيق نظرها السياسي والسداجة التي تمت بها إدارة المواجهة. وجميعها انتهى بتفاصيل مريعة أثرت تأثيرا سيئا على كل من شارك فيها سواء كان منتصرا او مهزوما، وأثقل ضمير الوجدان العربي الاسلامي آنذاك؛ ناهيك عن التأثير الدرامي العميق الذي ظلت تحدثه نهاية الحسين في إحساس الناس الى اليوم.

¹ حدث الفرزدق قال: حججت بأمي، فأنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج، وذلك في سنة ستين، إذ لقيت الحسين بن علي خارجا من مكة معه أسيافه وتراسه، فقلت: لمن هذا القطار. فقيل: للحسين بن علي، فأتيته فقلت: بابي وأمي يا بن رسول الله. ما أعجلك عن الحج. فقال: لو لم أعجل لأخذت، قال: ثم سألتني: ممن أنت. فقلت له: امرؤ من العراق، قال: فو الله ما فتشني عن أكثر من ذلك، واكتفى بما مني، فقال: أخبرني عن الناس خلفك. قال: فقلت له: القلوب معك، والسيوف مع بني أمية، والقضاء بيد الله، قال: فقال لي: الطبري، المصدر السابق، ج5، ص386. الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص111. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص59. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص150. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص180.

² **الطف**: هو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، قال الأصمعي: وإنما سمي طفاً لأنه دان من الريف، وهي أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين ابن علي، رضي الله عنه، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية، منها: الصيد والقطقطانة والزهيمية وعين جمل وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص65. 66.

³ هذه بعض الروايات ذات الطابع الأسطوري وردت عند ابن عساكر جاء فيها الآتي: لما قتل الحسين اسودت السماء وظهرت الكواكب نهارا حتى رأيت الجوزاء عند العصر وسقط التراب الحمر. وروي عن علي بن مسهر قال: حدثني جدتي قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء أياما علقية. وروي أيضا ابن مسهر عن جدته قالت لما قتل الحسين كنت جارية شابة فمكنت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقية. وفي رواية أخرى عن رجل قال: حدثني أُمِّي قالت كنا زمانا بعد مقتل الحسين وأن الشمس تطلع محمرة على الحيطان والجدر بالعادة والعشي قالت وكانوا لا يعرفون حجرا إلا وجد تحته دم. ابن عساكر، المصدر السابق، ج14، ص226. وجاء في أنساب الأشراف الأخبار التالية: حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد بن العوام، عن أبي حصين قال: لما قتل الحسين مكثوا شهرين أو ثلاثة وكأنا يلطخ الحيطان بالدم، من حين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس. وحدثني عمر بن شبة، عن موسى بن إسماعيل، عن حماد ابن سلمة، عن سالم القاص قال: مطرنا أيام قتل الحسين دما. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص209.

تروي الأخبار أن الحسين انتهى رأيه إلى تجنب المواجهة مع قوات عبيد الله بن زياد التي قادها عمر بن سعد بن أبي وقاص وقدم جملة اقتراحات تدفع الحرج عن الجميع فكان فيما خاطبهم به: أن تدعوني فأصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور، فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي. فقال له الحسين: لا والله لا يكون ذلك أبداً، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم، وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته¹. وكان قتله في يوم الجمعة من سنة إحدى وستين من الهجرة². وبعث عمر بن سعد برأس الحسين من ساعته إلى عبيد الله بن زياد مع خولى ابن يزيد الأصحبي. وأقام عمر بن سعد بكريلاء بعد مقتل الحسين يومين، ثم أذن في الناس بالرحيل، وحملت الرؤوس على أطراف الرماح، وكانت اثنين وسبعين راساً، جاءت هوازن منها باثنين وعشرين راساً، وجاءت تميم بسبعة عشر راساً مع الحصين بن نمير، وجاءت كندة بثلاثة عشر راساً مع قيس بن الأشعث، وجاءت بنو اسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزدي بخمس رؤوس مع عيهمه بن زهير، وجاءت ثقيف باثني عشر راساً مع الوليد بن عمرو³. (راجع الملحق رقم 6).

تتضمن كثير من السرديات التاريخية التي روت تفاصيل مقتل الحسين والأحداث التي تلتها رغبة في التخفيف من مسؤولية يزيد المباشرة وتجعل من ابن زياد المسؤول المباشر عن الواقعة. وتصور يزيد يزرع تحت وطأة الألم والأسى يكاد ينخرط في سلك النائحين⁴. وتذهب روايات أخرى إلى أنه غضب على ابن زياد وهم بعقابه: قال يونس بن حبيب

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص389. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص128. أبو العرب التميمي، الخن، المصدر السابق، ص154. المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، المصدر السابق، ج6، ص10. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص71. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص336. تأمل الرواية التالية: روي عن عقبة بن سمعان أنه قال: صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وسمعت جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنه يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه ودعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلم يفعلوا. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص164.

² ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة، المصدر السابق، ج1، ص489.

³ الدينوري، المصدر السابق، ص259.

⁴ الرواية التالية غيض من فيض الروايات التي تقص نأ ندم يزيد: ولما جيء برأس الحسين إلى يزيد بن معاوية ووضع بين يديه بكى يزيد وقال:

نفلق هاماً من رجال أحبة إلينا وهم كانوا أعق وأظلماً

ثم قال: أما والله لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك أبداً.

علق ابن تغري بردي على ذلك فقال: قلت: هذا الذي كان يسع يزيد أن يقوله في المأ من الناس؛ ليسكن ما بالناس من قتل الحسين. وقد مضى أمر الحسين وحصل مقصوده؛ فما باله وإظهار الفرح بقتله، وقد كفى أمره. وكانت وفاة يزيد بدمشق في نصف شهر ربيع الأول سنة أربع وستين. وكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر وأيام. أبو الحسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، ت نبيل محمد عبد العزيز أحمد، د ط، دار الكتب المصرية - القاهرة، د ت، ج1، ص69.

الجزمي: كان يزيد بن معاوية قد تغير على ابن زياد، وسببه أن ابن زياد لما قتل الحسين وبني أبيه، وبعث برؤوسهم والسبايا إلى يزيد، سرّ بقتلهم أولاً، وحسنت حاله ابن زياد عنده. ثم لم يلبث إلا يسيراً، فندم على قتل الحسين - رضي الله عنه - وكان يقول: وماذا عليّ لو احتملت الأذى، وأنزلته معي في داري حفظاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ورعاية لحقه وقربته، وحكمته فيما يريد. وكان يُكثر من ذلك ويقول: لعن الله ابن مرجانة، فإنه اضطره إلى أن قُتل، وقد كان سأله أن يُخلّي سبيله؛ فإمّا أن يرجع من حيث جاء، أو يأتيني فيضع يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوقاه الله تعالى، فأبى ذلك وقتله، فبغضني إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فأبغضني البرّ والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حُسيناً، ماي ولا بن مرجانة، لعن الله وغضب عليه¹. وجاء في رواية أخرى تصور حوار جرى بينه وبين سكينه بنت الحسين: قالت له سكينه: يا يزيد. بنات رسول الله سبايا فقال: يا بنت أخي هو والله علي أشد منه عليك. وقال: أقسمت بالله لو أن بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه ولكن فرقت بينه وبينه سمية². وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين. فرحم الله أبا عبد الله عجل عليه ابن زياد. أما والله لو كنت صاحبه ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه. ولوددت أني أتيت به سالماً. ثم أقبل على علي بن حسين فقال: أبوك قطع رحمي ونازعني سلطاني فجزاه الله جزاء القطيعة والإثم³.

رغم محاولات بعض الرواة والباحثين تبرئة يزيد من قتل الحسين إلا أنه لم يبلغنا عنه صنيعة يدل به على ذلك؛ فقد استمر في الخلافة بعد الحادثة زهاء ثلاث سنوات لم ينقل عنه أنه تقصى حقيقة ما جرى أو عاقب المتورطين أو أقال وعزل. وعلى الخلاف من ذلك فقد استمر ابن زياد في ولايته عزيزاً معظماً حتى وفاة يزيد. وقد استعمل يزيد في تبرير ما نزل بالحسين جملة من المفردات تناثرت في تضاعيف السرد منها: البغي، العقوق، قطع الرحم، نزاع السلطان، كما أنه تمثل مرار بالآية الكريمة: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» آل عمران آية (26)⁴.

¹ سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص246. عبد الملك العصامي، المصدر السابق، ج3، ص188.

² ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة، المصدر السابق، ج1، ص488.

³ ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة، المصدر نفسه، ج1، ص489.

Lesley.Hazleton,ibid, P 206-207

⁴ فدمعت عينا يزيد. وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. وقال: كذلك عاقبة البغي والعقوق. قال: وقدم برأس الحسين. مخفر بن ثعلبة العائذي - عائذة قريش - على يزيد. فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحق الناس وأهمهم. فقال يزيد: ما ولدت أم مخفر أحق وأأم. لكن الرجل لم يقرأ كتاب الله «تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ». ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة، المصدر السابق، ج1، ص486. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج5، ص19. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص213. ساق سبط بن الجوزي الرواية التالية: ولما فعل يزيد برأس الحسين - رضي الله عنه - ما فعل، تغيّرت وجوه أهل الشام، وأنكروا عليه ما فعل، فقال:

الشخصيات التي كانت ترأس الحسين:

من خلال استعراض التفاصيل التي رافقت ثورة الحسين من بدايتها إلى نهايتها والانتباه إلى القبائل وأسماء الرجال فإننا لا نكاد نعثر في ذلك كله على خصوصية يمنية. وتأقي العناصر اليمنية مثلها مثل غيرها مبعثرة ومتوزعة في كلا الجانبين؛ جانب الحسين وجانب السلطة الأموية ممثلة في شخص الوالي ابن زياد. وبالتالي لا يمكننا أن نتكلم عن انحياز يمني خالص إلى صف الحسين يشبه ذلك الذي كان في عهد والده. بل إننا نفتقد حتى الزخم الذي صاحب حركة حجر بن عدي رغم الأهمية الاجتماعية والسياسية والرمزية التي كان يتمتع بها الحسين. والروايات القليلة التي تضمنت بعض الإشارات لمواقف عامة الناس بالكوفة تترك لدينا الانطباع بحالة من الارتباك والوهن والفتور¹. ويبدو أن نجاح زياد في تطويق حركة حجر وقتله بتلك الطريقة أوقع الوهن في قلوب عامة الناس. وقد سبق إيراد الرواية التي نصت على أن مقتل حجر وموت الحسن من الأمور التي فتت في عضد الناس المواليين لقضية آل البيت وجعلتهم يرضخون إلى الانتصار الأموي ويتقبلونه كأمر واقع لا مناص منه. ثم إن الأخبار تفتقر إلى التفاصيل التي تتمكن بواسطتها من قياس توجهات الناس وتصوراتهم وقناعاتهم وآرائهم من الأحداث التي كانت تقع حولهم. إضافة إلى أننا نلاحظ أن الناس في العموم أخذوا ينسحبون ويبتعدون عن المشاركة في التدبير السياسي ويفقدون الهمة التي كان عليها الجيل السابق في الضغط الإيجابي على السلطة وذلك عائد إلى تطور جهاز الدولة التي أصبحت مؤسسة لها أدواتها وأذرعها القوية الممتدة في مختلف الولايات والأقاليم وأثبتت بذلك أن السلطة في هذا العهد أكثر ثباتاً وتماسكاً ونظاماً من المعارضة بشقيها الخارجي والشيعي. ويكفي في الدلالة على الوهن الذي أحاط بشيعة الكوفة ما سجله المسعودي بصدده هوية عناصر القوات التي قتلت الحسين فقال: وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، لم يحضرهم شامي².

أندرون من أين ذهبي أبو عبد الله. قالوا: لا. قال: من الفقه والتأويل، كأي به قد قال: أبي خير من أبيه، وأمي خير من أمه، وجدّي خير من جدّه، فأنا أحقُّ بهذا الأمر منه، ولم يلحظ قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ نُفِيُّ الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} [آل عمران: 26]، فسُئِرِي عن وجوه أهل الشام. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 163.

¹ فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث ابن ربعي، وحجار بن الجبر، وشمر بن ذي الجوشن، فنادوا: يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجرتم شوكتهم.

فلما سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور. وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمه فيقول: انصرف، فإن الناس يكفونك. وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع. فصلى مسلم العشاء في المسجد، وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً. فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فاخذ نحو كنده، فلما مضى قليلاً التفت فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على كنده.. ودفع إلى باب امرأة يقال لها طوعة، فاستسقى ماء فسقته ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب كذبي هؤلاء القوم وغروني فأوبني. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 2، ص 81. الدينوري، المصدر السابق، ص 239.

² المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 3، ص 61.

لقد كشف الأشراف في موقفهم من الحسين وثورته عن استمرارية وظيفية لذات الأدوار التي لعبوها ابان حركة حجر بن عدي فلم يترددوا في الوقوف الى صف عبيد الله بن زياد من حيث هو ممثل عن السلطة الاموية وبذلوا جهدهم في تخذيل الناس وتفريقهم عن مسلم بن عقيل ثم الوقوف في الوجه الحسين الى غاية وقوعه صريعا¹؛ الأمر الذي لن ينساه لهم المختار بن عبيد الثقفي لما تولى مهمة الثأر للحسين واستئصال قتلته. ومما يجدر الإشارة اليه أن بعضهم كان محسوبا على التيار العلوي كهانئ بن عروة المرادي وشبث بن ربعي التميمي، لكن ذلك لم يمنعهم ولم يمنع السلطة الأموية من عقد أواصر علاقة قامت على المصالح المتبادلة وعلى تواطئ ضمني يستهدف السلام العام للكوفة وأهلها في ظل الهيمنة الأموية. وفيما يلي سأقوم باستعراض أهم الشخصيات التي تداولت الرواة ذكرها في سياق الأحداث المتصلة بحركة مسلم بن عقيل ومقتل الحسين:

كثير بن شهاب الحارثي سيد مذحج². كان من بين الأشراف الذين لعبوا دورا مهما في اسناد ابن زياد ابان حركة مسلم؛ حيث كان يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة، ويحذرهم الفتنة والفرقة ويخذل عن الحسين³. وجاء في الخطاب الذي ألقاه على أهل الكوفة قوله: وقد أعطى الله الأمير عهدا: لئن أتممت على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرقون، وأخذوا ينصرفون⁴. وهو خطاب متوقع من رجل خبر الناس وعرف من أين تؤتى النفوس الراغبة في السلام والهدوء في الكوفة التي أعيها الصراع والنزاع. ومحمد بن الأشعث سيد كندة وحضرموت،

¹ عن عمرو الحضرمي، قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي، فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين، وقتل معه. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص422.

² ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري، وكان يكثر سب علي على منبر الري، وبقي عليها إلى أن ولي زياد الكوفة، فأقره عليها. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص13. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج13، ص113. ولكثير حديث يرد ذكره في بعض كتب الحديث يدور حول التسليم للولاية بالطاعة. جاء فيه أن الناس قالوا: يا رسول الله، الولاية تكون علينا، لا نسألك عن طاعة الله، من اتقى الله وأصلح، وفعل وفعل، فقال: إنما نسألك عن طاعة من فعل وفعل، فذكر الشر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا. البخاري، التاريخ الكبير، المصدر السابق، ج7، ص43. أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصبهاني، معرفة الصحابة، ت عادل بن يوسف العزازي، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1998م، ج5، ص2394.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص178.

⁴ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص370. 371.

والقعقاع بن شور السدوسي الذهلي¹، وشبث بن ربعي التميمي ذو الخلفية العلوية² الذي تكشف تفاصيل مشاركته في الأحداث عن فتور في نصرة بني أمية وعزوف عن مقاتلة آل النبي، ولما سمع بقدوم الحسين تمارض فبعث إليه ابن زياد فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في ألف رجل ففعل³. ولما قتل مسلم بن عوسجة الأسدي مع الحسين وسر أصحاب عمرو بن الحجاج بقتل مسلم، قال لهم شبث بن ربعي: ويحكم أتفرحون بقتل مسلم. والله لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تمام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحوا⁴. ولما حاول شمر بن ذي الجوشن حرق فسطاط الحسين خاطبه شبث بن ربعي: يا سبحان الله ما رأيت موقفا أسوأ من موقفك ولا قولاً أقبح من قولك. فاستحيا شمر منه⁵. ومحمد بن عمير بن عطارد بن حاجب التميمي وحجار بن أبجر العجلي ويزيد بن الحرث بن يزيد بن رويم الشيباني وعزرة بن قيس الأحمسي وعمرو ابن الحجاج الزبيدي هؤلاء كتبوا إلى الحسين: أما بعد فقد اخضر الجنب، وأينعت الثمار وكلمت الحمام فإذا شئت فأقدم علينا فإنما تقدم على جندك مجند. والسلام⁶. ولما كانوا في مواجهته ناداهم: يا شبث بن ربعي يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث يا يزيد بن الحرث ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار. واخضر الجنب وطمت الحمام وإنما تقدم على جندك مجند قالوا: لم نفعل. ثم قال: أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمي⁷. وشمر بن ذي الجوشن العامري وكان أشد القوم على الحسين وصحبه ووقف في وجه أي تسوية كان الحسين وعمر بن سعد يعقدانها لتلافي الدماء⁸ ولما بدا من ابن زياد الميل إلى قبول الاتفاق بين عمر والحسين قام إليه شمر فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك. والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه،

¹ من سادات ربيعة وهو الذي ضرب المثل بكرم مجالسته. وذلك أنه دخل إلى معاوية والجلس غاص فقام رجل عن مجلسه وأجلسه فيه وأمر معاوية للقعقاع بمائة ألف فقال للذي قام عن مجلسه ضمها إليك ففعل فلما خرجا قال للقعقاع مالك اقبضه فقال القعقاع هو لك بقيامك عن مجلسك فقال الرجل وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس. ابن عساکر، المصدر السابق، ج49، ص350.

² ذكره العجلي فقال: شبث بن ربعي: من تميم هو، كان أول من أعان على قتل عثمان رضي الله عنه، وهو أول من حرر الحرورية، وأعان على قتل الحسين بن علي. العجلي، الثقات، المصدر السابق، ص214.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص178. فقال له ابن زياد: أتمارض. ان كنت في طاعتنا فاحرج إلى قتال عدونا.

فلما سمع شبث ذلك خرج. الدينوري، المصدر السابق، ص254.

⁴ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص193.

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص194.

⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص158. 159.

⁷ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص188.

⁸ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص414. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص71. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص336.

فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك¹. ومسلم بن عمرو الباهلي وهو الذي حمل كتاب يزيد بن معاوية إلى ابن زياد يوليه الكوفة ويطلب منه التيقظ لمسلم بن عقيل². وكان من الذين تولوا تعذيب مسلم لما قبض عليه ابن زياد³، حصين بن تميم الطهوي التميمي وكان على شرطة ابن زياد في العراق⁴، وعمر بن سعد بن أبي وقاص الذي كشف عن طموحاته ورغباته في السلطة في زمن مبكر؛ حيث روى الطبري في أحداث التحكيم بين علي ومعاوية أن عمر: خرج حتى أتى أباه على ماء لبني سليم بالبادية، فقال: يا أبت، قد بلغك ما كان بين الناس بصفين، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ص وأحد الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، فاحضر فإنك أحق الناس بالخلافة فقال: لا أفعل، إني سمعت رسول الله ص يقول: انه تكون فتنة، خير الناس فيها الخفي التقي، والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً⁵. وكانت قصة خروج عمر بن سعد لقتال الحسين ان عبيد الله بن زياد وولاه الري وثمر دستي⁶ والديلم، وكتب له عهداً عليها، فعسكر للمسير إليها، فحدث امر الحسين، فأمره ابن زياد ان يسير الى محاربة الحسين، فإذا فرغ منه سار الى ولايته. فتلكا عمر بن سعد على ابن زياد، وكره محاربه الحسين. فقال له ابن زياد: فاردد علينا عهدنا. قال: فأسير اذن⁷. أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري وكان سيد قيس وصفه الدينوري بأنه: كان شيخ اهل الكوفة وسيدهم⁸. وكان عثمانيا متطرفا متشددا في ملاحقة

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص414. أبو العرب التميمي، الخن، المصدر السابق، ص154. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص164. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص125.

² الدينوري، المصدر السابق، ص231. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص357. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص168.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص376. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص144. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص172. تأمل الرواية التالية: عن أبي إسحاق قال: كان ثمر بن ذي الجوشن يصلي معنا الفجر، ثم يتعد حتى يصبح، ثم يصلي فيقول: اللهم إنك شريف تحب الشرف، وأنت تعلم أي شريف، فاغفر لي، فقلت: كيف يغفر الله لك، وقد خرجت إلى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنت على قتله. قال: ويحك، فكيف نضع، إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر، فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شرا من هذه الحمر. ابن عساکر، المصدر السابق، ج1، ص499. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج5، ص126.

⁴ الدارقطني، المؤلف والمختلف، المصدر السابق، ج2، ص895. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج12، ص142.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص67.

⁶ دستي: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمدان، فقسم منها يسمى دستي الرازي وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمى دستي همدان وهو عدة قرى، وربما أضيف إلى قزوین في بعض الأوقات لاتصاله بعملها. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص454.

⁷ الدينوري، المصدر السابق، ص253. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص336.

⁸ الدينوري، المصدر السابق، ص303.

العلويين. وكان قد زوج ابنته هند من عبيد الله بن زياد¹، وكان أسماء ممن احتال على مسلم حتى في عهد الحجاج لعب أسماء دورا في تتبع كل من كان متورطا في مقتل عثمان². وعبد الرحمن بن مخنف بن سليم الأزدي رغم وجاهته في الكوفة الا انه لا يرد له ذكر في هذه الأحداث ويبدو أنه فضل أن يسلك سياسة تجنبه التورط في الوقائع المشبوهة فانه كان من الذين تورعوا عن الدخول في أمر حجر بن عدي ولم يرغب في تحمل وزره³. ولا بد أنه فعل ذات الأمر في قضية الحسين، لكنه سيكون من وجوه الأشراف البارزة ضد المختار الثقفي⁴.

حصيلة القتلى من أنصار الحسين:

اختلف المؤرخون في عدة من قتل مع الحسين فيذهب المسعودي الى أنهم بلغوا سبعة وثمانين قتيلا⁵. في حين يروي البلاذري أن جميع من قتل مع الحسين من أصحابه اثنتين وسبعين رجلا. وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى من جرح منهم فصلى عمر عليهم ودفنهم⁶.

وفي ما يلي إحصاء مختصرا للقتلى الذين سقطوا في الطف مع الحسين: قتل الحسين بن علي، وقتل معه عثمان بن علي، وأبو بكر بن علي، وجعفر بن علي، والعباس بن علي. وكانت أمهم أم البنين بنت حرام الكلابية، وإبراهيم بن علي، لأم ولد له، وعبد الله بن حسن، وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب، وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، وثلاثة من بني هاشم، فجميعهم سبعة عشر رجلا. وأسر اثنا عشر غلاما من بني هاشم: فيهم محمد بن الحسين، وعلي بن الحسين وفاطمة بنت الحسين⁷.

قتل من اليمينية: من خثعم رجلان ومن جعفي ثلاثة. ومن كندة ثلاثة. ومن مراد رجلان، أحدهما عروة بن هانيء، قتل بالكوفة. ومن همدان ستة. ومن الأزدي ثلاثة. ومن بجيلة رجل. ومن شبام رجل. ومن كلب رجلان. ومن بني راسب رجلان. ومن جرم رجل. ومن جهينة رجل. ومن خولان رجل. ومن سلامان رجل. ومن حضرموت رجل. وقيل: قتل من

¹ ابن حبيب، المحبر، المصدر السابق، ص443. الدينوري، المصدر السابق، ص296.

² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص404.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص261. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج17، ص24.

⁴ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص294. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص39.

⁵ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص61.

⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص205.

⁷ ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج5، ص134.

الأنصار مع الحسين: عمر، أو عمرو بن قرظة بن كعب. وعمران بن كعب. وعدتهم اثنان وثلاثون قتيلًا¹. ويروي المسعودي أن عدة من قتل معه من الأنصار أربعة رجال².

وقتل من المضربة: من بني أسد بن خزيمة ثلاثة. ومن بني غفار ثلاثة. ومن بني تميم رجلان: نُهشلي، ويزبوعي. ومن بني ثعلبة أربعة ومن بني ضبيعة رجلان. ومن بني حنيفة رجل، وقيل: رجلان. ومن عبد القيس خمسة. ومن النمر بن قاسط رجلان. ومن بني شيبان رجل³. وعدتهم ثلاثة وعشرون قتيلًا.

ج. أهم العناصر اليمنية التي شاركت في ثورة الحسين:

وردت في الأحداث التي شهدتها حركة مسلم بن عقيل ومعركة الطف التي قتل فيها الحسين وأنصاره جملة من الشخصيات التي كان لها حضور لافت في نصرة القضية العلوية تقدمتها العناصر اليمنية التي كان عدد عناصرها يفوق عدد من حضر من المضربة اللهم آل بني هاشم المضربين وهؤلاء جلهم من قرابة الحسين⁴.

. من همدان:

. أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي الهمداني: من فرسان العرب ووجهاء الشيعة في الكوفة كان من أصحاب علي الذين رافقوه في جميع مشاهدته وأخلص لقضيته واستمر على ولائه للحسن ثم الحسين من بعده معه وكان من بين الذين راسلوا الحسين في شأن الثورة ولما قدم مسلم إلى الكوفة كان إلى جانبه يتولى شؤون السلاح وجمع المال، ولما عزم مسلم على التحرك باتجاه قصر ابن زياد لاستنقاذ هانئ عقد له مسلم على ربع تميم وهمدان. ولما فشلت حركة مسلم اختفى أبو ثمامة من عيون ابن زياد ثم خرج إلى معسكر الحسين وقاتل معه حتى قتل⁵.

¹ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن مندة العبدي الأصبهاني، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، ت عامر حسن صبري التميمي، د ط، وزارة العدل والشفون الإسلامية البحرين، د ت، ج3، ص25.

² وقتل معه من الأنصار أربعة. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص62.

³ ابن مندة الأصبهاني، المستخرج من كتب الناس، المصدر السابق، ج3، ص25.

⁴ عن ابن الحنفية قال قتل مع الحسين بن علي سبعة عشر رجلا كلهم قد ارتكض في بطن فاطمة. خليفة بن الخياط، التاريخ، المصدر السابق، ص235. سمعت الحسن يقول: قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنه ستة عشر من أهل بيته لا أعلم على وجه الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم. أبو القاسم عبد الله بن محمد البغدوي، معجم الصحابة، ت محمد الأمين بن محمد الجكني، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت، 2000م، ج2، ص15. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص132.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص410، 439، 441. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص395. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص176. 177.. محمد طاهر السماوي، ابصار العين في أنصار الحسين، ت محمد جعفر الطبسي، ط1، حرس الثورة الإسلامية، 1419هـ، ص120. 122.

عابس بن أبي شبيب الشاكري الهمداني: وكان ممن انضم إلى مسلم بن عقيل في الكوفة وخطب بين يديه في الأيام الأولى من دخول مسلم فقال: أما بعد، فأني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله لأحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله¹، وقد اختاره مسلم ليكون رسوله إلى الحسين يخبره فيها ببيعة الناس ويستعجله القدوم²، ويبدو أنه بقي مع الحسين حتى المعركة الأخيرة إذ يرد خبر مقتله عند الطبري والبلاذري وفيهما أنه خاطب الحسين: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي ولا أحب إلي منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أني على هديك وهدي أبيك، ثم مشى بالسيف مصلتا نحوهم وبه ضربة على جبينه³.

شوذب بن عبد الله الشاكري الهمداني: كان من أعيان محدثي الشيعة الأوائل يجتمع إليه الناس للاستماع إلى رواياته وأخباره وممن انتقل من الكوفة إلى مكة لإيصال رسائل مسلم مع مولاه عابس وبقي مع الحسين إلى حين نشوب القتال بينه وبين قوات ابن زياد فاستبسل في معركة الطف وسقط قتيلًا⁴.

حنظلة بن أسعد الشبامي: كان من قراء الشيعة المشهورين علويًا مخلصًا لآل البيت ولما خرج الحسين انضم إليه وشارك في معركة الطف فكان يستقبل جهة قوات ابن زياد وينادي: «يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب. مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله فما له من هاد». يا قوم تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افتري. وقاتل إلى جنب الحسين حتى قتل⁵.

عبد الله بن سبع الهمداني⁶: وكان ممن حمل رسائل الكوفة إلى الحسين¹.

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص355.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص375.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص197. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص444. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص200.

⁴ السماوي، المرجع السابق، ص129. 130.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص443. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص178. السماوي، المرجع السابق، ص130.

⁶ عبد الله بن سبع بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن خيران ابن نوف بن همدان. وحوث هو أخو السبيع رهط أبي إسحاق السبيعي. وكان من مقدمي أصحاب أمير المؤمنين علي وعبد الله في الفقه والعلم بالفرائض والحساب. الطبري، المصدر السابق، ج11، ص662. ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص209.

. محمد بن بشر الهمداني: كان شيعيا مخلصا يريد خبره في جملة من رفض قبول الحسن بالصلح متمسكا بقتال معاوية ومن معه². واستمر على ولاءه لآل البيت وحماسه لقضيتهم حتى وفاة معاوية؛ اذ يرد ذكره مع الذين اجتمعوا في بيت ابن سليمان بن صرد وخططوا لاستدعاء الحسين³، وكان مسلم من مخبئه يستعمله في استطلاع الأمور⁴.

. سفيان بن ليلى الهمداني: وكان شبيها بمحمد بن بشر في وفائه وولائه للقضية العلوية وبلغ من كراهته للصلح بين الحسن ومعاوية أنه دخل على الحسن فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين. قال: فقال الحسن: لا تقل ذلك يا أبا عامر لست بمذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك⁵. وبقي حيا الى أيام المختار الثقفي فانخرط في حركته طلبا للتأثر ممن قتل الحسين⁶.

. برير بن خضير الهمداني سيد القراء: كان ممن حضر وقعة الطف مع الحسين وأبلى فيها بلاء حسنا، وجرت بينه وبين قوات ابن زياد محادثات اتهمهم فيها بنكثهم للعهد الذي بذلوه للحسين لما كتبوا اليه يستقدمونه. قتله كعب بن جابر بن عمرو الأزدي بعدما كاد برير أن يقتله، فلما رجع كعب بن جابر قالت له أخته النوار بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة وقتلت بريرا سيد القراء. لقد أتيت أمرا عظيما، والله لا أكلمك أبدا⁷.

. عبد الرحمان بن عبد الله بن الكدر الأرحبي الهمداني⁸: ويرد خبره مع عمارة بن عبد السلولي في الرجال الذين نقلوا الى الحسين رغبة شيعة الكوفة في الثورة: فحملوا معهم نحو من خمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة⁹.

. هانئ بن هانئ السبيعي الهمداني: وكان أحد الشيعة المعدودين والمذكورين في مصنفات المحدثين بالتشيع والرواية عن علي¹، وكان ممن حمل رسائل شيعة الكوفة الى الحسين².

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص352. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص27.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص150.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص352.

⁴ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص358.

⁵ يعقوب الفسوي، المصدر السابق، ج3، ص317. ابن عبد البر، الاستيعاب، المصدر السابق، ج1، ص387. ابن عساکر، المصدر السابق، ج13، ص179.

⁶ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص295.

⁷ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص191-192. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص173.

⁸ النسبة الى بني أرحب وهو بطن من همدان. السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص156.

⁹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص158.

. عمار بن أبي سلامة الدالاني الهمداني³: وكان قد شهد مع عليّ مشاهدته، وقتل مع الحسين بن علي بالطف⁴. وهم عمار أن يفتك بعبيد الله ابن زياد في عسكره بالنخيلة فلم يمكنه ذلك، فتلطف حتى لحق بالحسين فقتل معه⁵.
. من بجيلة:

. زهير بن القين البجلي: كان عثمانيا وصادف أنه كان بمكة لما خرج الحسين يريد العراق فضمه الطريق وحسينا، فكان يسايره ولا ينازله، ينزل الحسين في ناحية وزهير في ناحية، فأرسل الحسين إليه في إتيانه، فأمرته امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبي فقالت: سبحان الله أبيعث إليك بنت رسول الله فلا تأتيه فلما صار إليه ثم انصرف إلى رحله، قال لامرأته: أنت طالق فالحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسبي إلا خير. ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني فليتبني وإلا فإنه آخر العهد. وصار مع الحسين⁶ وكان في المعركة على ميسرة قوة الحسين⁷ فقاتل قتالا شديدا وكان يرتجز يقول: أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين⁸. وقد ذكره ابن سعد فيمن قتل مع الحسين وساق خبرا جاء فيه أن زهير بن القين لما قتل مع الحسين قالت امرأته لغلام له يقال له شجرة: انطلق فكفن مولاك. قال: فجئت فرأيت حسينا ملقى فقلت: أكفن مولاي وأدع حسينا. فكفنت حسينا. ثم رجعت. فقلت ذلك لها. فقالت: أحسنت وأعطيتني كفنا آخر. وقالت: انطلق فكفن مولاك⁹.

¹ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص245. انظر بعض حديثه في: ابن أبي شيبة، المصنف، المصدر السابق، ج6، ص163. 164. عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي، قال: ليقتلن الحسين قتلا، وإني لأعرف تربة الأرض التي بما يقتل، يقتل قريبا من النهرين. ابن أبي شيبة، المصنف، المصدر نفسه، ج7، ص477.

² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص158. الدينوري، المصدر السابق، ص230. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص353. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص29.

³ الدالاني: بفتح الدال المشددة المهملة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بني دالان، وهي قبيلة من همدان، وبنو دالان قبيل من نازلة الكوفة. السمعاني، المصدر السابق، ج5، ص297. 298.

⁴ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المصدر السابق، ج5، ص107.

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص180.

⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص167. 168. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص392.

⁷ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص187. وعياً الحسين أصحابه، وكانوا اثنين وثلاثين فارسا واربعة راجلا، فجعل زهير بن القين على ميمنته، وحبيب بن مظهر على ميسرته، ودفع الراية إلى أخيه العباس بن علي، ثم وقف، ووقفوا معه امام البيوت. الدينوري، المصدر السابق، ص256. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص396.

⁸ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص196.

⁹ ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص485.

. رفاعة بن شداد الفتياي البجلي¹ : سبق ذكره في تفاصيل حركة حجر بن عدي.

. من مراد:

. هانئ بن عروة المرادي: قد مر ذكره في سياق حركة مسلم بن عقيل حيث انتهى قتيلًا.

. نافع بن هلال الجملي المرادي: الذي قاتل الى جنب الحسين وابدى بسالة فائقة في الدفاع عنه وقاد الحملة التي كسرت احتكار قوات ابن زياد للماء لما استحر العطش بأصحاب الحسين.² وكان نافع بن هلال قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسومة وهو يقول: أنا الجملي، أنا على دين علي. فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح، قال: فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيرا، قال: فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعا حتى أتى به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع. ما حملك على ما صنعت بنفسك. قال: إن ربي يعلم ما أردت، قال: والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتوني، فقال له شمر: اقتله أصلحك الله. قال: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله، قال: فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله إن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل مناينا على يدي شرار خلقه، فقتله.³

. من مذحج:

. مجمع بن عبد الله العائذي من مذحج: كان من بين الذين قتلوا في معركة الطف الى جنب الحسين. وقد حفظت له مصادرها التقرير الذي عرضه على الحسين لما سألهم: أخبروني خبر الناس وراءكم، فقال له مجمع بن عبد الله العائذي: أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، يستمال ودهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألب واحد عليك، وأما سائر الناس بعد، فإن أفئدتهم تهوي إليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك.⁴

¹ فتياي بطن من بجيلة من اليمن، عددهم في أهل الكوفة. السمعاني، المصدر السابق، ج10، ص147.

² الدينوري، المصدر السابق، ص255. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص181. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص412. الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص117.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص441. 442.

⁴ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص405. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص320. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص199.

. الحجاج بن مسروق الجعفي من مدحج: كان ممن قدم مع الحسين من مكة نحو العراق ويرد ذكره في بعض تفاصيل رحلة الحسين حيث يبدو أنه كان مؤذن الصلاة كما كان الحسين يرسله في بعض المهمات الاستطلاعية¹.
. من الأزد:

. جندب بن عبد الله الأزدي: كان علويًا مخلصًا شهد مع علي مشاهدته². كان رسول الحسن إلى معاوية بعد مقتل علي يطلب منه الطاعة³، ولما وقع الصلح انفت منه نفس جندب ودخل على الحسن معاتبًا إياه على قبوله⁴.
. عبد الله بن عمير الكلبي: كان رجلاً جسيماً طويل الذراعين بعيداً ما بين المنكبين، قدم من الكوفة مع زوجته قاصداً نصرة الحسين⁵، لعب دور مهم في صمود أصحاب الحسين في موقعة الطف وبارز يسار مولى زياد وسالم مولى ابن زياد فشد عليهما فقتلتهما؛ فأقبلت إليه امرأته وكانت تسمى أم وهب فقالت: قاتل بأبي أنت وأمي عن الحسين ذرية محمد. فأقبل إليها يردها نحو النساء⁶ ولما قتل جعلت امرأته تبكي عند رأسه فأمر شمر غلاماً له يقال له رستم فضرب رأسها بعمود حتى شدخه فماتت مكانها⁷.

. عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري: خرج عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري يقاتل دون الحسين وهو يقول: قد علمت كتيبة الأنصاري إني سأحمي حوزة الدمار أضرب غير نكس وشار. وقاتل حتى قتل. وكان الزبير بن قرظة بن كعب أخوه مع عمر بن سعد، فنادى: يا حسين يا كذاب يا ابن الكذاب. أضللت أخي وغررتي حتى قتلتني. فقال حسين: إن الله لم يضل أخاك ولكنه هداه وأضلك. فقال: قتلتني الله إن لم أقتلك وحمل على الحسين فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه فاستنقذ وبرأ بعد⁸.

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص401. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج7، ص30. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص116.
ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص186.
² الطبري، المصدر السابق، ج4، ص569. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المصدر السابق، ج8، ص178.
³ الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص65. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص31.
⁴ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص148.
⁵ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص172.
⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص190.
⁷ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص194. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص429. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص172.
سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص133. عبد الملك العصامي، المصدر السابق، ج3، ص178.
⁸ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص192. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص434. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص164.
سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص164.

. سُلَيْمَان بن صرد الخزاعي: وقد ورد ذكره كثيرا في أحداث الفتنة التي انتهت بقتل عثمان وهو من الشيعة المخلصين وسوف يكون له شأن في ثورة التوابين التي قامت من أجل الثأر للحسين.

أهم المشاركين في ثورة الحسين من العدنانية:

منهم والمسيب ابن نجبة الفزاري، وقد جرى التنبيه عليه في حركة حجر بن عدي.
. عبد الله بن وال التيمي: وكان ممن نشط في أمر قدوم الحسين الى العراق وحمل رسائل شيعة الكوفة اليه¹.
. حبيب بن مظاهر الفقعسي الأسدي: ورد اسمه ضمن الذين كاتبوا الحسين بالقدوم الى الكوفة²، وكان الى جنب عابس بن ابي شبيب في دعمه لمسلم وتحريض الناس للانضمام اليه، ويرد ذكره في الاجتماعات الأولى التي كان يعقدها مسلم مع خالص أنصاره³، وقد كان على ميسرة جيش الحسين لما واجهته قوات ابن زياد⁴.
. مسلم بن عوسجة الأسدي: كان من الناشطين المتحمسين من شيعة الكوفة والواسطة بين مسلم بن عقيل وأنصاره وكان هو الذي يأخذ البيعة والمواثيق في نصرته الحسين⁵. وجاء في بعض الروايات أن بيته كان أول مكان حل به مسلم بالكوفة قبل ان ينتقل الى دار هانئ بن عروة⁶. وبعد موت مسلم التحق بالحسين وقاتل معه فكان هو أول قتيل في المعركة⁷.

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص352. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص158. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص133. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص28. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص162. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص27.

² الطبري، المصدر السابق، ج5، ص352. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص327. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص28.

³ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص355.

⁴ الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص422.

⁵ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص362. فلقني معقل مولى ابن زياد مسلم بن عوسجة الأسدي فقال له: إني رجل محب لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغني أن رجلا منهم بعث به الحسين بن علي صلوات الله عليه إلى شيعته من أهل الكوفة، ومعني مال أريد أن أدفعه إليه يستعين به على أمره وأمرهم، فركن ابن عوسجة إليه، وقال له الرجل القادم من قبل الحسين بن علي هو مسلم بن عقيل وهو ابن عمه وأنا مدخلك إليه. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص79. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص364. الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص100. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص139.

⁶ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص163.

⁷ ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص338. ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين من نحو ميمنة عمر بن سعد مما يلي الفرات، واضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين، فلم يلبث أن مات، فصاحت جارية له: يا ابن عوسجتاه يا سيدها. وكان الذي قتله مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمان بن خشكارة البجلي. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص193. محمد بن طاهر السماوي، المرجع السابق، ص108. 111.

. قيس بن مسهر بن خليل الصيداوي الأسدي¹: وكان ممن حمل رسائل رجال الكوفة إلى الحسين بمعية عبد الرحمان بن عبد الله بن الكدر الأرحبي وعمارة بن عبد السلوي² ورافق مسلم في رحلته إلى الكوفة³. وكان حسين قد وجه قيس بن مسهر الأسدي إلى مسلم بن عقيل قبل أن يبلغه قتله. فأخذه حصين فوجه به إلى عبيد الله. فقال له عبيد الله: قد قتل الله مسلماً فأقم في الناس فاشتم الكذاب ابن الكذاب. فصعد قيس المنبر فقال: أيها الناس إني تركت الحسين بن علي بالحاجر. وأنا رسوله إليكم وهو يستنصركم فأمر به عبيد الله فطرح من فوق القصر فمات⁴.

. عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه: وكانا قد التحقا بالحسين من الكوفة فقبض عليهم الحر بن يزيد التميمي قائد قوات ابن زياد وقال للحسين: إن هؤلاء ليسوا ممن أقبل معك فأنا حابسهم أو رادهم. فقال الحسين: إذا أمنعهم مما أمنع منه نفسي إنما هؤلاء أنصاري وأعواني وقد جعلت لي ألا تعرض لي حتى يأتيك كتاب ابن زياد. فكف الحر عنهم⁵.
. عمارة بن عبد السلوي: وكان أحد الناشطين مع مسلم بن عقيل وهو الذي اقترح على مسلم اغتيال ابن زياد في دار هانئ وكان من بين ما قاله لمسلم: إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية وقد أمكنك الله فاقتله. فقال هانئ: ما أحب أن يقتل في داري⁶.

. سعيد بن عبد الله الحنفي: تذكره المصادر مع الذين رفضوا صلح الحسن معاوية وهم جنذب بن عبد الله الأزدي والمسيب بن نجبة الفزاري وسليمان بن سرد الخزاعي وقد دخلوا على الحسين وهو قائم في قصر الكوفة يأمر غلمته بحمل المتاع ويستحثهم فسلموا عليه، فلما رأى ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة، تكلم فقال: إن أمر الله كان قدراً مقدوراً، إن أمر الله كان مفعولاً. وذكر كراهيته لذلك الصلح⁷. وكان من الذين ساندوا الحسين إلى النهاية ووقف معه في معركة الطف يقاتل دونه حتى سقط صريعاً⁸. وحفظ له الطبري قوله يخاطب الحسين: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبه

¹ الصيِّداوي يُنسب إلى صيِّداء بن عمرو بن فَعُيْن، وتَمَّامُ النسب يأتي، بطن من بني أسد. أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، عَجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ت عبد الله كنون، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1973م، ص81.

² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص158.

³ سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص30.

⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، الطبقة الخامسة، المصدر السابق، ج1، ص403. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص197. الدينوري، المصدر السابق، ص246. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص395.

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص172.

⁶ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص138.

⁷ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص149.

⁸ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص196.

رسول الله ص فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيى ثم أحرقت حيا ثم أذرت، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك. وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا¹.

. أنس بن الحرث الكاهلي الأسدي²: وكان قد خرج من الكوفة كراهة ان يضطر الى القتال مع الحسين او ضده وكان قد خرج معه عبيد الله بن الحر الجعفي فاجتمع الحسين مع عبيد الله وطلب منه ان لا يعين قوات ابن زياد عليه فلما سمع أنس مقالة الحسين سلم عليه وقال: والله ما أخرجني من الكوفة إلا ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك، ولكن الله قد قذف في قلبي نصرتك وشجعني على المسير معك فقال له الحسين فارجع معنا راشدا محفوظا. فقاتل معه³.

. الحر بن يزيد اليربوعي التميمي من بني رياح: من أعوان السلطة الأموية لكنه انضم الى صف الحسين وقاتل معه. وكان من خبره أن عبيد الله بن زياد لما سمع بخروج الحسين الى العراق جمع المقاتلة وأمر لهم بالعطاء. وأعطى الشرط. ووجه حصين بن تميم الطهوي إلى القادسية. وقال له: أقم بها فمن أنكرته فخذة فوجه الحصين بن تميم الحر بن يزيد في ألف مقاتل إلى الحسين وقال: سايره ولا تدعه يرجع حتى يدخل الكوفة ففعل ذلك، ولما رأى نية ابن زياد في قتل الحسين ورفضه جميع الاقتراحات التي قدمها استنكر ذلك وقال: ألا تقبلون ما يسألكم من إتيان يزيد. فوالله لو سألكم هذا الترك والديلم ما كان ينبغي أن تمنعوهم إياه. فضرب الحر وجه فرسه وصار مع الحسين⁴ فلما دنا منه سلم عليه وعلى أصحابه وقاتل أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قتل. وكان من كلامه أثناء الاشتباكات انه اقبل على قوات ابن زياد فقال: لأمكم الهبل والعبر دعوتوه حتى إذا أتاكم أسلمتموه فصار في أيديكم كالأسير. قد حلائتموه ونساءه وأصحابه عن ماء الفرات الحار الذي يشربه اليهود والنصارى والجوس ويتمرغ فيه خنازير السواد، لبئسما خلفتم به محمدا في ذريته، فدعوا هذا الرجل يمضي في بلاد الله، أما أنتم مؤمنون. وبنبوة محمد مصدقون وبالمعاد موقنون. فحملت عليه رجالة لهم فرمته بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين. وقاتل الحر بن يزيد وهو يقول:

أضرب في أعراضهم بالسيف عن خير من حل مني والخيف

¹ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص419. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص29. ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج8، ص162.

² نسبة الى إله كاهل بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياص بن مضر. السمعاني، المصدر السابق، ج11، ص32. ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص295.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر نفسه، ج3، ص175.

⁴ الدينوري، المصدر السابق، ص256. الطبري، المصدر السابق، ج5، ص392.

فقاتل هو وزهير بن القين قتالا شديدا، وشدت مقاتلة ابن زياد على الحر فقتلوه¹.

2. ثورة التوابين؛ من مقتل الحسين إلى وقعة عين الوردة ومساهمة اليمنية فيها: 65هـ . 684م:

أ. حركة التوابين من الثورة إلى الاستشهاد

قامت ثورة التوابين في شهر ربيع الثاني من سنة 65هـ . 684م² في أعقاب موقعة الحرة التي أوقع فيها مسلم بن عقبة المري قائد يزيد بن معاوية بالمدينة وأباحها لجنوده ثلاثة أيام ينهبونها ويروعون أهلها بعد أن فتك بالكثير من رجالها واهل الفضل والرأي والتدبير فيها³، وثورة ابن الزبير الانفصالية بمكة التي أحسنت استغلال ما حدث للحسين

¹ البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج3، ص173، 189، 195. جاء الخبر في رواية ابن سعد كالتالي: فأقبل الحر بن يزيد أحد بني رياح بن يربوع على عمر بن سعد فقال: أمقاتل أنت هذا الرجل. قال: نعم. قال: أما لكم في واحدة من هذه الخصال التي عرض رضا. قال: لو كان الأمر إلي فعلت. فقال سبحان الله ما أعظم هذا. أن يعرض ابن بنت رسول الله ص عليكم ما يعرض فتأبونه. ثم مال إلى الحسين فقاتل معه حتى قتل ابن سعد، الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، الطبقة الخامسة، المصدر السابق، ج1، ص468 . 469. الدينوري، المصدر السابق، ص251. قال محمد: وبلغني أنه كان ممن قتل مع الحسين الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب التميمي وكان في خيل عبید الله بن زياد حيث لقوا الحسين بن علي بن أبي طالب فلما سألهم الحسين ما سأل وأبوا إلا قتله تحول إليه الحر فقاتل معه حتى قتل وفيه يقول جعفر بن عفان الطائي

ولم يك فيهم رجل رشيد سوى الحر التميمي الرشيد

فواجزاه إن بني علي وفاطم قد أبيعوا بالحديد.

أبو العرب التميمي، المصدر السابق، ص157.

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص583.

³ وقعت في شهر ذي الحجة من سنة 63هـ وقد لخص المسعودي أسبابها فكتب: ولما شمل الناس جوؤ يزيد وعماله، وعمهم ظلمه، وما ظهر من فسقه: من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره، وما أظهر من شرب الخمر وسيره سيرة فرعون وعامته: أخرج أهل المدينة عامله عليهم - وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان - ومروان بن الحكم، وسائر بني أمية، وذلك عند تنسك ابن الزبير وتأله، وإظهار الدعوة لنفسه ونمى فعل أهل المدينة ببني أمية وعامل يزيد إلى يزيد، فسيّر إليهم بالجيش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أحاف المدينة ونهبها، وقتل أهلها، وبايعه أهلها على أنهم عبید ليزيد، وسماها ننتة، ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مُسرف خرج إلى حربه أهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدوي وعبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس. المسعودي، المروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص68 . 70. وكان أهل المدينة لما ثاروا دعوا إلى الرضا والشورى وأمروا على قريش عبد الله بن مطيع العدوي وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة الغسيل وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعي وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ومن كان بها من بني أمية. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص485 . 492. خليفة بن خياط، التاريخ، المصدر السابق، ص237. أبو زرعة الدمشقي، التاريخ، المصدر السابق، ص191. الدينوري، الأبحار الطوال، المصدر السابق، ص264 . 266. المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، المصدر السابق، ج6، ص14. ويرى البلاذري أن وقعة الحرة كانت بسبب بيعة أهل المدينة لابن الزبير: لما قتل عبد الله بن الزبير أخاه عمرو بن الزبير خطب الناس فذكر يزيد بن معاوية فقال: يزيد الخمر، ويزيد الفجور، ويزيد الفهود، ويزيد القروذ، ويزيد الكلاب، ويزيد النشوات، ويزيد الفلوات، ثم دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده، وكتب إلى أهل المدينة بذلك، فاجتمع أهل الحجاز على أمر ابن الزبير وطاعته، وأخذ البيعة له على أهل المدينة عبد الله بن مطيع العدوي. البلاذري أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص319.

وصحبه في كربلاء وما وقع للمدينة في التشيع على السلطة الأموية والدعوة إلى الثورة عليها¹. وقد حدث انفجارها بسبب حالة وعي مكثف بالخطأ والتقصير راودت بعض القيادات الشيعية الكوفية بعد مقتل الحسين، وتولدت عن الاعتراف الصادق بالخذلان الذي قابلوا الحسين واتباعه بعد أن بالغوا في الالحاح عليه بالقدوم وزينوا له الخروج. فنهض عناصرها مستغلين الفراغ السياسي الذي أحدثته موت يزيد بن معاوية² ثم موت ابنه معاوية وانشغال عصبية السلطة في الشام بالبحث عن خليفة له يكون في حجم المسؤولية وخروج الحجاز والعراق من هيمنة السلطة الأموية ووقوعهما تحت سيادة عبد الله بن الزبير المتربص في الحرم، والذي صار يطمح إلى الاستيلاء على الشام ذاتها بواسطة أنصاره والمتعاطفين معه من رجالات قيس كالضحاك بن قيس الفهري وغيرهم ممن يريدون زحزحة العصبية اليمنية الممثلة بقبيلة كلب القابضة على مفاصل السلطة بحكم قربها الحميم من يزيد بن معاوية³.

كانت الحركة الشيعية في الكوفة تعاني من هشاشة قاعدتها التي تضععت بفعل قسوة عبید الله بن زياد واستعماله العنف في مطاردة ناشطيها. وقد توزعت في هذه الفترة على ثلاثة اتجاهات:

1. الاتجاه الأول: مثله ثلة من القيادات المخضمة التي شهدت أهم وقائع تاريخ صدر الإسلام وشاركت مع علي في جميع وقائعه واستمرت على إخلاصها ووفائها للحسن والحسين. لكنها لم تقم بواجبها في نصرته قتلى كربلاء، ولهذا السبب فأنهم كانوا يتحرقون شوقاً للتكفير عن خطيئتهم وتقدم نفوسهم فداءً لفضيلته. وهؤلاء سيشكلون القاعدة الأساسية لحركة التوابين.

¹ لما سار الحسين إلى العراق، شتم ابن الزبير للأمر الذي أراده وليس المعافريّ وشبر بطنه وقال: إنما بطني شبر، وما عسى أن يسع الشبر وجعل يظهر عيب بني أمية ويدعو إلى خلافهم. ثم إن ابن الزبير مضى إلى صفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر، فذكر لها أنّ خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله - عليه السلام - والمهاجرين والأنصار من أثر معاوية وابنه وأهله بالفيء، وسألها مسألته أن يبايعه. فلما قدمت له عشائه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده، وأنت عليه وقالت: ما يدعو إلا إلى طاعة الله جلّ وعزّ، وأكثر القول في ذلك. فقال لها: أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحجّ عليهنّ الشهب، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهنّ. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج1، ص51.

² بويح في رجب سنة 60هـ وتوفي في شهر ربيع الأول من سنة 64هـ. خليفة بن خياط، التاريخ، المصدر السابق، ص253.

³ كاد ابن الزبير أن يستتب له الأمر لولا بعض الأخطاء التي ارتكبها في تدبير حلفائه مثل الخوارج. وقد لخص خليفة بن خياط، التاريخ، المصدر السابق، ص253. التالية: لما مات يزيد بن معاوية انصرف أهل الشام مع الحسين وانصرف من انصرف من أصحاب ابن الزبير فقالت الخوارج بعضها لبعض ألا تسألونه عن عثمان ما قوله فيه فاتوه فقالوا له ما قولك في عثمان فالتفت فرأى في أصحابه قلة فقال روحوا إلى العشيّة وأمر أصحابه أن يحضروا وحضرت الخوارج فقالوا ما قولك في عثمان قال أتولاه حياً وميتاً قالوا برئ الله منك ثم انصرفوا فخرج بجدة باليمامة وخرج نافع بن الأزرق بالبصرة وتفرقت الخوارج. خليفة بن خياط، التاريخ، المصدر السابق، ص253. إبراهيم بيضون، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، المرجع السابق، ص197.

2. الاتجاه الثاني: مثله لفيث من المتشيعه من الجيل الأول والثاني وقد كانوا أكثر واقعية في طرح المسألة الشيعية وكانوا لا يرغبون في حوض مغامرة جديدة لا تحمد عواقبها بعد الذي خبروه في حركة حجر بن عدي وحركة مسلم بن عقيل والحسين من فشل وخيبة إزاء سلطة منظمة و متماسكة لا تتردد في اكتساح كل من يعارضها.

3. الاتجاه الثالث: وكان متشكلا من الفئات الشيعية التي سئمت حالة الشد السياسي بينها وبين السلطة وركنت عناصرها الى الرغبة في الاستفاده من حالة السلام القسري الذي فرضته السلطة الأموية في الكوفة على يد واليها واعوانه، وقد أرهاقتها سنوات الاعتراض والاحتجاج التي لم تسفر عن أي تحول إيجابي في صالحهم. وكان بعضهم يتعامل مع أجهزة السلطة تعاملًا نفعيًا كي يضمن مصالحه ومصالح من يتبعه. واهم عناصر هذا الاتجاه متشكلة من الوجهاء وسادة الناس¹.

بدأ نشاط التوابين بعد مقتل الحسين مباشرة وذلك بعيد دخول عبيد الله بن زياد من معسكره بالنخيلة إلى الكوفة فتلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم²، وفرعوا إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة وهم: سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة³، والمسيب بن نجبة الفزاري⁴، وكان من خيار أصحاب علي، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن

¹ إبراهيم بيضون، من دولة عمر الى دولة عبد الملك، المرجع نفسه، ص195. 196. إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية، المرجع السابق، ص206.

² حفظت لنا بعض المصادر بعض الخبر التي تكشف عن حالة الندم والغيب الذي كانت تتجرعه بعض العناصر الشيعية بعيد مقتل الحسين من ذلك ما جاء عن عبد الله بن خازم الأزدي الذي كان متزوجا من سهلة بنت سيرة بن عمرو من بني كثير، وكانت من أجمل الناس وأحبهم إليه. فلما سمع الصوت: يا لثارات الحسين. وما هو ممن كان يأتهم، ولا استجاب لهم فوثب إلى ثيابه فلبسها، ودعا بسلاحه، وأمر بإسراج فرسه، فقالت له امرأته: ويحك. أجننت. قال: لا والله، ولكنني سمعت داعي الله، فأنا مجيبه، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت، أو يقضي الله من أمري ما هو أحب إليه، فقالت له: إلى من تدع بنيك هذا. قال: إلى الله وحده لا شريك له، اللهم إني أستودعك أهلي وولدي، اللهم احفظني فيهم. وأبو عزة القابضي الذي سمع يا لثارات الحسين. فسأل: أين جماعة القوم. قيل: بالنخيلة، فخرج حتى أتى أهله، فأخذ سلاحه، ودعا بفرسه ليركبه، فجاءته ابنته فقالت: يا أبت، ما لي أراك قد تقلدت سيفك، ولبست سلاحك. فقال لها: يا بنية، إن أباك يفر من ذنبه إلى ربه، فأخذت تنتحب وتبكي، وجاءه أصهاره وبنو عمه، فودعهم، ثم خرج فلحق بالقوم. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص585.

³ سليمان بن صرد: بن الجون بن أبي الجون. وهو عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب من خزاعة. ويكنى أبا مطرف. وكان اسمه يسارا فلما أسلم سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سليمان. وكان مسنا. ونزل الكوفة وابتنى بها دارا في خزاعة. وشهد مع علي صفين. وكان فيمن كتب إلى الحسين يسأله القدوم عليهم الكوفة. فلما قدم الحسين الكوفة اعتزله فلم يكن معه. كان سليمان بن صرد الخزاعي فيمن كتب إلى الحسين بن علي أن يقدم الكوفة. فلما قدمها أمسك عنه ولم يقاتل معه. ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص102. خليفة بن الخياط، التاريخ، المصدر السابق، ص181. الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص122. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المصدر السابق، ج1، ص563. وجاء في رواية أخرى أنه كان كثير الشك والوقوف. فلما قتل الحسين ندم. ابن مسكويه، تجارب الأمم، المصدر السابق، ج2، ص107.

⁴ المسيب بن نجبة: بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمع بن فزارة. شهد القادسية وشهد مع علي بن أبي طالب مشاهدته. وقتل يوم عين الوردية مع التوابين الذين خرجوا وتابوا من خذلان الحسين. فبعث الحصين بن نمير برأس المسيب بن نجبة مع أدهم بن محرز الباهلي إلى عبيد الله بن زياد. وبعث به عبيد الله بن زياد إلى مروان بن الحكم فنصبه بدمشق. وصفه زفر بن الحارث الكلابي لابنه فقال: أما تدري أي بني من هذا. هذا فارس مضر الحمراء كلها، وإذا عد من

وال التيمي، ورفاعة بن شداد البجلي ثم الفتياي، فاجتمع هؤلاء الخمسة النفر في منزل سليمان بن صرد، ومعهم ناس من وجوه الشيعة¹. وأخذوا في التحضير لثورتهم وبث الدعوة إلى الثأر للحسين وكتبوا إلى شيعتهم في البصرة والمدائن يستحثونهم على الخروج فوافقهم عليه وجعلوا موعدهم في شهر ربيع الآخر سنة 65هـ. 684م، على أن يتوافوا ويجتمعوا بالنخيلة². وكان عبيد الله بن زياد حين أتاه موت يزيد بالبصرة وثب به أهلها حتى استخفى، ثم لحق بالشام، فلم يزل مع مروان بن الحكم إلى أن عقد له مروان على ما غلب عليه وفتح من أرض الجزيرة والعراق، ووثب أهل الكوفة بعامله عمرو بن حريث أيضا فأخرجوه واصطلحوا على عامر بن مسعود الجمحي، فكان يصلي بهم ويدعو لابن الزبير حتى عزله ابن الزبير، وولى عبد الله بن يزيد الخطمي، فقدمها ابن يزيد لثماني بقين من شهر رمضان سنة 64هـ. 683م، ويقال بعد ذلك بأشهر³.

كانت الكوفة في طريقها للخضوع إلى ابن الزبير لولا بقية من الفئات التي كان ارتباطها مع السلطة الأموية متينا، في حين بقيت فئات أخرى متربصة تنتظر المصير الذي ستؤول إليه الأمور، إلى جانب بعض القوى الشيعية التي كانت ترى في ابن الزبير امتداد للتيار العثماني الذي ناصب آل البيت العدا⁴. وكان ابن الزبير قد أرسل عبد الله بن يزيد الأنصاري الخطمي أميرا على الكوفة على حربها وعرها، وقدم معه من قبل ابن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميرا على خراج الكوفة، وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة 64هـ⁵. فلما ظهر أمر التوابون وتناقل الناس خبره وانتقل نشاطهم إلى العلن خطب عبد الله بن يزيد في أهل الكوفة فقال: إن قوما اجتمعوا للطلب بدم الحسين، فرحم الله الحسين، ورحم هؤلاء القوم، والله لقد دلت على أماكنهم

أشرفها عشرة كان أحدهم، وهو بعد رجل ناسك له دين. وبلغ من وثيق علاقته بعلي انه خطب إلى المسيب بن نجبة الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر، فاستشار عليا كرم الله وجهه فأشار عليه أن يزوج عبد الله لأن الحسن كان مطلقا، فزوج عبد الله بن جعفر. ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق، ج6، ص241. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص593. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج13، ص181. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص248.

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص364. أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، ت علي شيري، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، 1991م، ج5، ص203. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص221.

² النخيلة: تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص278. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص366. ابن اعثم الكوفي، الفتوح، المصدر السابق، ج5، ص6.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص367.

⁴ جاء في أخبار المختار بن ابي عبيد الثقفي أن هانئ ابن أبي حية الوادعي قدم مكة يريد عمرة رمضان، فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيتهم، فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير، إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص576. 577.

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص560. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص222.

وعليهم، فأبيت أن أهيجهم، والله ما قتلت الحسين، ولا مألأت على قتله وما أحببته، فلعن الله قتلتها، فليظهر هؤلاء القوم آمنين، ثم ليسيروا إلى قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم¹. ولما فرغ ابن يزيد من كلامه قام إبراهيم بن محمد فقال: لا يغرنكم مقالة هذا المداهن، فو الله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه، فقطع عليه المسيب بن نجبة كلامه قائلاً: أأنت تتهددنا بالقتل إنك لأذل من ذلك، وأما أنت أيها الأمير فجزاك الله خيراً، فقد قلت قولاً سديداً، وكلم القوم إبراهيم بكلام شديد غليظ، وقالوا لابن يزيد خيراً، ثم إن أصحاب سليمان بن صرد انتشروا يشترون السلاح، ويتجهزون ظاهرين لا يخافون أحداً².

كان كبار قادة الحركة في هذه الفترة منقسمين حول الوجهة التي سيتحركون إليها والعدو الذي ينوون تصفيته، وخاضوا نقاشات طويلة فيما بينهم من أجل الخروج برأي سديد. فكان بعضهم يرى أن غايتهم من الحركة هي القضاء على كل من ساهم في قتل الحسين من رجال الكوفة واعوان السلطة الأموية؛ وبالتالي فإن العمل يظل في محدودا بالكوفة لا يتعداها، في حين رأى آخرون أن العدو الذي خطط لقتل الحسين وأعان عليه هو رأس السلطة في الشام وواليها في الكوفة، وأن الثأر التام للحسين لا يتحقق دون استئصال شأفة الأمويين وأعوانهم. وكان الرأي الأخير هو الخيار الذي تبناه زعيم الحركة سليمان بن صرد³. واستمر نشاط الدعاية والتعبئة على قدم وساق في الكوفة وما جاورها، وكان بحوزة سليمان بن صرد ديوانا يسجل فيه أسماء الرجال الذين أخذ عليهم العهد بالانخراط في الحركة والمساهمة في نصرتها وأنهم بلغوا قريبا من ستة عشر ألف، وهو رقم لا يختلف كثيرا عن الرقم الذي سجلته حركة مسلم بن عقيل في مرحلة الدعاية، لذلك نستطيع أن نبني عليه تخرصنا حول الكثافة العددية للمتشيعة في الكوفة، وهو رقم ليس بالقليل اذا وضعنا في اعتبارنا انه عدد يخص الرجال من المقاتلين دون عوائلهم من الأطفال والنساء، وبناء عليه فإننا نفترض أن العدد الإجمالي للشيعية في ذلك العهد كان يقارب خمسين الف شخص.

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص367. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص222.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص368. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص222.

³ فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نفييل أن يسير إلى عبيد الله بن زياد، فقال هو ورؤوس أصحابه: الرأي ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفييل أن نسير إلى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا، ومن قبله أتينا، فقال له عبد الله بن سعد وعنده رؤوس أصحابه جلوس حوله: إني قد رأيت رأيا إن يكن صوابا فالله وفق، وأن يكن ليس بصواب فمن قبلي، فإني ما ألوكم ونفسي نصحا، خطأ كان أم صوابا، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين، وقتلنا الحسين كلهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، ورؤوس الأرياع وأشرف القبائل، فإني نذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار. فقال سليمان بن صرد: فماذا ترون. فقالوا: والله لقد جاء برأي، وإن ما ذكر لكما ذكر، والله ما نلقى من قتلة الحسين إن نحن مضينا نحو الشام غير ابن زياد، وما طلبتنا الا هاهنا بالمصر، فقال سليمان بن صرد: لكن أنا ما أرى ذلك لكم، إن الذي قتل صاحبكم، وعبا الجنود إليه، وقال: لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة، عبيد الله بن زياد، فسيروا إلى عدوكم على اسم الله. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص585. 586. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص36. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص263. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص224.

في الوقت المتفق عليه خرج سليمان في وجوه أصحابه قاصدا النخيلة، فمضى حتى أتى عسكره، فطاف به واستعرض عدد الناس وعدتهم فلم يعجبه ما رآه من نقص وقلة فبعث حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن غصين الكناني في خيل، وقال: اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا: يا لثارات الحسين. وابلغا المسجد الأعظم فناديا بذلك، فخرجوا، وكانا أول خلق الله دعوا: يا لثارات الحسين¹. وبات سليمان وأصحابه يواجهون النكوص والخذلان الذي ابتليت به الحركات الشيعية منذ أيام علي به والذي مارسوه هم أنفسهم في حق الحسين. تقول الروايات أن عدد من وجده في المعسكر لم يتجاوزوا الف رجل وهو رقم محبط لحركة يطمح قادتها الى أن يذيقوا بني امية من الكأس التي شربتها العترة النبوية. والحقيقة أن الذي ساهم في تلكؤ الناس عن الالتحاق بسليمان كان ظهور المختار بن عبيد الثقفي على مسرح الأحداث بالكوفة يدعو الى ذات الهدف الذي كانت تبغيه حركة التوابين، لكن طريقه في الوصول اليه واستراتيجيته العامة في بلوغه كانت تختلف عن استراتيجية التوابين. ثم ان المختار كان يعرض في مجالسه الخاصة بقصور وعي سليمان العسكري والسياسي ويقول أن مثل سليمان يعجز عن قيادة الشيعة الى أهدافها الكبرى². والواقع أن الأحداث التي وقعت بعد ذلك دلت على صحة بصيرة المختار وسداد رأيه، فالطابع شبه الانتحاري لحركة التوابين كان يصيب كثيرا من الشيعة والمتعاطفين معها بالقلق وعدم الارتياح؛ اذ ليس من الضرورة أن يكون جميعهم يؤرقه نفس الندم الذي كان يؤرق سليمان وصحبه؛ وبالتالي فان من الطبيعي أن يترددوا في الالتحاق بسليمان ليتحاشوا مواجهة غير متكافئة مع القوات الأموية المنظمة، ويميلوا الى دعاية المختار التي كانت تمنحهم الأمل في انتصار يقيهم أحياء غانمين. (راجع الملحق رقم 7).

كان عبد الله بن يزيد الخطمي والي الكوفة الجديدة ومساعد إبراهيم بن محمد يراقبان الحراك الشيعي في الكوفة بحذر ويحاولان أن يستفيدا منه بالقدر الذي يخدم قضية ابن الزبير ويحفظ له سيطرته على مقاليد الأمور، وقد بادرا الى لقاء سليمان بالنخيلة واقترحا عليه التنسيق بين القوة الزبيرية وبين الشيعة لمواجهة عدوهما المشترك، وهي صفقة سياسية تخدم الطرفين وتمنحهما القدرة على مواجهة القوة الأموية العسكرية المدربة والمنظمة جيدا، وهي بذلك فرصة عظيمة للإطاحة بالحكم الأموي وإدراك الشيعة لثأرهم التاريخي من قتلة ائمتهم. وكان فيما عرضه عليه: أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص583. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص35. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص262. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص224.

² فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول: إن سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال، وقد جئتكم من قبل المهدي محمد - يعني ابن الحنفية - مؤتمنا منتجبا ووزيرا مناصحا، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم، وعظمتهم مع ابن صرد، فكان سليمان أثقل الناس على المختار. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص367. وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا. يعني سليمان بن صرد، إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم، ليس له بصر بالحروب، ولا له علم بها. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص561. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص252.

أهل الشام على أن يخصه وأصحابه بخراج جوحي خاصة لهم دون الناس. لكن سليمان قابل مقترحات عبد الله بالرفض¹.

أقام سليمان بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته من أصحابه إلى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم، فخرج إليه نحو من ألف رجل، فقام المسيب بن نجبة إلى سليمان بن صرد، فقال: رحمك الله، إنه لا ينفك الكاره، ولا يقاتل معك الا من اخرجته النية، فلا نتظرن أحدا، واکمش في أمرک قال: فإنک والله لنعمنا رأيت. فقام صخير بن حذيفة المزني، فقال: آتاك الله رشداً، ولقائك حجتك، والله الذي لا إله غيره ما لنا خير في صحبة من الدنيا همته ونيته أيها الناس، إنما أخرجتنا التوبة من ذنبنا، والطلب بدم من نبينا، ليس معنا دينار ولا درهم، إنما تقدم على حد السيوف وأطراف الرماح، فتنادى الناس من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا، وليس لها خرجنا². فقام سليمان بن صرد في الناس فقال: أيها الناس، من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه، فرحمة الله عليه حيا وميتا، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فو الله ما نأتي فيها نستفيئه، ولا غنيمة نغنمها، ما خلا رضوان الله رب العالمين، وما معنا من ذهب ولا فضة، ولا خز ولا حرير وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا، ورماحنا في أكفنا، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا، فمن كان غير هذا ينوي فلا يصحبنا³. والخطاب كما نرى يخلو من الوعود التي تهفو لها نفس الانسان اذ أن النوايا التي تضمنها لم تكن يوماً في تاريخ البشر مغرية الا للقللة منهم، وليس من السياسة النبوية التي تبتغي حشد الناس أن تحفزهم نحو الفقر والفاقة والموت من دون وعد دنيوي بخلاص يجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

لم يطل سليمان وصحبه الانتظار طويلاً بالنخيلة فتحركوا الى دير الأعرور⁴ ومنه الى أقساس⁵ وفي الطريق تخاذل كثير من الناس وانصرفوا متسربين عائدين الى ديارهم ولما استعرض سليمان جيشه وجد لديه نقصا يقارب الف رجل فلم يكثرث ومضى بمن تبقى من التوابين قاصدين قبر الحسين، ولما انتهوا إلى القبر نادوا بصيحة واحدة: يا رب إنا قد خذلنا

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص587. 588. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص252

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص585. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص262. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص314.

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص585. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص263. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص314.

⁴ دَيْرُ الْأَعْرُورِ: هو بظاهر الكوفة بناه رجل من إباد يقال له الأعرور من بني حذافة بن زهر بن إباد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص499.

⁵ أَقْسَاسٌ: قرية بالكوفة أو كورة يقال لها: أقساس مالك، منسوبة إلى مالك بن عبد هند بن نجم التزاري. الحموي، معجم البلدان، المصدر نفسه، ج1، ص236.

ابن بنت نبينا، فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين¹، قال: فأقاموا عنده يوما وليلة يصلون عليه ويكون ويتضرعون، فما انفك الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه، حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره، وزادهم ذلك حنقا ثم ركبوا، فأمر سليمان الناس بالمسير، فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه، فيترحم عليه، ويستغفر له. وقد وصفهم أحد شهود الواقعة قال: فو الله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود². ثم إن سليمان بن سرد سار من موضع قبر الحسين، فمضى إلى الحصاة³، ثم إلى الأنبار، ثم إلى صندوداء، ثم إلى القيامة⁴، وهناك وصله كتاب عبد الله بن يزيد من الكوفة يطلب منهم أن يراجعوا رأيهم ويعودوا ليقاتلوا معا. وكان من بين ما كاتبهم به: يا قومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم، فإنكم خيار كلكم، ومتى ما يصبكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام مصركم، فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم .. يا قوم إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة، وإن عدونا وعدوكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا، يا قومنا لا تستغشوا نصحي، ولا تحالفوا أمري، وأقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي⁵. فلم يلق سليمان بالا لمناشدات عبد الله بن يزيد ولم يزد في تعليقه عليه أن قال: أنا وهؤلاء مختلفون، إن هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا، وإنا إن نحن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهله، وإن أصبنا فعلى نياتنا، تائبين من ذنوبنا، إن لنا شكلا، وإن لابن الزبير شكلا، إنا وإياهم كما قال أخو بني كنانة:

أرى لك شكلا غير شكلي فأقصري عن اللوم إذ بدلت واختلف الشكل⁶

ثم تحرك من القيامة إلى هيت فنزلها ثم شد الرحال إلى قريسياء طلبا للراحة والتزود، وكانت خاضعة لسلطة الحارث بن زفر الكلابي أحد قيادات القيسية وقد صيرها قلعة محصنة استعدادا للهجوم الأموي المرتقب. وكان زفر قد شارك في موقعة

¹ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص264. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص316. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص224.

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص589. 590.

³ الحصاصنة: وهي من قرى السواد قرب قصر ابن هبيرة من أعمال الكوفة. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص263.

⁴ القيامة: منزل للحاج من واسط على مرحلتين وهو بحر لبني عجل ماؤها غليظ كثير ثم يرتحلون منها إلى الأحاديث. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص419. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص590. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص316.

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص592. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص364. 365. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص318.

⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص591. 592.

مرج راهط التي جرت بين القيسية واليمينية في الشام إلى جنب الضحاك بن قيس الفهري سيد القيسيين، فلما حلت الهزيمة بساحة قيس انسحب زفر إلى قرقيسياء وتحصن بها متوقعا أن تداهم القوات الأموية التي أصبحت في خدمة مروان بن الحكم الخليفة الجديد. لما بلغ خبر وصولهم الحارث توجه مناهم في البداية ثم لما علم خبرهم رحب بمقدمهم وأمر بإخراج الأسواق والأغلاف والطعام الكثير لهم¹ وبعث بعشرين جزورا إلى المسيب بن نجية وسليمان بن صرد وعشر جزر إلى وجوه أهل العسكر وعلف كثير وطعام، وأخرج للعسكر عيرا عظيمة وشعيرا كثيرا، فقال غلمان زفر: هذه عير فاجتروا منها ما أحببتم، وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم، وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقتم، فظل القوم يومهم ذلك مخصبين لم يحتاجوا إلى شراء شيء من الأسواق التي وضعت، وقد كفوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشتري الرجل ثوبا أو سوطا ثم ارتحلوا من الغد².

ويبدو أن زفر قد وافته نفس الأفكار التي فكر فيها عبد الله بن يزيد لما طلب من سليمان البقاء في الكوفة والانضمام إلى الجيش الزبيري فقد اقترح على سليمان ما يلي: إن شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحدا وأيدنا واحدة، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتنا، وخرجنا فعسكرنا إلى جانبكم، فإذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا. فقال سليمان لزفر: قد أردنا أهل مصرنا على مثل ما أردتنا عليه، وذكرنا مثل الذي ذكرت، وكتبوا إلينا به بعد ما فصلنا، فلم يوافقنا ذلك، فلسنا فاعلين³. فلما رأى تصلبهم ويئس من قبولهم عرضه نصحهم بالإسراع إلى عين الوردة لأجل حيازة الموقع الأصلح في المعركة وزودهم بجملة نصائح حربية من وحي خبرته ومعرفته بجغرافية المنطقة وحيل القتال⁴. (راجع الملحق رقم 7).

أسرع التوابون قاصدين عين الوردة⁵ طاوين مرحلتين في مرحلة واحدة حتى بلغوها فنزلوا واستراحوا وذلك قبل وصول جيش الشام بخمسة أيام واستغل سليمان هذه الفسحة من الوقت فرتب جمعه ووزع مسؤوليات القيادة على أصحابه وأوصاهم: إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفييل، فإن قتل

¹ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص365.

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص593. 594. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص319. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص224.

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص594. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص319.

⁴ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص365. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص319.

⁵ عين الوردة: من كور الجزيرة وبمقربة من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهي كلها بين الجزيرة والشام. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص265.

عبد الله ابن سعد فأمر الناس عبد الله بن وال، فإن قتل عبد الله بن وال فأمر الناس رفاعة بن شداد. وبالغ في تحميمهم وتحريضهم وتذكيرهم الهدف الذي خرجوا اليه. وفي هذه الأثناء كان عبيد الله بن زياد قد وجه إليهم من الرقة خمسة أمراء فيهم الحصين بن نمير السكوني، وشرجيل بن ذي كلاع، وأدهم بن محرز الباهلي وأبو مالك بن أدهم، وربيعة بن المخارق الغنوي، وجبله بن عبد الله الحثعمي. فأراد سليمان أن يبادر إلى الاشتباك عن طريق الهجوم المباغت واستغلال غفلة جيش الشام فبعث المسيب ابن نجبه في أربعمئة فارس، ثم قال: سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم فشن فيهم الغارة، فإذا رأيت ما تحبه وإلا انصرفت إلي في أصحابك، وإياك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك أن ينزل. فخرجوا مسرعين حتى صبحوا أول عسكر قابلهم من جند الشام وكان معسكر ذي الكلاع الحميري فداهمهم وقتلوا منهم وأصابوا وغنموا وعادوا إلى معسكرهم. لما بلغت أنباء الهزيمة عبيد الله بن زياد سرح إليهم الحصين بن نمير فقدم إلى عين الوردة مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا فدعاهم الحصين إلى طاعة عبد الملك، وكان مروان قد هلك، ودعاهم سليمان إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد ويخلعوا عبد الملك، ويخرج عمال عبد الله بن الزبير، ويسلم الأمر إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم¹. فكان من الطبيعي أن تلاقي هذه الدعوات الرفض من الطرفين. وهكذا انخرطوا في قتال شرس من غير أن ينتظر سليمان وصول المدد من اخوانه في المدائن والبصرة، واستمرت المعركة ثلاثة أيام استمات فيها التوابون ووصلت أول طلائع شيعة المدائن إلى ساحة المعركة فدخلوها بحماس من غير أن ينتظروا وصول الآخرين. كانت مجاهدة غير متكافئة من حيث العدد والعدة لكن التوابين استبسلوا في رد طوفان الجيش الشامي ووقعوا بكتائبه خسائر بشرية ثمينة². لكن المهمة لم تكن يسيرة عليهم إزاء قوات كانت تتجدد كل مرة بقيادة أمير جديد الأمر الذي أتعبهم وأنهك قواهم. وقد شهد اليوم الثالث مقتل قادة التوابين: سليمان والمسيب بن نجبة وعبد الله بن سعد بن نفيل وعبد الله بن وال، وسقط إلى جنبهم كثير من الرجال، وفي قلب هذه الملحمة الدامية اقترح رفاعة بن شداد البجلي على من تبقى من رفاقه الانسحاب من المعركة حفاظا على أرواحهم وإبقاء عليهم لجولة أخرى فلم يلق مقترحه قبولا عند جماعة من المستبسلين ورأوا فيه نوعا من الفرار من الزحف وبقية من حب الدنيا³. أما هو فقد تولى مهمة انقاذ البقية فخرج في الليل طابوا المراحل خشية أن يتعقبهم جيش الشام حتى وصل إلى قرقيسياء فبعث إليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث إليهم في المرة الأولى، وأرسل إليهم الأطباء وقال: أقيموا عندنا ما أحببتهم، فإن لكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثا،

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص371. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص367.

² ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص36. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص367. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص225.

³ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص369.

ثم زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف. وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هيت، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس، فانصرف، فتلقى المثنى بن محربة العبدى بصندوداء¹، فأخبره، فأقاموا حتى جاءهم الخبر: أن رفاعه قد أظلكم، فخرجوا حين دنا من القرية، فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض، وبكى بعضهم إلى بعض، وتناعوا إخوانهم فأقاموا بها يوماً وليلة، فانصرف أهل المدائن إلى المدائن، وأهل البصرة إلى البصرة، وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة². وأتى أدهم بن محرز عبد الملك ببشارة الفتح، فصعد عبد الملك المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن الله قد أهلك من أهل العراق ملقح الفتنة، ورأس الضلالة سليمان بن صرد، ألا وإن السيوف تركت رأس ابن نجبة حذاريف. ألا وقد قتل الله منهم رجلين ضالين مضلين: عبد الله بن سعد أخوا الأزد، وابن وال أخوا بكر بن وائل، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع ثم نزل³. ولما قدم رفاعه بن شداد وأصحابه الكوفة، كانوا يقولون إذا ذكر لهم أصحابهم: صبروا والله، وفرنا، وخفنا أن نلقي بأيدينا إلى التهلكة، وأن نؤكل أهل الشام لحومنا، وقلنا لعل الأيام تبقى لهم منا شراً⁴.

لما دخل رفاعه بن شداد ومن نجا إلى الكوفة كان المختار بن عبيد الثقفي محبوباً بأمر من عبد الله بن يزيد لأن أمره اشتهر بين الناس ونشاطه التحريضي استقطب كثيراً منهم فحشي على استقرار الكوفة منه، فكتب إليهم المختار من محبسه يطلب ودهم: أما بعد، فمرحبا بالعصب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا، ورضي انصرفهم حين قفلوا أما ورب البنية التي بنى ما خطا خاط منكم خطوة، ولا رتا رتوة، إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا. إن سليمان قد قضى ما عليه، وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون، وأمير الجيش، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار، فأعدوا واستعدوا، وأبشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، وجهاد المخلين، والسلام⁵. وقد تلقى رفاعه وبعضاً من رفاقه رسالة المختار بارتياح وامتنان لأنها تضمنت

¹ صندوداء: قرية كانت في غربي الفرات فوق الأنبار، حربت، وبها مشهد لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه. القطيعي البغدادي، مرصد الاطلاع، المصدر السابق، ج2، ص853.

² ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص369.

³ ابن الأثير، الكامل، المصدر نفسه، ج3، ص370. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص341.

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص589. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص373. عبد الملك العصامي، سمط النجوم، المصدر السابق، ج3، ص226.

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص606. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص37. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص370.

اعتزازا بالمهمة التي أداها وتفهما للدوافع التي حركتهم للانسحاب من المعركة، كما أنها قامت بوظيفة تنفيس للذنب الذي كانوا يشعرون به لما اختاروا الحية على الموت ولم يواجهوا نفس المصير الذي لقيه أصحابهم.

ب. المضمون الأيديولوجي لثورة التوابين:

تحركت جماعة التوابين بدافع التوبة والرغبة في التطهير والخلاص من عبء الذنب الذي أثقل كاهل كل مخلص للقضية الشيعية وقصر في الانتصار لمسلم بن عقيل والحسين بدافع الخوف والتردد أو بدوافع أخرى. الخلاص الذي لا يتم إلا بواسطة الجهاد بالمال والنفس تحقيقا للتأثر من الذين شاركوا في قتل الحسين وطلباً للشهادة؛ وبالتالي فإن حركتهم جاءت مخصوصة بقضية الحسين ومحكومة بالحيثيات التي أحاطت بها، كأنها تدشن منعطفًا جديدًا في الأيديولوجية الشيعية؛ بحيث لم يعد حق علي في الخلافة ومقتله هو ما يحرك وجدان الشيعة ويبرر خروجهم على السلطة الأموية، ولا الإجراءات التي كانت متبعة في لعنه والتبرؤ منه على المنابر وفي شتى المناسبات. وإنما صار مقتل الحسين الدرامي هو الإطار الجديد الذي ولد زخما غنيا للتوجهات الشيعية وجذب فئات متنوعة للتعاطف مع قضية آل البيت واستمال عناصر مختلفة من الجيل الذي لم يشهد أيام علي للانخراط في العاطفة الشيعية وسوف يصيرون فيما بعد هدفا لدعاية المختار بن أبي عبيد الثقفي في حركته القادمة. إذن فإن الدوافع التي قادت إلى حركة التوابين تختلف عن الظروف والدواعي التي هيّجت حركة حجر بن عدي، ثم أنها جاءت تعبيرا لحظيا عن حالة من اليأس الذي يكون قد استبدت بكبار قادة الحركة بالنظر إلى مقتل آخر حبة في عنقود أبناء فاطمة من دون الحصول على حقه الخلافة، خاصة وأن الأيديولوجية الشيعة حتى هذه اللحظة كانت لا تزال ذات طابع بسيط ومباشر يطغى عليها البعد السياسي الذي يهدف إلى تسليم الخلافة إلى مستحقيها من آل البيت، وقاموسها لا يتعدى بعض المفردات القرآنية وخطابها مؤسسا على الحجج التاريخية وبعض المأثورات النبوية القليلة حول فضل العترة النبوية¹، لأن المنظومة الشيعية المعقدة التي سنشهدا بداية من حركة المختار والتي ستحترقها أفكار كثيرة متنوعة بعضها غريب عن المجال التداولي العربي والتي استمدت نظامها من تراثات أمم أخرى لم تتأسس بعد. فمقتل الحسين وضع الكتلة الشيعية في حرج تاريخي وسحب من تحت بساطها آخر الرجال الذين راهنت عليهم وشكلت بنيانها على المطالبة بحقهم في السلطة، ولم يبق من أبناء علي المستحقين إلا

¹ فقال سليمان: الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين، اللهم إذ حرمناها معه فلا تحرمنا فيه بعده. وقال عبد الله بن وال: أما والله إنني لأظن حسينا وأباه وأخاه أفضل أمه محمد وسيلة عند الله يوم القيامة، أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم. إنهم قتلوا اثنين، وأشقوا بالثالث على القتل، قال: يقول المسيب بن نجبة: فأنا من قتلتم ومن كان على رأيهم بريء، إياهم أعادي وأقاتل. وقال الثقي بن مخزوم وكان أحد الرؤوس والأشراف: إن الله جعل هؤلاء الذين ذكركم بمكانهم من نبيهم أفضل ممن هو دون نبيهم، وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء، ومنهم برء، وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال إرادة استئصال من قتلهم، فو الله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نأله، فإن ذلك هو الغنم، وهي الشهادة التي ثوابها الجنة، فقلنا له: صدقت وأصبحت ووفقت. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص590.

محمد بن الحنفية ولم يكن شأنه هو شأن الحسن والحسين ولا يسري في دمائه نفس الدم الرمزي العائد للنبي والذي استمر في فاطمة وأبنائها، ولم يسطع نجمه الا بعد مقتل أخيه ولم تكن انظار الشيعة تتجه اليه، ثم ان مسلكيته التي نستقرؤها من أخباره كانت بعيدة عن الانخراط الجاد في مشكلات السياسة يغلب عليها الرغبة في الركون الى السلام ودعة العيش في ظل التقدير الذي كان يحظى به من كل الناس حتى من بني امية أعداء أبيه. والملاحظ أن الذي دفع اسم محمد بن الحنفية الى المشهد السياسي لم يكن مقتل أخيه رغم أهميته كحدث مأساوي فظيع وانما السلوك المتهور الذي قام به ابن الزبير لما أراد اجباره واجبار ابن عباس وغيرهم من العلويين والهاشميين على مبايعتهم له والوقوف الى صفه ثم صعد تهديده لهم بأن قام بسجنهم وتوعدهم بالحرق وكاد أن ينفذه لولا حركة الإنقاذ الجريئة التي خطط لها المختار الثقفي. ان وجود ابن الحنفية مكن بعض مفكري الشيعة ممن أراد استمرار القضية الشيعية بناء على مستندات جديدة وأهداف جديدة من استخدام حلول لمازق فقدان أبناء فاطمة كان مفهوم الوصية أهم مرتكزاتها¹.

ان أيديولوجية التوابين هي أيديولوجية الموت بامتياز² والاستعلاء على الواقع الضال والمنحرف كما كانوا يرونه بواسطة الشهادة وتحرير الروح الحبيسة في عالم بني امية والمثقلة بالذنب والندم لكي تلتحق بالأطهار والأئمة في عالم الخلد. فلم يعد العالم الذي غاب عنه الحسين هو عالمهم³؛ وزاد الامر شدة الانتشار الكبير الذي راحت تحققه سلطة

¹ تأسست على دعاية المختار الثقفي فرقة شيعية سميت بالكيسانية وقد ذهب مفكروها في تحليل امامة ابن الحنفية الى أنه كان إماما بعد أبيه على بن أبي طالب رضى الله عنه واستدل على ذلك بان عليا دفع إليه الراية يوم الجمل. وقال آخرون منهم إن الامامة بعد علي كانت لابنه الحسن ثم للحسين بعد الحسن ثم صارت الى محمد بن الحنفية بعد اخيه الحسين بوصية اخيه الحسين اليه حين هرب من المدينة الى مكة حين طولب بالبيعة ليزيد بن معاوية. ثم افترق الذين قالوا بإمامة محمد بن الحنفية فزعم قوم منهم يقال لهم الكرية اصحاب ابي كرب الضرير ان محمد بن الحنفية حي لم يموت وانه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه. واختلفوا في سبب حبسه هنالك بزعمهم فمنهم من قال لله في امره سر لا يعلمه الا هو ولا يعرف سبب حبسه ومنهم من قال إن الله تعالى عاقبه بالحبس لخروجه بعد قتل الحسين بن علي الى يزيد ابن معاوية وطلبه الأمان منه وأخذ عطاء ثم لخروجه في وجه ابن الزبير من مكة الى عبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير. البغدادي، الفرق بين الفرق، المصدر السابق، ص 27، 37، 38. الشهرستاني، الملل والنحل، المصدر السابق، ج 1، ص 27. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط 8، دار المعارف، مصر، 1968م، ج 2، ص 56-57.

² جاء في احدي خطب سليمان بن صرد: ولا تحابوا الموت، فو الله ما هابه أحد قط إلا ذل، وكونوا كتوايي بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم، فما فعل القوم جثوا والله للركب، ومدوا الأعناق، ورضوا بالقضاء حين علموا أنه لا ينجيهم من عظم الذنب إلا الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعي القوم إليه، اشحدوا السيوف، وركبوا الأسنة وأعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 6، ص 365-366. وقيل بداية المعركة بعث حصين بن نمير إلى سليمان بن صرد حين التقوا إلى أعرف لك حقتك وسنك وقرابتك، وأنا أكره قتالك، فبعث إليه والله ما خرجت وأنا أحب الحياة. البلاذري أنساب الأشراف، المصدر نفسه، ج 6، ص 372-373.

³ عن حميد بن مسلم قال: لما تمهأنا للانصراف قام عبد الله بن غزية ووقف على القتلى فقال: يرحمكم الله، فقد صدقتم وصيرتم، وكذبنا وفرنا، قال: فلما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزية في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العدو والاستقتال، فجاء رفاعة وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم: ننشدكم الله ألا تزيدونا فلولا وتقصانا، فإننا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوي النيات، فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردوهم. الطبري، التاريخ،

ابن الزبير الصاعدة والتي أثبتت قدرتها على منافسة الأمويين . وكلاهما يعتبر من القوى المعادية لآل البيت . جعلهم يشعرون بنوع من الحصار السياسي الثقيل الذي راح يطبق عليهم ويسرق منهم الأمل¹ . ومن الواضح انه لم تكن للتوايين صلة تاريخية ولا عقدية بمحمد بن الحنفية ولا علاقة لهم بالحركة التي أخذت تدور حوله والبيانات الأيديولوجية التي تأسست عليه، ثم ان مساهمتهم غير المقصودة في تعميق الفكرة الشيعية اتخذت طابعا رمزيا لأنها في الأساس لم تستمد أهميتها من الفعل التاريخي الذي يعتبر فاشلا بالمقاييس السياسية العادية وانما اخذتها من كثافة التنشيط الرمزي الذي بلغ أوجه في لحظة وصولهم لقبر الحسين واحتفائهم الحزين بذكره والتي غدت تقليدا متبعا أسس لمختلف أشكال طقوس الزيارة الحسينية التي هي صارت حجا تكفيريا. ان حركتهم كانت مشروطة بالحسين فلما انتهى الحسين انسد أفقهم التاريخي وجاء موتهم تعبيرا عمليا عن ذلك² .

ان مقارنة سريعة بين مسيرة التوايين وبين بعض نشاطات الحركة الخارجية نجد ما يبررها في اشتراكهما في سمات عديدة أهمها طابع الارتجال في الثورة وصفة البسالة في القتال والتصلب الأيديولوجي الذي لا يعتوره شك ولا تردد³ ،

المصدر السابق، ج5، ص602. ولما كادت المعركة أن تنتهي قام رجل من حمير وجمع إليه رجالا من حمير وهمدان، فقال: عباد الله. روحوا إلى ربكم، والله ما في شيء من الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة إليه، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم، فأما أنا فوالله لا أولي هذا العدو ظهري حتى أرد موارد إخواني، فأجابوه وقالوا: رأينا مثل رأيك. الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج5، ص604.

¹ في الرواية التالية يتضح حجم الخلاف بين تصورات أهل الشام من أعوان السلطة الأموية وبين أيديولوجية أهل العراق من المتشيعين في مسألة السلطة والشرعية وما يترتب عليهما من أحكام الآخرة: عن فروة بن لقيط، قال: سمعت أدهم بن محرز الباهلي في إمارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناسا من أهل الشام، قال: دفعت إلى أحد أمراء العراق، رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين»، الآيات الثلاث، قال: فغاضني، فقلت في نفسي: هؤلاء يعدوننا بمنزلة أهل الشرك، يرون أن من قتلنا منهم كان شهيدا. فحملت عليه أضرب يده اليسرى فأطنتها، وتنحيت قريبا، فقلت له: أما إني أراك وددت أنك في أهلك، فقال: بسم رأيت. أما والله ما أحب أنها يدك الآن إلا أن يكون لي فيها من الأجر مثل ما في يدي، قال: فقلت له: لم. قال: لكيما يجعل الله عليك وزرها، ويعظم لي أجرها، قال: فغاضني فجمعت خيلي ورجالي، ثم حملنا عليه وعلى أصحابه، فدفعت إليه فطعنته فقتلته، وإنه لمقبل إلي ما يزول، فزعموا بعد أنه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثرون الصوم والصلاة ويفتون الناس. الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج5، ص602.

² لما سقط القائد عبد الله بن وال ورأى رفاعه بن شداد البجلي بوصفه قائد الجماعة ضرورة الانسحاب من المعركة رفض الوليد بن الغصين الكناني مقترحه وقال: إني لا أريد ما تريد، إني أريد لقاء ربي، واللحاق بإخواني، والخروج من الدنيا إلى الآخرة، وأنت تريد ورق الدنيا، وتحوى البقاء، وتكره فراق الدنيا، أما والله ابني لا أحب لك أن ترشد ومشى صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني في ثلاثين من مزينة، فقال لهم: لا تحابوا الموت في الله، فإنه لا يقبكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم، ولا تزهودوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإن ما عند الله خير لكم، ثم مضوا فقاتلوا حتى قتلوا. الطبري، التاريخ، المصدر نفسه، ج5، ص604.

³ لما واجه جيش علي جماعات الخوارج في النهروان اندفع الخوارج يصيحون: الروح إلى الجنة معاشر المحبتين وأصحاب البرانس المصلين. فشدوا على أصحاب علي شدة واحدة. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص86. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص360. ابن مسكويه، تجارب الأمم، المصدر السابق، ج1، ص580. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج5، ص134.

وغياب الأساليب السياسية التي نجدها عند قوى أخرى ترى في الحرب لعبة من العاب السياسة يتحقق النصر فيها أحيانا باللجوء الى التحالف مع المخالفين، ورغبة سرية في الموت تصديقا لوعود الله في الجنة وإدراك منازل الأنبياء والصديقين والشهداء. تجعلنا نصف حركة التوابين بأنها تشكل الوجه الآخر الشيعي للحركة الخارجية التي مضت في ذات النهج منذ موقعة النهروان.

وقد جاء في حركة شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي على الحجاج في رواية الطبري ما يلي: فجاء شبيب حتى انتهى إلى المدائن، فتحصن منه أهل المدائن وتحزروا، ووهى أبنية المدائن الأولى، فدخل المدائن، فأصاب بما دواب جند كثيرة، فقتل من ظهر له ولم يدخلوا البيوت، فأبى فقيل له: هذا سورة بن أبحر قد أقبل إليك، فخرج في أصحابه حتى انتهى إلى النهروان، فنزلوا به وتوضنوا وصلوا، ثم أتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم علي بن ابي طالب، فاستغفروا لإخوانهم، وتبرءوا من علي وأصحابه، وبكوا فأطالوا البكاء. وهي زيارة شبيهة بزيارة التوابين الى قبر الحسين. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص229.

ج. الشخصيات الوارد ذكرها في معركة عين الوردة ونسبة العناصر اليمنية فيها:

عبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي، خالد بن سعد بن نفييل الأزدي، عبد الله بن حازم الكبير من بني كبير من الأزدي، عبد الله بن خازم الأزدي، حميد بن مسلم الأزدي، حجر بن عوض الكندي، عزيز بن سعد بن معدي كرب الكندي¹، عبد الله بن عزيز الكندي، حكيم بن منقذ الكندي، الحارث بن زرار الكندي، الأسود بن ربيعة بن مالك بن ذي العينين الكندي، رفاعة بن شداد البجلي ثم الفتياي²، كريب بن مرثد الحميري، سليمان بن صرد الخزاعي، عبد الله بن الخضل الطائي من البصرة³، أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني، الوليد بن غصين بن مسلم الكناني ثم الغفاري، سعد بن حذيفة بن اليمان العبسي، المثني بن مخربة العبدى من اهل البصرة، سعر بن أبي سعر الحنفي من البصرة، أبو الجويرية العبدى، عبد الله بن وال التيمي، صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني، مشى صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني في ثلاثين من مزينة، كثير بن عمرو المزني من البصرة، عبيدة بن سفيان المزني المضري، المسيب بن نجبة الفزاري، الحكم بن مروان بن نجبة ابن أخ المسيب وقتل معه⁴، أبو عزة القابضي، وكرب بن نمران، عبد الله ابن عوف بن الأحمر، جاء في إحدى الروايات الإشارة التالية: قام لهم الحميري وجمع إليه رجالا من حمير وهدان، عبيد الله بن عبد الله المرسي⁵.

هذه كل الأسماء الوارد ذكرها في وقائع ثورة التوابين عددها 31 شخصية موزعة على عدد من القبائل. ولليمنية فيها حصة كبيرة تكاد تبلغ النصف، إذ بلغ تعدادهم 15 شخصا، منهم: ستة من كندة وخمسة من الأزدي وشخص واحد لكل من بجيلة حمير وخرزاعة وطيب. يضاف إليهم أعداد غير محصية من حمير وهدان. وحضور لافت لعناصر من قبيلة مزينة من دون تحديد لأعدادهم. في حين توزعت البقية بين ربيعة ومضر. والقائمة لا تعبر تعبيرا صادقا عن حقيقة التمثيل القبلي

¹ ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ج1، ص161.

² كان رفاعة شيعيا مغرقا في حب آل البيت منحرفا عن عثمان والعثمانيين، وكان من بين الذين نجوا من التوابين، وقد شارك مع المختار في الأحداث التي وقعت في الكوفة. وقد أثر عنه انه رفض ان يقاتل الى جنب بعض الهمدانيين من مناصري المختار لما صاحوا يا ثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد: ما لنا ولعثمان. لا أقاتل مع قوم يغون دم عثمان، فقال له أناس من قومه: جئت بنا وأطعناك، حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت: انصرفوا ودعوهم. فعطف عليهم وهو يقول:

أنا ابن شداد على دين علي لست لعثمان بن أروى بولي

لأصلين اليوم فيمن يصطلي بحر نار الحرب غير مؤتل

الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص50.

³ ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المصدر السابق، ص166.

⁴ ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص259.

⁵ أحمد بن سهل الرازي، أخبار فخر وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، ت ماهر جزار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص96.

في ثورة التوابين والذي لا نستطيع الوصول اليه في ظل غياب المعلومات؛ لكنها أفضل ما يمكن الحصول عليه؛ إذ استوعبت الأسماء الواردة في ثنايا السرد التاريخي للثورة وبعضها الآخر في كتب الأنساب.

ان الحيشات التاريخية التي انبثق منها التوابون في الكوفة تندرج في السياق التاريخي العام لثورة الحسين ولطبيعة الفئات الشيعية التي ناصرتها على مستوى الفعل أو الأمنية؛ وهي فئات متوزعة على قبائل مختلفة يمنية وعدنانية، تعبر عن لحظة من لحظات تطور الأيديولوجيا داخل المجتمع الإسلامي مختزفة رابطة الدم القائمة على اللحمة العصبية وروح التآزر القبلي؛ ساحبة الولاء من القبيلة الى الشخص الرمزي المبجل. فالتوابون لم يكونوا كلهم يمينيين وثورتهم ليست ثورة يمنية خالصة وحركتهم لا تندرج في إطار استخدام القبيلة للمذهب من أجل الوصول الى مكاسب سياسية واجتماعية في هذا المصر او ذلك. وانما سادتها قيم أخرى كالتوبة والخلاص والشهادة والآخرة وهي قيم تجد مرجعيتها في القرآن وحركة الإسلام الأولى، وحكمتها قوة المبادئ وهيبتها حرارة القضية، فهي بهذا تمنحنا نموذجاً يساعدنا في مراقبة سلسلة التطور الذي كانت الأفكار فيها تتحول الى عقائد والروابط الدموية تتمزق تاركة المجال لنمو الولاءات الفكرية ثم العقديّة والتي ستتحول فيما بعد الى أحد الأدوات المهمة في تأطير المجتمع الإسلامي في مناطق كثيرة؛ بحيث سيصير تصنيف بعض المجتمعات قائماً على ثنائية السنة والشيعة مثلاً من دون التدقيق في خلفيتها القبليّة. وستنقسم بعض القبائل الكبرى بفعل اختلافها هذا.

3. دور العناصر اليمنية في ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي 65هـ . 669هـ / 684م . 688م:

1. المختار بن ابي عبيد الثقفي: من الثورة الى الهزيمة

رأينا ان ثورة التوابين كانت حركة انفعالية تأرية معزولة تقريبا عن القوى السياسية التي كانت تتحكم بالوضع التاريخي في تلك الفترة، وكانت اشبه بعملية انتحارية جماعية فارغة من الأهداف السياسية الواقعية، ولم يكن عناصرها يتحركون بهدف الوصول الى السلطة؛ وبالتالي لم يشغلوا أنفسهم بالدعاية العامة ولا اقترح برامج بديلة عن سلطة ابن الزبير في الحجاز والسلطة الأموية بالشام ونجدة الحنفي الخارجي باليمامة¹، وجاءت نهايتها الدامية منسجمة مع طبيعة أهدافها التطهيرية الخلاصية؛ بخلاف حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي التي انبثقت في الكوفة في نفس اللحظة التي تحركت فيها طلائع التوابين ونجحت في استقطاب فئات كثيرة متنوعة ترددت في الانضمام الى حركة التوابين لأنها لم تكن واعدة بالنصر. ثم أن المختار عرف كيف يصوغ دعايته في الأوساط الشيعية الكوفية رابطاً إياها بمشروع سياسي كامل أداره

¹ قال المختار: إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلا أني قد طلبت بثأر اهل بيت النبي إذ نامت عنه العرب. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص107

حول شخصية محمد بن الحنفية بن علي الذي كان أجل أبناء علي الأحياء وفضلهم بعد الحسن والحسين والذي كان مقيماً بمكة تحت رقابة ابن الزبير وسلطته.

ينتمي المختار إلى ثقيف الطائف¹ العشيرة التي أنجبت المغيرة بن شعبة وعروة بن مسعود والحجاج بن يوسف وغيرهم من رجالات الحكم والإدارة، وكان مولده بالطائف في السنة التي هاجر فيها النبي إلى المدينة²، وهي السنة التي ولد فيها زياد والنعمان بن بشير الأنصاري وعبد الله بن الزبير³. أبوه أبو عبيد بن مسعود قائد جيش المسلمين في وقعة الجسر التي انتهت بمقتله وقد شهدها المختار وعين أحداثها ولما يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة. أما عمه فهو سعد بن مسعود الثقفي أحد أصحاب علي وكان على رأس سبع قيس عيلان وعبد القيس في معركة الجمل، وقد صار بعد ذلك والياً على المدائن في عهد علي، وتفيدنا الروايات أن المختار كان مع عمه بالمدائن حين جرح الحسن بن علي في مظلم ساباط، وقد أشار علي عمه بدفع الحسن إلى معاوية بغرض التقرب إليه، وهي نصيحة طلبه بسببها قوم من الشيعة منهم الحارث الأعور، وطيّبان بن عمارة التميمي ليقتلوه، فكلم عمه الحسن فسألهم الإمساك عنه فأمسكوا⁴. لكن المختار لن يمسك عن محاولاته الحثيثة في الوصول إلى دوائر السلطة وتغيير الولاءات السياسية التي كان يستخدمها كأقنعة يخفي تحتها وجهه الطموح إلى الحكم حتى أن الشيعة في حياة الحسن كانوا يعتبرونه عثمانياً⁵. ووصفه المبرد بأنه: لا يوقف له على مذهب، كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً في ظاهره⁶. ومما له دلالة على الأسباب التي دفعته إلى اعتناق التشيع ونصرة آل البيت الرواية التالية، ونصها أن المختار: ركب يوماً مع المغيرة بن شعبة، فمر بالسوق فقال المغيرة: أما والله إني لأعرف

¹ هو: المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، من الأحناف. ويقال: إن مسعوداً جدّه هو عظيم القرينين. فولد مسعود سعداً، وأبا عبيد. فكان سعد

عامل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على المدائن. وله عقب بالكوفة. ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص 401

² فرأى في منامه قائلاً يقول له: تزوج دومة. فإنها عظيمة الحومة. لا يسمع فيها من لائم لومه، فتزوجها فلما اشتملت على المختار رأت في منامها قائلاً يقول لها: أبشري بولد. أشد من الأسد. إذا الرجال في كبد. يتغالبون على بلد. له فيه الحظ الأسد، فلما ولد قيل لها إن ابنك قبل أن يتسعسع. وبعد أن يتسعسع. كثير

التبع. قليل الهلع. خنثليل غير ورع. يدان بما صنع. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 6، ص 375

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج 2، ص 402

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج 6، ص 376. وأورد البلاذري رواية أخرى أكثر تفصيلاً جاء فيها أن الحسن: حمل إلى المدائن؛ وعليها سعد

بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان علي ولده إياها؛ فأدخلوه منزله، فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخي سنة. فأبى ذلك سعد وقال للمختار: قر الله رأيك، أنا عامل أبيه وقد ائتمني وشرفني، وهبني نسيت يد أبيه علي، أنسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا

أحفظ في ابن بنته وحببيه. المصدر نفسه، ج 3، ص 36

⁵ كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم ساباط. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج 5، ص 569

⁶ المبرد، الكامل في اللغة، المصدر السابق، ج 3، ص 193

كلمة لو دعا بها أريب لاستمال بها أقواما فصاروا له أنصارا، ثم لا سيما العجم الذين يقبلون ما يلقي إليهم، قال المختار: وما هي يا عم. قال: يدعوهم إلى نصره آل محمد والطلب بدمائهم، فكانت في نفس المختار حتى دعا¹. لا نكاد نعثر على ذكر للمختار في الأحداث الكبرى التي وقعت في الكوفة وغيرها من امصار الإسلام بعد تنازل الحسن عن الخلافة؛ اللهم بعض الإشارات التي تضمنت امتعاضه من الشهادة ضد حجر بن عدي²، الى غاية دخول مسلم بن عقيل الى الكوفة بأمر من الحسين حيث تذكر بعض الروايات ان مسلما نزل بداية في دار المختار قبل أن ينتقل الى غيرها، ومنذ هذه اللحظة التاريخية يبدأ اسم المختار يتردد في المصادر بوتيرة متزايدة الى ان يتوسط قلب الأحداث. ولما علم مسلم أن وجوده في الكوفة صار معروفا لواليتها عبيد الله بن زياد اضطر الى اظهار نفسه قبل الوقت المتفق عليه وقادته حركته المرتجلة الى أن يقع في أيدي ابن زياد ويقتل على إثرها كما سبق بيانه في هذا الفصل. وفي سياق هذه الأحداث أظهر المختار انخيازه الى جانب مسلم³ مما عرضه الى المساءلة ثم السجن فبقي فيه الى غاية مقتل الحسين ثم خرج بعد ذلك بشفاعة عبد الله بن عمر الذي كان متزوجا بصفية أخت المختار. وبعيد خروجه من السجن يمّم المختار وجهه شطر مكة حيث كان عبد الله بن الزبير عائد بالبيت يتحين الفرصة للانقضاض على بني أمية.

استطاع عبد الله بن الزبير ان يفرض نفسه وجها قويا من وجوه معارضة الحكم الأموي خاصة بعد مقتل الحسين وانسحاب عبد الله بن عباس من الحياة السياسية فخلت بذلك الساحة من المنافسين الأكفاء، فكان يدعو الناس في زمن يزيد بن معاوية إلى الإمارة والشورى فلما مات يزيد دعاهم إلى البيعة لنفسه وادّعى الخلافة⁴. لذلك . ربما . خطر للمختار أن الاقتراب من ابن الزبير قد يمنحه فرصة تاريخية لتحقيق طموحاته السياسية فحرص على لقاء عبد الله واستطلاع أهدافه ومراميه، وقد جاء في رواية البلاذري أن المختار لما دخل مكة اجتمع بابن الزبير فرحب به وأوسع له ودار بينهما حديثا جاء فيه ان ابن الزبير سأله: ما حال العراق يا أبا إسحاق. قال: هم لسلطانهم في العلانية أولياء، وفي السر أعداء، فقال ابن الزبير: هذه صفة عبيد السوء إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم، وإذا غابوا عنهم شتموهم وعابوهم. فاعتنم المختار الفرصة وعرض على ابن الزبير أن يقلده أمره ويستكفيه إياه. فلم يقبل ابن الزبير اقتراحه لأنه لم يكن واثقا من نوايا المختار وأهدافه لذلك قابل مقترحه بالرفض فانصرف عنه المختار متجها الى الطائف حيث غاب

¹ أنساب الأشراف للبلاذري (6/387)

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص270

³ ورد عند الطبري أن: المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براءة خضراء، وخرج عبد الله براءة حمراء، وعليه

ثياب حمر، وجاء المختار براءته فركزها على باب عمرو بن حريث، وقال: إنما خرجت لأمنع عمرا. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص381

⁴ المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، المصدر السابق، ج6، ص18.

سنة¹ ثم رجع إلى مكة في الأحداث التي وقعت بين ابن الزبير وحيش يزيد بن معاوية وقد نصحه أحد معارفه قائلاً: مثلك يغيب عن مثل ما قد اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف. لم يبق أهل بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمهم وعميدهم فبايع هذا الرجل، فعجبا لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته، وأخذت بحظك من هذا الأمر² وانضم إلى قوات ابن الزبير بعد صفقة تمت بينهما عرضتها بعض الروايات في صيغة حوار جاء فيه ان المختار قدم على ابن الزبير وقال له: جئتك لأبايعك على أن لا تقضي أمراً دوني، وعلى أن أكون أول من تأذن له، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك. فقال ابن الزبير: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه. فقال المختار: لو أتاك شر غلماني لبايعته هذه المبايعة العامة، والله لا أبايعك إلا على هذه الخصال، فبسط ابن الزبير يده فبايعه³. والرواية صريحة في بيان اهداف المختار من انخراطه في صف ابن الزبير في تلك الأوقات العصيبة واضطرار هذا الأخير إلى قبول مقترحات المختار لحاجته إليه. وقد أبدى المختار في مجابته للجيش الشامي الذي كان بقيادة حصين بن نمير السكوني شجاعة بالغة جعلته يحوز اعجاب ابن الزبير⁴، وكان القتال بين الطرفين متكافئاً حتى جاءت الأخبار بموت يزيد في منتصف شهر ربيع الأول سنة 64هـ. 683م، فأوقفت قيادة جيش الشام القتال منتظرين ما تقول إليه أمور الخلافة. ويقال أن الحصين: بعث إلى عبد الله بن الزبير وقال له: إنك أحق الناس بهذا الأمر اليوم، فهلم فلنبايعك ثم اخرج معنا إلى الشام فإني من أهله بمكان قد علمته، والجند الذين معي أشرف أهل الشام ووجوههم وفرسانهم، فليس يختلف عليك منهم اثنان، والشام معدن الخلافة اليوم إذ نقله الله إليها، وجعل الحصين يقول له هذا القول سرا وابن الزبير يرفع صوته بإبائه، فقال: لله أبوك ما عرف من نسبك إلى الدهاء، أنا أكلمك بمثل هذا سرا وتجيبي عليه علانية⁵. وموت يزيد أمن الناس، ووضعت الحرب أوزارها، ودعا ابن الزبير من يومه ذلك إلى نفسه، وسمي أمير المؤمنين، وترك الشعار الذي كان يدعى به عائذ البيت، ولا حكم إلا لله، وفارقت الخوارج وتركوه⁶

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص378

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص577

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص378

⁴ فنهض ابن الزبير ومعه عمير بن ضبيعة في سبعين من الخوارج فقبل له أتقاتل بهذه المارقة. فقال: لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم، وقال: ما

أبالي إذا قاتل معي المختار من لقيت فإني لم أر أشجع منه قط. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص340

⁵ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص344. مسكويه، تجارب الأمم، المصدر السابق، ج2، ص92

⁶ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، المصدر السابق، ج8، ص242

أ. حركة المختار في الكوفة:

يروى المسعودي ان أهل الكوفة لما علموا بموت يزيد بن معاوية ثاروا على عمرو بن حريث الخزاعي عامل ابن زياد عليهم وأرادوا أن ينصبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا في أمرهم، فقال جماعة: عمر بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها، فلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهن من نساء كهلان والأنصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات مُعولات يندبن الحسين ويقلن: أما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميراً علينا على الكوفة، فبكى الناس، وأعرضوا عن عمرو¹ ثم اصطلحوا على عامر بن مسعود² يصلّي بهم إلى حين استتباب الوضع في الكوفة وانتخاب أمير عليها، فصعد عامر المنبر وخطب الناس قائلاً: إنّ لكلّ قوم أشربة ولذات، فاطلبوها في مضانها، وعليكم بما يحلّ ويحرم وأكسروا شرابكم بالماء، وتواروا عني بهذه الجدران، حتى يجتمع الناس على إمام يرضونه. فلم يلبث عامر إلا شهراً حتى بعث ببيعته وبيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير. وبقي عامر بن مسعود أميراً على الكوفة ثلاثة أشهر، ثم عزله بعدها عبد الله بن الزبير وأرسل عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري³ على الصلاة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج⁴. أما المختار فانه أقام مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد وأياماً⁵، فلما رأى أن ابن الزبير لا يوليه شيئاً أقبل يسأل الناس عن خبر الكوفة وأهلها⁶، فقيل له: إنهم أخرجوا عمرو بن حريث عامل ابن زياد واصطلحوا على عامر

¹ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص85

² عامر بن مسعود بن خلف: هو: عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي، وأمه بنت أبي بن خلف. وبعد مرور شهر على ثورة أهل الكوفة، بويع في العراق لعبد الله بن الزبير بالخلافة فأقرّ عامر على إمارة الكوفة. وكان عامر بن مسعود من الذين شهدوا على حجر بن عدي الكندي أمام زياد بن أبيه بأنه خلع الطاعة ويدعو إلى نكث البيعة، وكانت تلك الشهادة مما تسببت في قتل حجر وجماعته.

³ وهو عبد الله بن يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، الأوسي الأنصاري المدني ثم الكوفي، وكنيته: أبو موسى. ولآه عبد الله بن الزبير إمارة الكوفة سنة 64 هـ، وذلك بعد عزل عامر بن مسعود بن خلف. ثم عزله سنة 65 هـ وعيّن مكانه عبد الله بن مطيع العدوي. وكان عزله في 25 من شهر رمضان من تلك السنة. وعبد الله ابن يزيد الخطمي كان من الذين شهدوا بيعة الرضوان. وكان له دور مهم في موقعة الجسر التي قتل فيها أبو عبيد الثقفي والد المختار. مات عبد الله بن يزيد الخطمي في الكوفة سنة 70 هـ وعمره ثمانين سنة.

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص577

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص577

⁶ وردت عند المسعودي رواية أخرى مفادها ان المختار قال لابن الزبير: إني لأعرف قوماً لو أن لهم رجلاً له رفق وعلم بما يأتي لاستخرج لك منهم جنداً تغلب أهل الشام، فقال: من هم. قال: شيعة بني هاشم بالكوفة قال: كن أنت ذلك الرجل، فبعثه إلى الكوفة. المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص73. أما المبرد فيذكر أن المختار بن أبي عبيد وكان والياً لابن الزبير على الكوفة اتهمه ابن الزبير، فولى رجلاً من قريش الكوفة. فلما أطل قال لجماعة من

بن مسعود بن أمية بن خلف، فكان يقول: أنا أبو إسحاق، أنا لها إذ ليس لها أحد غيري، أنا راعيها إذا أظلم راعيها¹. ولما قدم هانئ ابن أبي حية الوادعي إلى مكة يريد عمرة رمضان سأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم، فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير، إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما، فقال له المختار: أنا أبو إسحاق أنا والله لهم، أنا أجمعهم على مر الحق، وأنفي بهم ركبان الباطل، وأقتل بهم كل جبار عنيد². ثم ركب رواحله وأتى الكوفة فوصلها بعد عبد الله بن يزيد بثمانية أيام، فلما وصلها كانت حركة التوابين ماضية في خطتها على قدم وساق، فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن سرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول: إن سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال، وقد جئتمكم من قبل المهدي محمد- يعني ابن الحنفية- مؤتمنا منتجبا ووزيرا مناصحا، فلم يزل حتى انقادت إليه طائفة من شيعة الكوفة ممن كانوا مع سليمان، في حين ظل جلهم مع ابن سرد، فكان سليمان أثقل الناس على المختار³. ثم جعل المختار يختلف بالكوفة إلى شيعه بنى هاشم، ويختلفون إليه، فيدعوهم إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين، فاستجاب له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل⁴.

فلما خرج سليمان بن سرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص ويزيد بن الحارث بن يزيد بن روثم الشيباني، وشبث بن ربعي الرياحي لعبد الله ابن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله: إن سليمان بن سرد يريد قتال أعدائكم، وإن المختار يريد الوثوب بكم في مصر كما والإفساد عليكم، فأخذاه فحبسه وقيده⁵ فظل في محبسه فترة ليست طويلة لم يكف فيها عن الحديث عن مهمته القاضية بنصرة الشيعة والتأثر للحسين. فلما رجع رفاعة بن شداد بمن نجا من التوابين كتب إليهم المختار: أما بعد، فمرجبا بالعصب الذين اعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا،

أهلها: اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تريد. والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار، فرجع. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3،

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص379

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص578

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص367

⁴ الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص288

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص381. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص581

ورضي انصرفهم حين قفلوا اما ورب البنيه التي بنى ما خطا خاط منكم خطوة، ولا رتا رتوة، إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا إن سليمان قد قضى ما عليه، وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون، وأمير الجيش، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار، فأعدوا واستعدوا، وأبشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله، وسنه نبيه، وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، وجهاد المحلدين، والسلام¹. فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو، من بني ليث من عبد فأتى بالكتاب رفاعه بن شداد والمثنى بن مخزبة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شमित الأحمسي وعبد الله بن شداد البجلي وعبد الله بن كامل، فقرأ عليهم الكتاب، فبعثوا إليه ابن كامل، فقالوا: قل له: قد قرأنا الكتاب، ونحن حيث يسرك، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا. فبعث المختار إلى صهره عبد الله بن عمر يطلب منه ان يتدخل في إطلاق سراحه فتم له ذلك². ويبدو من رواية الطبري أن المختار باشر نشاطه الدعائي من السجن قبل أن يخرج وكان الذي يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر: السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس، وأحمر بن شमित، ورفاعة بن شداد الفتياي، وعبد الله بن شداد الجشمي. ولما استقر في داره اختلف إليه رؤوس الشيعة واجتمعوا عليه واتفق رأيهم على الرضا به، فلم يزل أصحابه يكثرون، وأمره يقوى ويشدد حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة³.

لما دخل عبد الله بن مطيع إلى الكوفة في رمضان سنة 65هـ واستلم عمله خطب في أهل الكوفة فقال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، بعثني على مصركم وثوركم، وأمر في جباية فيئكم، وألا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضاكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وبسيرة عثمان بن عفان، التي سار بها في المسلمين، فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا على أيدي سفهائكم، وإلا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني، فو الله لأوقعن بالسقيم العاصي. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال: أمّا ما أمر فيه ابن الزبير، ألا تحمل فضل فيئنا عنّا إلا برضانا فإن نشهدك بأننا لا نرضى أن يحمل فضل فيئنا عنّا، وألا يقسم إلا فينا وألا يسار فينا إلا بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى قتل رحمه الله، ولا حاجة لنا في سيرة غيره ممن ذكرت ثم قام يزيد بن أنس وقال: صدق السائب

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص606

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص ص7-8.

³ عبد الله بن مطيع العدوي: هو: عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني. ولد عبد الله على عهد النبي، وله أموال، وبئر فيما بين السقيا والأبواء، تعرف ببئر ابن مطيع، يرد منها الناس. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص110

بن مالك ورأينا في رأيه وقولنا مثل قوله. فقال عبد الله بن مطيع: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهو يمتوها ثم نزل¹. ولم يلبث ابن مطيع حتى وافته الأخبار بنية المختار في الخروج عليه فأرسل يحنال في طلبه حتى يسجنه فلم يفلح لأن زائدة بن قدامة الثقفي الذي كان يعد من بين أعوان ابن المطيع حذره فاحتاط لذلك². وبعث المختار إلى أصحابه، فأخذ يجمعهم في الدور حوله، وأراد أن يشب بالكوفة في الحرم، فلما تقيأ أمره ودنا خروجه، قال له أحمر بن شميظ ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد: إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع، فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا، والا يضربنا خلاف من خالفنا³. فمضى المختار إلى إبراهيم بن الأشتر واقعه بالانضمام إليه، واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة 66هـ⁴.

تنامى خبر خروج المختار إلى والي الكوفة ابن مطيع فبادر إياس صاحب شرطته إلى جملة من التدابير الوقائية تحسبا للأمر وأرسل ابنه راشد إلى الكناسة وأقبل يسير حول السوق في الشرط، وأشار على ابن مطيع أن يبعث إلى كل جبانة عظيمة رجلا من ثقاته في جماعة من أهل الطاعة له، فبعث ابن مطيع إلى أشرف الكوفة ووجهائها وأصحاب الكلمة في عشائريهم؛ فوجه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبانة السبيع فقال: أكفني قومك، وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانة بشر بن ربيعة الخثعمي، وبعث زحر بن قيس الجعفي إلى جبانة كندة، وبعث شمر بن ذي الجوشن الكلابي إلى جبانة سالم، وبعث عبد الرحمن بن مخنف إلى جبانة مراد، وبعث شبت بن رعي إلى السبخة، وأوصى كل رجل أن يكفيه قومه، وأن لا يؤتى من قبله⁵. وكان المختار وإبراهيم بن الأشتر قد تواعدا على الخروج ليلة الخميس فأقبل إبراهيم يريد المختار ليلة الأربعاء فوجد إياس قد سد عليه الطريق، فحمل إبراهيم عليه فطعنه في ثغره

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص 10 . 11

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص 12. يذكر ابن سعد اخبارا تصف العلاقة بين المختار وابن المطيع لا نجدها في غيره من المصادر من ذلك: ان المختار كان يختلف إلى ابن مطيع. ويظهر مناصحة ابن الزبير ويعيبه في السر. ويذكر محمد بن الحنفية فيمدحه. ويصف حاله ويدعو إليه. وحرص الناس على ابن مطيع واتخذ شيعة يركب في جماعة وخيل. فعدت خيله على خيل ابن مطيع فأصابوهم. وخافه ابن مطيع فهرب. فلم يطلبه المختار. وقال: أنا على طاعة ابن الزبير. فلأي شيء خرج ابن مطيع. وكتب إلى ابن الزبير يقع بابن مطيع ويجنبه. ويقول: رأيت مدهانا لبني أمية فلم يسعني أن أقره على ذلك. لما حملت في عنقي من بيعتك. فخرج من الكوفة وأنا ومن قبلي على طاعتك. فقبل منه ابن الزبير وصدقته. ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة، المصدر السابق، ج2، ص80

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص 14 . 15

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص16

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص 18 . 19. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص389

فصرعه¹، فبعث ابن مطيع راشد بن إياس بن مضارب مكان أبيه على الشرطة، وصير مكان راشد بالكناسة سويد بن عبد الرحمن بن بجير المنقري. وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار فقال: إنا اتعدنا للخروج القابلة، وهي ليلة الخميس وقد حدث أمر لا بد لنا معه من الخروج الليلة، وأخبره خبر ابن مضارب وألقى رأسه بين يديه، فقال المختار: بشرك الله بخير فهذا أول الفتح، ثم لبس المختار سلاحه وأمر فنودي: يا منصور أمت وأمر أيضا فنودي: يا لثارات الحسين، وهي شعارات تم الاتفاق عليها تندر صحابة المختار بوقت الثورة². ثم إن إبراهيم طلب من للمختار ان يسمح له بالخروج الى قومه حتى يجمعهم، فخرج من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها حتى أتى قومه. واجتمع إليه جلٌّ من كان بايعه وأجابه، واجتمع للمختار الى وقت الفجر ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً من الذين بايعوه، فأصبح وقد فرغ من تعبئتهم وكان غالبيتهم من قبائل همدان ومذحج وختعم وبجيلة وربيعة ومن الموالي، وفي الصباح وقعت المواجهة بين الطرفين. وكان قادة المختار الذين اداروا معهم هذه المواجهة هم: إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي، ويزيد بن أنس الأسدي، ونعيم بن هبيرة الشيباني، وأحمر بن شُمَيْط الأحمسي، وخزيمة بن نصر العبسي، وسعيد بن مُنقذ الهمداني. اما ابن مطيع فقد استعان بأشراف الكوفة وهم أنفسهم الذين كان يستعين بهم ابن زياد في أموره قبل موت يزيد بن معاوية وهم: شيبث بن ربيعي، وحجّار بن أبجر العجلي، وراشد بن إياس بن مضارب العجلي، ويزيد بن حارث الشيباني، ونوفل بن مُساحق من بني عامر بن لؤي، وحسّان بن فائد العبسي، وشمر بن ذي الجوشن العامري، وعمرو بن حجاج الزبيدي. دامت المواجهة بين الفريقين ثلاثة أيام استطاع فيها جند المختار أن يميلوا الكفة الى صالحهم فتمكنوا في النهاية من ان يحاصروا القصر حيث تمكن عبدالله بن مطيع من الهرب ودخل المختار القصر وسيطر على المدينة بصورة كاملة³، ثم أقبل المختار إلى المسجد فبايعه الناس على كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلين، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتله، وسلم من سالمه، والوفاء بعهدده وبيعته لا يقبل ولا يستقبلون، فكان الرجل إذا عرض عليه ذلك فقال: نعم، ماسحه، فقال المختار عن بيعته: ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل عليّ أهدى منها⁴. وكان المختار قد وجد في بيت

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص 19 . 20. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص291. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، 390

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، 390

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص 30 . 32

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص394. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص36. مسكويه، تجار الأمم، المصدر السابق، ج2، ص162. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص55. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص301

مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم، فأعطى أصحابه ومن بايعه، وأحسن المختار مجاورة أهل الكوفة والسيرة فيهم، وأكرم الأشراف وتألّفهم لقلوبهم، وتم ذلك في يوم الأربعاء الثاني عشر من ربيع الأوّل سنة 66هـ. 685م¹.

بعد أن هدأت الأوضاع في الكوفة واستتب الأمر للمختار جعل عبدالله بن كامل الشاكري الهمداني على القوات العسكرية، وأبا عمرة الكيسان على الحراس، وبعث ولاته في المناطق التي بلغها نفوذه، فعقد الراية لعبدالله بن الحارث النخعي على أرمينية، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على آذربيجان، وبعث عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني على الموصل، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصرى على بھقباد الأعلى، ومحمد بن كعب بن قرظة على بھقباد الأوسط، وحبيب بن منقذ الثوري على بھقباد الأسفل، وسعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان، وجعل عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي على القضاء بدلاً من شريح بن حارث. ثم أنّ عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي².

كان مروان بن الحكم لما استوثق له الشام بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز مع جيش حبيش بن دلجة القيني والآخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد³. فأما عبيد الله فسار حتى نزل الجزيرة، فأتاه خبر موت مروان، وخرج إليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره⁴، وأقام محاصراً لزفر بن الحارث وهو مع قومه قيس عيلان على طاعة ابن الزبير بقرقيسياء، فاشتغل بهم عن العراق سنة أو نحوها⁵. ثم توفي مروان وولي بعده عبد الملك فأقرّه على ولايته فلما يئس من أمر زفر وقيس نهض إلى الموصل فخرج عنها عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى تكريت، وكتب إلى المختار بالخبر، فبعث يزيد بن أنس الأسديّ في ثلاثة آلاف إلى الموصل، فجعل على ريع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدي، وعلى ريع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني، وعلى مذحج وأسد ورقاء بن عازب الأسدي، وعلى ريع ربيعة وكندة شعر بن أبي شعر الحنفي⁶. فسار إليها على المدائن وسرّح ابن زياد للقائه ربيعة

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص395. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص33.

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص34. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص302.

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص611. مسكويه، تجار الأمم، المصدر السابق، ج2، ص107. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6،

ص37. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص232. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص32.

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص611. مسكويه، تجار الأمم، المصدر السابق، ج2، ص107. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3،

ص232.

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص39. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص32. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص273.

⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص39. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص397. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3،

ص303. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص32.

بن المختار الغنويّ في ثلاثة آلاف وجعل على يمينه جيشه حصين بن نمير السكوني، وعلى يسارته عمير بن الحباب¹. فالتقى ببابل وعباً يزيد أصحابه وحرّضهم، وأوصاهم: إن مت فأميركم رقاء بن عازب الأسديّ وإن هلك فعبد الله بن ضمرة الفزاري، وإن هلك فسعد الخثعمي. ثم اقتتلوا يوم عرفة وانهمز أهل الشام وقتل ربيعة الغنوي، وسار فلول جيش الشام غير بعيد فلقاهم عبد الله بن حملة الخثعمي وكان قد أرسله ابن زياد في ثلاثة آلاف فردّ المنهزمين وعاد القتال يوم الأضحى²، فانهمز أهل الشام مرة أخرى وأثنخ فيهم أهل الكوفة بالقتل والنهب، وأسروا منهم ثلاثمائة فقتلوهم. وهلك يزيد بن أنس من آخر يومه وقام بأمرهم رقاء بن عازب خليفته، فاختار رقاء أن ينسحب بمجموعه هيبة من لقاء ابن زياد. وانصرف الناس وتقدّم الخبر إلى الكوفة فأرجف الناس بالمختار وأشيّع أنّ يزيد قتل، فسرح المختار إبراهيم بن الأشتر في سبعة آلاف وضم إليه جيش يزيد. فمضى إبراهيم حتى وصل إلى ساباط فجاءته أوامر المختار بالعودة لأن أشرف الكوفة عزموا على مخالفته وقتاله³.

ب. الصراع بين المختار وأشراف الكوفة:

استمر أشرف الكوفة وأعيانها يلعبون أدوارهم السياسية ويتخذون المواقف التي تتيح لهم الحفاظ على مصالحهم وتمكين نفوذهم بين عشائرتهم وأهمهم: شبت بن ربيعي التميمي، وشمر بن ذي الجوشن العامري، ومحمد بن الأشعث الكندي، وكعب بن أبي كعب الخثعمي، وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي، وبشير بن جرير البجلي، وزحر بن قيس الجعفي، وإسحاق بن محمد بن الأشعث بن قيس وعمرو بن حجاج الزبيدي، وحسان بن فائد العبسي، ومحمد بن عمير ابن عطار التميمي، وربيعة بن ثروان الضبي، ويزيد بن حارث الروم، وحجار بن أبجر العجلي، وعبد الرحمن بن سعيد. فلما مات يزيد أنس التقى هؤلاء الأشراف بالناس وأرجفوا بالمختار وقالوا: قتل يزيد بن أنس، ولم يصدقوا أنه مات، وأخذوا يقولون: والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا، ولقد أدنى موالينا، فحملهم على الدواب، وأعطاهم وأطعمهم فيئنا، ولقد عصتنا عبيدنا، فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا. وقالوا: نجتمع في منزل شيخنا منزل شبت بن ربيعي⁴. فاجتمعوا فأتوا منزله فقال لهم شبت: دعوني حتى ألقاه، فذهب فلقاه وفاوضه في جميع الأمور التي تحفظ فيها الأشراف عليه، فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار: أرضيهم في هذه الخصلة، وآتي كل شيء أحبوا، قال: فذكر المماليك، قال: فأنا أرد

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص40. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص195. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص303

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص42.

³ الطبري، المصدر نفسه، نفس الصفحة. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص304. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص72

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص43. مسكويه، تجار الأمم، المصدر السابق، ج2، ص168. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص304

عليهم عبيدهم، فذكر له الموالي، فقال: عمدت إلى موالينا، وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعا فأعتقنا رقابهم، نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا، فقال لهم المختار: إن أنا تركت لكم مواليكم، وجعلت فيئكم فيكم، أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه، وما أطمئن إليه من الإيمان. فقال شبت ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك، فخرج فلم يرجع إلى المختار. وأجمع رأي أشرف أهل الكوفة على قتال المختار¹. وابتدأوا حركتهم بأن حاصروه وقطعوا عليه الماء والطعام، فبعث المختار رسولا إلى إبراهيم بن مالك. وكان قد وصل الى ساباط. وأمره أن يرجع إلى الكوفة، فرجع إبراهيم وقاما سوية بالقضاء على هذا التمرد بقسوة من يريد أن يفرض سطوته الكاملة على المدينة وقد عرفت المواجهة في المصادر التاريخية بوقعة السبيع لأن أهم فصولها جرت في جبانة السبيع التابعة لقبيلة همدان².

بعد أن تمكن المختار من القضاء على ثورة اشرف أهل الكوفة قاد حركة انتقامية ضد الذين ثبت عليهم المشاركة في قتل الحسين وأرسل إليهم من اغتالهم، وكان من بينهم: شمر بن ذي الجوشن، وخوئي بن يزيد الاصبحي، وعمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص، وسلم المختار رؤوس هؤلاء ومعها ثلاثون ألف دينار إلى مسافر بن سعيد الهمداني وظبيان بن عمارة التميمي، حتى يأخذوهم إلى محمد بن الحنفية بمكة، وعندما رأى محمد رؤوس قتلة آل بيت رسول الله فقال: جزاه الله خير الجزاء بحق آل نبيه محمد³. ويقال: إن الذي حث المختار على قتلة الحسين أن يزيد بن شراحيل الأنصاري قدم على محمد بن الحنفية، فقال له ابن الحنفية: يزعم المختار أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدّثونه فلما سمع المختار ذلك تتبعهم بالقتل وبعث برأس عمر وابنه إلى ابن الحنفية، وكتب إليه أنه قتل من قدر عليه وهو في طلب الباقيين ثم أحضر حكيم بن طفيل الطائي، وكان رمى الحسين بسهم، وأصاب سلب العباس ابنه. وجاء عدي بن حاتم يشفع فيه فقتله ابن كامل والشيعية قبل أن يصل حذرا من قبول المختار شفاعته. وبحث عن مرة بن منقذ بن عبد القيس قاتل علي بن الحسين فدافع عن نفسه ونجا إلى مصعب بن الزبير وقد شلت يده بضربة. وطلب سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فلحق بالبصرة. وطلب عمر بن صبح الصدائي فقتله طعنا بالرماح، وأرسل في طلب محمد بن

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص44. مسكويه، تجار الأمم، المصدر السابق، ج2، ص168. 169. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص304. 305

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص45. 46. مسكويه، تجار الأمم، المصدر السابق، ج2، ص170. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص305. 306

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص60. 61. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص298. 299. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص308. 309

الأشعث وهو في قريته عند القادسية فهرب إلى مصعب وهدم المختار داره. وطلب آخرين كذلك من المتهمين بأمر الحسين فلحقوا بمصعب وهدم دورهم¹.

ج. المواجهة بين المختار وعبيد الله بن زياد على نهر الخازر:

لما فرغ المختار من أمر أشراف الكوفة وانقضت حربهم بجانة السبيع والكناسة لم يكن له همّة إلا إمضاء جيش إبراهيم بن الأشتر للوجه الذي أرسله إليه، فخرج إبراهيم من الكوفة لست ليال خلون من ذي الحجة سنة 66هـ لقتال عبيد الله بن زياد، وكان معه قيس بن طهفة على ربع أهل المدينة، وعبد الله بن جندب على مذحج وأسد، والأسود بن جراد الكندي على كندة وربيعة وحبیب بن منقذ على تميم وهمدان². وعندما التقى جيشه مع جيش عبيد الله على ضفاف نهر الخازر³ خمسة فراسخ عن الموصل. نظّم جيشه، وجعل على الميمنة سفيان بن يزيد مُغفل الأزدي، وعلى الميسرة علي بن مالك الجشمي، وعلى الخيل عبد الرحمن بن عبد الله النخعي وطفيل بن لقيط الحنفي على الرجال، وأعطى مزاحم بن مالك السكوني الكندي راية سوداء. ونظّم عبيد الله بن زياد جيشه أيضاً، وجعل على الميمنة حُصين بن نمير السكوني، وعلى الميسرة عمير بن الحباب السلمي، وعلى الخيل شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري⁴. وقام معركة شرسة انتهت بهزيمة جيش مروانين وبعث إبراهيم برؤوس قادة الجيش الشامي إلى المختار فأخذ المختار رأس عبيد الله بن زياد ورأس الحصين بن نمير السكسكي ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري فبعثهم إلى ابن الحنفية مع عبد الرحمن بن عمير الثعلبي وعبد الله بن شداد الجشمي والسائب بن مالك الأشعري وعبد الله بن أبي بكر الطائي، فنصبت على باب

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص62. 63. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص58. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص34

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص423. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص327. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج5، ص55.

³ الخازر: هو نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل، وعليه كورة يقال لها نخلا، وأهل نخلا يسمون الخازر بَرِيَشُوا. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص337

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص424. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص293. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، صص327. 328

المسجد الحرام. فخرج ابن الحنفية من الطواف فرآها منصوبة فحمد الله وأثنى عليه¹. وعلى إثر المعركة انتقل إبراهيم إلى الموصل وسيطر على كل بلاد الجزيرة من ديار ربيعة حتى ديار مضر، وجعل الولاية على كل المدن وجمع خراجهم².

د. موقعة المذار ونهاية حركة المختار:

أدت أحداث جبانة السبيع وملاحقة قتلة الحسين إلى فرار من بقي حيا من أشرف الكوفة إلى البصرة حيث كان مصعب بن الزبير نائبا عن أخيه فيها، ومن هؤلاء: زعيم كندة محمد بن الأشعث وشيث بن ربيعي التميمي، وقاموا هناك بتحريض مصعب ضد المختار وزينوا له مواجهته. عندما رأى مصعب بن الزبير قوة المختار السياسية والعسكرية وسيطرته على أرض الجزيرة، استقدم المهلب بن أبي صفرة من فارس وجمع الجيش من قبائل تميم وبكر بن وائل وأزد وعبد القيس وكندة ومذحج وأشرف الكوفة قاصدا التوجه نحو الكوفة³. ولما بلغت أخبار مصعب إلى المختار قام بتعبئة جيشه فجمع ثلاثين ألف رجل من العرب والعجم، وجعل عليه أحمر بن شميظ الأحمسي - لأن إبراهيم بن مالك حينها انعزل عن المختار - وجعل مصعب بن الزبير على المقدمة عبّاد بن حُصين التميمي، وعلى قريش والميمنة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي، وعلى أزد والميسرة المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وعلى بكر بن وائل مالك بن مسمع الضبيعي، وعلى عبد قيس مالك بن منذر العبدي، وعلى قيس بن عيلان قيس بن هيثم السلمي، وعلى تميم الأحنف بن قيس التميمي، وعلى كندة محمد بن الأشعث الكندي، وعلى مذحج عبيد الله بن الحُرّ الجعفي⁴، أما الأحمر بن شميظ فانه جعل على الميمنة عبدالله بن كامل الشاكري، وعلى الميسرة عبدالله بن وهب الجشمي، وعلى الخليل رزين بن عبد السلولي، وعلى الرجال كثير بن إسماعيل الكندي، وعلى الموالي أبا عمرة كيسان. والتقى الجمعان في المذار⁵، وقبيل بداية الموقعة دعا مصعب أصحاب المختار إلى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة لعبد الله بن الزبير، فدعاهم ابن شميظ أيضاً إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة الأمير المختار، وإلى أن يجعلوا أمر الخلافة شورى في آل بيت رسول الله، ومن ثمة قامت معركة قاسية بين

¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص74. ابن حبيب، المحبر، المصدر السابق، ص491. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص330

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص427. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص295. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص37. 38

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص94. 95. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص429. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص239

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص429. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص95. مسكويه، تجار الأمم، المصدر السابق، ج2، ص199. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص65

⁵ المذار: في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبه ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص88

الطرفين؛ فهجم مصعب على جيش المختار وهزمهم، فقتل أحمر بن شميظ وعبد الله بن كامل مع الكثير من أصحابه وفرّ عدد كثير منهم¹.

هـ . موقعة حروراء ومقتل المختار

بعد انتصار مصعب في المذار تحرك إلى الكوفة عن طريق اليباسة ونهر الفرات، فأمر المختار أصحابه فسكروا الفرات على مجتمع الأنهار، فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهار، وبقيت سفن أهل البصرة في الطين، فلمّا رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون، وأقبلت خيلهم تركض إلى الكوفة، فجمع المختار بقية جيشه واستخلف عبدالله بن شدّاد الجشمي على الكوفة، وذهب في عشرين ألف رجلٍ بحروراء² إلى الميدان لقتال مصعب، فأعدّ جيشه وجعل على الميمنة سليمان بن يزيد الكندي، وعلى الميسرة سعيد بن مُنقذ الهمداني، وعلى الخيل عمرو بن عبدالله النهدي الهمداني، وعلى الرجال مالك بن عمرو بن نمران الهمداني، وجعل على العسكر عبدالله بن قُرَاد الخثعمي. وعندما اشتعلت الحرب انهزمت كفة المختار، وقتل قادة جيشه وكانوا يمينيين كلهم إلاّ عبد الله بن جعد المخزومي. وقُتل أيضا جماعة من الأعيان في جيش مصعب؛ منهم محمد بن الأشعث وعبيد الله بن علي فانطلق المختار عائدا الى الكوفة مع بقية أصحابه وكانوا ستة آلاف رجل فتحصنوا بالقصر، وهناك حاصرهم مصعب حصارا شديدا منع عنهم المؤونة والماء حتى كان نساء أصحاب المختار يخرجن من بيوتهن بالطعام والماء فيزودن بها من كان في القصر سرا³. ولم يكن المختار من طينة الرجال الذين يصبرون على الحصار فخرج في تسعة عشر رجلاً فيهم: السائب بن مالك الأشعري، وحاربوا حتى قُتلوا. وقد اعطى مصعب الأمان لمن في القصر، لكنهم لما خرجوا لم يف لهم بسبب تحريض عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني؛ فأمر بقتلهم وقطع رقابهم. وكان مقتل المختار في شهر رمضان سنة 69هـ. وبعث مصعب برأسه ورؤوس وجوه أصحابه إلى عبد الله بن الزبير بمكة، وسمّر مصعب يد المختار على حائط المسجد الجامع، فلم تزل مسمورة حتى قدم الحجاج الكوفة فأمر بها فانتزعت ثم دفنت⁴. ثم كتب مصعب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته، ووعدّه بولاية أعنة

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص95 . 96. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص64 . 65. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص333. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص39

² حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص245

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص105. ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج6، ص65. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص334. ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص39 . 40

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص444.

الخيل وما غلب عليه. وكتب إليه عبد الملك بولاية العراق، واختلف عليه أصحابه فجنح إلى مصعب خشية مما أصاب ابن زياد وأشرف أهل الشام، وكتب إلى مصعب بالإجابة وسار إليه فجعله في مقدمة عسكره وبعث على عمله بالموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان المهلب بن أبي صفرة¹. (راجع الملحق رقم 8).

و. علاقة المختار بابن الحنفية

أثير جدل كبير في مصادرنا التاريخية حول علاقة المختار بمحمد بن الحنفية بالمختار وطبيعتها والتكليف الذي ادعاه المختار وبني عليه حركته ولم تتفق المصادر حول رواية واحدة بهذا الشأن، وليس ذلك بغريب في ظل طول المسافة الزمنية التي فصلت حركة المختار عن لحظة التدوين التاريخي، وفي ظل الانتصار الذي تحقق لبني مروان وامتلاكهم السلطة، ولما كانت حركة المختار أخطر ثورة واجهت الحكم المرواني بعد ثورة ابن الزبير فإننا لا نتوقع أن تظل رواية اخبارها بمأمن من رقابة السلطة وتوجيهات أجهزتها، لذلك فإن المؤرخ الحذر يتحرك في شعاب الروايات والأخبار بروية واحتراز حتى لا يقع في فخاخ الأحكام التسفيهية التي ساقها الرواة في حق المختار وحركته؛ من قبيل الأثر المنسوب الى النبي وفيه أنه: يكون في ثقيف كذاب ومبير². فالكذاب المختار والمبير الحجاج بن يوسف الثقفي، وكلاهما من ثقيف الطائف.

أورد البلاذري قصة اللقاء الذي جمع المختار بابن الحنفية بصيغة لا تنم عن ثقته بها فلم ينسبها الى راوي محدد وانما صاغها كالتالي: فيقال: إنه لما أراد الشخصوص إلى الكوفة أتى ابن الحنفية فقال له إني على الشخصوص للطلب بدمائكم، والانتصار لكم، فسكت ابن الحنفية فلم يأمره ولم ينهه فقال إن سكوتك عني إذن لي وودعه، فقال له ابن الحنفية: عليك بتقوى الله ما استطعت، ويقال: إنه لما قال له: إني على الشخصوص للطلب بدمائكم والانتصار لكم قال: إني لأحب أن ينصرنا ربنا ويهلك من سفك دماءنا ولست أمر بحرب ولا إراقة دم، فإنه كفى بالله لنا ناصراً، ولحقنا أخذنا وبدمائنا

¹ ابن خلدون، التاريخ، المصدر السابق، ج3، ص 40

² أبو عبد الله نعيم بن حماد، الفتن، ت سميير أمين الزهيري، ط1، مكتبة التوحيد، القاهرة، 1412هـ، ج1، ص134. والرواية بتمامها عند الحميدي: حدثنا سفيان قال: حدثنا أبو الخيصة، عن أمه أنها قالت: لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر فقال لها: يا أمه إن أمير المؤمنين أوصاني بك، فهل لك من حاجة؟ قالت: مالي من حاجة ولست لك بأمر ولكني أم المصلوب على رأس الثنية ولكن انتظر أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير. فأما الكذاب فقد رأيناه؛ يعني المختار وأما المبير فأنت. فقال الحجاج: مبير للمنافقين. أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المكي، مسند الحميدي، ت حسن سليم أسد الداراني، ط1، دار السقا، دمشق، 1996م، ج1، ص325. وأورد احمد الرواية بالصيغة التالية: حدثنا إسحاق بن يوسف، قال: حدثنا عوف، عن أبي الصديق الناجي، أن الحجاج بن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر، بعدما قتل ابنها عبد الله بن الزبير، فقال: إن ابنك ألد في هذا البيت، وإن الله عز وجل أذقه من عذاب أليم، وفعل به وفعل، فقالت: كذبت، كان برا بالوالدين، صواما قواما، والله لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سيخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما شر من الأول، وهو مبير. أحمد بن حنبل، المسند، المصدر السابق، ج44،

طالباً¹. والرواية واضحة في تفريق ابن الحنفية بين حب الثأر والرغبة فيه وبين الأمر الذي يقتضي مسؤولية عليه. أما ابن سعد فيذكر أن المختار في أيام قتاله مع ابن الزبير: كان يختلف إلى محمد ابن الحنفية. ويسمعون منه كلاماً ينكرونه². ولم يوضح ماهية الكلام الذي كان ينكره أصحاب ابن الحنفية. وجاء لدى المسعودي أن المختار: كتب كتاباً إلى علي بن الحسين السجاد يريد به علي أن يبايع له، ويقول بإمامته، ويظهر دعوته، وأنفذ إليه مالا كثيراً، فأبي علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه، وسبّه على رؤوس الملا في مسجد النبي، وظهر كذبه وفجوره، ودخوله على الناس بإظهار الميل إلى آل أبي طالب، فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب إلى عمه محمد بن الحنفية يريد به علي مثل ذلك، فأشار عليه علي بن الحسين أن لا يجيبه إلى شيء من ذلك، فإن الذي يحمله علي ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم، وتقربه إليهم بمحبتهم، وباطنهم مخالف لظاهره في الميل إليهم والتولي لهم والبراءة من أعدائهم، بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم، والواجب عليه أن يشهر أمره، ويظهر كذبه، علي حسب ما فعل هو وأظهر من القول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك، فقال له ابن عباس: لا تفعل، فإنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير، فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار³. وقد ساق البلاذري رواية مشابهة لرواية المسعودي جعل الاتصال بين المختار وابن الحنفية يأتي في مرحلة لاحقة وذلك بعد أن غلب المختار على الكوفة: ابنتى لنفسه من بيت المال داراً أنفق عليها مالا عظيماً، واتخذ بستاناً من بيت المال، وأعطى عطايا كثيرة وأنفق نفقات وكتب إلى ابن الزبير: إن سوغتني ما أنفقت من بيت المال فإني في طاعتك وإنما حملني على إخراج ابن مطيع ما رأيت من وهنه وضعفه وأنه لم يكن صاحب ما هو فيه، فأبي ابن الزبير أن يفعل فخلعه المختار⁴. حينها أرسل إلى علي ثم إلى محمد حسبما تضمنته رواية المسعودي. لكن البلاذري نفسه يذكر أن المختار أعلن عن علاقته بمحمد بن الحنفية وهو لا يزال في سجنه قبل أن يخرج ويتمكن، وذلك في ثنايا الرسالة التي بعثها إلى الناجين من معركة عين الوردية من التوابين، وقد جاء فيها: جئتمكم من قبل المهدي محمد - يعني ابن الحنفية - مؤتمناً منتجباً ووزيراً مناصحاً. وورد عند الطبري ما يطابق ذلك⁵. ويعرض الاخباري الكبير أبو مخنف في سياق سرده لوقائع المختار في الكوفة قبل أن يثب بها أن عبد الرحمن بن شريح الشبامي وبعضاً من أصحابه اشتبهوا

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص380

² ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة، المصدر السابق، ج2، ص80

³ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص74

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص454

⁵ الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص288. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص367. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5،

في صدق دعوى المختار وقالوا: إن المختار يريد أن يخرج بنا، وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا. فخرجوا حتى أتوا ابن الحنفية وقصوا عليه خبر المختار ودعواه انتسابه إليه، فرد عليهم قائلا: أما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه. وهو جواب غير صريح يلفه الغموض والتعمية بحيث أنهم لما خرجوا من عنده ظلوا على حيرتهم فمضوا وهم يقولون: قد أذن لنا، قد قال: لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، ولو كره لقال: لا تفعلوا. كأنهم كانوا. على غرار المختار. يطلبون ذريعة تبريرية شرعية تسوغ لهم الوثوب والثورة¹. أما المختار فإنه كان ينتظر خبرهم على أحر من الجمر خشية مما قد يثير أنصاره عليه فكان يقول: إن نفيرا منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا، فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا، وإن هم كبوا وهابوا، واعترضوا وأنجابوا، فقد ثبروا وخابوا. فلما اقبل القوم على رواحلهم دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم، فقال لهم: ما وراءكم. فقد فتنتم وارتبتم، فقالوا له: قد أمرنا بنصرتك فقال: الله أكبر. أنا أبو إسحاق، اجمعوا إلي الشيعة². وهي رواية مضمونها غير متماسك؛ خاصة في شقها المتعلق بجواب ابن الحنفية؛ إذ ليس من المعقول أن يفجر المختار ثورته الكبرى بمثل هذه الذرائع الواهية والمستندات الواهنة، كما لا يليق بابن الحنفية ان يتعامل مع هكذا أحداث ونوايا تقام باسمه ببرغماتية غير مسؤولة.

وقد تعددت الروايات التي تعرض شك بعض أنصار المختار في مصداقيته منها التي رواها عامر بن شراحيل الشعبي³ وهو شخصية كوفية يمنية مهمة في عالم المعرفة والأخبار، وكان الشعبي ووالده ممن صاحب المختار وناصره في مقبل أمره ثم انصرف عنه بعد ذلك، فيروى عنه أنه سئل: هل كان أمر المختار عن رأي محمد ابن الحنفية. فقال: كان لذلك سبب، إلا أنه أمره بما لم يعمل به⁴. فيذكر الشعبي في سياق انضمام ابن الأشتر إلى صف المختار ما يفيد أن المختار زور كتابا بقلم ابن الحنفية يطلب فيه من إبراهيم بن الأشتر ان ينخرط في صفوف المختار، وأن جملة من قادة المختار المعروفين و. كان الشعبي ووالده حاضرين. شهدوا بصحة الكتاب وان ابن الأشتر لما اشتبه فيه سأل الشعبي: يا شعبي، إني قد

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص14

² المصدر نفسه، نفس الصفحة

³ هو: عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي وهو من حمير وعداده في همدان. والشعبي نسبة إلى جبل باليمن. وصفه ابن سعد بأنه: كان شيعيا تحول عن التشيع بسبب أنه رأى من الشيعة أمورا وسمع كلامهم وإفراطهم فترك رأيهم ثم صار يعيهم بعد ذلك. وذكر أنه أقام بالمدينة بسبب خلافه مع المختار وخوفه منه. وقد شارك في ثورة الفراء ضد عبد الملك بن مروان فقبض عليه الحجاج الثقفي ثم عفا عنه فتحول ولاءه السياسي إلى بني مروان. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج6، ص259. 262. وكيع، أخبار القضاة، المصدر السابق، ج2، ص414

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص380

حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك، أفترى هؤلاء شهدوا على حق. قال: قلت له: قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيخة مصر وفرسان العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقا قال: فقلت له هذه المقالة، وأنا والله لهم على شهادتهم متهم، غير أنني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم، وأحب تمام ذلك الأمر، فلم أطلععه على ما في نفسي من ذلك¹.

2. التركيبة الاثنية في ثورة المختار ودولته وموقع اليمنيين فيها

أ. العناصر اليمنية في حركة المختار:

ورد عند الطبري الرواية التالية: قالوا: ان المختار بن ابي عبيد الثقفي جعل يختلف بالكوفة الى شيعه بنى هاشم، ويختلفون اليه، فيدعوهم الى الخروج معه والطلب بدم الحسين، فاستجاب له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل². والنص صريح في اشارته لأهمية العناصر اليمنية التي سارعت الى دعم المختار في حربه مع جيش أهل الشام الذين يمثلون الميراث الأموي بكل ما يتضمنه من تجاوزات تاريخية في حق آل بيت النبي؛ والتي ظلت تغذي الوجدان الشيعي سنين طويلة، ثم في مواجهته مع جيش عبد الله بن الزبير الذي كاد أن يحسم مسألة الخلافة لفائدته، وقد كان ابن الزبير محسوبا على التيار العثماني، وظل يستمد بعضا من شرعيته بوصفه آخر من بقي مع عثمان أيام الحصار. وان اقتصر النص على تبيين المشاركة الهمدانية في يوميات المختار في الكوفة وخارجها؛ الا أن همدان لم تكن القبيلة اليمنية الوحيدة التي وقفت خلف المختار ولم تنفرد بهذا الموقف عن باقي القبائل اليمنية؛ اذ تكشف السرديات الاخبارية عن حضور كثيف لبقية العناصر اليومية في الأحداث والوقائع التي جرت في الكوفة او خارجها. وفيما يلي عينة تمثيلية تضم اهم الأسماء اليمنية التي وردت في مرويات المصادر على وجه التمثيل لا الحصر:

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص17. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص385. ابن الأثير، الكامل، المصدر

السابق، ج3، ص293

² الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص288

من الأزد:

حميد بن مسلم الأزدي: يعتمد الطبري في رواياته كشاهد عيان على تفاصيل مقتل الحسين وثورة التوابين وحركة المختار الثقفي وكان صديقا لإبراهيم بن الأشتر، وكان يختلف إليه، ويذهب به معه¹.

النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدي: كان من قادة المختار وقد جعله على ربع أهل المدينة في الجيش الذي ذهب إلى قتال أهل الشام بقيادة عبيد الله بن زياد، وكان يزيد بن انس قائدا لجيش المختار حينها².

سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي: يرد ذكره في التمرد الذي قامت به العناصر الأزدية بالكوفة في وجه ابن زياد على إثر مقتل الحسين³. كما كان على ميمنة جيش مالك بن الأشتر الذي أرسله المختار لمناجزة ابن زياد⁴.

عاصم بن عبد الله الأزدي: قتل مع المختار فيوقعة التي تمت بين المختار ومصعب بن الزبير⁵.

النعمان ابن صهبان الجرمي ثم الراسبي، كان ناسكا، قتل في موقعة جبانة السبيع مع المختار⁶.

سعد بن حذيفة بن اليمان الأزدي: ورد ذكره في نشاط التوابين ولما كتب إليه سليمان بن الصرد يطلبه للخروج معهم إلى قتال ابن زياد رد عليه سعد برسالة جاء فيها: من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين، سلام عليكم، أما بعد، فقد قرأنا كتابك، وفهمنا الذي دعوتنا إليه من الأمر الذي عليه رأي الملاء من إخوانك، فقد هديت لحظك، ويسرت لرشدك، ونحن جادون مجدون، معدون مسرجون ملجمون ننتظر الأمر، ونستمع الداعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نخرج إن شاء الله، والسلام لكنه لم يشارك في عين الوردة لأنه ومن معه وصلوا متأخرين. ولما ظهر المختار بايعه سعد فبعثه عاملا على حلوان، وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بجلوان ورزقه ألف درهم في كل شهر، وأمره بقتال الأكراد، وبإقامة الطرق، وكتب إلى عماله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة بجلوان⁷.

¹ المصدر نفسه، ج5، ص412، 446، 555، 581، 607

² المصدر نفسه، ج6، ص39

³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص211

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص87. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص424

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص101

⁶ راسب بن مالك: بطن من شُؤوة، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو راسب بن مالك بن مئدعان بن مالك بن نصر، وهو شُؤوة بن الأزد. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، المصدر السابق، ج2، ص6. عمر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المرجع السابق، ج2، ص411. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص50

⁷ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص555. 600، ج6، ص34. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص372. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص251، 302.

يزيد بن أنس الأزدي: أحد قادة المختار المشهورين بالبأس والبسالة كان ضمن الوفد الذي ارسله المختار لإقناع ابن الأشتر بالعمل معه، ولاء المختار الموصل وكلفه بمناجزة عميد الله بن زياد فتوفي يزيد في تلك الموقعة مريضاً¹.
ورقاء بن عازب الأزدي: تولى قيادة جيش المختار بعد وفاة يزيد بن أنس².
من خثعم:

عبد الله بن قراد الخثعمي: التحق بالمختار في وقعة السبيع، وكان ممن أبلوا بلاء حسنا مع يزيد بن أنس في قتاله جيش عميد الله بن زياد، وكان على رأس شرطة المختار لما واجه مصعب بن الزبير³.
صالح بن مسعود الخثعمي: بعثه المختار رسولا الى محمد بن الحنفية يقترح عليه أن ينصره على ابن الزبير لما اشتدت وطأته عليه⁴.
من بجيلة:

رفاعة بن شداد البجلي: كان من أصحاب علي، شهد يوم عين الوردة، فكان على رأس من نجح من التوابين والتحق بالمختار إثر عودته وبايعه في الزمرة الأولى من الرجال، ولم يطل به الزمان مع المختار لأنه لقي حتفه في جبانة السبيع⁵.
أحمر بن شميظ البجلي وفي بعض المصادر يكتب: ابن سليط: كان من قدماء الشيعة حيث ترد أخباره في زمن علي من بين الذين اخلصوا له الولاء، وكان من بين الذين ضمنوا في المختار حتى يخرجهم ابن مطيع من السجن، وتذكره المصادر مع الجماعة التي تبعت شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين فقتلوه واحتزوا رأسه، وهو معدود ضمن الوفد الذي اجتمع بابن الأشتر من أجل إقناعه بالعمل مع المختار، وكان له في وقعة السبيع حضور فاعل، قتل يوم المذار في الوقعة التي جرت بين جيش المختار ومصعب بن الزبير⁶.

¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص74. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص386، 396. 397. الطبري التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص11. 17، 42.
² الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص81.
³ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص399، 437. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص23، 42، 48، 94، 99.
⁴ الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص75.
⁵ ابن الكلبي، نسب معد واليمن، المصدر السابق، ج1، ص354. خليفة بن الحياط، التاريخ، المصدر السابق، ص195. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص373. الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص598. 600، ج6، ص47. 50.
⁶ ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص74. الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص289، 305. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص167، ج6، ص381. 382، 391، 399، 430. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص239.

من همدان:

أحمر بن هديج الهمداني ثم الفائشي: يرد ذكره في سياق أحداث وقعة جبانة السبيع¹.
عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني: ورد ذكره في وقائع جبانة السبيع، كما تورده المصادر في وقائع معركة جيش المختار وابن زياد بوصفه عاملا للمختار على الموصل².
شرحبيل بن ورس: سرحه المختار في ثلاثة آلاف أكثرهم موال ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة إلى المدينة من أجل موادعة ابن الزبير تحضيرا للمعركة التي ستجمع جيش الشام بجيش العراق فغدر بهم أصحاب عبيد الله بن الزبير، وقتل ابن ورس في الموقعة³.
عبد الله بن سبيع الهمداني: أحد قدماء الشيعة الذين حضروا مع علي مشاهده وروى أخباره. وورد اسمه ضمن الذين حملوا رسائل شيعة الكوفة إلى الحسين يستقدمونه. كما ورد ذكره في أحداث جبانة السبيع⁴.
يزيد بن عمير بن ذي مران الهمداني: وهو ممن قتل إلى جانب المختار في وقعة السبيع⁵.
سلمان ابن حمير الثوري الهمداني: كان واحدا من القيادات العسكرية في جيش المختار، ورد ذكره في المعركة التي جرت بين جيش المختار وجيش ابن الزبير وقد انتهى قتيلًا في يوم حروراء⁶.
مسافر بن سعيد ابن نمران الناعطي: ورد ذكره في الكتيبة التي أرسلها المختار كي تمنع عمر بن عبد الرحمن المخزومي الذي بعثه ابن الزبير لولاية الكوفة من دخولها، وكان يوم حروراء على رأس الكتيبة التي واجهت أزد البصرة وقد قتله مصعب بن الزبير بعيد ذلك⁷.

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص29، 56

² الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص292. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص39. 40. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص301.

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص419. 420. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص73

⁴ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص58. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، 46. ابن أبي شيبه، المصنف، المصدر السابق، ج7، ص443، 484.

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص50

⁶ المصدر نفسه، ج6، ص74، 92

⁷ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص72، 100، 110. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص416، 442

هند بنت المتكلفة الناعطية: جاء في رواية الطبري عنها ما يلي: ان هنداً بنت المتكلفة الناعطية كان يجتمع إليها كل غال من الشيعة فيتحدث في بيتها وفي بيت ليلي بنت قمامة المزنية، وكان أخوها رفاعة ابن قمامة من شيعة علي، وكان مقتصدًا، فكانت لا تحبه، فكان أبو عبد الله الجدلي ويزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبر هاتين المرأتين وغلوهما وخبر أبي الأحراس المرادي والبطين الليثي وأبي الحارث الكندي .. فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل إلى الشيعة بالكوفة يحذرهم هؤلاء¹.

عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني: أحد سواعد المختار المخلصة، ولما بعث يزيد بن أنس لمقارعة عبید الله بن زياد جعله على ربع تميم وهمدان².

سعيد بن منقذ الهمداني ثم الثوري: كان ضمن الوفد الذي التقى بمحمد بن الحنفية واستخبروه في شأن المختار وقد ترأسه عبد الرحمن بن شريح، وجاء ذكره في تفاصيل وقعة السبيع، قتل في معركة حروراء التي جرت بين جيش المختار ومصعب بن الزبير³.

سفيان بن ليل الهمداني: ورد ذكره في وقائع جبانة السبيع⁴.

حبيب بن منقذ الثوري كان عاملاً للمختار على بمقباد الأسفل⁵.

يونس بن عمران الجابري من همدان

هانئ بن قيس الصائدي الهمداني

محمد بن يزيد بن مزعل الصائدي الهمداني

محمد بن نشر الهمداني: وهؤلاء الأربعة يرد ذكرهم في الكتيبة التي بعثها المختار للإفراج عن محمد بن الحنفية⁶.

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص103

² المصدر نفسه، ج6، ص39

³ ابن الكلبي، نسب معد واليمن، المصدر السابق، ج2، ص524. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص12، 29، 100، 101. البلاذري، أنساب

الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص394، 437

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص20

⁵ مَقْبَادُ: بالكسر ثم السكون، وضم القاف، وباء موحدة، وألف، وذال معجمة: اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات، منسوبة إلى قباض ابن فيروز

والد أنوشروان بن قباض العادل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص516. الطبري، المصدر السابق، ج6، ص34. ابن الأثير، الكامل،

المصدر السابق، ج3، ص302

⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص76

من شبام:

عبيد الله بن ناجية الشبامي: كان فيمن بعثه المختار إلى مرة بن منقذ قاتل علي بن الحسين فكاد منقذ ان يقتله¹
عبد الرحمن بن شريح الشبامي: وصفه الطبري بأنه كان عظيم الشرف بشبام، وكان رئيس الوفد الذي انتقل من الكوفة إلى ابن الحنفية ليسأله عن حقيقة مهمة المختار²
أبو القلوص الشبامي: ورد ذكره في وقعة السبيع، وكان موصوفاً بالشجاعة والقيادة³.

من جشم:

عبد الله ابن وهب بن نضلة الجشمي: كان على ميسرة جيش ابن شميظ الذي واجه مصعب بن الزبير يوم المذار⁴.
علي بن مالك الجشمي: كان حاملاً الراية في جيش المختار الذي واجه جيش ابن زياد وقتل في تلك الموقعة⁵.
عقبة بن طاهر الجشمي: كان فيمن سيرهم المختار إلى ابن الحنفية لاستنقاذه من ابن الزبير لما هدد بحرفه⁶.
عبد الله بن شداد الجشمي: كان رجلاً شريفاً من أنصار المختار النشطين في وقعة السبيع، تم قتله في الموقعة التي جمعت بين المختار وابن الزبير⁷.

من مذحج:

من طيء

عبد الله بن مالك الطائي: ورد ذكره في أحداث ثورة التوابين إلى جنب سليمان بن صرد، ولما كانت أيام المختار تولى قضاء الكوفة⁸.

¹ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص409. الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص64
² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص384. 385. 437. الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص12. 14.
³ الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص50
⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص96
⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص. 425. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص89
⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص284
⁷ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص437. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص20، 35، 37. 108. 109
⁸ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص557، ج6، ص35. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص396. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص302

من النخع

عبد الرحمن بن عبد الله النخعي وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأنه كان على رأس خيل جيش ابن الأشتر الذي قاتل جيش عبيد الله بن زياد¹. ويقال انه هو الذي قتل شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين²، وكان عاملا للمختار على نصيبين³.

مالك بن الأشتر: أشهر من أن يعرف سليل الشرف، أبوه الأشتر أشهر قادة علي، وإبراهيم هو الذي قاد أهم المعارك التي انتصر فيها المختار لكنه لقي حتفه في النهاية مقتولا.

عبد الله بن الحارث أخو الأشتر كان صاحب أول راية عقدتها المختار وقد اره الى أرمينية⁴.

الطفيل بن لقيط، من وهبيل من النخع: وصف بأنه كان رجلا كان شجاعا بئيسا، وكان ابن الأشتر يوليه ثقته ويجعله على طلائع جيشه، وقد أبلى في الموقعة التي جرت بين جيش المختار وجيش ابن زياد بلاء حسنا⁵.

من بني أشعر

السائب بن مالك الأشعري: احد رجال الشيعة القدماء ورد ذكره في أيام موقعة الجمل، وكان من بين أول من بايع المختار وسانده في حركته، وهو صاحب الخطاب الشهير الذي واجه به ابن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة وجاء فيه: أما أمر ابن الزبير إياك الا تحمل فضل فيئنا عنا إلا برضانا فإننا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا، والا يقسم إلا فينا، وألا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا، فإنها إنما كانت أثره وهوى، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا، وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرا، وقد كان لا يألو الناس خيرا. وكان واحدا ممن عملوا على اقناع ابن الأشتر بالانضمام الى المختار، وكان المختار يستخلفه على الكوفة لما يخرج منها، وكان ضمن القادة في معركة حروراء⁶.

من جديلة

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص87

² البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص407

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص92

⁴ المصدر نفسه، ج6، ص34

⁵ المصدر نفسه، ج6، ص86

⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج4، ص499، ج6، ص9، 11، 17، 58، 91، 100، 107. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6،

ص409، 437، 440

عياش بن جعدة الجدلي: كان على ميسرة جيش ابن ورس لما غدر بهم عبد الله بن الزبير¹.
أبو عبد الله عبد الرحمن الجدلي: بعثه المختار في سبعين راكبا من أهل القوة، لاستنقاذ ابن الحنفية من ابن الزبير، فلما قتل عبد الله بن الزبير، سرح ابن الحنفية أبا عبد الله الجدلي بكتاب منه إلى عبد الملك يسأله فيه الأمان لنفسه وأصحابه².

من مسلية

بجير بن عبد الله المسلي: ورد خبره مع المختار في القصر لما حاصره مصعب، وذكر الطبري انه وقع أسيرا بيد مصعب بن الزبير وروى له التماسا قدمه قبل مقتله جاء فيه: الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار، وابتلاك بأن تعفو عنا، وهما منزلتان إحداهما رضا الله، والأخرى سخطه، من عفا عفا الله عنه، وزاده عزا، ومن عاقب لم يامن القصاص يا بن الزبير، نحن أهل قبلتكم، وعلى ملتكم، ولسنا تركا ولا ديلما، فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطئوا، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا، فاقتلنا كما اقتتل أهل الشام بينهم، فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اجتمعوا، وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطلحوا واجتمعوا، وقد ملكتم فأسجحوها، وقد قدرتم فاعفوا. فما زال بهذا القول ونحوه حتى رق لهم الناس، ورق لهم مصعب، وأراد أن يخلي سبيلهم. لكن جماعة من أصحاب مصعب رفضوا الصفح عنه وعمن معه فقتلوا جميعا³.

من كندة:

الأسود بن جراد الكندي: ورد ذكره في وفد عبد الرحمن بن شريح الى محمد بن الحنفية، وكان على ربع كندة وربيعة في جيش يزيد بن انس⁴.

معاذ بن هانئ بن عدي الكندي ابن أخي حجر بن عدي: يرد ذكره ضمن المجموعة التي كانت مع ابن الحنفية في مرحلة مبكرة قبل مخرج المختار ثم تذكره الروايات ضمن شرطة أبي عمرة كيسان صاحب المختار، وهو بصفته ابن اخ حجر بن عدي فلا بد أن لحضوره في حركة المختار ثقل رمزي⁵.

¹ المصدر نفسه، ج6، ص73

² المصدر نفسه، ج6، ص76. الأصبهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج9، ص13. الفسوي، المعرفة والتاريخ، المصدر السابق، ج2، ص775. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص319

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص108-110

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص13، 81

⁵ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج3، ص279. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص59

سليم بن يزيد الكندي ثم الجوني: كان على ميمنة جيش المختار في مواجهته لجيش مصعب بن الزبير، وقد قتل في تلك الوقعة¹.

كثير بن إسماعيل الكندي: شهد وقعة يوم الخازر مع ابن الأشر، وكان على رجاله جيش المختار في مواجهته مصعب بن الزبير².

عبد الملك بن أشاء الكندي: كان ضمن جيش المختار في وقعته مع ابن الزبير³.

عبدة بن عمرو البدي من كنده وكان عبدة من أشجع الناس وأشعرهم، وأشدهم حبا لعلي، وكان لا يصبر عن الشراب، وكان من بين اول من التحق بالمختار في بدايته⁴.

من قضاة:

من نهد

قيس بن طهفة النهدي: وهو من أصحاب المختار، كان على رأس مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار يوم جبانة السبيع⁵، كما ان المختار جعله على ربع اهل المدينة في الجيش الذي وجهه المختار بقيادة مالك بن الأشر للقاء جيش الشام بقيادة عبدة الله بن زياد⁶

أبو عثمان النهدي⁷: فنأدى في شاعر وهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب الخثعمي منهم فخرجوا يتداعون: يا لثارات الحسين. وقاتلوا كعبا حتى خلى لهم الطريق

عبد الله بن شريك النهدي: أحد الثقات الذين كان المختار يعتمد عليهم يرد ذكره في مواطن كثيرة منها وقعة جبانة السبيع على رأس مائتي فارس¹.

¹ الطبري، المصدر نفسه، ج6، صص 99-101

² المصدر نفسه، ج6، ص96

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص438. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص101

⁴ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص598. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص101

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص22

⁶ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص423. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص81

⁷ من بني نهد بن زيد بن سؤد بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة أبو عثمان النهدي؛ واسمه عبد الرحمن بن مئذ بن عمرو بن عدي. أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدى إليه صدقات، ولم يره. وغزا في عهد عمر القادسية وجلولاء وتستر. وهو معدود في كبار التابعين في البصرة. محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبُرِّي، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ت محمد التونجي، ط1، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، 1983م، ج1، ص477. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص391.

أبو نمران مالك بن عمرو النهدي: كان من رؤساء أصحاب المختار،² يبدو من الأخبار أنه كان على شرطة المختار وكان أحد مساعديه المقربين. ويرد ذكره في مواضع مختلفة منها تتبع قتلة الحسين³. وقد وصف بالبأس الشديد⁴. وكان على ميمنة جيش المختار لما خرج لقتال مصعب بن الزبير⁵.

عمر بن عبد الله النهدي: كان ممن شهد صفين مع علي وقاتل الى جنب المختار وقتل في في المعركة التي انهزم فيها المختار امام مصعب بن الزبير⁶.

درهم مولى لبني نهد: يرد ذكره عند الطبري في سياق تتبع المختار لقتلة الحسين⁷.

من بني عذرة

عبد الله بن ضمرة العذري: كان على ميمنة جيش يزيد بن انس لما واجه جيش عبيد الله بن زياد وكلفه بقيادة الجيش في حال وفاته⁸.

هذه أهم الشخصيات اليمنية التي ورد ذكرها في المصادر وعدتها 57 شخصية تضمنت 16 شخصية همدانية بما يعادل الربع أو أكثر، وهي نسبة متوقعة في ضوء الإخلاص الذي عرف به الهمدانيون إزاء علي وابنائهم منذ أيام خلافته الأولى

وتوسيعاً لأغراض البحث ارتأيت أن أستعرض جملة من الشخصيات غير اليمنية التي لعبت أدواراً هامة في حركة المختار حتى تتضح ملامح القاعدة الاثنية الاجتماعية التي أقام عليها المختار مشروعه، وحتى تستبين هوية الفئات والعناصر التي وجدت في خطاب المختار صدى لما كان يعتمل في نفوسها إزاء الواقع التاريخي الذي كانت تعيش فيه وتتفاعل معه.

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص49

² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص57

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص408

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص49

⁵ المصدر نفسه، ج6، ص99

⁶ ذكر البلاذري أن عمرو بن عبد الله النهدي لما رأى هزيمة أصحاب المختار أمام جيش مصعب قال: اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء، يعني أصحابه حين انهزموا، وأبرأ إليك من هؤلاء، يعني أصحاب مصعب، اللهم إني على ما كنت عليه بصفين، ثم قاتل حتى قتل. البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص438

⁷ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص51

⁸ المصدر نفسه، ج6، ص71

ب. العناصر العدنانية في ثورة المختار:

من قریش:

عبد الله بن جعدة القرشي، ثم المخزومي: من أكرم خلق الله على المختار لقرابته بعلي، وكان من قيادات المختار في موقعة حروراء، وكان مع المختار في القصر لما حوصر لكنه استطاع النجاة¹.

من تميم:

ظبيان بن عمارة التميمي: أحد الشيعة القدماء، كان من أعوان سليمان بن صرد في أيام التوابين، بعثه المختار في اربعمائة راكبا من أهل القوة، لاستنقاذ ابن الحنفية من ابن الزبير².
محمد بن عمير بن عطار التميمي: أرسله المختار عاملا له على اذريجان³.

من بني سلول:

رزين عبد السلولي: كان على خيل احمر بن شميظ صاحب المختار في وقعة المذار⁴.
عبد الله بن زهير السلولي: ورد ذكره في جيش ابن الأشتر الذي واجه عبيد الله بن زياد⁵.

من مزينة:

رفاعة ابن قمامة المزني من شيعة علي، وكان مقتصدا⁶.
ليلى بنت قمامة المزنية: وصفت بانها وبنت المتكلفة الناعطية من غلاة الشيعة وأن ابن الحنفية حذر من ميولهما المتطرفة⁷.

من بني عيس:

¹ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص437، 440. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص60، ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص312. 334. 335.

² البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص431. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص112، 558. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص319.

³ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص301.

⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص96.

⁵ المصدر نفسه، ج6، ص67. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص228.

⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص103.

⁷ المصدر نفسه، نفس الصفحة.

خزيمة بن نصر العبسي: ورد خبره في تفاصيل موقعة جبانة السبيع¹.

كيسان أبو عمرة مولى لعرينة: كان على شرطة المختار والمتولي شؤون امنه، جعله ابن شميظ على الموالي في معركة المذار².

من ربيعة:

من بني حنيفة:

سعر بن أبي سعر الحنفي: ورد خبره في وقعة جبانة السبيع، وكان أميراً على ربع ربيعة وكندة في الجيش الذي قاده يزيد بن أنس³.

من عبد قيس:

المثنى بن مخزبة العبدي: كان من أصحاب علي، ووصفه الطبري بأنه: أحد الرؤوس والأشراف بالبصرة، كان من الذين استنفرهم سليمان بن صرد في ثورة التوابين، ولما ظهر المختار سارع ببيعته وقام يدعو له الناس في البصرة⁴
سيحان بن عمرو، من بني ليث من عبد القيس: ذكره الطبري بوصفه الرجل الذي حمل رسالة المختار من السجن الى رفاعة بن شداد وبقية التوابين الذين رجعوا الى الكوفة⁵.

من بني ذهل:

خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي⁶.

من بني اسد:

عبد الله بن حية الأسدي: كان اميراً على ربع مذحج وأسد في الجيش الذي أرسله المختار بقيادة ابن الأشرم لملاقاة ابن زياد¹.

¹ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص 26، 27. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، صص 391، 392.

² الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص292. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص 33، 96. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، 301.

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، صص 24، 25، 39. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص207.

⁴ ابن الكلبي، نسب معد واليمن، المصدر السابق، ج1، ص111. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، صص 558، 590، ج6، ص72. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، صص 366، 415، 416. ابن حزم، الجمهرة، المصدر السابق، ص299. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، صص 251، 315.

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص7.

⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص25.

حميد بن مسلم الأسدي: كان أحد رفقاء ابن الأشتر المقربين وكانت شهادته على مقتل الحسين ووقائع التوابين وأيام المختار شهادة قريب من الأحداث، لكن نصرته للمختار غير يقينية².
كما ترد في المصادر مجموعة من الأسماء التي لم يأت ما يحدد نسبتها فظلت مغفلة الأصل منهم: مزاحم بن مالك³.
حوشب اليرسبي⁴. عبد الله بن نوف⁵. أبو سعيد الصيقل: ورد ذكره في خبر جبانة السبيع وضمن الذين دلوا المختار على قتلة الحسين⁶. والنعمان بن أبي الجعد⁷ وإسحاق بن مسعود: كان عاملا للمختار على المدائن وأرض جوخي⁸. قدامة بن أبي عيسى بن زمعة النصرى حليف ثقيف: بعثه المختار عاملا على بھقباد الأعلى⁹. محمد بن كعب بن قرظة: بعثه المختار عاملا له على بھقباد الأوسط¹⁰. نعيم بن هبيرة، أخوا مصقلة بن هبيرة: من أنصار علي الأولين، كان علي بكر الكوفة في صفين، وكان أحد قادة المختار في وقعة السبيع¹¹. أبو المعتمر وعمير بن طارق وكانا ضمن الكتيبة التي أرسلها المختار لاستنقاذ ابن الحنفية من ابن الزبير¹².

ج. غير العرب في جيش المختار:

ليس من قبيل المبالغة التأريخ للمختار بوصفه أول قائد سياسي وعسكري انتبه إلى أهمية استعمال الفئات الاجتماعية المهمشة في الكوفة وغيرها كأدوات مجدية في الصراع على السلطة من خلال برنامج اجتماعي يجعل من المشاركة في الحركة

- ¹ الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص81. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص397. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص39.
- ² ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص303.
- ³ الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص260. الطبري التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص412. 414. 597. 598. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج6، ص18. ج3، ص176، 184.
- ⁴ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص87. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص328.
- ⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص81. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص324. 325.
- ⁶ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص85، 104.
- ⁷ المصدر نفسه، ج6، ص24، 58.
- ⁸ المصدر نفسه، ج6، ص27.
- ⁹ المصدر نفسه، ج6، ص34. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص301.
- ¹⁰ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص34.
- ¹¹ المصدر نفسه، نفس الصفحة.
- ¹² خليفة بن خياط، التاريخ، المصدر السابق، البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص94. ج2، ص419. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج5، ص130، ج6، ص24. 25. ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج3، ص297.
- ¹² الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص76.

والنضال في سبيل أهدافها هو الذي يحدد موقع الفرد والجماعة الاجتماعي في منظومته الاجتماعية الجديدة¹، وهي الفئات التي استوطنت الكوفة وبقية الأمصار بحثا عن افق للعيش يضمن لها حياة كريمة، وبمضي الوقت استطاعت هذه الفئات أن تجد لنفسها موطئ قدم في الخطاطبة الاجتماعية بفضل الأعمال والحرف والمهن التي انفردت بأدائها في ظل عزوف العناصر العربية عنها²، وغدا وجودها ضروريا داخل النسيج الاجتماعي للأمصار حتى تستمر الحياة بالوتيرة التي عرفتتها حركة التمدن الحديثة³. وقد تشكلت هذه الفئات من عناصر مختلفة لعل أهمها العناصر الفارسية التي ابتداء وجودها في الكوفة من التنظيم العسكري الذي عرف بحمراء الديلم؛ وقدرت المصادر عددهم بأربعة آلاف مقاتل كانوا تحت راية رستم الفارسي ثم انخرطوا في جيش المسلمين على إثر هزيمة الفرس في القادسية ودخلوا في حلف مع القائد زهرة بن حوية السعدي التميمي واستوطنوا الكوفة. ورغم أنهم كانوا ما يشبه ارسقراطية فارسية في الكوفة إلا أنهم صاروا قوة استقطاب للعناصر الفارسية الأخرى التي وفدت على الكوفة طلبا للرزق من تجار وصناع وحرفيين وفلاحين؛ إضافة إلى أسرى الفتوحات التي كانت تجري في بلاد الفرس، وقد شكل مجموعهم حضورا فارسيا متميزا أغنى الحياة الثقافية الكوفية ثم السياسية فيما بعد⁴.

وقد ورد في المصادر ما يدل على أن غالبية موالي الكوفة كانوا انصارا لعلي وأن تفضيلهم له وتبجيلهم إياه موقف قديم يعود إلى الفترة التي أدار فيها علي مجتمع الكوفة؛ وذلك وفق برنامجه التسويي الذي عالجنه في الفصل الثاني. وفي هذا الصدد أورد ابن هلال الثقفي في الغارات جملة من الأخبار التي تدور حول موضوع التسوية في قسمة المال بين الناس، ومنه نجتزأ الخبرين التاليين: عن عاصم بن ضمرة أن عليا قسم قسما فسوى بين الناس⁵. والخبر الثاني مضمونه: أن امرأتين أتتا عليا عند القسمة إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهما وكرا من طعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم. فقال علي: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق⁶. كما أورد المبرد رواية فحواها أن الأشعث بن قيس الكندي قدم إلى علي وأتاه يتخطى رقاب الناس، وعليّ على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قريبك، قال: فركض علي

¹ العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص 321

² رضوان السيد، مفاهيم الجماعات في الإسلام، المرجع السابق، ص 74

³ رضوان السيد، مفاهيم الجماعات في الإسلام، المرجع السابق، ص 71. فلهوزن: الخوارج والشيعية، ص 211

⁴ يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، المرجع السابق، ص 146. 148

⁵ ابن هلال الثقفي، الغارات، المصدر السابق، ج 1، ص 71

⁶ ابن هلال الثقفي، الغارات، المصدر السابق، ج 1، ص 46

المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدي: مالنا ولهذا. يعني الأشعث، ليقولنَّ أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال علي: من يعذرني من هذه الضيافة¹، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قومٌ للذكر، فيأمرني إن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبة، وبرأ النَّسمة، ليضربنكم على الدِّين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً².

وقد كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن ذات مرة في بعض شؤون السياسة: وقد علمت أن أباك علياً إنما رغب الناس عنه وصاروا إلى معاوية لأنه واسى بينهم في الفياء، وسوى بينهم في العطاء، فثقل ذلك عليهم³. وللمقارنة بين سياسة علي تجاههم وبين توجه السلطة الأموية حيالهم نسوق الرواية التالية: قال زياد: دعا معاوية الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب فقال إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت، وأراها قد طعنت على السلف، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان؛ فقد رأيت أن أقتل شطرا وأدع شطرا لإقامة السوق وعمارة الطريق؛ فما ترون. فقال الأحنف: أرى أن نفسي لا تطيب؛ وقد شاركناهم وشاركونا في النسب.. فقال سمرة بن جندب: اجعلها إلي أيها الأمير، فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ منه. فقال: قوموا حتى أنظر في هذا الأمر. قال الأحنف: فقمنا عنه وأنا خائف، وأتيت أهلي حزينا؛ فلما كان بالغدأة أرسل إلي، فعلمت أنه أخذ برأبي وترك رأي سمرة⁴. وقد تخاصم عربي ومولى بين يدي عبد الله بن عامر صاحب العراق فقال المولى: لاكثر الله فينا مثلك. فقال العربي: بل أكثر الله فينا مثلك فقليل له: أيدعو عليك وتدعو له. فقال: نعم، يكسحون طرقتنا ويخرزون خفافنا ويجوكون ثيابنا⁵.

¹ الضيافة: واحدهم ضيطرٌّ وضيظارٌّ، وهو الأحمر العضل الفاحش. الضيافة هم الضَّحام الذين لا غناء عندهم ولا نفع واحدتهم. المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص48. أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، غريب الحديث، محمد عبد المعيد خان، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1964م، ج3، ص484

² المبرد، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص48

³ البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج3 ص29 الهامش

⁴ ابن عدي، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص361

⁵ ابن عدي، العقد الفريد، المصدر السابق، ج3، ص361.362. وقد صور بعضهم حالتهم المزرية في العهد الأموي بان قال:

أبلغ أمية عني إن عرضت لها وابن الزبير وأبلغ ذلك العربا
أن الموالي أضحت وهي عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والحربا
إخوانكم إن بلاء حل ساحتكم ولا ترون لنا في غيره سببا
نعاهد الله عهدا لا نخيس به لن نقبل الدهر شورى بعد من ذهبنا
البلاذري، انساب الاشراف، المصدر السابق، ج5، ص352

ولا يعرف لهذه الفئات التي اتخذت مسمى الموالي أي حراك سياسي او عسكري في الكوفة الى غاية ولاية المغيرة بن شعبة حيث انفرد اليعقوبي برواية عن مجموعة من الموالي وصفها بالعصابة خرجوا مع رجل يدعى أبو علي؛ مولى لبني الحارث بن كعب: وكانت أول خارجة خرجت فيها الموالي، فبعث المغيرة إليهم رجلاً من بجيلة، فالتقوا ببادوريا¹، فناداهم البحلي: يا معشر الأعاجم. هذه العرب تقاتلنا على الدين، فما بالكم. فنادوه: يا جابر إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد، فأما به، ولن نشرك برينا أحداً، وإن الله بعث نبينا للناس كافة، ولم يزهه عن أحد، فقاتلهم حتى قتلهم². وبعد هذه الواقعة المنفردة لا يسمع للموالي حس في الأحداث التي حفلت بها الكوفة حتى خروج المختار. وقد سبق في الصفحات السابقة إيراد الخبر الذي رواه البلاذري عن المدائني وفيه ان المختار ركب يوماً مع المغيرة بن شعبة فمر بسوق الكوفة، فقال المغيرة: أما والله إني لأعرف كلمة لو دعا بها أريب لاستمال بها أقواماً فصاروا له أنصاراً، ثم لا سيما العجم الذين يقبلون ما يلقي إليهم، قال المختار: وما هي يا عم. قال: يدعوهم إلى نصره آل محمد والطلب بدمائهم، فكانت في نفس المختار حتى دعا³. وهي رواية - إذا صحت - تظهر الوعي السياسي المرهف الذي تميز به المغيرة وادراكه المبكر للإمكانات التاريخية الهامة التي تضمها هذه الفئات والتي سيكون لها شأن في ثورة المختار وشؤون أخرى أهم في ثورة العباسيين على بني أمية. وقد أجمل الدينوري المخطط الذي سار عليه المختار في استنهاض الناس بالكوفة للقيام معه فذكر: ان المختار بن ابي عبيد الثقفي جعل يختلف بالكوفة الى شيعه بنى هاشم، ويختلفون اليه، فيدعوهم الى الخروج معه والطلب بدم الحسين، فاستجاب له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل⁴.

لم يرد المختار ان تكون ثورته محصورة في المهمشين والمضطهدين الساخطين على السلطة الأموية ومثلها في الكوفة وغيرها لأنه يعرف أن مفاتيح إدارة الصراع مع السلطة ليست في أيديهم ولا يستطيعون بمفردهم أن يغيروا من قواعد الحكم من دون تعزيز القبائل العربية والشخصيات النافذة والمهمة، لكنه في سياق السباق الى عرش الخلافة مع عبد الملك بن مروان المدعوم بالأرستقراطية العربية في الشام ونواحيها وعبد الله بن الزبير الذي تمتع بدعم قوى عربية كثيرة في العراق

¹ بادوريا: طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد، قالوا: كل ما كان من شرقي السرة فهو بادوريا وما كان في غربيها فهو قطرل. ياقوت الحموي،

معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص317

² اليعقوبي، التاريخ، المصدر السابق، ج2، ص129. العلي، الكوفة وأهلها، المرجع السابق، ص320

³ البلاذري، انساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص387

⁴ الدينوري، الأخبار الطوال، المصدر السابق، ص288

والحجاز، وبلغ نفوذه إلى الشام ومصر¹، إضافة إلى قوات الخوارج التي لم يكف حراكها في العراق وأطرافه، ولعل أهم ما يجمع بين هذه القوى في رأي المختار هي عداؤها العلن أو المستور للذين يتشيعون لآل البيت فلم يبق للمختار إلا الاستثمار في قضيتهم واستنفار همهم إلى النهوض للثأر من قتل الحسين ودعم امامة ابن الحنفية². وقد قامت الدعاية المروانية والدعاية الزبيرية بوصف أتباع المختار بأنهم: العبيد الأباقي، وقوما قد تركوا الإسلام وخرجوا منه، ليست لهم تقيه، ولا ينطقون بالعربية³. وأن الموالي قد بدا كفرهم وعظم كفرهم وقل شكرهم ولا يؤمنون على الدين⁴. وأن المختار افتات على سادات العرب وتآمر عليهم بغير رضا منهم، وقد أدنى إليه مواليهم، فحملهم على الدواب، وأعطاهم وأطعمهم فيئهم، حتى عصتهم عبيدهم، فحرب بذلك أيتامهم وأراملهم⁵.

استمدت حركة المختار الثقفي قوتها من مصادر متنوعة نستطيع أن نوجزها في الموهبة السياسية والعسكرية التي تميز بها المختار وطموحه الكبير في الوصول إلى السلطة وشجاعته الفائقة في مقارعة خصومه وكفاءته الخطابية الهائلة⁶، كما أنها تغذت من نوعية الشعارات التي رفعها.

¹ وأتت ابن الزبير بيعة أهل الآفاق: أته بيعة أهل الشام ما خلا الأردن، ودعا له النعمان بن بشير بمحصر، وزفر بن الحارث الكلابي بقنسرين والضحاك بن قيس الفهري البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج5، ص352

² لما شكوا أشراف الكوفة إلى المختار تقريره الموالي اقترح عليهم التالي: إن أنا تركت لكم مواليكم، وجعلت فيكم فيكم، أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه، وما أطمئن إليه من الإيمان. فقال شبت ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك، فخرج فلم يرجع إلى المختار. قال: وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار. الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص43. 44. لخص المختار في لحظاته الأخيرة دوافع حركته فقال: إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلا أني قد طلبت بثأر أهل بيت النبي ص إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمائهم، وبالغت في ذلك إلى يومي هذا. المصدر نفسه، ج6، ص107

³ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص42

⁴ البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج7، ص34

⁵ الطبري، التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص43. 44. عن الشعبي قال: جلست يوماً إلى الأحنف، فقال رجل من جلسائه: يا كوفي استنقذناكم من عبيدكم، يعني يوم قتل المختار. البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص418

لخص الحجاج بن يوسف الثقفي شخصية المختار في عبارته الموجزة فقال: كان رجلاً ديناً، ومقارعاً أعداء، ومسعر حرب. البلاذري، أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج6، ص378⁶

الخاتمة

الخاتمة:

نستطيع ان نوجز النتائج الأساسية للبحث في النقاط التالية:

. انبثق التشيع من خصوصية التجربة التاريخية للإسلام التي ارتبط فيها الدين بالسياسة منذ اللحظة التي أراد فيها النبي تشكيل الدولة، ثم تعمق الارتباط في دولة الفتوحات لما نجح العرب المسلمون في اكتساح ممتلكات فارس وبيزنطة. وبالتالي نشأ التشيع على ارضية السياسة فتحول الى منظومة دينية

. تعقيد الظاهرة القبلية اليمنية وتوزع انتشارها الجغرافي في صدر الإسلام حيث رصد البحث قبائل يمنية في الشمال قديمة في كل من العراق والشام وقبائل يمنية أخرى متوزعة في اليمن وحزيرة العرب وثمة يمنية ظلت قابضة في اليمن وتحركت منه في الفترة ما بين حروب الردة حتى العهد الأموي. اما داخل العراق فقد انفرت اليمنية بين اليمنيين الفاتحين الأوائل الذين شهدوا الأيام والقادسية وغيرها وبين اليمنية اللاحقة. كما انشق اليمنيون عموما سياسيا بين يمنية عراقية ساندت علي ووقفت في وجه المشروع القرشي ويمنية شامية وقفت في الجبهة المعارضة بسبب اوضاعها التاريخية المختلفة وهي موالية لبني امية.

. تعتبر العلاقة بين علي واليمنيين قديمة نسبيا؛ اذ تعود الى دور علي في اسلام قبائل اليمن ودوره في اسلام طيء؛ الأمر الذي يعد أحد الدوافع التي دفعت اليمنية للارتباط به. لذلك كانت مساهمة اليمنيين كبيرة في وصول علي الى الخلافة ثم كان حضورهم وأهميتهم في جيش علي أساسية وفارقة حيث حظي علي بخدمة قادة كبار مثل الأشتر وعدي بن حاتم وحجر بن عدي والخزاعي. لكن تلك العلاقة لم تكن وحدها سببا كافيا للدعم غير المشروط الذي حظي به منهم بل ثمة أسباب أخرى منها: أن علي جمع في شخصه وبرنامجه بين الشرعية التاريخية والدينية واستطاعت توجهاته التسوية أن تغري المهمشين المبعدين من اليمن وربيعة. اما الطبيعة العاطفية لذلك الانحياز فإنها تجد بعض مصادرها في الثقافة اليمنية ذات الخلفية الملوكية والتي عززتها التأثيرات الفارسية فيهم فسهلت عملية الولاء المحض لشخص علي والعترة النبوية بخلاف عرب الشمال.

. رصد البحث أن أكثر القبائل اليمنية حماسا لقضية علي مثل قبيلة همدان لم يكن غالبية عناصرها يملك شرف المساهمة المبكرة في انتصارات الإسلام الأولى ومغامرة الفتوح الباكرة؛ وبالتالي كانت تعتبر فاقدة للشرعية التاريخية التي تؤهلها للعب أدوارا مهمة في السياسة العربية الإسلامية آنذاك؛ فيبدو أن هذا النقص جرى استكماله من خلال الالتفاف حول علي بكل ما يمثله من سابقة في تاريخ الإسلام. الأمر ذاته حدث للأنصار الذين وجدوا أنفسهم خارج حسابات السلطة وصراعاتها. ان ما يجمعهم هو ادراكهم السياسي للمشروع القرشي الأموي وتناميهِ والشعور ازاءه بالمظلومية والحرمان.

. كان يمن الكوفة طرفا مهما في نسيج الكتلة الشيعية في عهد علي واستمروا يغذون التشيع بعد تنازل الحسن وقدموا تضحيات مهمة لكن طبيعة دورهم التاريخي في العهد الأموي تختلف عنه في عهد علي؛ اذ ان ثبات الانتصار الأموي

وديمومته جعل حركتهم مسقوفة ومكتفية بالولاء والوفاء وصيانة الذاكرة وشيء من الأمل السياسي؛ الأمر الذي أحدث نزيفا في صلابة موقفهم ودفع بكثير منهم الى الاقتراب من السلطة الأموية والاهتمام بالمكاسب المعيشية.

. اما اختبار التطابق بين التشيع والظاهرة اليمنية فقد انتهى البحث الى أن التشيع لم يكن يمينا خالصا ولم يستطع يمن الكوفة تحويل التشيع الى أيديولوجية يمنية. ثم ان ارتباط يمن الشام بمعاوية فوت عليهم ذلك؛ بالإضافة الى صعوبة استكشاف طبيعة العلاقة بين يمن الكوفة ويمن الشام؛ خاصة لما صار يزيد بن ميسون الكلبي خليفة وصارت كلب واحلافها عصبية للدولة مع قريش. لم يكن الوقت يسمح برفع الطموح اليمني الى درجة تجاوز عرب الشمال عامة وقريش خاصة.

اما الأثر الذي أحدثه معاوية بعد توليه في الكتلة اليمنية الكوفية التي كانت تناصر علي فيمكن ايجازه في التالي:

. قادت سياسة معاوية في الكوفة الى انشطار الكتلة اليمنية في العهد الأموي الى خاصة وعامة؛ ولعب الأشراف أدوارا ملتبسة مشبوهة بين الوفاء للقضية العلوية وبين الارتقاء في حضن السلطة الأموية. والروايات تذكر الأشراف في حين لا تتعرض للعامة اليمنية لذلك افتقدنا فرصة للتعرف على توجهاتها الحقيقية. وتوجهات من معاوية تمكنت سياسة المغيرة وزيايد وابنه من تفتيت الكتل القبلية وتفتيت ولاءاتها السياسية عن طريق اقحامها في صراعات بينية؛ فقد استعمل المغيرة الشيعة في ضرب الخوارج واستعمل زياد اليمن في ضرب حجر واستخدم الأشراف ضده وقام ابن زياد باستعمالهم مرة أخرى واستعمال القرشيين في قتل الحسين. لذلك بعد نجاح معاوية في امتلاك سلطة الخلافة لا نستطيع الحديث عن قبائل يمنية شيعية وانما عن عناصر او فئات شيعية يمنية.

. تعتبر ثورة الحسين الاختبار الأوضح لنجاح السياسة الأموية في ترويض وتطويق الكتلة الشيعية العراقية عموما واليمنية خصوصا من خلال تفكيكها فتويا من خلال ثنائية الأشراف. الأعيان/ العامة واستقطاب غالبية الأشراف للعمل في برنامجها؛ حيث لم نكد نعثر على رد فعل يمني على مستوى القبيلة او مجموع القبائل وانحلت نصرة الحسين الفعلية؛ بما تعنيه من المبادرة الى الفعل المسلح الى مجموعة عناصر تنتمي الى هذه القبيلة اليمنية او تلك التحقت بصف الحسين وقتلت معه، وبالتالي لم يكن الموقف اليمني في مستوى فداحة الخطب ومستوى أهمية الحسين الوارث الأخير من أبناء فاطمة لميراث علي.

. جاءت ثورة التوابين في سياق الحركات الشيعية المتعجلة التي ضلت محكومة باستراتيجية رد الفعل ومسوقة بالدوافع العاطفية الانفعالية التي تبحث عن التنفيس وتفرغ الغل المتأتي من الهزيمة التاريخية التي منوا بها منذ اغتيال علي وتنازل الحسن. وبالتالي كانت أشبه بالانتفاضات العفوية منها بالفعل الثوري التام المتولد عن تحضير واعداد كاملين. وجاء أداؤها أقرب الى أداء ثورة الحسين في نقص عدد عناصرها وافتقادها للحس السياسي المتيقظ، وأشبه بحركات الخوارج في التزامها خط الخروج والمبادرة الى الصدام مع قوة السلطة الأموية التي تفوقها عددا وعتادا وخبرة؛ وبالتالي كانت حركة من أجل الموت أشعلها الندم والحسرة ورغبة دفينية في الالتحاق بالعترة النبوية. لقد كان نسيجها مهلهلا وقياداتها لا تتوفر على

الموهبة السياسية التي كشف عنها المختار ومن بعده الدعوة العلوية العباسية. أما المساهمة اليمنية فيها فقد كانت مبادرة عناصر أكثر مما هي حركة قبائل لذات الأسباب التي بحثناها في ثورة الحسين والتي تجلت بوادها في ضعف موقف القبائل اليمنية الكوفية من قضية حجر بن عدي وارتكان بعض زعاماتها للإرادة السياسية لأموية.

. تعتبر حركة المختار الثقافي حلقة مهمة في نضال شيعة العراق من اجل استعادة الحق العلوي في السلطة؛ هذا الحق الذي تعزز بالظلمية بعد مقتل الحسين. فعرف المختار كيف يستغل المأساة في تثوير القوى المؤمنة بحق آل البيت في الحكم وتثوير القوى الأخرى المتعاطفة معهم، وقد سلك في ذلك مسالك جديدة لم يدشنها أحد من قبله؛ من ذلك انه يعد من بين السياسيين الذين انتبهوا مبكرا الى الأهمية الاجتماعية والاقتصادية ومن ثمة السياسية التي أخذت تكتسبها العناصر والفئات غير العربية داخل الأمصار والتقط شكواهم من تمييز السلطة الأموية ضدهم وانفتح على طموحاتهم في المشاركة فعمد الى ادراج قضيتهم داخل القضية الشيعية العامة وربط طموحاتهم بطموحاته وطموحات الشيعة في السلطة؛ الأمر الذي ساعد الحركة الشيعية في الانفتاح على فئات اجتماعية جديدة، وتعزيز قواها بسواعد متحمسة. لكنه في النهاية لم ينجح في امتلاك السلطة بسبب شراسة الأشراف في الدفاع عن مصالحهم وتنسيقهم مع ابن الزبير وعبد الملك بن مروان العدوان اللدودان للمختار ومشروعه.

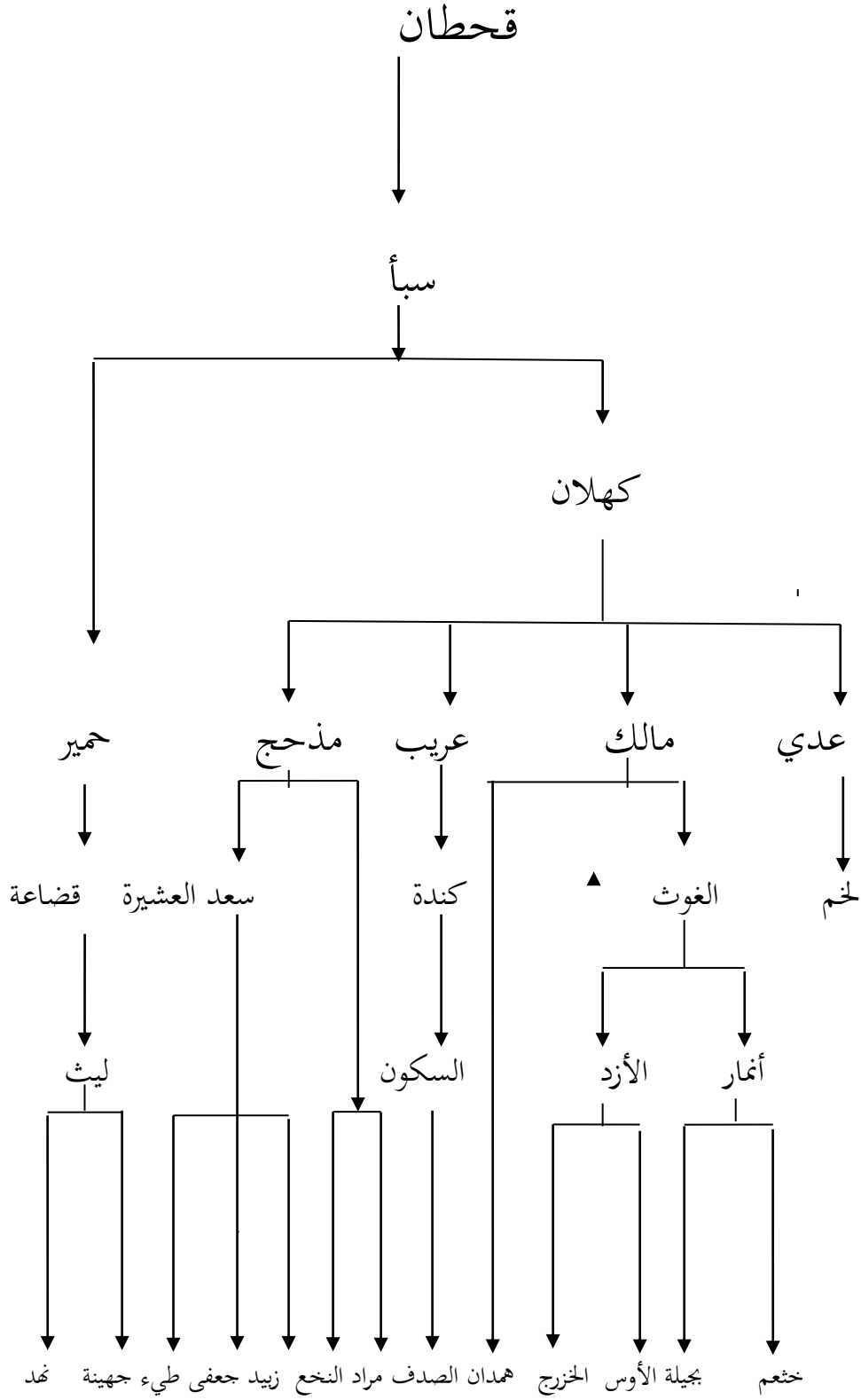
اما فيما يخص تاريخ المنظومة النظرية الشيعية فقد خلص البحث الى جملة من النتائج أهمها:

. الظاهرة الشيعية في تاريخ الإسلام ذات طابع تركيبي من حيث هي ظاهرة تاريخية اجتماعية ثقافية منغرس في تربة الدين . الإسلام؛ وقد تابعنا ولادته السياسية من خلال الكتلة الاجتماعية التي انحازت بصورة غير مشروطة الى صف علي ابان الانشقاق الخارجي. ورغم الضعف الذي أصابها الا ان نواتها استمرت بعد مقتل حجر وعمقت دينيا بعد مقتل الحسين وتصفية التوابين ومبادرات المختار. وبعد موت ابن الحنفية برزت العقائد الغربية لسد الفراغ الذي أحدثه الغياب العام لأبناء علي؛ ذلك ان موتهم رفع الشرعية عن التشيع السياسي فصار لزاما ظهور أفكار الوصية والنص والتعيين ووراثة الامامة والمهدوية والغيبة.

. ضرورة الانتباه الى الحوادث التأسيسية التي ظلت تحدث في تاريخ الإسلام الأول وتراكم لحظات مرجعية للأحزاب والاتجاهات والتيارات السياسية. كانت تحدث بوتائر متسارعة من بداية الإسلام حتى مقتل الحسين مروراً بتولية يزيد. كل حدث تاريخي تتسلمه جماعة تستخدمه كمرجعية تاريخية أصلية وكمستند مرجعي تبني عليه شرعيتها وجملة مطالباتها في سياقها الذي يكون محض دنيوي. كأنما الجماعات تبحث عن مستندات ومرجعيات ومبررات لتوظيفها واستثمارها بما يخدم أهدافها الواقعية. كل ذلك تم قبل أن تهدأ الحركات بسبب هزيمتها التاريخية وتنكفي على ذاتها لتشتغل على صياغة وجدانية فكرية عاطفية لميراثها الخاص وما سيصير عقيدتها وسبيل نجاحها، تصنع وتبدع متخيلها التاريخي الخاص ضمن المتخيل الإسلامي العام. من السياسة الى العقيدة ومن العام الى الخاص الفئوي العنصري.

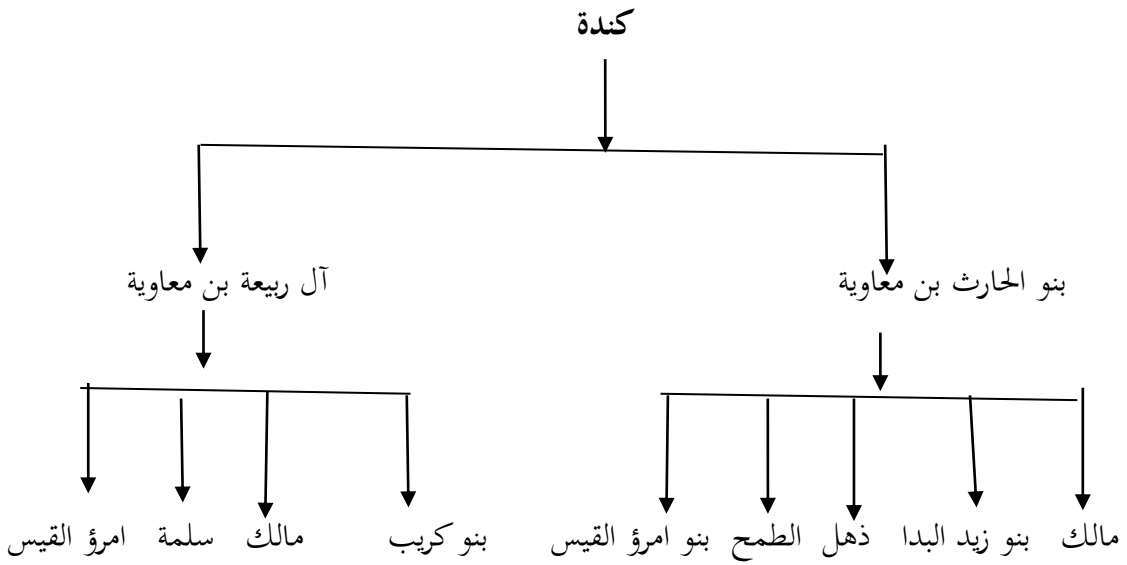
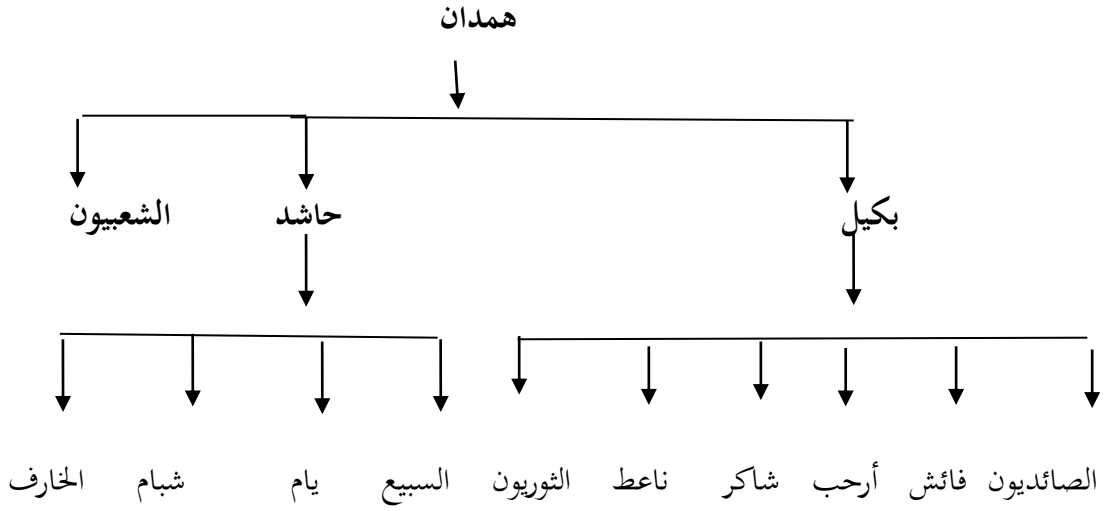
. التشيع تاريخ تطوري انجه من التاريخ الوقائعي الدنيوي السياسي الى تاريخ آخر ثقافي وجداني فكري، من مواقف سياسية أرضية مساندة لشخص الامام علي بناء على حسابات ورهانات سياسية الى وجدانية أسطورية عاطفية. ثم ان الهزيمة التاريخية للصف الشيعي ولدت انكفاء اجتراريا ذي طبيعة وجدانية عاطفية حيث يستعيد الماضي ويعيد صياغته حتى يتناسب مع ما غدا عصا تاريخيا صياغة أبعد ما تكون عن الموضوعية. بدأ التشيع نصره عملية لرجل ثم انتهى انتماء الى ثقافة نشأت عن تأريخ خاص ورواية وموقف للأحداث التي عاشها وعاشها بنوه. أصبح التشيع ثقافة كان التاريخ أحد مشكلاتها ومؤسستها. فمن كان شيعيا في عهد علي لم يعد شيعيا بحسب شروط التشيع في مرحلة تالية. ومن كان شيعيا عهد معاوية لا تنطبق عليه مواصفات التشيع في مرحلة لاحقة.

الملاحق

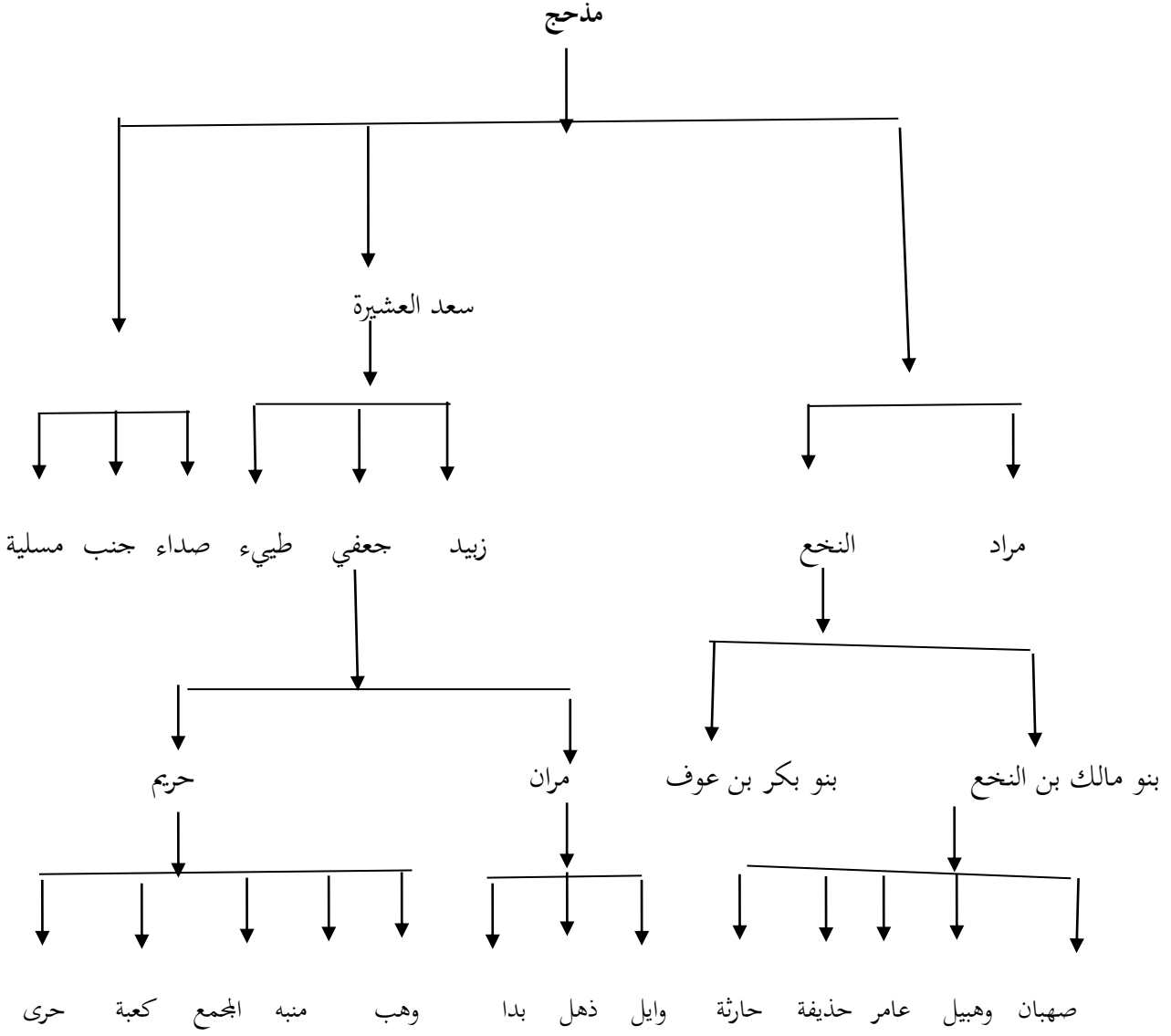


سلسلة نسب القبائل القحطانية

اهم القبائل اليمنية التي استقرت بالكوفة وفروعها



الملاحق

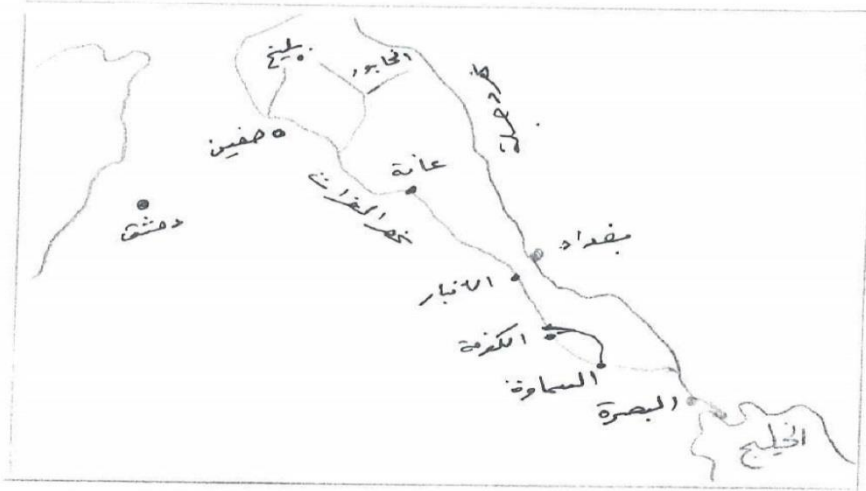


الملحق 2.



خريطة القبائل اليمنية عند ظهور الإسلام.

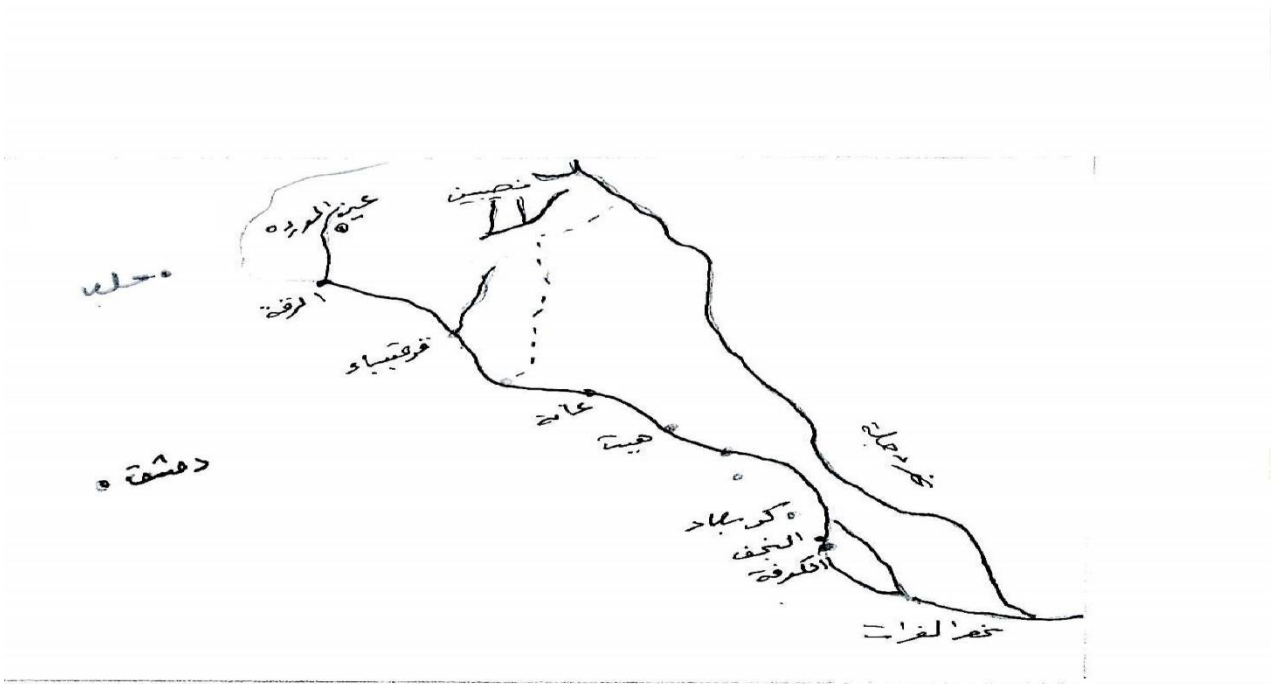
الملاحق 4.



خريطة سير عليه الى حمص



مخطط المنازل ايج حتر بيا الحسينيا في سميره من ملكه
اسم كربلاء



مخطط حسير الترابيين من الكفرة الى عين المردة .



الملحق 8

ولاية الكوفة من تمصيرها الى غاية ثورة المختار الثقفي

الفترة	الخليفة/ الحاكم	اهم الولاة	أهم الأحداث
	عمر بن الخطاب	سعد بن ابي وقاص المغيرة بن شعبة عمار بن ياسر	تشبيد مدينة الكوفة سنة 17هـ . 638م
الخلافة الراشدة	عثمان بن عفان	الوليد بن عقبة سعيد بن العاص أبو موسى الشعري	بداية حركات الاحتجاج داخل الكوفة عهد الوليد وسعيد
	علي بن ابي طالب		صارت الكوفة عاصمة الخلافة
الدولة الأموية السفينانية	معاوية بن ابي سفيان	المغيرة بن شعبة زياد بن ابيه عبد الله بن خالد بن أسيد الضحّاك بن قيس الفهريّ عبد الرحمن بن أمّ الحكم النعمان بن بشير	مقتل حجر بن عدي
	يزيد بن معاوية	الأنصاريّ الخزرجي عبيد الله بن زياد	مقتل الحسين بن علي
فترة الانقسام السياسي بعيد موت يزيد بن معاوية	عبد الله بن الزبير المختار بن ابي عبيد الثقفي	عبد الله بن يزيد الخطمي عبد الله بن مطيع المختار بن ابي عبيد الثقفي	ثورة التوابين حركة المختار الثقفي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- ابن الديبع الشيباني (866 - 944هـ)، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، ت احمد راتب حموش، ط1، دار الفكر، دمشق، 1992م
- ابن زنجويه حميد بن مخلد الخراساني (ت 251هـ)، الأموال، ت شاكر ذيب فياض، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1986م
- ابن سعد (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الرابعة، ت عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، 1416هـ
- ابن سعد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ت محمد بن صامل السلمي، ط2، مكتبة الصديق، الطائف، 1993م.
- ابن سعيد المغربي (610-685 هـ) ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ت نصرت عبد الرحمن، د ط، مكتبة الأقصى، الأردن، د ت
- ابن عبد البر (368 - 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت علي محمد الجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م
- ابن عبد ربه (246 - 328 هـ)، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ج3، ص 288.
- أبو البقاء هبة الله محمد بن نما الحلبي (بعد 565 645 هـ) ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ت محمد عبد القادر خريسات وآخرون، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1984م
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير (555 - 630 هـ) ، الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، ط1، 1997م
- أبو الحسن علي بن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، د ط، دار صادر، بيروت، د ت،
- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 346هـ)، التنبيه والإشراف، ت عبد الله إسماعيل الصاوي، د ط، دار الصاوي، القاهرة، د ت
- أبو الحسن علي بن الحسين، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ت أسعد داغر، د ط، دار الهجرة، قم، 1409هـ، ج2، ص 299
- أبو الحسن علي بن عبد الله السمهودي (844 - 911 هـ) ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ
- أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (306 - 385هـ)، المؤلف والمختلف، ت موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م

- أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (364 - 450 هـ)، الأحكام السلطانية، د ط، دار الحديث، القاهرة، د ت
- أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت 1014 هـ)، شرح الشفا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421 هـ
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (329 هـ - 941 م / 395 هـ - 1004 م)، مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، د ط، دار الفكر، بيروت، 1979 م
- أبو الخير شمس الدين السخاوي (831 . 902 هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط1، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993 م
- أبو الخير شمس الدين السخاوي (831 هـ الموافق 1428 - 902 هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط1، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993 م
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (756 - 821 هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ت إبراهيم الإياري، ط2، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، 1980 م
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، فلاندة الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان، ت إبراهيم الإياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، 1982 م
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (210 - 286 هـ)، الكامل في اللغة والأدب، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة 1997 م
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، نسب عدنان وقحطان، ت عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، د ط، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، 1936 م
- أبو العباس، محب الدين الطبري (615 - 694 هـ)، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط2، دار الكتب العلمية، د ت
- أبو العرب محمد بن احمد المغربي (251 - 333 هـ)، المحن، ت عمر سليمان العقيلي، ط1، دار العلوم، الرياض، 1984 م
- أبو الفتح شهاب الدين الأبيهي (790 - 852 هـ)، المستطرف في كل فن مستطرف، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1419 هـ
- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (479 - 548 هـ)، الملل والنحل، د ط، مؤسسة الحلبي، مصر، د ت
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (700 - 774 هـ)، البداية والنهاية، ت علي شيري، د ط، دار احياء التراث العربي، 1988 م، ج5، ص 107.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، ت مصطفى عدل الواحد، د ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1976م
- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (508هـ - 597)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م
- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1997م
- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، صفة الصفوة، ت أحمد بن علي، د ط، دار الحديث، القاهرة، 2000م،
- أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (284 - 356هـ)، مقاتل الطالبين، ت السيد أحمد صقر، د ط، دار المعرفة، بيروت، د ت
- أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأصبهاني، الأغاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ
- أبو الفرج غريغوريوس الملطي المعروف بابن العربي (623 - 685هـ)، مختصر تاريخ الدول، ت أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت، 1992م
- أبو الفرج محمد بن النديم (ت 438هـ)، الفهرست، ت إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ص217.
- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773هـ - 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ت عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ
- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ
- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، د ط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، 1971م
- أبو القاسم الحسين بن علي المغربي (370 - 418هـ)، أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسائها، ت حمد الجاسر، د ط، دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1980م
- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (508 - 581هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ت عمر عبد السلام السلامي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 200م
- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، د ت

أبو القاسم عبد الرحمن بن مندة العبدي الأصبهاني (383 - 470هـ)، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، ت عامر حسن صبري التميمي، د ط، وزارة العدل والشئون الإسلامية البحرين، د ت

أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي (214 هـ - 317 هـ)، معجم الصحابة، ت محمد الأمين بن محمد الجكني، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت، 2000م

أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة (ت نحو 280هـ)، المسالك والممالك، د ط، دار صادر، بيروت، 1989م

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (499 - 571هـ)، تاريخ دمشق، ت عمرو بن غرامة العمروي، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م

أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت 874 هـ)، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، ت نبيل محمد عبد العزيز أحمد، د ط، دار الكتب المصرية - القاهرة، د ت

أبو المظفر شمس الدين يوسف، سبط ابن الجوزي (581 - 654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ت محمد معتز كريم وآخرون، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2013م

أبو المعالي بن حمدون بهاء الدين البغدادي (495 - 562هـ)، التذكرة الحمدونية، د ط، دار صادر، بيروت، 1417هـ

أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (419 هـ - 478 هـ)، غياث الأمم في التياث الظلم، ت عبد العظيم الديب، ط2، مكتبة امام الحرمين، 1401هـ

أبو المنذر هشام بن بشر الكلبي (ت 204هـ)، الأصنام، ت أحمد زكي باشا، ط4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ت ناجي حسن، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1988م

أبو بشر محمد بن أحمد الأنصاري الدولابي (224 - 310هـ)، الكنى والأسماء، ت أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م

أبو بكر البيهقي (384 - 458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ

أبو بكر بن أبي الدنيا (208 - 281هـ)، مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ت إبراهيم صالح، ط1، دار البشائر للطباعة والتوزيع، دمشق، 2001م

- أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (206 - 287هـ)، السنة، ت ناصر الدين الألباني، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1400هـ
- أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي (468 - 453 هـ)، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ت محب الدين الخطيب وآخرون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م
- أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري (بعد 736هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، ت بيرند انكه وآخرون، د ط، عيسى البابي الحلبي، مصر، د ت
- أبو بكر زين الدين الهمداني، الأماكن أو ما اتفق لفظه واقترب مسماه من الأمكنة، ت حمد بن محمد الجاسر، د ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ
- أبو بكر زين الدين الهمداني، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ت عبد الله كنون، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1973م
- أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني (126 - 211هـ)، المصنف، ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، 1403هـ
- أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المكي (ت 219هـ)، مسند الحميدي، ت حسن سليم أسد الداراني، ط1، دار السقا، دمشق، 1996م
- أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه (159 - 235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت كمال يوسف الحوت، ط1، 1409هـ
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (223 - 321هـ)، تعليق من أمالي ابن دريد، ت مصطفى السنوسي، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، 1984م
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الاشتقاق، ت عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م
- أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرئي (ت 360هـ)، الشريعة، ط2، دار الوطن، الرياض، 1999م
- أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع (توفي 306هـ/918م)، أخبار القضاة، ت عبد العزيز مصطفى المراغي، ط1، 1947م
- أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني (548 - 584 هـ = 1153 - 1188 م)، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ت عبد الله كنون، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1973م
- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (385 - 460هـ)، رجال الطوسي، ت جواد القيومي الاصفهاني، د ط، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1373هـ

- أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري (224-310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ
- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (ت 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م
- أبو حاتم محمد بن حبان، المجروحين، ت محمود إبراهيم زايد، ط1، دار الوعي، حلب، 1396هـ
- أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن أبي حديد (586 - 656 هـ)، شرح نهج البلاغة، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ت
- أبو حفص عمر بن الوردي (691 - 749 هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت 281هـ)، الاخبار الطوال، ت عبد المنعم عامر، ط1، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1960م
- أبو حيان التوحيدي (نحو 400هـ)، البصائر والذخائر، ت وداد القاضي، دار صادر بيروت، 1988م
- أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي (158 - 233هـ)، تاريخ ابن معين؛ رواية الدوري، ت أحمد محمد نور سيف، د ط، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1973م
- أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (426 - 489هـ)، الأنساب، ت عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد 1962م
- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (215 . 303هـ)، فضائل الصحابة، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (164 - 241هـ)، فضائل الصحابة، ت وصي الله محمد عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الامام أحمد، ت شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، النيسابوري (ت 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م
- أبو عبد الله بن محمد المشهور بالشيخ المفيد (ت 413هـ)، النصر في حرب البصرة، ط1، المطبعة الحيدرية، النجف، 1983م
- أبو عبد الله شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (673 هـ - 748هـ)، سير أعلام النبلاء، د ط، دار الحديث، القاهرة، 2006م

قائمة المصادر والمراجع

- أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (673 هـ - 748 هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م
- أبو عبد الله شهاب الدين، ياقوت الحموي (574 - 626 هـ)، معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، 1995م
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (194 - 256 هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422 هـ
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الأوسط، ت محمود إبراهيم زايد، ط1، دار الوعي، القاهرة، 1977م
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، اشرف محمد عبد المعيد خان، د ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، د ت
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري (حوالي 900 هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت احسان عباس، ص2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م
- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي المشهور بابن الأزرق (831 هـ - 896 هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، ت علي سامي النشار، ط1، وزارة الاعلام، العراق، د ت
- أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (544 - 606 هـ)، مفاتيح الغيب، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ
- أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (130 - 207 هـ)، فتوح الشام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م
- أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، المغازي، ت مارسدن جونز، ط3، دار الأعلمي، بيروت، 1989م
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي (130 هـ - 207 هـ)، كتاب الردة، ت يحيى الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م
- أبو عبد الله نعيم بن حماد (ت 228 هـ)، الفتن، ت سمير أمين الزهيري، ط1، مكتبة التوحيد، القاهرة، 1412 هـ
- أبو عبيد البكري (ت 487 هـ)، المسالك والممالك، د ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م
- أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (157 هـ/774 م - 224 هـ/838 م)، غريب الحديث، محمد عبد المعيد خان، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1964م
- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487 هـ)، معجم ما استعجم، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403 هـ
- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (112 - 208 هـ)، الديباج، ت عبد الله بن سليمان الجربوع، وآخرون، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م

قائمة المصادر والمراجع

- أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري (159 هـ - 255 هـ)، العثمانية، ت عبد السلام هارون، ط1، دار الجليل، بيروت، 1991م
- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت 421 هـ)، الأزمنة والأمكنة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ
- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (390 - 463 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجليل، 1981م
- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت 421 هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ت أبو القاسم إمامي، ط2، سروش، طهران، 2000م،
- أبو علي القاسم بن علي القالي (288 - 356 هـ)، أمالي القالي، خدمة محمد عبد الجواد الأصمعي، ط2، دار الكتب المصرية، 1926م
- أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت، 328 هـ)، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404 هـ
- أبو عمر شهاب الدين بن عبد ربه، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، د ط، مكتبة القرآن، القاهرة، دت
- أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (368 هـ - 463 هـ)، جامع بيان العلم وفضله، ت أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1994م
- أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن اول من تكلم بالعربية من الأمم، د ط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350 هـ
- أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو 314 هـ)، الفتوح، ت علي شيري، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، 1991م
- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني (280 - 334 هـ)، صفة جزيرة العرب، د ط، مطبعة بريل - ليدن، 1884م
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 - 276 هـ)، المعاني الكبير في ابيات المعاني، ت د سالم الكرنكوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1984م،
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، ت ثروة عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت

قائمة المصادر والمراجع

- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ
- أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 213هـ)، السيرة النبوية، ت مصطفى السقا وآخرون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955 م
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (384 - 456هـ)، جمهرة انساب العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جوامع السيرة، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت،
- أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا (421 - 475هـ)، الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (336 - 430هـ)، دلائل النبوة، ت محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986م
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، معرفة الصحابة، ت عادل بن يوسف العزازي، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1998م
- أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (451 / 526 هـ)، ت محمد حامد الفقي، الأحكام السلطانية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م
- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (بعد 292هـ). التاريخ، ت عبد الأمير مهنا، ط1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010م
- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (بعد 292هـ)، البلدان لليعقوبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ
- أحمد بن سهل الرازي (ت نحو 325)، أخبار فخر وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، ت ماهر جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م
- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت
- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلْأُذْرِي (ت 279هـ)، فتوح البلدان، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م
- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلْأُذْرِي، أنساب الأشراف، ت سهيل زكار وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1996م
- أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (292هـ). ، تاريخ واسط، ت كوركيس عواد، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1406هـ
- إسماعيل بن محمد الأصبهاني (457 - 535هـ)، سير السلف الصالحين، د ط، تكريم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض، د ت

- تقي الدين؛ أبو العباس المقرئ (766 - 845هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ت محمد عبد الحميد النميسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م
- جار الله الزمخشري (467 - 538هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412م
- جلال الدين السيوطي (849 - 911هـ)، الخصائص الكبرى، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت
- جلال الدين السيوطي تاريخ الخلفاء، ت حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، 2004م
- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ت حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مصر، 2004م
- جلال الدين السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، د ط، دار صادر، بيروت، د ت
- جمال الدين ابن منظور (630 - 711هـ)، لسان العرب، ط3 دار صادر، بيروت، 1414هـ
- جمال الدين عبد الملك بن هشام الحميري (708 هـ - 761 هـ)، التيجان في ملوك حمير، ط1، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية، 1337هـ
- جمال الدين يوسف بن عمر المزي (654 - 742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م
- جمال الدين يوسف بن عمر المزي (654 - 742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م
- جمال الدين، ابن المررد الحنبلي (840 - 909هـ)، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ت عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 2000م
- حرز الشاطري العسكري، مقتل أمير المؤمنين، ت السيد محمود الغريفي، مؤسسة السيدة المعصومة ودار حفظ التراث البحراني ط1، 1427هـ
- زكريا بن محمد بن محمود القزويني (605 - 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، د ط، دار صادر، بيروت، د ت
- سرحان بن سعيد الأزكوي (توفي بين 1177 - 1167هـ)، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ت محمد حبيب صالح وآخرون، ط2، 2013م، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان
- سليم بن قيس الهلالي (ت 76هـ)، الكتاب، ت محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط1، مطبعة الهادي، إيران، 1420هـ
- سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري (565 - 634 هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ
- السيد محسن آل السيد أحمد (1355 هـ ق)، مقتل علي بن ابي طالب، ت السيد محمود الغريفي، ط1، دار حفظ التراث البحراني، 1431هـ

قائمة المصادر والمراجع

- سيف بن عمر الأسدي التميمي (توفي 200 هـ - 815م)، الفتنة ووقعة الجمل، ت أحمد راتب عرموش، ط7، دار النفائس، بيروت، 1993م
- شهاب الدين النويري (677 - 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423 هـ
- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ
- عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي (ت337هـ)، أمالي الزجاجي، ت عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1987م
- عبد الرحمن بن خلدون (732 - 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م
- عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله أبو زرعة الدمشقي (ت280هـ): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ت شكر الله نعمة الله القوجاني، د ط، مجمع اللغة العربية، دمشق، د ت
- عبد الرحمن خلدون (732 - 808هـ)، المقدمة، ت محمد محمد تامر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م
- عبد الله محمد بن يزيد القزويني (209 - 273هـ)، سنن ابن ماجه، ت محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، دار احياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي، د ت
- عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (1049 - 1111هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م
- عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الحركوشي (ت407هـ)، شرف المصطفى، ط1، دار البشائر الإسلامية، مكة، 1424هـ
- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (350 - 429هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 116.
- عمر بن بحر الجاحظ (163 - 255هـ)، المحاسن والأضداد، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1432هـ
- كمال الدين بن العديم (588 - 660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ت سهيل زكار، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت
- كمال الدين بن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ت خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
- كمال الدين بن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ت خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م

قائمة المصادر والمراجع

- ليبد بن ربيعة بن مالك (ت 41هـ)، ديوان ليبد بن ربيعة العامري، ت حمدو طماس، دار المعرفة، ط1، 2004م
- مالك بن أنس (93 - 179هـ)، موطأ مالك ت محمد مصطفى الأعظمي، ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، 2007م
- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (1037 هـ - 1111 هـ)، دار احياء الكتب الإسلامية، إيران، د ت، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، د ط، مؤسسة الوفاء، بيروت، د ت
- محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبُرّي (بعد 645هـ)، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ت محمد التونجي، ط1، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، 1983م
- محمد بن ادريس الشافعي (ت 204هـ)، المسند، ت محمد عابد السندي، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1951م
- محمد بن إسحاق المدني (ت 151هـ): سيرة ابن إسحاق، ت سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1978م
- محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى الترمذي (209 - 279هـ)، الجامع الكبير، سنن الترمذي، ت بشار عواد معروف، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، المرتضى الزبيدي (1145 - 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، د ط، دار الهداية، د ت
- محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت 942 هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م
- محمد طاهر السماوي (ت 1370هـ)، ابصار العين في أنصار الحسين، ت محمد جعفر الطبسي، ط1، حرس الثورة الإسلامية، 1419هـ
- المطهر بن طاهر المقدسي (بعد 355هـ)، البدء والتاريخ، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د ت
- معمّر بن أبي عمرو راشد الأزدي (95 - 153هـ)، الجامع، ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، 1403هـ
- نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت 573هـ)، خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة، ت علي بن إسماعيل المؤيد وآخرون، ط2، دار العودة، بيروت، 1978م
- نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ملوك حمير وأقيال اليمن وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التابعة، ت علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، ط2، دار العودة، بيروت، 1978م
- نصر بن مزاحم المنقري (ت 212هـ)، وقعة صفين، ت عبد السلام هارون، د ط، دار الجليل، بيروت، 19

قائمة المراجع:

- إبراهيم الحيدري، الشخصية العراقية: البحث عن الهوية، ط1، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 2013م
- إبراهيم بيضون، ثورة الحسين حدثا واشكاليات، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2007م
- إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م
- إبراهيم بيضون، من دولة عمر الى دولة عبد الملك: دراسة في تكون الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1991م
- إبراهيم محمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، در الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، 2002م
- إبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، ط1، مطبعة رياض الريس، بيروت، 1999م
- احسان النص، العصية القبلية، ط2، دار الفكر، بيروت، 1973م
- احمد حسن شرف الدين، اليمن عبر التاريخ . دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة . ط2، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1962م
- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، د ط، المكتبة العلمية بيروت، لبنان، د ت،
- أكرم بن ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، ط1، كتبة العبيكان، الرياض، 2009م
- ايمن إبراهيم، الإسلام والسلطان والملك، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، 1998م
- بثينة بن حسين، الدولة الأموية ومقوماتها الأيديولوجية والاجتماعية، ط1، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، د ت
- بيومي محمد مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط2، دار المعرفة العلمية، بيروت، د ت
- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط2، دار الفكر، بيروت، 2001م
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار صادر، بيروت، 2001م
- جورجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، مطبعة الهلال، مصر، 1922م
- حسن عيسى أبو ياسين، شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1983م
- حسن عيسى، شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1983م
- حسين بن علي الويسي، اليمن الكبرى، ط2، مكتبة الارشاد، صنعاء، 1991م، ج1، ص 231.
- حسين مؤنس، تاريخ قريش، ط1، الدر السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1988م

- حمد بن محمد الجاسر، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط1، النادي الأدبي في الرياض، الرياض، 1981م، ج1، ص366.
- خليل عبد الكريم، قريش من القبيلة الى الدولة المركزية، ط2، الانتشار العربي، بيروت، 1987م
- زهير هوارى، السلطة والمعارضة في الإسلام، بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م
- سليمان البشير، مقدمة في التاريخ الآخر، د ط، القدس، 1984م
- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ الدولة العربية، د ط، مؤسسة شباب الجامعة للدراسات والنشر، مصر، د ت،
- السيد محمد الأمين، اعيان الشيعة، ت حسن الأمين، د ط، دار المعارف، بيروت، 1983م
- صالح احمد العلي، الكوفة وأهلها؛ دراسة في احوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2003م
- صالح محمد الرواضية، زياد بن ابيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام، ط1، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، 1994م
- عائق بن غيث الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1982م
- عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م
- عبد الله بن مرعي بن محفوظ الكندي، كندة ودورها في الجزيرة العربية، ط1، كندة للنشر والتوزيع، جدة، 2000م
- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط8، دار المعارف، مصر، 1968م
- علي نظري منفرد، قصة الكوفة: سيرة الامام علي من هجرته الى الكوفة لغاية استشهاده، ت محمود البديري، ط1، مكتبة الفقيه، الكويت، 2006م
- عمر بن رضا كحالة الدمشقي، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م
- فاضل الربيعي، شقيقات قريش . الأنساب، الزواج، الطعام في الموروث العربي، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 2002م
- فالح حسين، بحث في نشأة الدولة العربية الإسلامية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010م
- فكتور سحاب، ايلاف قريش، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، ص 8.
- قاسم شعيب، مشهد الفتنة؛ معارك التأويل في الإسلام الأول، ط1، الانتشار العربي، بيروت، 2014م.
- كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والاثريّة، د ط، مطابع دار الجمهورية بغداد، 1967م

قائمة المصادر والمراجع

- لطفی عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ط2، دار المعرفة العلمية، د ت
لويس شيخو اليسوعي، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ط2، دار المشرق، بيروت، 1989م
لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ت تقي بن محمد المصعبي، ط1، شركة دار الوراق، لندن، 2009م
محمد بن عبد الرزاق، كُرد علي، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م
محمد بن عبد الهادي بن رزان الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية 60 . 64هـ، ط2، دار طيبة للنشر
والتوزيع، الرياض، 2009م
محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت،
1411هـ
محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، ط2، دار المعرفة الجامعية، د ت
محمد حسين الفرخ، اليمن في تاريخ ابن خلدون، د ط، إصدارات وزارة السياحة والثقافة، صنعاء، 2004م
محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط1، دار النفائس، بيروت، 2003م
محمد عبد الحي شعبان، صدر الإسلام والدولة الأموية، د ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م
محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985م
محمد عبد القادر بافقيه، موجز تاريخ اليمن القديم، ضمن كتاب: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، د ط،
المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، 1985م
محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، ط7، المؤسسة الدولية للدراسات
والنشر، بيروت، 1996م
محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ط2 دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، د ت
ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ط7، دار المعارف بمصر، 1988م
هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000م
هشام جعيط، الكوفة؛ نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط3، دار الطليعة، بيروت، 2005م
وفاء فهمي السنديوني، شعر طيب وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،
1983م
يحيى الشامي، الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1986م،
يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، ط2، دار الفكر، دمشق،
1985م

قائمة المصادر والمراجع

يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة، ط2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،
مصر، د ت

يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام الى سقوط الدولة الأموية، ت محمد عبد الهادي أبو ريذة،
ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م

المراجع الأجنبية:

Karen Armstrong, Islam: A Short History by Modern Library, THE
MODERN LIBRARY, NEW YORK, 2002

Philip K. Hilti, The Near East in History A 5000 YEAR STORY K Van
Norstarnd Company Books, CANADA, 1961

SIR WILLIAM MUIR, THE CALIFATE ITS RISE,DECLINE,AND
1891,FALL, THE RELIGIOUS TRACT SOCITY, PICCADILLY

Lesley.Hazleton, After the Prophet: The Epic Story of the Shia-Sunni Split
in Islam Doubleday,new york, 2009

BERNAED LEWIS ,The Arabs in History, Secnd idition, Hutchinsons
university library, london,1954

Juan Eduardo Campo, Encyclopedia of Islam Facts on File,hermitage, us,
2009

الفهارس

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	اسم العلم
	حرف أ
111	أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري
30,31,32,34,35,35,154,155,165	أبرهة
111	ابن أبي سرح
-252-250-247-245-204-203-198-196-195-194	ابن الزبير
-393-392-290-287-286-281-279-277-275-274	
305-301-299-297-291-396-395-394	
328-324-322-320-318-315-314-313	
248-176-108-87-86-84-82-81-78-77	ابن خلدون
-256-253-231-156-155-154-152-85-21-17-16	ابن حجر العسقلاني
268	ابن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج
21	ابن زياد
-258-255-246-203-202-201-199-196-184-152	
-300-298-294-292-278-274-265-263-260-259	
327-319-314-313-311-309	ابن عباس
-123-119-117-111-107-106-102-96-95-88-78	
306-268-252-247-233-195-169-125	ابن عبد ربه
247-20-18-17-10	أبو أيوب الأنصاري
111	أبو بردة بن أبي موسى الأشعري
235-189	أبو برزة الأسلمي عبد بن نضلة
189	أبو بكر بن علي
264	أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي الهمداني
265	أبو ثور
16	أبو سعيد الخدري
78	أبو عثمان النهدي
316	أبو مالك بن أدهم
283	أبو موسى الأشعري
154-140-104-88-81	أبو نمران مالك بن عمرو النهدي
317	أبو واقد الليثي
352	عمارة بن ياسر
89-20	أبو بكر
-179-169-152-146-128-48-46-40-27-26-4-1	

264-246-245-181	أبو لبيد الجهضمي
88	الأحنف بن قيس
322-303-253-247-195-143-123-92-18	أدهم بن محرز الباهلي
287-283-276	أدهم بن محرز عبد الملك
284	أسامة بن زيد
78-77	إسحاق بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي
193	أسماء بن خارجة
263-199-195-193	إسماعيل بن إبراهيم
10	الأسود العنسي
35-26-17-3	الأسود بن جراد الكندي
315-302	الأشرس بن عوف الشيباني
203-107	الأشعث بن قيس
-98-97-96-95-81-53-44-28-27-26-25-24-23	الأشعث بن مثناس السكوني
145-134-119-115-111-104-102-99	
81	الأعور السلميّ
25	أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجرج
273	أنس بن الحرث الكاهلي الأسدي
حرف ب	
189	بريدة بن الحصيب الأسلمي
267	برير بن خضير الهمداني
197	بسطام بن مصقلة
30-13-12	بلقيس
70-53-20-19-14	بنو الحارث بن كعب
حرف التاء	
342-154-28-24-14-13	التبابعة
30	تبان بن ملكيكرب
14	تبع الأصغر أسعد أبو كرب
حرف الجيم	
81	جابر المزنيّ
252-218	جابر بن عبد الله
283	جبلة بن عبد الله الحثعمي
238-219-204-182-152-133-90-44-34	جرير بن عبد الله البجلي
264	جعفر بن علي

112	جمرة بن سنان الخارجي
272-270-116	جندب بن عبد الله الأزدي
30	جوستين الأول
حرف الحاء	
10	الحارث بن حجر
281	الحارث بن زفر الكلابي
323-184-70-53-21-20-19-15-14	الحارث بن كعب
29	الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث
23	الحارث طلبان بن عمرو
191	حارثة بن صخر القيني
81	حبيب بن مسلمة
271-252-218	حبيب بن مظاهر
21	الحجاج بن عبد يغوث بن عمرو بن الحجاج الزبيدي
-180-179-177-152-151-138-127-74-72-21	الحجاج
-208-204-203-202-201-200-197-196-195-186	
-304-291-287-271-270-262-224-220-219-218	
307-305	
262-255	حجار بن أبجر العجلي
70-52-28	حجر بن عدي
273	الحر بن يزيد اليربوعي التميمي من بني رياح
112-105-73-72-69-67	حرقوص بن زهير السعدي
106	حُرْقُوص بن زهير
78	حسّان بن ثابت
10	حسان بن تبع الحميري
319	حسان بن محدوج الذهلي
186	الحسن البصري
-219-214-207-195-193-178-172-168-167-102	الحسن بن علي
291-250	
23	حسن بن عمرو بن تباع
-271-268-265-257-251-250-247-152-24-23	الحسين بن علي
333-276-274-272	
252	الحسين مسلم بن عقيل بن ابي طالب
263	حصين بن تميم الطهوي التميمي

302-283-267 289 164-106 320 266 236	الحصين بن نمير حكيم بن منقذ الكندي حمزة بن سنان حميد بن مسلم الأسدي حنظلة بن أسعد الشبامي حيان بن ظبيان السلمي
حرف الخاء	
162-66-55-40-27-25-21-20-17-16 223-220-201-189 184 85 107 12	خالد بن الوليد خالد بن عرفطة خالد بن معدان الطائي خالد بن ملحج خرج زيد بن حصين خولان مفترشة
حرف الذال	
16 31-30-20	ذبابا الزبيدي ذو نواس
حرف الراء	
78-77 228-216 25 283 -295-289-287-284-283-277-269-252-227-218 319-310-269 318 318	رافع بن خديج الربيع بن زياد الحارثي ربيعة ابن الحارث ربيعة بن المخارق الغنوي رفاعة بن شداد رفاعة ابن قمامة المزني رزين عبد السلولي
حرف الزاي	
197 -129-107-101-87-85-84-83-82-78-77-73-72 -177-167-156-152-148-145-142-138-136-131 -223-204-202-199-198-196-195-194-192-178 -283-282-279-277-275-294-270-252-250-247 -313-310-306-303-296-294-293-292-291-286 335-328-316-315	زاجر بن عبد الله الثقفي الزبير

339-32-15	الزخشري
321-189-44	زهرة بن حوية السعدي
274-268	زهير بن القين البجلي
-253-237-188-54	زياد بن أبي سفيان
344-207-193-192-187-186-182-179	زياد بن ابيه
191	زياد بن خراش العجلي
78	زيد بن ثابت

حرف السين

85	سالم بن ثعلبة العبسي
224-195-81	السائب بن الأقرع
219-204-138-49-21-20-19	سعد العشيرة
-223-220-204-194-189-90-59-52-51-44-21	سعد بن ابي وقاص
301-295-294-278-263-258-256-253-237	
309-299-296-283-218	سعد بن حذيفة بن اليمان
191	سعد بن حذيفة
291	سعد بن مسعود
6	سعد بن معاذ
319-299-289	سعر بن أبي سعر الحنفي
272-218	سعيد بن عبد الله الحنفي
141-83	سعيد بن قيس الهمداني
267	سفيان بن ليلى الهمداني
78	سلمة بن سلامة
316	سليم بن يزيد الكندي
289-276-272-271-218-217-95-73-70	سليمان بن صرد الخزاعي
184	سماك بن عبيد العبسي
53-27	السمط بن الأسود
196	سويد بن عبد الرحمن المنقري التميمي
156-134-14	السيد

حرف الشين

262-255-100-99	شيث بن رعي التميمي
218-204-196	شيث بن رعي اليربوعي
21	شداد بن عبد الله القناني
27	شراحيل بن حسنة الكندي

283	شرحبيل بن ذي كلاع
26	شرحبيل بن عبد العزيز الصدي
106	شريح بن أوفى العبسي
85	شريح بن أوفى بن ضبيعة
184	شريك بن الأعور
191	شعيب بن زيد بن السائب
198	شمر بن ذي الجوشن الضبائي الكلابي العامري
-298-297-269-263-262-260-255-224-198-152	شمر بن ذي الجوشن
314-310-301-300	
20-12	شمر يهرعش
266	شوذب بن عبد الله الشاكري الهمداني
حرف الصاد	
280	صخير بن حذيفة المزني
216-186-13-138-73	صعصعة بن صوحان العبدي
78-77	صهيب بن سنان
حرف الضاد	
251	الضحاك ابن قيس الفهري
334-332	الضحاك بن قيس
حرف الطاء	
168-138	طارق بن شهاب
-101-88-87-85-84-83-82-79-78-77-72-11	طلحة
296-295-294-223-16-131-129	
318-301-291-218	ظبيان بن عمارة التميمي
حرف العين	
266	عابس بن أبي شبيب الشاكري الهمداني
271-266	عابس بن ابي شبيب
80	عاصم بن كليب الجرومي
233	العاقب
17	عامر بن شهر
277	عامر بن مسعود الجمحي
194	عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي
-162-131-129-121-101-87-86-84-82-79-48-6	عائشة
219-215-204-194-178	

181-137-25	العباس بن عبد المطلب
322-302-232-169	عبد الرحمن بن جندب
267	عبد الرحمان بن عبد الله بن الكدر الأرحبي الهمداني
272	عبد الرحمان بن عبد الله بن الكدر الأرحبي وعمارة بن عبد السلولي
250	عبد الرحمن بن ابي بكر
224-194	عبد الرحمن بن قيس الأسدي
264	عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الأزدي
223-194	عبد الرحمن بن هناد
95	عبد الله ابن عباس
106	عَبْدُ اللَّهِ ابن وهب
234-224-195	عبد الله بن أبي عقيل الثقفي
123-81	عبد الله بن الحضرمي
-274-251-250-248-247-234-194-177-148-138	عبد الله بن الزبير
323-315-305-303-296-293-292-291-283-275	
78	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ العباس
100-99-73-70	عَبْدُ اللَّهِ بن الكواء اليشكري
188-180-95-74-69	عبد الله بن بديل
318	عبد الله بن جعدة القرشي
95	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
277-264-252-168-95	عبد الله بن جعفر
264	عبد الله بن حسن
319	عبد الله بن حية الأسدي
86	عبد الله بن خلف الخزاعي
318	عبد الله بن زهير السلولي
266	عَبْدُ اللَّهِ بن سبيع الهمداني
289-283-282-278-276-218	عبد الله بن سعد بن نفييل
78	عبد الله بن سلام
17	عبد الله بن سلمة خطيبا
112	عبد الله بن شجرة السلمي
316	عبد الله بن شريك النهدي
317	عبد الله بن ضمرة العذري
231-184-177-173-170-133-113-83-82-81	عبد الله بن عامر
-249-193-168-125-104-88-98-96-90-88-81	عبد الله بن عباس

322-292-252	
189	عبد الله بن عقيل
-234-232-193-182-157-146-122-109-90-49	عبد الله بن عمر
296-292-275-250-249-247	
270	عبد الله بن عمير الكلبي
21	عبد الله بن قريظ الزياتي
81	عبد الله بن قيس الغزاري
17	عبد الله بن مالك الأرحبي
-297-296-294-274-196	عبد الله بن مطيع
271-218	عبد الله بن وال التيمي
112-110-107-105	عبد الله بن وهب الراسبي
277	عبد الله بن يزيد الأنصاري
294-279-277	عبد الله بن يزيد الخطمي
14	عبد المدان بن الريان الحرثي
316	عبد الملك بن أشاء الكندي
328-323	عبد الملك بن مروان
196	عبد المؤمن بن شيبث
303-273	عبيد الله بن الحر الجعفي
-254-253-251-237-236-232-196-192-164-152	عبيد الله بن زياد
-277-276-275-274-273-264-261-258-256-255	
-316-314-312-310-309-302-299-292-283-278	
318-317	
169-168-82-81	عبيد الله بن عباس
135-95	عبيد الله بن عمر
253-223-200	عبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي
255	عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي
107	عتريس بن عرقوب الشيباني
81	عتيبة بن النهاس
83-82-81-42	عثمان بن حنيف
-52-51-50-47-45-41-34-33-19-18-15-13-1	عثمان
-66-65-64-62-60-60-59-58-57-56-55-54-53	
-83-82-81-80-79-78-77-76-71-70-69-68-67	
-120-118-113-108-106-103-102-97-92-84	

-137-136-135-134-133-132-131-130-129-126
-166-158-155-154-153-148-147-146-140-138
-192-186-184-182-181-178-177-175-168-167
-215-210-209-207-204-201-199-196-194-193
-232-231-230-229-228-227-226-225-221-220
-253-252-246-245-244-241-238-236-234-233
322-316-313-300

301

عديّ بن حاتم

264

عروة بن هانيء

262

عزرة بن قيس الأحمسي

81

عقبة بن عمرو

26

عُكاشة بن مُحصن

85

علباء بن الهيثم

141

علة بن مخلد الذهلي

30

علس بن الحارث بن زيد بن الغوث

81

علقمة بن حكيم الكندي

331-333-313-306-301-264-17-4

علي بن الحسين

291-287

علي بن ابي طالب

-148-147-146-140-95-89-83-74-56-46-20

عمار بن ياسر

181-157

88-82-81

عمارة بن شهاب

267

عمارة بن عبد السلولي

194

عمارة بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي

253-237-194

عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري

-264-261-258-256-253-237-223-202-198-194

عمر بن سعد

301-295-294-278-274-271-270-269

317

عمر بن عبد الله النهدي

265

عمران بن كعب

262

عمرو ابن الحجاج الزبيدي

234-230-229-227-215-194-95-73-70-69-67

عمرو بن الحمق

-126-122-121-120-109-104-103-98-97-89-79

عمرو بن العاص

203-158-156-154-150-144-134-132-128-127

85

عمرو بن جرموز التميمي

193-189	عمرو بن حريث المخزومي
272	عمرو بن خالد الصيداوي
252-247-236	عمرو بن سعيد
253	عمرو بن عبد الله الضبابي.
253	عمرو بن عبيد الله بن معمر
270-265	عمرو بن قرظة
19-15	عمرو بن معد يكرب الزبيدي
16	عميرة بن مالك الخارفين
21-19	عَنَس
258	عِيهمة بن زهير
حرف الفاء	
264	فاطمة بنت الحسين
112	فروة بن نوفل الأشجعي
236-78-77	فضالة بن عبيد
حرف القاف	
78-77	قدامة بن مظعون
197	الققعقاع بن شور الذهلي
81	الققعقاع بن عمرو
159-11	القلقشندي
262-261-258-198	قيس بن الأشعث
253	قيس بن الهيثم
232-189	قيس بن خالد
214	قيس بن سعد
-172-171-170-169-143-130-120-112-111-81	قيس بن فروة
214-188-173	
حرف الكاف	
316-303	كثير بن إسماعيل الكندي
261-260-255-224-223-220-199	كثير بن شهاب
187	كسرى أنوشروان
235-233-78	كعب بن عجرة
319	كيسان أبو عمرة مولى لعريثة
140-78-77-56	كعب بن مالك
حرف اللام	

195 318-312	ليبيد بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي ليلى بنت قمامة المزنية
	حرف الميم
102-91-85-73-70-69 16 253 17-16 289-284 194 259-194 259-194 187-39 303-300-253 -303-302-301-300-261-260-255-253-219-198 304 264 -310-306-305-301-297-291-287-286-285-184 315-312 247 198 318-224-195 262-218-204 320-299 78-77 264-162-141-83 23 299-282-277-276-274-251-250-206-85 179 183 97 291-253 27 -263-262-260-256-254-253—238-237-204-27	مالك بن الحارث الأشتر النخعي مالك بن أيفع السلماني مالك بن مسمع البكري مالك بن نمط المثنى بن مخزبة العبدي محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس محفز بن ثعلبة العائذي محمد بن أبي بكر محمد بن إسحاق محمد بن الأشعث الكندي محمد بن الأشعث محمد بن الحسين محمد بن الحنفية محمد بن عمرو بن حزم محمد بن عمير التميمي محمد بن عمير بن عطارد التميمي محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب التميمي محمد بن كعب بن قرظة محمد بن مسلمة مخنف بن سليم الأزدي المرار بن عمرو مروان بن الحكم مروان وعبد الملك المستورد بن علفه التميمي مسعر بن فدك التميمي مسعود بن عمرو مسعود بن عون مسلم بن عقيل

292-285-278-276-272-271-269-266-265	
263	مسلم بن عمرو الباهلي
271	مسلم بن عوسجة الأسدي
236-121-120-78-77	مسلمة بن مخلد
-282-280-278-277-276-272-218-124-73-71	المسيب بن نجبة
289-285-283	
34-3	مسيلمة
271-252	المسيب ابن نجبة
197	مصقلة بن هبيرة الشيباني
191	معاذ الطائي
315	معاذ بن هانئ بن عدي الكندي
236-235-230-155-127-122-104-81	معاوية بن أبي سفيان
10	معد بن عدنان بن أد
23	معديكرب بن جبلة
-217-203-186-184-119-118-116-84-73-71-69	معقل بن قيس الرياحي
274-271-222	
253	المنذر بن الجارود
223-194	المنذر بن الزبير بن العوام الأسدي
23-10	المنذر بن ماء
223-194-137	موسى بن طلحة
95	الميسرة الحارث بن مرة العبدي
حرف النون	
269	نافع بن هلال الجملي المرادي
31-30-2	النجاشي
197	النضر بن القعقاع
253-238-236-235	النعمان بن بشير الأنصاري
320-298-134-95	نعيم بن هبيرة
191	نهر عبد الرحمن بن أم الحكم
حرف الهاء	
193	الهيثم بن الأسود أبي العريان
95	هاشم بن عتبة بن أبي وقاص
95	هاشم بن عتبة
254-253-220-219-204-201-184-159-153	هانئ بن عروة المرادي

267 -49-48-29-24-22-19-18-17-16-15-14-13-12 71 193 2	هائى بن هائى السببى الهمدانى الهمدانى الهملى بن أفر هائى بن عبد مناف
حرف الواو	
251 279	الوليد بن عتبة بن أبى سفبان الوليد بن غصن الكنانى
حرف الياو	
-43-42-41-36-30-29-28-24-19-13-12-11-3-2 -257-197-189-172-171-161-110-80-65-48-44 323-312-280-271-263 222 262 21 247 21 91 -258-253-247-237-236-234-202-199-192-151 298-294-293-292-286-275-274-263-259 97 81 258	ياقوت الحموى يحيى بن سعيد يزيد بن الحرث بن يزيد بن روم الشيبانى يزيد بن المحجل يزيد بن المقنع يزيد بن عبد المدان يزيد بن قيس الرحبى يزيد بن معاوية يزيد بن هائى يعلى بن منبىة يونس بن حبيب

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن

رقم الصفحة	الأماكن
حرف الألف	
318-305-299-262-195-169-158-134-103-102-81-53	أذربيجان
93-81-27	الأردن
203-173-102-81	أصبهان
9	الإمارات
-92-91-83-82-81-76-71-67-66-64-56-49-47-10-8-7-4	الامصار
-194-192-179-156-139-137-136-135-131-128-126-116	
328-321-249-239-238-206-205	
248-246-153-66-17-5	الأندلس
حرف الباء	
30	البتراء
19-11	بحر القلزم
28-11	بحر الهند
219-202-181-81-44-23-22-10	البحرين
200-159	حضر موت
223	براقش
-88-87-86-85-84-83-82-81-78-77-72-67-66-65-47-42	البصرة
-122-119-117-116-113-112-111-108-107-106-95-90-89	
-181-173-172-161-148-143-140-137-134-133-132-125	
-249-246-232-331-217-210-206-204-203-197-195-191	
315-311-304-303-301-289-284-283-277-275-253	
11	بطلحة الملك
11	بطن تامة
13	بغمدان
29	بلاس
112	البندنجين
291-159	البون
28	بينون
13	بيت لعوة
326-161	بيزنطة

13	بيت زود
حرف التاء	
220-33-32-17	تبوك
122-30-24-18	تدمر
13	تلفم
حرف التاء	
13	ثنين
حرف الجيم	
157-152-14-11	جرش
189-161	الجزيرة العربية
293-182	الجنند
37-1-16-15	الجوف
الحبشة	
30-16-15-10-9-2	الحجاز
-249-234-206-185-128-124-83-31-23-21-19-11-10-4	حضر موت
234-299-290-275-274-251-250	
-44-32-29-27-26-23-22-21-20-19-15-14-13-12-11-10	
264-261-255-227-222-220-208-200-141-102-52-45	
309-299-215-199-196-103-81	حلوان
324-238-236-230-156-93-81-66-53-32-27-15	حمص
11	حمضة
-30-29-28-26-23-22-20-19-15-14-13-12-10-9-4-3-2	حمير
-152-146-142-141-83-72-63-54-49-46-45-40-36-34-32	
311-289-282-203-158	
183	الخيرية
حرف الخاء	
228-216-193-189-188-33-19-18	خراسان
235-232-162-61-60-58-48-14-13	خمر
49-48-47-19-14-13	حيوان
حرف الدال	
119-112	الدسكرة
251-238-234-233-215-199-173-133-123-99-93	دمشق
38-25-10	دومة الجندل
321-273-263-189-44	الديلم
حرف الراء	

14	الرّضراض
161-95-94-32-30-21-9-5-4-3-2	الروم
56-52	الري
14	رثام
26-14	ريدان
حرف الزاي	
254	الزارة
حرف السين	
146-48-30-29-20-18-15	سبأ
-303-302-301-297-267-266-220-218-204-54-48-47-13	السيبع
320-319-316-313-312	الستد وهو العرم
13	سلحين
28-13	
حرف الشين	
-39-38-35-31-28-27-21-19-18-14-13-11-8-6-5-4-3-2	الشام
-96-95-94-87-83-81-78-77-71-66-58-55-51-50-47-40	
-142-140-138-123-116-11-110-106-104-103-101-98-97	
-208-194-193-171-164-163-156-155-148-145-144-143	
-278-277-259-254-250-249-246-244-241-236-235-212	
324-323-316-311-302-300-290-287-280	
29-11	شبه الجزيرة
حرف الصاد	
29	صحب
26	صحراء صهيد
28	صرواح
29	صعدان
19-14	صعدة
-113-112-111-109-106-104-103-101-99-95-51-47-34	صفين
-147-146-143-141-138-137-129-123-121-117-115-114	
-232-228-196-193-179-172-164-163-162-156-152-150	
320-317-276-263-236	
19	الصمصامة
81-32-31-30-29-28-26-19-15-14-13-12-11-9	صنعاء
حرف الطاد	

305-292-291-250-234-232-182-180-124-81-21-7	الطائف
	حرف عين
-125-96-95-55-25-51-50-49-47-42-41-38-28-21-18-8 -229-226-225-208-171-170-159-156-151-147-146-140 -299-292-284-277-275-273-271-256-251-250-244-234 328-327-326-325-323-322-311-305 10-2 26-23-13-12-11 28	العراق عكاظ عمان العنقاء
	حرف الغين
218-117-93-70-52-48-44-29-24-16-14-9 32-28 22-10	غسان غمدان غمر ذي كندة
	حرف الفاء
-95-89-67-63-62-60-58-55-53-47-46-41-32-21-11-10 309-303-397-383-147-124-118-117-112-111 236-93-89-81	فارس فلسطين
	حرف القاف
321-302-189-122-67-65-55-54-53-52-44-28-21-18-6 133-88-81 299-283-282-281 13 28-13 13 281 193-282	القادسية قرقيسيا قرقيسياء القشيب قصر بلقيس القشيب قصر سليمان القيارة قيس
	حرف الكاف
-52-50-44-43-29-28-27-26-24-23-22-20-13-12-10-9-2 -189-160-159-158-145-144-141-138-102-95-93-66-53 -299-297-289-264-261-254-253-227-223-221-213-208 319-315-303-302 -189-155-146-141-95-93-83-73-72-71-45-44-26-23-11 281 9	كندة كنانة كلخيم

<p style="text-align: right;">11</p> <p style="text-align: right;">275-258</p> <p style="text-align: right;">-53-52-51-50-49-48-47-4546-44-42-41-38-18-8-7-1</p> <p style="text-align: right;">-72-70-69-66-65-64-63-62-61-60-59-58-57-56-55-54</p> <p style="text-align: right;">-96-93-92-91-90-89-88-87-86-85-84-83-82-81-80-78</p> <p style="text-align: right;">-140-139-129-128-122-120-115-112-110-105-100-99</p> <p style="text-align: right;">-205-202-201-200-199-190-193-192-162-158-151-147</p> <p style="text-align: right;">-245-240-239-236-235-230-229-225-220-215-212-210</p> <p style="text-align: right;">-290-275-271-270-266-262-260-259-255-252-250-248</p> <p style="text-align: right;">-316-315-312-300-299-296-292-290-285-282-281-280</p> <p style="text-align: right;">324-321-320</p> <p style="text-align: right;">29</p>	<p style="text-align: right;">كرومل</p> <p style="text-align: right;">كربلاء</p> <p style="text-align: right;">الكوفة</p> <p style="text-align: right;">كوكبان</p>
حرف الميم	
<p style="text-align: right;">36-30</p> <p style="text-align: right;">-163-152-151-150-115-107-106-93-91-53-52-51-42-18</p> <p style="text-align: right;">-215-206-204-203-195-190-186-184-183-171-170-169</p> <p style="text-align: right;">323-320-291-283-277-247-229</p> <p style="text-align: right;">-49-42-40-39-35-33-31-29-27-25-17-8-7-6-4-4-3-1</p> <p style="text-align: right;">-87-82-81-80-79-78-77-76-72—69-67-66-63-61-59-57</p> <p style="text-align: right;">-168-160-140-136-135-131-123-122-112-101-97-93-92</p> <p style="text-align: right;">-258-256-252-249-238-236-235-223-207-205-189-175</p> <p style="text-align: right;">316-311-309-301-299-291-291-274-261</p> <p style="text-align: right;">319-318-313-310-304-303-118</p> <p style="text-align: right;">-50-49-47-45-44-36-29-28-24-21-20-19-18-16-13-10</p> <p style="text-align: right;">-208-201-199-158-153-152-146-141-138-93-83-55-52</p> <p style="text-align: right;">319-303-302-269-255-222</p> <p style="text-align: right;">28</p> <p style="text-align: right;">-93-89-87-85-81-72-69-67-66-56-54-53-48-46-31-21</p> <p style="text-align: right;">-205-182-154-150-132-130-123-122-121-120-119-115</p> <p style="text-align: right;">324-315-308-295-290-235-224-209-206</p> <p style="text-align: right;">291-220-123-106-90-87-82-74</p> <p style="text-align: right;">-79-78-77-61-41-38-33-23-20-19-16-12-11-7-6-3-2-1</p> <p style="text-align: right;">-168-147-146-137-125-124-123-122-104-87-82-81-80</p>	<p style="text-align: right;">مأرب</p> <p style="text-align: right;">المدائن</p> <p style="text-align: right;">المدينة</p> <p style="text-align: right;">المدار</p> <p style="text-align: right;">مذحج</p> <p style="text-align: right;">مشعبة</p> <p style="text-align: right;">مصر</p> <p style="text-align: right;">معركة الجمل</p> <p style="text-align: right;">مكة</p>

-268-266-258-257-252-251-249-233-218-195-181-180 301-295-293-292-291-286-277-270 9 55-10 9 274-177 257-206-28	الممالك الجنوبية المناذرة المناطق الصحراوية موقعة الحرة موكل
حرف النون	
44-30-21-20-19-14-13-10 -116-115-113-110-108-107-106-105-103-84-74-55-51 288-287-257-228-209-208-164-128-126-119-117	نجران النهروان
حرف الهاء	
-44-43-32-29-28-24-22-19-18-17-16-15-14-13-12-10 -142-141-138-137-93-91-83-73-54-49-48-47-46-45 -298-267-265-227-224-222-218-199-153-145-144-143 312-311-309-307-304-301 156-142-28-24-11-9-4 283-281-151-123	همدان الهند هيت
حرف الواو	
85 36-30-26-22-13	وادي السباع قرية مأرب
حرف الياء	
11 1 13 139-67-51-27-21-18 324-290-275-218-132-36-24-23-20-11-10 -30-29-26-25-21-21-20-19-18-15-13-12-11-10-9-8-2 -73-71-70-69-56-50-49-48-44-42-40-39-38-36-34-32 -155-132-128-124-122-116-105-92-91-87-81-76-75 222-198-164-163-156	يبيرين يثرب يحصب البرموك اليمامة اليمن

فهرس القبائل والشعوب

فهرس القبائل والشعوب

رقم الصفحة	الأماكن
حرف الألف	
95	الأتراك
32-31-30-9	الأحباش
29	الأذواء
299-289-284-228-218-202-189-171-143-59-52	الأزد
-124-122-105116-92-91-87-81-76-75-73-71-70-69-8-2	أسد
222-198-164-163-156-155-132-128	
29-28	الأصابع
-137-120-110-92-78-77-74-70-74-70-63-51-46-45-42	الأنصار
294-265-236-180-143-141-140-138	
-29	أنمار
51-141	الايوس
حرف الباء	
-141-138-133-119-93-89-83-52-51-50-47-45-44-43-29	بجيلة
323-310-298-289-286-202-189	
258	بنو أسد
318-263-87	بنو تميم
248-234-176	بنو أمية
161-31-30-8	بنو هاشم
حرف الجاء	
297-273-270-219-204-202-152-51-50-49-21-20-19	جعفي
حرف حمير	
-63-54-49-46-45-36-35-34-33-31-30-29-28-26-22-13-10	حمير
311-307-286-289-158-153-144-141-140-83	
حرف الخاء	
364-236-34-15	خولان
236-141-10-1	الخزرج
289-276-227-218-138-141-110-93-95-2-51-70	خزاعة
-226-225-222-189-141-93-83-51-45-44-38-29-20-14-2	ختنعم
316-310-304-300-298-297-283-264-227	
حرف الدال	

29	الدرون
8	الدهاقين
حرف الذال	
154-29	ذو أصبح
30-29	ذو جدن
29	ذو كلاع
33	ذي رعين
حرف الراء	
218-183-141-128-95-93-84-45-44	الرياب
161-95-94-32-30-21-9-2	الروم
حرف الزاي	
-204-201-146-60-51-49-48-42-29-21-20-19-16-15-12	زبيد
300-298-262-224-219-218	
حرف السين	
32	الساسانيون
264-37	سلامان
حرف الشين	
313-306-266-264-145-142-29-52-47	شيام
حرف الطاء	
-162-161-160-141-140-93-83-59-54-49-46-42-40-35-2	طيء
227-220-218-163	
حرف العين	
235-217	عاملة
303-301-291-265-218-141-108-93-83-72-71-45-44-37-26	عبد القيس
36-33-29	عبد كلال
-32-30-29-25-20-19-18-16-15-13-12-10-9-6-5-4-3-2-1	العرب
-78-70-63-60-54-53-52-51-50-49-48-46-45-42-40-39-38	
-120-116-115-105-103-100-99-96-95-90-89-86-85-82	
-155-152-150-145-142-140-139-136-135-132-129-125	
-198-190-186-182-180-179-176-172-170-168-160-159	
-265-255-250-256-239-238-236-222-215-210-203-199	
326-323-321-320-315-311-309-308-303-300-290-285-274	
21-19-10	عنس
حرف الغين	

218-117-93-70-52-48-44-24-16-29-14-9-2	غسان
حرف الفاء	
-162-99-64-44-42-38-35-32-31-30-28-21-15-16-9-2 195-189-171	الفرس
القاف	
-93-87-83-63-56-45-39-38-33-25-21-17-13-10-9-3-2-1 -189-180-175-152-147-146-141-140-137-107-102-96-95 -263-259-248-246-239-234-232-229-224-223-194-193 327-318-303-293-274 316 303-299-291-189-141-83-70-15-10 193	قريش قضاة قيس عيلان قيس مضر
حرف الكاف	
327-275-264-227-39-38 189-155-146-141-95-93-83-73-72-71-45-44-26-25-23-11 281 -52-50-45-44-43-29-28-27-26-25-24-23-22-20-13-12-9 -189-160-159-158-145-144-141-138-102-95-93-80-66-53 -261-258-255-254-234-228-227-223-222-221-213-208 319-315-303-302-299-297-289-264	كلب كنانة كندة
حرف اللام	
139-133-95-94-93-9	لخم
حرف الميم	
-50-49-47-45-44-36-29-28-24-21-20-19-18-16-15-13-10 -152-151-147-146-141-139-138-93-83-70-55-54-52-51 -269-261-255-223-222-202-201-199-198-189-158-153 319-313-303-302-298-270 -254-220-153-138-131-128-121-69-51-28-20-19-15-10 269-255 318-289-287-189-148-84-77-43 315 -108-103-102-98-93-85-84-73-72-71-70-44-39-38-20-19 303-289-265-228-222 184-55-29	مذحج مراد مزينة مسلية مضر معدان

29	ملحان مهرة
208-201-159-141-99-69-53-49-48-34-26-24-23-19	حرف النون
313-274-203-164-118-117-84-71-26	ناجية
265	النمر بن قاسط
317-316	نهد
	حرف الهاء
-48-47-46-43-33-32-24-22-19-18-17-16-15-14-13-12-10 -146-144-145-138-137-116-100-93-83-73-71-54-50-49 -294-289-268-265-227-224-222-220-201-189-184-153 312-311-308-304-302-301	همدان

ملخص الأطروحة:

تهدف الأطروحة الى البحث في العلاقة بين التشيع بوصفه منظومة فكرية عقديّة وكتلة سياسية راغبة في السلطة وبين القبائل اليمنية الى استوطنت الكوفة بعيد تمصيرها وكانت عناصرها من بين أهم المصادر التي غذت التيار الشيعي الذي ساند عليا في نزاعه مع مخالفيه ثم تحولت الى صف المعارضة لما استتب الأمر لمعاوية ومن خلفه. وقد توزعت مهمة استقصاء على أربعة فصول تخصص كل فصل منها في بحث طبيعة العلاقة واشكال الفعل التاريخي حسب فترة زمنية محددة رسمتها خصوصية الأحداث المهمة فيها؛ حيث تجرد الفصل الأول للتنقيب في الجذور الجغرافية والاثنية للقبائل اليمنية في مراتبها الأولى في اليمن واطرافه والسياقات التاريخية التي انخرطت فيها هذه القبائل في الإسلام ومن ثمة في حركة الفتوحات الكبرى التي قادتها من مواطنها باليمن الى الأمصار الجديدة خاصة الكوفة. كما جرى البحث في حيثيات تمصير الكوفة وإجراءات توطين القبائل فيها خاصة القبائل اليمنية حيث دشنت هذه العملية بداية الفعل السياسي في الأمصار وجعلت الكوفة أهم مصر قاد عملية الاعتراض على الخليفة عثمان وقتله في النهاية. اما الفصل الثاني فقد تخصص في البحث في سياقات ظهور التشيع وتحوله من الطبيعة السياسية الى الدينية في ارتباطه بشخصية علي على خلفية الصراع الذي خاضه علي ضد معارضيه بداية من استخلافه الى غاية مقتله والدور الهام الذي قامت به القبائل اليمنية في دعمه ونصرته وتحليل اللحظة التاريخية التي اخذ التشيع فيها يتحول الى منظومة دينية. اما الفصل الثالث فقد انحصر في استقصاء اشكال العلاقة المتوترة بين السلطة الأموية والقبائل اليمنية في الكوفة التي انخرط كثير من أبنائها في حركات الاعتراض التي بلغت ذروتها في حركة حجر بن عدي الكندي ثم في حركة الحسين بن علي وقد باءتا بالفشل وتحقق للسلطة الأموية الممثلة بمعاوية ثم ابنه يزيد من بعده القضاء على حجر والحسين. كما جرى في هذا الفصل البحث في الأدوات التطويعية والترويضية التي مارستها السلطة الأموية في العراق عموما وفي الكوفة خصوصا لغرض اجهاض الكتلة الشيعية وفك وحدتها ولحمتها. وتم في الفصل الرابع بحث النشاط الشيعي المسلح الذي قام في وجه السلطة الأموية بعد مقتل الحسين الذي مثلته حركة التوابين ثم حركة المختار بن عبيد الثقفي من خلال استعراض الظروف التي قادت الى الثورة وتسليط الضوء على الدور اليمني الذي عزز من قوة هاتين الحركتين رغم فشلهما في النهاية. وقد خلص البحث في الأخير الى جملة استنتاجات أجملتها فيما يلي:

- . اختارت القبائل اليمنية بالكوفة مساندة علي لأسباب عدة أهمها العلاقة التاريخية التي ربطت بين علي وبعض قبائل اليمن حينما بعثه النبي داعيا ومعلما والأمر الآخر هو مشروع التسوية وعدم التفضيل الذي رفعه علي في وجه دعاة الإبقاء على السياسة المالية التي سنّها عمر. إضافة الى حضور بعض الموروثات التاريخية لبعض القبائل التي عرفت في تاريخها تقاليد ملكية مثل كندة وحمير والتي تتفهم الشكل الوراثي السلالي للحكم.
- . استمرت القبائل اليمنية في دعمها للحسن بن علي لكن سياسة الترغيب والترهيب التي مارسها معاوية ضدها نجحت في احداث بعض الشروخ التي ظهرت في المواقف المضطربة التي تبناها زعماءها في قضية حجر بن عدي. وقد تعزز

الاضطراب والاختلاف في حيثيات ثورة الحسين ومقتله؛ بحيث تكاد الروايات تكف عن الحديث عن اليمنيين بوصفهم كتلة قبائل متشعبة الى ذكرهم كعناصر فردية وجماعات نشطة خارج القبيلة الأم .
تحضر العناصر اليمنية في ثورة المختار والتوابين ضمن عناصر أخرى من قبائل قيسية بجوار الموالي والعناصر غير العربية في إشارة الى بدايات خروج التشيع من جبة القبيلة اليمنية وانفتاحه على بقية العناصر المشكلة للمجتمع الإسلامي ليتحول فيما بعد الى أيديولوجيا عامة معارضة للايديولوجية الاموية تستقطب كل الساخطين على الحكم الأموي.. .
بفعل المآسي التي تعرض لها أبناء علي وبسبب من تعقيد الحياة السياسية في ظل الحكم الأموي تطور التشيع من كونه موقف سياسيا واضحا الى منظومة فكرية دينية راحت تتعمق وتستمد ادواتها ومقولاتها من مصادر مختلفة؛ خاصة بعد انفتاحها على تراث الأمم الأخرى لينافس فيما بعد المنظومة السنية على قاعدة الصراع على السلطة.

الملخص بالفرنسية

Sommaire

La thèse étudie la relation entre le chiisme comme un système idéologique et un bloc politique disposé au pouvoir et les tribus yéménites qui se sont stabilisées à Koufa. En plus de ses Composants qui sont considérés les sources les plus importantes qui ont alimenté le mouvement chiite qui a soutenu Ali dans son conflit contre ses opposants, et s'est ensuite passée du côté de l'opposition lorsque l'autorité a été stabilisée à Muawiya et ses partisans.

Cette thèse a été divisée en quatre chapitres où chaque chapitre est étudié la relation et les formes de l'acte historique selon une période précisée au milieu d'événements importants. Le premier chapitre cherche les racines géographiques et ethniques des tribus yéménites dans leurs premiers sites au Yémen, et ses frontières avec des contextes historiques dans lesquels ces tribus étaient impliquées dans l'Islam, et de là, dans le mouvement des grandes expansions qui l'a conduit vers des nouvelles terres, en particulier Koufa. Aussi la stabilité des tribus en Koufa, surtout les tribus yéménites où cette opération a été inaugurée le début de l'acte politique à Al-Amsaar (des grandes villes) de là, Koufa est devenu la ville la plus importante et elle a dirigé l'opposition contre calife Uthman et l'a finalement tué.

Le deuxième chapitre étudie des contextes de l'émergence du chiisme et de sa transformation d'une cadre politiques au cadre religieux et en relation avec la personnalité d'Ali, dans le contexte de conflit qu'Ali a menée contre ses adversaires du début à la fin de sa tue. Aussi le rôle intéressant que les tribus yéménites ont joué pour le soutenir. Analyse le moment historique où le chiisme s'est transformé comme un système religieux.

Le troisième chapitre a recherché des formes de la relation tendue entre l'autorité omeyyade et les tribus yéménites de Koufa dont ses fils ont engagé dans des mouvements de protestation qui est apparu dans le mouvement d'Hajar bin Uday al-Kindi, puis dans le mouvement d'Hussein bin Ali. Ils ont tous deux échoués et ont obtenu l'autorité omeyyade représentée par Muawiya, et son fils Yazid, après lui, a éliminé Hajar et Hussein. En outre étude des outils politique que l'autorité Omeyyade a exercés en général en Irak et en particulier à Koufa, en but d'éliminer le bloc Chiite.

Dans le quatrième chapitre, il étudie l'activité chiite armée qui a surgi face à l'autorité Omeyyade après le meurtre d'Hussein. Ce qui a été représenté par le mouvement Tawabeen puis le mouvement Mukhtar bin Obaid al-Thaqafi, aussi les circonstances qui ont conduit à la révolution et clarifier le rôle yéménite qui ont

renforcé ces deux mouvements. Enfin, la recherche s'est conclue par un certain de conclusions, que j'ai résumées comme suit:

- Les tribus yéménites de Koufa ont choisi de soutenir Ali pour plusieurs raisons, dont la plus importante est la relation historique qui a lié Ali avec certaines des tribus du Yémen lorsque le Prophète l'a envoyé comme un enseignant et un prédicateur. L'autre est le projet de loi sur l'égalité qu'Ali a soulevé face à ceux qui appellent pour maintenir la politique financière promulguée par Omar. En plus de une présence de certains héritages historiques de quelque tribus qui ont témoigné dans leur histoire des traditions royales comme Kinda et Himyar.
- Les tribus yéménites ont continué à soutenir Hassan bin Ali mais, la politique de la carotte et le bâton que Muawiya a pratiquée contre elle ont réussi à provoquer quelques fissures qui sont apparues dans des décisions troublées adoptées par ses dirigeants en cas de Hajar bin Adi. Les Turbulences et les désaccords ont été renforcés sur les causes de la révolution d'Hussein et de sa mort. Où les histoires font référence aux yéménites en tant que bloc de tribus Chiites pour les mentionner en tant que membres individuels et groupes actifs en dehors de la tribu mère.
- Les éléments yéménites sont présents dans la révolution al-Mukhtar et al-Tawabin, parmi d'autres éléments des tribus Qaisiyya à côté des éléments Mawali et les éléments non-arabes en référence aux débuts du départ du Chiisme de tribalisme Yéménite et de sa ouverture au reste des éléments de la communauté islamique. Plus tard, il s'est transformé en une idéologie générale opposée à l'idéologie omeyyade qui attire tous les mécontents du règne omeyyade.
- À la suite des tragédies des fils d'Ali et à cause de la complexité de la vie politique sous la domination omeyyade, le chiisme est passé d'une position politique à un système idéologique, religieux qui s'est compliqué et approfondi et a dérivé ses outils et ses dictons de diverses sources. Surtout après son ouverture à l'héritage des autres nations, et plus tard, affronter le système sunnite sur la base d'un conflit autoritaire.

Summary

The thesis studies the relationship between Shiism as an ideological system and a political bloc willing to authority and the yemeni tribes who stabilized in Kufa. In addition to its components which are considered the most important sources which fueled the Shiite movement which supported Ali in his conflict against his opponents, and then passed to the opposition side when the authority was stabilized in Muawiya and his supporters. This thesis has been divided into four chapters where each chapter is studied the relationship and forms of the historical act according to a specified period in the midst of important events. The first chapter looks for the geographical and ethnic roots of the yemeni tribes in their early sites in yemen, and its borders with historical contexts in which these tribes were involved in Islam, and thence in the movement of the great expansions which it led to new lands, especially Kufa. Also the stability of the tribes in Kufa, especially the yemeni tribes where this operation was inaugurated the beginning of the political act in Al-Amsaar (of the big cities) from there, Kufa became the most important city and she ruled the opposition against Caliph Uthman and ultimately killed him. The second chapter studies the contexts of a emergence of Shiism and its transformation from a political to a religious dimension and in relation to Ali's personality, in the context of the conflict that Ali waged against his adversaries from the beginning to the end of his kills. Also the interesting role that the yemeni tribes played in supporting it. Analyzes the historical moment when Shiism transformed into a religious system. The third chapter investigated forms of the strained relationship between Umayyad authority and the yemeni tribes of Kufa whose sons engaged in protest movements that appeared in the movement of Hajar bin Uday al-Kindi, and then in a movement of Hussein bin Ali. They both failed and obtained Umayyad authority represented by Muawiya, and his son Yazid, after him, eliminated Hajar and Hussein. In addition, study the political tools that the Umayyad authority exercised in general in Iraq and in particular in Kufa, with the aim of eliminating the Shiite bloc. In the fourth chapter, we studies the armed Shiite activity that arose in the face of Umayyad authority after the murder of Hussein. What was represented by the Tawabeen movement and then the Mukhtar bin Obaid al-Thaqafi movement, also the circumstances that led to the revolution and clarifying the yemeni role that strengthened these two movements. Finally, the research ended with a number of conclusions, which I summarized as follows: - The yemeni tribes of Kufa chose to support Ali for several reasons, the most important of which is the historical relationship that bound Ali with some of the tribes of Yemen when the Prophet sent him as a teacher and preacher. The other is the equality bill that Ali raised in the face of those calling to maintain the financial policy promulgated by Omar. In addition to a presence of certain historical heritages of some tribes which testified in their history of the royal traditions like Kinda and Himyar. -The yemeni tribes continued to support Hassan bin Ali but, the carrot and

stick policy that Muawiya practiced against it succeeded in causing some cracks which appeared in troubled decisions adopted by its rulers in case of Hajar bin Adi . Turbulence and disagreements were reinforced over the causes of Hussein's revolution and his death. Where the stories refer to the yemenis as a block of Shia tribes to mention them as individual members and active groups outside of the mother tribe. - the yemeni elements are present in the revolution al-Mukhtar and al-Tawabin, among other elements of the Qaisiyya tribes next to the Mawali elements and the non-Arab elements in reference to the beginnings of the departure of Shiism from yemeni tribalism and its openness to the rest of the elements of the Islamic community. Later it turned into a general ideology opposed to the Umayyad ideology which attracts all the malcontents of the Umayyad Caliphate. - Following the tragedies of the sons of Ali and because of a complexity of the political life under Umayyad Caliphate, Shiism moved from a political position to an ideological, religious system which has become more complicated and deepened and has derived its tools and sayings from different sources. Especially after opening up to the heritage of other nations, and later confronting the Sunni system on the basis of authoritarian conflict.